سيرة
الأمير حمزة البهلوان

فارس برية الحجاز وسلطان العرب



التزام
سعيد علي الخصوصي
صاحب المطبعة والمكتبة السعيدية
بجوار الأزهر بمصر

(المجلد ١)

سيرة

الامير حمزه البهلوان

فارس برية الحجاز وسلطان العرب وماجرى له مع كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان والعظمة وعلو الشان وحاكم الدنيا بما فيها من بنى الانسان . وماحصل بينهما من الحروب الصعاب ومن الوقائع العجب العجاب وفيها عشق وحب وغرام خصوصا باخبار فريدة الحسن والجمال والبهاء والكمال رشيقة القد اسيلة الخد بينة الكحل مكحولة المقل مفلجة الثغر مهفهفة القوام نجلاء العين مجدولة الساعدين الاميرة مهردكار سيدة اللطف والوقار شمس الدنيا وزينة بلاد الاعجام بنت الملك كسرى انوشروان محبوبة الامير حمزه البهلوان

المجلد الاول

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية
كتب عربي
١٣٨٢٦٠

التزام
سعيد علي الخصوصي
صاحب المطبعة والمكتبة السعيدية
بجوار الازهر بمصر

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

(قال الراوى) ياسادة يا كرام كانت دولة الفرس من الدول العظيمة فى قديم الايام ملكت زمنا طويلا وأتسع ملكها شرقا وغربا شمالا وجنوبا وكانت العرب تطيعها وتودى لها الجزية فى كل عام يجمعها ملك العرب وهو النعمان بن المنذر بن النعمان احد ملوك الحيرة ويرسلها الى الملك الاكبر أى ملك الاعجام والديالمة وكان يقيم فى المدائن أسم عاصمة المملكة وقد أطلق على كل ملك ملك على تخت هذه الممالك كسرى أنو شروان صاحب التاج والايوان وذلك أن تاجه يجمع من كل أنواع الحجارة الكريمة الكبيرة القدر الغالية الثمن حتى ضرب به المثل بين الناس منذ تلك الايام الى ما بعدها وكانت سائر ملوك الارض تحسده عليه وتتمناه لها والايوان كان عاليا جدا حتى قيل انه قنطرته مرتفعة أرتفاعا لا ينطوى تحت دائرة العقل أى ان الغيم يلحق بها وكثير مرات ما يمر من تحتها وفى نصف هذه القنطرة حلقة من الذهب كبيرة ضخمة جدا بقيت بعد زمن الاكاسرة زمانا طويلا معلقة باعلى تلك القنطرة واما مذهب العجم كان فى تلك الايام المجوسية والنار فيعبدونها ويسجدون لها دون الواحد الجبار ويعدون لها ويجتمعون عندها أثناء المواسم وتقديم الهدايا الى المرازبة الموكلون بخدمتها والقائمين حولها يشعلونها على الدوام الليل والنهار. وكان الملك عليها فى زمن روايتنا هذه احد اولئك الاكاسرة وقد أشتهر بالحلم والرقة والدعة وعنده وزيران عاقلان احدهما اسمه بزرجمهر وهذا كان يعبد الله تعالى وكان من الحكمة والعقل والآداب على جانب عظيم يندر وجود مثله فى زمانه أعطاه الله مالم يعطه لغيره من أبناء جنسه الانسانى وقد سمى بهذا الاسم عدة وزراء لدولة الفرس وثانيهما اسمه بختك بن قرقيش من أشراف البلاد واعيانها محبوبا من الرعايا ورجال المملكة والملك وكان كرسى الملك يجمع تسعمائة الف نفس من العجم ماعدا الغرباء الذين كانوا على الدوام يتقاطرون الى المدينة افواجا افواجا لعرض دعاويهم واشغالهم للملك الاكبر وقيل ان الفا من الحجاب يقفون بين يديه مشهرين السيوف من حين وجوده فى ديوانه الى حين خروجه فيسير بين يديه الف غيرهم وعند وجوده بقصر منامه يحرس بابه الف ايضا وقيل ان السرير الذى يجلس عليه فى ايوانه من الذهب الابريز الخالص يبلغ ثقله عشرين قنطارا وجميع ماحواليه من الكراسى المعدة لرجال دولته ووزرائه هو من الذهب ايضا وبالاختصار ان الملك كسرى أنوشروان كان اغنى ملوك العالم وكان يحب الرفعة والزخرفة والعظمة حتى وصل الى درجة تفوق العقل الانسانى .

فني احد الايام دخل سرير منامه وهو يفكر بما وصلت اليه دولته وما ناله من الحكم وطاعة العباد له وبعد ان استغرق في نومه حلم حلما قبيحا واستيقظ مرعوبا منه وخائفا واقام اكثر من ساعتين قلقا مضطربا الى ان عادته سنة الكرى ثانية وما لبث ان رای نفس الحلم وشاهد ما شاهده اولا فاستيقظ ثانيا مضطربا اضطرابا عظيما اكثر من الاول ولم يعد ياخذه نوم قط وهو ينتظر قدوم النهار ليخرج الى ديوانه ويتخلص من اوهام تلك الليله وليعرض على وزيره بزرجمهر تفسير هذا الحلم لعلمه بما هو عليه من سعة المعارف والاطلاع على ظواهر الامور وخفاياها فضلا عن معرفته بلغات العالم اجمع. وعند اتيان النهار واشراق شمسه لامعة على اليابس لبس ثيابه وخرج بموكبه حسب عادته غير ان الناس كانت تتعجب من خروجه في مثل هذا الوقت ولا احد يعلم السبب وبقي سائرا الى ان دخل الايوان وجلس في صدر سريره وبعث الى حاشيته وبطانته من اهل المناصب والمراتب في ديوانه فجاؤا واحدا بعد واحد وعند وصول كل واحد منهم يسجد للملك ويرجع الى كرسيه وما منهم من يجسر ان يسأل الملك عن حاله بل كانوا ينتظرون مجيء وزيره الى ان وصل بختك بن قرقيش وبعد ان استقر الى جانبه قال له احيت النار سيدنا الملك وخدمته السعادة ورافقه الاقبال افدنا عن حالك واخبرنا بامرك وما السبب لغيظك واضطرابك وكدرك الذي نراه يعلوا وجهك مع ان البلاد بامان واطمئنان وما من احد من العمال ولا المجاورين خرج علينا وصحتك جيدة. قال اعلم اني رايت حلما كدرني واقلقني وبقيت منه حتى هذه الساعه مضطربا لا ارى راحة من نفسي وعلى هذا ثبت عندي ان لا بد لذلك من سبب عظيم واني احب ان استفسر من وزيري بزرجمهر عن هذا الحلم وتعبيره فقال بختك ان شاء سيدي الملك اخبرني بهذا الحلم واطلعني عليه قال رايت نفسي جالسا في ايواني هذا على سريري الخاص منفردا عن حاشيتي اشعر بجوع عظيم وتضور جسيم واذا قدم الى مائدة من الذهب عليها صحن من العاج منقوش بالنقوش الفارسيه وداخل الصحن المذكور وزة كبيرة مقلوة بالسمن تنبعث منها رائحة شهيه تاقت اليها نفسي وحركني جوعي الى ان اتناول من تلك الوزة واسد رمقي واذا بكلب هائل المنظر قصير القوائم كبير الراس مدلى الوبر الى حد الارض هجم علي ونبح في وكشر بانيابه فجفلت منه ورجعت الى الوراء وبعد ذلك تقدم من الوزه فاخذها في فمه واراد الخروج من ايواني وانا اتحرق واتالم واتململ والجوع ياخذني ويزيدني ضعفا ولا اقدر على استخلاص طعامي من فم الكلب ومن ثم رايت اسدا عظيما قد دخل من الباب وقبل ان يخرج الكلب منه وحالما وصل اليه ضربه بيده القاه ميتا وتناول الوزة من فمه واعادها الي دون ان يلحق بها كرة فاستيقظت بعد ذلك من نومي مرعوبا لا اعرف ما القصد من هذا المنام ولا بد من سبب له فقال بختك لا يرهب سيدي من هذا المنام ولا يخاف فما هو الا من قبيل الاوهام وقد تحدث

كثيرا للانام ومن المعلوم ان المرء يرى على الدوام مثل هذه الاحلام التي تحدث من قبيل الطعام او من اسباب اخرى لكنها لا تكون ذات نتيجة ولا تدل على امر قط يوجب اضطراب سيدي الملك وتكديره قال كيف لا وقد رايت الحلم مرتين بنفس المعنى والحالة ولو لم يكن له دليل قبيح لما تكرر وما كنت اري في داخلي كدرا عظيما لا يدركه واحب ان اطرده فلا اقدر كانت نفسي تحدثني بوقوع امر يكون علينا في المستقبل وبالاواني اعرف جيدا ان هذا الحلم لا يفكه ويعبره الا بزرجمهر فهو خبير بعلوم العالم وتفاسير اغماضها واما انت فلا معرفة لك بمثل هكذا أمر وبينما الملك والوزير يختك يتخابران في ذلك ورجال المملكة يسمعون ما كان من أمر الملك واذا بيزرجمهر الوزير قد أقبل ودخل الديوان فوقف له الجميع اعتبارا وإحتراما وتلقاه كسرى بالترحاب وكان هاسقط عن قلبه بأتيانه وحال جلوس الوزير قال له الملك أنت تعلم أيها الوزير العاقل الحكيم اني أصطفيتك لي على سوالك واتخذتك مدبر لجميع أحوالي وفوضت اليك الرأي الاول وأطلقت لك الحرية بامر العباد وما ذلك الا لمعرفتي باخلاصك واعتقادي بانك صادق القول لا تخفي عني شيئا ولا ترضى الا ما به صالحي وصالح بلادي ومملكتي. فقال ما انا الا عبد مجبول بنعمتكم مغروس بالتفاتكم واكرامكم واني على الامانة لدولتكم ما زلت حيا وما زلت قادرا على الوفاء واني لساعة انتظر أمركم بما تريدونه وتأمرون به. قال رايت في الليلة الماضية حلما هائلا راعني جدا والقاني باضطراب عظيم ولا ارتاح من هذه الليلة التي انا واقع بها الا اذ اظهرت لي تفسير هذا الحلم واخبرتني بنتاجه وما يكون منه. ثم ان كسرى انوشروان قص على وزيره المنام الذي تقدم ذكره وقال له فسر تفسيرا واضحا ولا تخف عني شيئا قط واني اشهد على الجميع صاغيا لك راضيا عنك مهما كان التفسير قبيحا والعاقبة رديئة حيث نكون على بصيرة ونقدر ان نعرف الطريق التي تقينا اذا كان ضيق او كدرا او قحطا او حروب او ما شا كل ذلك

ولما سمع الوزير من الملك حلمه امعن به واطرق إلى الارض برهة وهو يسأل الله توضيح الحقيقة واظهار الخفايا وبعد ان بان له كل ما يدل عليه ذلك الحلم وعرف بمساعدة الله سبحانه وتعالى ما يكون على البلاد رفع راسه فقال اعلم يا مولاي ان الله سبحانه وتعالى وهو الاله الذي اعبده يدبر الكون بمعرفته ويدرب العباد بعنايته لا تأخذه سنة الكرى ولا يغفل قط عن امر وقد سبق ان كلم انبيائه وغيرهم في ايام بني اسرائيل وملوك الفرس والماديين الذين تسلطوا عليهم باحلام واظهر لهم ما يريد وما يقصد قبل بزمان كي يعلم الانسان عظم قدرته ومقدرته وما وصلت اليه الالوهية ولذلك قصد في هذه المرة ان يظهر لكم ما سيكون على دولتكم وما ياتي عليها قبل سنين واعوام. فالمائدة التي رايتها وقد قدمت اليك من الذهب الوهاج هي مدينتك وعاصمة ملكك هذه التي نقيم بها نحن والصحن والوزة التي عليه هما

خزينتك وسريرك الجالس عليه الان والكلب الذى اختطف الوزه هو فارس يظهر فى حصن خيبر يطرق بلادك بالعساكر والاجناد والاسد الذى نظرته هو فارس يظهر فى بلاد الحجاز عظيم القدر والشان ومعنى هذا الحلم ان الفارس الخيبرى يقصد بلادك بعساكره واجناده فيدوخها ويتملكها ويحاصر هذه المدينة وبعد حروب بيننا وبينه يملك الكرسى ويطردك من بلادك ويملك عليها وبعد ذلك يأتى الفارس الذى اخبرتك عنه فى برية الحجاز فيستخلص لك ملكك ويرجعك الى سريرك ويقتل عدوك وهذا الذى رايته ونبينته

وكان الوزير بزرجمهر قد رأى علاوة على ما تقدم فلم يقبل أن يخبر به كسرى حرصا على ارائه تعالى لانه رأى ان الفرس قد أصبحت على شيخوخة الحياة وان الفارس الذى يظهر من الحجاز يرفع نير الفرس من العرب ويهدم معابد النيران ويقع بينه وبين الدولة الكسروية حروب قوية تقضى بهم الى الخراب والدمار وينشر دين الله وعبادته بين عبدة الاوثان وناكرى الحق سبحانه وتعالى. ولما سمع الملك كسرى من وزيره هذا الكلام وقع فى ذهنه موقع التصديق وعرف من نفسه ان ذلك يمكن وقوعه لا بل يتأكد وقوعه ولذلك قال له هل يمكن أن تعرف أيها الوزير العاقل أن كان الفارس العربى الذى أشرت اليه قد ظهر ووجد فى الحجاز اولم يظهر الى عالم الوجود قال ان ذلك لا أعرفه ياسيدى ولم يظهر لى هذا وما عرفته أخبرتك به. قال ألا تعرف فى أى مكان من الحجاز يظهر هذا الرجل الذى بان لك انه يخلص بلادى من الاعداء قال نعم انه يظهر فى مكة وهى البلد الذى تأتى اليه العرب فى كل عام قياما بواجبات الزيارة.

فامر كسرى فى الحال ان تحضر الهدايا الثمينة من جواهر وذهب وامتعة فارسية من كل ماغلا ثمنا وخف حملا وعرضه على وزيره بزرجمهر وقال له اريد منك ان تذهب الى مكة منذ اليوم وتنظر لى مقر هذا الفارس ومن من يلد واذا كان ولد فاين وجوده فادفع هذه الهدايا الى ابيه ودعه ان يربى الغلام على نفقتى ويعتنى به ويخصه بدولة الفرس ويجعل له كل الاسباب النافعة لحياته تحت طاعته حتى اذا وصلنا الى الزمان الذى أشرت اليه يكون فى طاعتنا وتحت أمرنا فنرسل اليه ونستدعيه حالا. فاجاب الوزير أمر سيده وركب فى نفس ذاك اليوم وأخذ معه الهدايا والتحف وسار قاصدا بلاد العرب ومعه جماعة من قوم الفرس يسيرون بخدمته وهو مسرور جدا بمسيره الى مكة أولا لزيارة بيت الله الحرام وثانيا ليرى ويشاهد الذى دلت عليه الدلائل بانه يكون سعيدا جدا ويملك البلاد ويخلص العرب من ظلم الفرس ويذل الدولة الكسروية ويهدم معابد النيران ويصبح له شان وأى شان. وبقى الوزير سائرا حتى وصل الى الحيرة فخرج لملاقاته الملك النعمان ورحب به مدة أيام وساله عن سبب اتيانه فاخبره بانه يقصد مكة المكرمة. وبعد ان اقام ثلاثة ايام فى ضيافة النعمان سار الى مكة مع من معه حتى وصلها واذ ذاك بعث رسوله يخبر حاكمها وكان اسمه ابراهيم يخاف الله ويتقى جانبه عائش على

التقوى والعبادة فلما سمع بقدوم بزرجمهر وزير الملك الاكبر خرج بجماعته الى خارج المدينة ولاقاه بالترحيب والاكرام وهو لا يعرف الغاية التي جاء لاجلها وزاد له في التعظيم والاكرام لعلمه انه من رجال الله وعباده الاتقيا مشهور بالذكاء والاداب والمعارف وانه ايضا وزير الملك كسرى ملك العرب والعجم والديلم ورجع به الى المدينة محمولا على التأهل والاكرام ولما استقر به المقام وارتاح من اتعاب السفر واتمت هذه الضيافة المعروفة عند العرب اجتمع الوزير بالامير ابراهيم وقال له هل ان امراتك حامل قال نعم وهي في الشهر الاخير قال اني بالهامه تعالى اتيت لاخبرك انها تأتي بولد ذكر كانه القمر يرتفع مقامه ويعلو شانه ويخرج اشجع من كل من حمل القنا ونقل الحسام وركب الجواد. ثم انه حكى له ما كان من كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان. ففرح الامير ابراهيم بهذه البشارة وسر منها جدا لاسيما عندما علم ان ولده هذا يكون سبب خلاص العرب من العجم وسبب تدمير معابد النيران وقلع اثار الكفار

وبقي الوزير بزرجمهر في المدينة المنورة نحوا من خمسة عشر يوما وفي اليوم السادس عشر بينما كان مقيما في ديوان الامير ابراهيم بين عربه وقومه جاؤا المبشرون يبشرون الامير بولادة زوجته وان الذي ولدته ذكر فكاد يطير من الفرح حيث ان هذا الولد هو البكر وحيث انه سمع عنه قبل وجوده في عالم الوجود من الوزير بزرجمهر وكذلك الوزير فرح وعرف ان هذا الغلام هو الذي دلت عليه الدلائل وراه كسرى في حلمه ولذلك خلع على المبشرين الخلع السنية ومثله الامير ابراهيم فانه غمرهم بالعطاء واطلق العبيد منهم وجعل ذلك اليوم شكر لله سبحانه وتعالى طول ذلك النهار وفي اليوم الثاني اجتمع في ديوانه واقام بالافراح وجاء اهل قبيلته يهنئونه بالمولود وانتظروا الاتيان به الى الديوان بحسب العادة المألوفة عندهم وهي ان يؤتى بالغلام الى ابيه ويعرض عليه بين رجال قبيلته وقومه ليراه الجميع. ولم يكن الا القليل حتى جيء بالغلام محمولا على ايدي العبيد وقدم الى ابيه اولا فاخذه ونظر في وجهه وقد تعجب من كبر جسمه وحسن طلعته وبهاء جبهته لانه كان بديع الصورة جدا لا يوجد اجمل منه في رجال زمانه وبعد ان قبله قدمه للوزير بزرجمهر فاخذه وامعن النظر في وجهه وجعل يسبح الله سبحانه وتعالى على ما يخلق وما يفعل وتاكد كل التاكيد سعادة ذلك الغلام وحسن استقباله وثبت عنده انه هو الاسد الذي راه سيده في حلمه ثم التفت الى الامير ابراهيم وقال له اوصيك ايها الامير الكريم على مسمع من جميع رجال قومك بالاعتناء بهذا الغلام وبتربيته تربية جيدة وتهذيبه وتعليمه كل العلوم لانه هو نفسه صاحب السيف والقلم والبند والعلم والذكر الحميد الذي يشتهر بين العرب والعجم. واني ما اتيت هذه البلاد الا لاجل رؤيته والبحث عنه ليكون على اسم الدولة الكسروية فكل ما اتيت به من قبل الملك الاكبر هو على اسمه ولاجل نفقته. فقال الامير ان هذا ولدي وملزوم بالاعتناء به ولا سيما انك اخبرتني

بمستقبل حياته بما اعطيت من الحكمة والعلم والتقاوة فسمه بالاسم الذى تريده. قال ان اسمه حمزة

وكان يعرف بزرجمهر ان ذلك اليوم يوم سعيد وان كل مولود يلد به يكون سعيدا فامر ان يؤتى بكل ذكر ولد فى نفس ذاك اليوم فى تلك المدينة الى الديوان وبالقضاء والقدر والتدبيرات الالهية كان ولد فى اليوم نفسه ثمانمائة غلام ذكر فاتى بالجميع الى بين يدى الوزير فجعل يسمى كل واحد باسمه ويدفع لابيه الاموال ليربيه على نفقة الملك كسرى ويكتب اسمه عنده ويوصى به حتى فرغ من الجميع وبالصدفة والعناية كان احد عبيد الامير ابراهيم متزوجا بجارية سوداء وكانت حاملا وهى فى الشهر السابع اى لم يتم حملها بعد فلما راى ان الوزير يدفع الاموال الى اباء الاولاد لاجل ان يربوهم على نفقة الملك كسرى ويكتبوا من رجاله من ذلك اليوم لعب به الطمع واخذه الحسد وركض الى زوجته وقال لها ان الوزير يدفع الاموال الى اباء الاولاد الذين يلدون اليوم فلدى الان عساك تاتى بذكر فيكون لنا الخير العظيم فقالت له ليس الان وقت ولادتى وكيف يمكن ان الد اليوم والله لم يسمح بعد فخنق منها واخذ دقر الباب وضربها به على ظهرها وهى تصيح وهو يضربها ويعذبها حتى سقط الولد واذا هو ذكر اسود فاسرع فى الحال وقطع سرته ولفه بخرقة عتيقة والدم يغطى كل جسده واسرع الى الوزير بزرجمهر وكان احد جيرانه قد سبقه واخبر الامير ابراهيم بما وقع بينه وبين زوجته وكيف انه تركها مغمى عليها ملوثة بالدماء معذبة بالاوجاع فلما وصل امر الامير ابراهيم ان يؤخذ الغلام منه ويضرب الضرب الوجيع وقال له الا تخاف الله وتتقى جانبه كيف تفعل هذه الافعال. فامر الوزير ان يقدم اليه الولد فقدم ونظر فى وجهه متمعنا وفى الحال امر ان يطلق العبد وقال للامير ان ذلك من الله سبحانه وتعالى ليكتب هذا الغلام من رفاق ابنك حمزه ويكون له ساعدا قويا عند ضيقاته ويخلصه على الدوام عند وقوعه فى الشدائد والمصاعب فخذه وربه مع ابنك واعتنى به كل الاعتناء فهو عصا ابنك يتوكا عليها فى حياته ويحتاجه فى كل اوقاته وكان وجه هذا الغلام صغيرا مستديرة وعينيه صغيرة جدا كانهما الثقوب ويديه ورجليه صغيرة دقيقة جدا اشبه بالخيطان لانه كامل البنية فاجاب الامير طلب الوزير ودفع الغلام الى المراضع ليكون على الدوام مع ولده وقد سماه عمر وهو عمر العيار ويكون عيار الامير حمزه كما ياتى معنا ان شاء الله

وبعد ان انتهى الوزير من كل عمله ولم ير بعد من وجوب قامته فى مكة المطهرة ركب بقومه وودع الامير ابرهيم ورجال قبيلته وخرج من هناك قاصدا بلاده اى المدائن وبقى سائرا مدة ايام وقدم على الحيرة ونزل ضيفا على النعمان مدة ايام وقد اخبره بما كان له فى مكة وعند وصوله الى بلاد الاعجام دخل على الملك كسرى وبشره بكل خير وسعادة وتوفيق

وحكى له عن النجاح الذي صادفه وقال له ان وصولى الى مكة قبل ولادة هذا المولود الذى نحن نقصد ان نتوصل اليه فاقت الى ان ولد ورايته ورأيت ما اعطى من الله من الحسن البديع وما يكتب على جبينه من الاقبال والسعادة وبعد ان رأيته قيدت اسمه من رجالك وتبعه دولتك وسميته حمزة العرب واردت ان اكتب كل ذكر يلد فى ذلك اليوم فى رجالنا واذا انا بثمانمائة غلام ولد فى نفس ذلك اليوم وهذا من عجائب الدهر والايام ان يلد فى مدينة صغيرة بيوم واحد ثمانمائة ذكر دون ان تلد انثى واحدة فعرفت ان توفيق حمزة سبب ذلك ليكون اولئك المولودين من رجاله واخصائه يركبون بين يديه ويسعدون بسعده قال ففرح كسرى بما سمعه من وزيره وأنعم عليه مزيد الانعام . وشكره الشكر الجزيل على اهتمامه بأمر دولته ودفع المصائب عنها قبل بسنين وأعوام وأقام بعد ذلك مرتاح البال تتقلب عليه الليالى والايام وشغل عما تقدم بما اعتاد عليه من البذخ واللهو وغير ذلك

وأما ما كان من الامير ابراهيم أمير مكة فانه أقام على الاعتناء بولده وهو مسرور على الدوام بما سمعه من الوزير من ان ابنه يكون السبب فى خلاص العرب من الاعجام ويعزز الدولة العربية ويبيد الدولة الكسروية وكان يعتنى أيضا بتربية عمر بن العبد لعلمه انه سيكون بخدمة ولده ونافعا له كما أشار بزرجمهر الى أن مضى على حمزة أربعة أعوام وكان الذى يراه يظنه ابن عشرة أعوام لامتلاء جسمه وطول قامته ونمو الهيبة والوقار اللذين كانا يطفحان على الدوام فوق جبينه وعند تجاوزه سن الاربع سنوات دفعه الى معلمين ومهذبين يتعلم العلوم ويتربى التربية الجيدة الحسنة على التقوى أولا وعبادة الله وثانيا على التهذيب وتعليم العلوم النافعة وأخذ فى أن يتدرج فى العمر وينمى على نفسه يوما بعد يوم وكلما تقدم بالعمر يقدم بالمعرفة والادراك وعمر بن العبد كان لا يفارقه مطلقا وهو يدعوه باخيه وقد أحبه بعضهما احباء عظيما ولا يقدر أحدهما على مفارقة الاخر بل يبذل جهده لاجل مرضاته وراحته وكان عمر سريع الجرى لدقة ساقيه وهزال جسمه وكان قوى العصب تولع من حين صغره بالركض والقفز من المحلات العالية حتى اعتاد عليها وصار آفة من آفات الزمان وما وصل سنه الى العشرة أعوام حتى صار يحسب من أبرع العيارين وأشدهم وقد تعلم رمى النبال حتى أصبحت نبلته لا تخطىء مطلقا وكان يسطو على البساتين ويتعدى على الاولاد فى الشوارع والازقة والناس تشكوه الى حمزه كونه يبقى معه على الدوام وهو لا يلتفت الى شكاويهم لصغر سنه وهم لا يخبرون بذلك الامير ابراهيم خوفا منه الى أن كان ذات يوم مار بالقرب من بستان نظر داخله شجرة رمان كبيرة الثمر فاعجبته وقال لا بد ان اخذ لاخى حمزة منها واقدم له من هذا الثمر لانه لذيذ وحالما تصور فى ذهنه هذا التصور ضرب رجليه بالارض فارتفع الى أعلى الحائط ووضع يديه عليه وقلب وجاء فى الداخل كانه عفريت غير ملتفت الى صاحب البستان

وركض الى شجرة الرمان فتسلقها وجعل يقطف من ثمرها ويضع فى عبه وبينما هو على مثل ذلك واذا بصاحب البستان قد وقف تحت الشجرة وراه فوقها فصاح به وقال له ويلك ياعبد السوء انى فى كل يوم أجيء البستان فارى الاشجار مكسرة والاثمار منهوبة ولا أعرف من الذى يفعل ذلك حتى رايتك الان ولا بد من ضربك والانتقام منك على ضررى. فقال له انى ما أتيت بستانك الا فى هذه المرة فقط. فقال له أتيت كثيرا فانزل من على الشجرة والا صعدت اليك ورميتك من أعلاها فقفز باسرع من البرق من اعلى الشجرة الى الارض والرمان على عبه وقبل ان يتمكن الرجل من الدنو منه اخذ قبضة رمل من الارض واحكمها الى وجهه فوقعت فى عينيه حتى كادت تعميه وفر هاربا من امامه ونجا بنفسه
وبقى الرجل يتوجع ويتمرمر من فعل عمرو وهو يتمنى ان يكون قد قبض عليه ليقتله وصرف اكثر من ساعة ينفض الرمل من عينيه ويغسلهما ولما صار يقدر على النظر الى الطريق سار الى ديوان الامير ابراهيم ودخل عليه وهو على تلك الحالة وشكى الغلام عمرو وما فعل معه وان لم يكفه تكسير أشجاره وسرقة أثماره حتى رمى الرمل بعينيه فكاد يذهب ببصره فاغتاظ الامير عند سماعه هذا الخبر وتكدر مزيد الكدر وأمر ان يؤتى بعمر فى الحال فسار خلفه أحد العبيد وكان عمرو وصل الى أخيه حمزة ودفع اليه الرمان فقال له من أين هذا فحكى له قصته مع الرجل ولم يخف عنه شيئا فلم يسع حمزة الا الضحك وأخيرا لامه على ذلك وقال له ان مال الناس محفوظ وليس من حقنا التعدى عليه وقد أوصيتك مرارا بان لا تتعدى على أحد. فقال له انى أريد ان أطيعك لكنى رأيت هذا الثمر الشهى فاشتاقت نفسى الى أن أطعمك منه وإذا لم احضر لك منه لا يرتاح بالى ولا يطيعنى قلبى وفى تلك الساعة وصل اليه رسول ابيه وقال له ان أباك أرسلنى لآخذه عمر فعرف حمزة سبب ذلك وأنه كان يطلب من الرجل صاحب البستان ولذلك نهض هو معه وسار وعمر بين يديه الى أن دخل على أبيه وقبل يديه ثم تقدم عمرو وأراد ان يقبل يديه أيضا فمنعه وقال له كيف تتعدى على أموال الناس وتقرب منى ثم أمر خمسة من العبيد ان يهجموا عليه ويلقوه الى الارض ويضربوه خمسين سوطا فاحتاط به العبيد وحاولوا التمكن منه فلم يقدروا وهو يدافع عن نفسه وقد صاح مستجيرا باخيه حمزة. ففى الحال لعبت به النخوة وأخذته المروءة ولم يفكر بابيه فانقض على العبيد وأخذ واحدا بين يديه ورفعه الى فوق رأسه وضرب به الباقين فوقع على اثنين امامهما ومات هو أيضا فلما رأى ذلك الامير إبراهيم لعب به الغضب من فعل إبنه وتكدر مزيد الكدر وصاح به إنخرق حرمتى ولا تراعى جانبى فوعى حمزة على فعله وسكت ولم يجب بكلمة فاراد أباه ان يؤدبه فقام اليه السادات ومنعوه وسالوه فيه وهم يتعجبون من عمله مع صغر سنه وتقدم حمزة من أبيه وسأله السماح وقال له ان الحدة قد فعلت بى ذلك وأنا أعلم ان عمر مظلوم بضربه لانه لم يقصد سرقة الرمان الا لاجلى وحكى له السبب الذى

حمله على النزول الى البستان وانه كان فى وسع الرجل بعد أن عرفه أن يسكت عنه لعلمه بانه أخى ويأتى الى فامنعه من العودة ثانية الى البستان ولاسيما انه قاصر وما على القاصر من حرج وفى الحال أصلح السادات امر الرجل وأرجعوه من الديوان واستعطفوا بخاطر الامير على ولده عمر فسمح عنهما وارجعهما الى مكان قامتهما وامر ان تدفن العبيد الثلاثة الذين ماتوا من حمزة فدفنوا

وبعد ذلك بيوم اى فى اليوم الثانى اتفق سادات المدينة وجاؤا الى الامير ابراهيم وسلموا عليه وجلسوا بين يديه وبعد ان استقر بهم الجلوس قالوا له اعلم ايها الامير اننا لا نزال نتذكر كلام الوزير بزرجمهر وما اشار اليه من امر ابنك الامير حمزة وقد ثبت عندنا ذلك عما رايناه منه فى الامس فهو ان كان لا يبلغ سن العشر سنوات فقد فعل فعلا لا تفعله الجبابرة ولذلك ترانا الآن باتفاق وقد جئنا اليك لنعرض عليك ذلك ونسالك ان تعلم ابنك فنون القتال وتعوده على ركوب الخيل لكى يتم ما سبق بارادته تعالى وقيل عنه وهو انه يخلص العرب من العجم ويرفع عنهم ذاك النير الذى تحملوه زمانا طويلا. فقال لهم لقد أصبتم بذلك وأنى كنت أفكر فيه على الدوام واحب ان ابقيه الى ان يبلغ سن الخامسة عشر من العمر الا انه ما فعله بالامس كاف ليظهر لى قوته ووجوب تعليمه ثم امر ان ينصب ميدان فى خارج البلد من سادات القبيلة وفرسانها ويجىء اليه كل من اراد ان يخرج الكبير والصغير وذهب الجميع الى هناك اى الى الساحة التى عينها الامير وبعد ذلك حضر حمزة ومعه عمر العيار ولما صار امام ابيه قبل يديه وسأله ماذا يريد قال له اعلم ياولدى ان اعداءنا كثيرون ومن صفات العرب ان يتعلموا فنون القتال اذ ما مهنة لهم غير هذه ولاسيما رؤساء القبائل وسادتها لانهم يلتزمون بالدفاع عن القبيلة لدى الغارة ومن كان اشد باسا كان له على الدوام الفوز والنجاح ولهذا عينت هذا المكان يقام فى كل يوم سوق طراد ولعب وفى قصدى ان تتعلم فنون الحرب وتتخرج بها عسى ان الله يرزقنا على يديك فرجا ننتظره فاظهر حمزة فرحه من ابيه وقال له هذا الذى اريده وطالما كانت نفسى تتشوق اليه

ثم امر الامير ابراهيم ان يقدم الى ولده جواد من خيوله فقدم له وركب عليه واطلق له العنان فكان على ظهره كقطعة من حديد واخذت الفرسان تحتاط به من كل مكان وتركض امامه بخيولها فيتأثرها ثم ينطلق امامها فتقتفى أثره وهو كانه الاسد الكاسر وصرفوا ذاك النهار على تلك الحالة واليوم الثانى الى مدة شهر حتى تعلم كامل فنون اللعب على الخيل حتى كاد ينزل الى الارض باسرع من البرق ويعود الى ظهر الجواد وهو غائر لا يقف قط ويختفى تحت بطنه وعنقه ويستتر به من كل جهاته وهو راكض ففاق بذلك على كل راكب جواد ومن ثم انعكف يتعلم فنون السلاح والقتال بها وما مضت مدة الا واتقن كل ذلك واصبح فى اعلى درجة ...

يعد يصعب عليه باب من ابواب القتال وتعلم الجميع واخيرا امر الامير ابراهيم ذات يوم ان ينصب ميدان يتألف من سائر فرسانه لامتحان ولده فاجتمع خلق كثير في ذلك الميدان من شبان وغلمان وشيوخ ونساء وبعضهم للفرجة وحينئذ اقبل الامير حمزة وهو فوق جواده كانه البرج الحصين ضارب على وجهه لثاما لا يظهر من تحته الا عيناه وهي تقدح كانها الجمر وعلى راسه خودة من الحديد ومدجج بالسلاح من راسه الى وسطه يعتقل رمحا من اران مسنن الاسنان وسيفا عريضا يضرب على جنبه. وبين يديه عمر كانه النار ذات الشرار يسبق بمسيره الخيول ولما وصل الى ذاك الميدان تقدم من ابيه فقبل يديه وقال له اني اسالك امرا يا ابي ولا اريد ان تمنعني عنه قال ماذا تريد. قال اريد منك ان تامر فرسانك وابطالك اجمعها لتكون في جهة واحدة واكون انا وحدي في الجهة الثانية فمن اصابته جريدتي خرج من الميدان ومن اصابني جريدته كان له علي حق التقدم وبعد ان يفرغ الجميع نعود الى الضرب بالرماح فمن علمت عليه او وصل رمحي اليه انعزل من الميدان فاستعظم الامير ابراهيم هذا الطلب وقال له ان ذلك يغيظ قومنا وانك لا تقدر على ما تقول ويصعب على كل امير وفارس ان يقاتل وحده مئات مع أنك لم تقاتل قبل الان ولا حنكتك الوقائع والاهوال فقال ان قومنا اذا رأوا امارأوا مني يسرون وسوف تنظر بعينيك ما أفعل أمامك فاجابه ابوه الى سؤاله وامر ان ينفرد ابنه الى جهة واحدة وجميع الفرسان الى ثانية وهكذا كان وما مضت الا دقائق قليلة حتى قام سوق اللعب ودار حذف الجريد وجعل الامير حمزة يضرب بجريدته فيصيب بها الرجال وكلما رمى بجريدته واصابت رجلا ينخطف عمر فيلتقطها قبل ان تصل الى الارض ويعيدها اليه باسرع من لمح البصر والفرسان تنحدر اليه من كل مكان وترميه بعصيها فيضيعها بعمر فته فتتخطاه ولا تصيبه وبقي على مثل ذلك وهو يصيب الرجال وعمر يقفز كالغزال ويدخل من تحت بطون الخيول ويسرع الجري من جهة الى جهة ولا يدع جريدة اخيه تلحق الارض الى اذ صار نصف النهار وكبر باعينهم جدا وذهبت بهم ذاهب العجب وحينئذ القى جريدته من يده وتناول رمحه فاقلع منه السنان وطلب براز الفرسان ان يبرز اليه الجميع وقت واحد واذا به قد اصاب جميع الفرسان واعتزل الجميع من الميدان وقد اخذتهم الدهشة والانبهات

وكان ابوه قد اندهش بما شاهد منه ورعب قلبه فرحا ولذلك امر ان تنزل اليه الفرسان وتجيب طلبه فيما يريد فصاحوا او هجموا عليه من كل مكان فالتقاهم بثبات عزم وقوة جنان فجعل يطعنهم برمحه فيصيبهم ويعزلهم من الميدان وما احد منهم قدر ان يتمكن منه بضربة او يصل اليه بطعنة لانه كان ينحذف الى الارض ويقفز الى ظهر الجواد باسرع من البرق ويضيع طعن الرماح في الهواء وعمر يدور من حواليه كالولب يسبق الجواد على الدوام ويجفل خيول الفرسان وما انقضى النهار حتى فرغ منها الجميع واذ ذاك نزل عن جواده وتقدم من ابيه وقبل

يديه فاخذه الى صدره وقبله وهو يذرف دموع الفرح ويشكر الله على ما كان من ولده وتوسم فيه الخير وصح عنده ما كان قال له بزرجمهر ورجع من الميدان مسرور افرحا نا ينتظر الزمان المناسب لاشهار ولده وانفاذ مقاصده وما بعثه الله الا لاجله وكذلك كل فرسان القبيله من الكبير الى الصغير فانهم احبوا الامير حمزة وتمنوا ان يكونوا على الدوام بين يديه وقالوا لبعضهم ان كان وهو ابن اثناعشر سنة يفعل هذه الفعال فكم بالحرى اذا بلغ مبالغ الرجال وكان الثمانمائة غلام الذين ونشوا يوم ولادته تعلموا الحرب والطعن والضرب بحسب ما كان اوصى الوزير اباائهم فحضروا الميدان مع من حضر في ذلك اليوم وما منهم الا من احب ان يخدم الامير حمزة ويتقرب منه ويجوز على رضاه

ومن ذلك الحين اخذ الامير حمزة يخرج للصيد والقنص مع عمر العيار ويتوسع في البراري والادغال وقد اخذه بذلك ولع عظيم حتى صار في كل يوم يخرج ولا يتأخر يوما واحدا وهو يأتي على الدوام بالوحوش والغزلان وكلما وقع في طريقه قتله وجاء به او مسكه للفرجة وعرضه على ابيه فاتفق ذات يوم انه خرج وبين يديه اخوه عمر منطلق كالشهاب وأوسع في القفار وبعد عن الديار لان الوحوش كانت قد جفلت منه وبعدت والتجأت الى الكهوف والمغائر وفيما هو على ذلك رأى اسدا رابضا في تلك الناحية واعينه تقدح شرار النار ولما راه عمر قال لاخيه ارجع بنا ولا تعرض نفسك للخطر للتقدم الى الامام والا هجم علينا الاسد وافترسنا فصاح فيه وقال له ويلك يا وجه القرد اتخاف من هر البرية وتريد ايضا ان تخفيني منه فالاسد لدي الا كالارانب التي اصطادها في كل يوم ثم انه نزل عن جواده وأخذ سيفه بيده وتقدم الى جهة الاسد يطلب قتاله فلما راه الاسد وقد جاء اليه مشهرا السيف لعب به الحنق فوثب واقفا وقد هر بر افوياو كشر بانيابه ولاح بذنبه ونفخ بانفه وانقض على الامير حمزة وفي نيته ان يفترسه ويجعله قوته في ذلك اليوم فلم يمكنه من ذلك ولا ترك له مجالا لنوال غايته او للتوصل منه بل اسرع اليه بضربة حسام وقعت على ام رأسه شقته الى كتفه فوقع الى الارض قتيلا يختبط بدمه وبعد ذلك دنا منه وكان يسمع ان من ياكل قلب السبع يقسى قلبه فيصير كقلبه ولذلك شقه الى بطنه وبرك ياكل من قلبه وعمر ينظر ويتعجب وتقدم فاطعمه من لحم الاسد وقال له كل منه يشتد قلبك ويقسى . فقال له والله العظيم ان عملك هذا يستحق الفخر لان يندر من يقتل اسدا أو يجسر ان يقف امام الاسد من بني الانسان ثم تقدم بعد ذلك واخذ يأكل من جسمه ومن قلبه مع حمزة حتى امتلا بطناهما وشبعا ومن ثم رجعا الى جهة المدينة وفيما هما على الطريق قال حمزة لعمر اذا وصلت المدينة لا تخبر قومنا بقتل الاسد لئلا يضحكوا علينا ويظنوا اننا نباهي بقتل كلاب البر وذلك عار عند العرب فوعده بان لا يخبر احدا بذلك ولما وصلوا الى المدينة جعل عمر يخبر من رآه ان اخاه قتل اسدا

فى المكان الفلانى والناس تتعجب منه ومن عمله ولم يهن على حمزة ذلك فلام عمرا عليه فقال له ان مثل هذا الامر لا يمكن اخفاؤه ووصل الخبر الى الامير ابراهيم فاستدعى بولده وعمرو وسالهما عن قتل الاسد فحكى له عمر كل ما وقع لهما فى البرية فتعجب من ذلك ولام حمزه وقال له لا تعدت تخرج الى البر خوفا من ان تلتقى ذات مرة باسد لا تقدر عليه او تقع فى تهلكة اخرى فقال له سادات قومه لا تخف ايها الامير فان الله اعطاه هذه البسالة والشجاعة ليس فقط لروح الانسان بل لكل طاغ وباغ ولو لم يكن الله يقصد هلاك هذا الاسد لما بعث اليه بابنك ولا سيما ان الله وعده بطول العمر وبالفوز على الاعداء كما أشار فى قديم الايام الوزير بزرجمهر اى انه يكبح دولة الفرس ويخلص العرب من هذا النير الثقيل الذى حملناه زمانا طويلا. فعرف الامير صدق قولهم وتاكد ان ابنه يبقى الى زمانا طويلا بمساعدة الله تعالى ويكون له الاسم الاول فى أيامه

وبقى الامير حمزة يخرج الى الصيد مع عمر فى كل يوم لانه كان كما تقدم تولع به وصار لا يقدر ان يرجع عن هذه المهمة قط لشده ولوعه فذهب ذات يوم مع اخيه عمرو وسار فى طريق غير الطريق الذى كانا يسيران فيه قبلا وبعد ان بعدا به وقد حمى البر واشتد الحر طلبا الماء لشدة العطش فلا يريان قط عين ماء ولا نبعا يسيل منه الماء وطافا فى كل الجهات فلم يقدرا حتى اشتد العطش على الامير حمزة وكادت تنفقع مرارته فصاح بعمرو وقال له ويلك من اين نجد الماء الان فانى هالك لا محالة ولا طاقة لى على الصبر فانى اشعر بجوفى لهيب نار وهو كالاسفنجة فنقطة ماء تحيينى فقال له انى اجيئك بالماء بعد قليل فاذهب انت تحت شجرة واستتر بظلها من حر الشمس وانتظرنى الى ان اعود اليك بالماء ثم اطلق ساقيه للريح وباسرع من البرق غاب عن العيان وسار حمزة تحت شجرة كبيرة هناك وقبل ان يصل اليها لاح له فارس عن بعد يتقدم الى جهته وهو راكب فوق جواد ابيض كالثلج وتحته قربة من الماء فتاقت نفسه الى شربة ماء فسار الى جهة الفارس وفى نيته ان يطلب منه الماء فاذا امتنع اخذ بالغصب عنه وعند وصوله اليه وجده بلحية بيضاء كالثلج يتدفق منها النور وعليه من الهيبه والوقار والعظمة والجلال مالم يره فى غيره من البشر ومع انه اخذ بذلك المنظر المهيب لم يتاخر عن طلب الماء لاحياء نفسه فصاح بذلك الفارس وقال له انى عطشان واريد شربة ماء اما بالرضا واما بالغصب .

فاجابه الفارس برواق وهدو وفصاحة لسان وعذوبه كلام وقال له قف مكانك فهذا الماء هولك واعرف من امامك فزاد اعجابه مما سمع ولم يجسر أن يتحرك من مكانه ولا سيما عند سماعه هذا الماء هو لك فقال من انت ياسيدى ومن اين عرفت انى عطشان حتى جئتنى بالماء قال له اعلم انى الخضر الاخضر ابو العباس (عليه السلام) اعرف ما حدث وما يحدث فاقرب اولا من هذه القربة واشرب فاؤها لذيذ جدا وبعد ان تروى عطاشك احدثك بحديث ذي شان

جئتك لاخبرك به الاز فارتاح حمزة عند سماعه ان الذي يكلمه هو الامام الاعظم فاطاع قوله ونزل عن جواده وتقدم فشرب من القربة واكتفى ورجع الى الوراء ووقف بادب وقال له اسمح لي عما صدر مني وكن ساعدي ومعيني في حياتي وغوثي عند ضيقتي فقال له اني مجيبك باذن الله تعالى على الدوام وقد اتيتك الان لاخبرك انك أنت الرجل الذي يرتفع به شان العرب في هذه الايام يتخلصون من مظالم الفرس على يديك وتذل الدولة الكسروية الى اخر الايام لان الله لا يحب ان يذل هذه الامة لمقاصد له فيها وسوف يعززها ويكرمها ويرفع مقامها فيما ياتي بعدي من الايام ولكن في البداية تكون معينا لكسرى وترفع عنه الشدة ثم ان الخضر حكى لحمزة عن حلم كسرى وما يكون منه وكيف يخرج عليه فارس خيبري يتسلط على بلاده فياتي هو ويخلص له البلاد منه ويعيدالى كرسي ملكه

وبعد ان خبره بكل ما يكون له في حياته قال له ارجع الان الى ابيك واطلب منه ان يسلمك الذين ولدوا يوم ولادتك وهم ثمانمائة غلام فاجعلهم رجالك الاخصاء واعتني بهم وعلمهم بنفسك كل فنون الحرب التي تنقصهم واجعل قيامهم وقعودهم بين يديك فهم وجدوا لاجل هذه الغاية واذا غزوت قبيلة عاصية او قاتلت ملكا على غير دين الله فيكونوا رفاقك . واخذ الخضر يزيد له في حال حياته وحمزة مطرق الى الارض الى ان فرغ فاراد حمزة ان يقبل يديه ويدنو منه فغاب عن عينيه ولم يعد له أثرا وضاعت رائحة البخور من بعده عما يشرح الصدور وبقي حمزة مبهوتا واقفا فرحا من نفسه وبينما هو كذلك واذا باخيه عمر قد اقبل يركض حاملا وعاء الماء على عاتقه فوجده على تلك الحالة فظنه يفعل ذلك من العطش فدفع اليه الماء وقال له خذ فاشرب وارو عطاشك . فقال له لا حاجة لي بعد للماء فان الله بعث لي ماء لذيذا كل من يشرب منه لا يعطش الى الابد . قال من اين لك الماء وأنت باق مكانك لا تخطو اخطوة واحدة فحكى له ما كان بينه وبين الخضر عليه السلام وكيف حضر عليه وسقاه الماء فتعجب عمر من ذلك واندهش وقال ان كان هذا الغوث وعدك بالمساعدة فانك لا تخش مكدر فهو قادر على اغاثتك ومعونتك في كل حياتك

ثم انهما رجعا الى المدينة وقلباهما مرعبان فرحا ومسرة وانتبه حمزة الى نفسه اكثر فاكثر وعمد الى ترك الصيد والاعتناء بالذين اخبره عنهم الخضر ان يتخذهم اخصاء له وعند دخوله الى المدينه جاء الى أبيه وهو في ديوانه وطلب اليه ان يسلمه الثمانمائة غلام الذين ولدوا يوم ولادته ليكونوا عنده فساله ابوه عن السبب فاعاد عليه القصة بتمامها من الاول الى الاخر وما دار بينه وبين الامام الاعظم وكيف وعده بالمساعدة والاغاثة فزاد فرح أبيه وتعجب من محبة الله سبحانه وتعالى لولده ولرجاله وكيف أنه يريد ان يجعل الفرج للعرب على أيديهم ودمع ملوك الفرس وغيرهم من كبار ملوك العالم بواسطة ولده هذا الحقير الذي لا يجمع تحت رايته الا

شر ذمة قليلة . وفى الحال احضر الشبان المذكورين وكانوا الا يزالوا امرداناى لم ينبت الشعر فى وجوههم ودفعهم اليه فاخذهم الى خاصته وعقد لنفسه عليهم وجعل يمتحنهم فى ميدان الحرب والطعان ويدربهم على الثبات ومن كان منهم ناقص المعرفة اثناء القتال مال اليه وعلمه ما يحتاجه حتى خرج الجميع ابطالا اشداء ورأى عمر فعل اخيه حمزة وكيف انه اتخذ لنفسه جندا وقام عليهم فارسا اراده وأيضا ان يجاريه بذلك فانتخب لنفسه هو ايضا اربعين غلاما وجعل يعلمهم العيارة والزندقة وابواب الحيل والخداع وضرب النبال وكل ماهو من هذا الباب ومن ذلك الحين بدأ الامير حمزة ان يقصد القبائل وينزل على الغدران والمناهل فمن تعرض له اوطمع بقتله وسبي قومه ونهب رجاله حتى انتشر صيته وطار بين العرب وانتقل من مكان الى مكان فصار اذا ركب وسوحده فى البرارى وصادفه عشرة الاف فارس يعرضون عنه ولا يتعرضون له اذا عرفوه وتاكدوا انه الامير حمزة بن الامير ابراهيم خوفا من سطوته وباسه وعلما منهم انه من اشراف العرب وساداتهم أصحاب البيت الحرام

ففى ذات يوم خرج على حسب عادته وطرق قبيلته من قبائل العرب كانت قد تعدت على بعض قومه يقال لهم بنو الاجدال فغار عليهم ونهب القبيلة برمتها وأخذ ما وصلت اليه يده من النوق والاغنام وعاد كاسبا منصورا بعد غيابه عن مكة عدة ايام وحالما وصل الى ضواحيها وجد خياما مضروبة هناك وعندها جماعة من الجند يظهر أن بعضهم من العرب وبعضهم من العجم فارسل اخاه عمر افى الحال أن يكشف له خبرهم وما الداعى لنزولهم فى ذلك المكان فانطلق عمر اليهم وعاد فى الحال وقال ان سكان هذه الخيام هم من العرب والاعجام وقد جاؤا حسب العادة لاجل ان يجبوا الاموال ويرفعوها الى كسرى فالعرب من جماعة النعمان بن المنذر والاعجام هم جماعة كسرى انوشروان . فقال الامير حمزة انى اسمع بذلك على الدوام وأعجب كيف ان الاعجام يجسرون على المجىء الى بلاد العرب والعرب هم اشد باسا وأقوى مراسا معتادون على الحرب وملاقاة الاهوال بخلاف الاعجام اصحاب البزخ واللهو والزينة فاهم الا أشبه بالنساء صفة وقلبا فقال عمر اعلم ان العجم وكثير العدد اكثر من العرب وكلهم يجتمعون الى ملك واحد لا تتفرق كلمتهم ولا يقوم منهم قوم على قوم ولا قبيلة على قبيلة كما تفعل العرب الذين دأبهم على الدوام التفرق فتيرون على بعضهم ومن ذلك لا تقوم لهم قائمة لاسيما وان ملكهم النعمان منقاد لامر كسرى انوشروان متفق معه على دينه . فقال حمزة وما دين النعمان ملك العرب . قال كان من عباد الله ولا يزال انما يجارى الاعجام فيكرم النار ويقدم لها مزيد الاعتبار فلما سمع الامير حمزه كلام عمر لعب به الغيظ والغضب وقال لاخيه هيا بنا نكبس هؤلاء الاعراب والاعجام ونوقع بهم ونمنعهم مرة ثانية أن يعودوا الى الاتيان الينا ونحظرهم ان يجبيوا مالا

منا لاننا احرار لا نقبل الاذلال وتانف انفسنا الا الطاعة لله سبحانه وتعالى واذا اغاظ عملي هذا كسرى ملك الاعجام او النعمان ملك العرب اذ صرت اليهما وقتلتهما وخربت بلادهما ولا أخشى باس أحد . فاجاب عمر سؤاله وفى الحال هجم على الخيام المقيمة فيها الاعجام وأوقع السيف فيمن هناك وكانوا آمنين من طوارق الحدثان لايخطر بفكرهم عملا مثل هذا العمل حتى رأوا الامير حمزه وقد احاط عليهم بجماعته وأخذ يقتل ويذبح فيهم وقد اعمى بصائرهم فاضطربوا وارتاعوا ونهضوا الى خيولهم وهم يودون النجاة والخلاص وكان الفائز من قدر ان يصل الى جواده ويركبه فارا بنفسه من وجه الامير حمزه ودام ذلك الى الليل ومن ثم رجع الامير حمزة بعد ان قتل فيهم مقتلة عظيمة والباقون طلبوا الفرار وبعدوا عن تلك الديار. ثم انه جمع الاسلاب والخيول والخيام وكل الاموال التى كانت فيها وقد جمعت من العرب لترسل الى كسرى ودخل المدينه فرحا بعمله وبكثرة الاموال التى اغتنمها. ثم انه أعطى منها لجماعته كل واحد نصيبه واخذ هو الباقى أبقاه عنده. وبلغ الخبر الامير ابراهيم وسادات مكة هذا ما كان من امر حمزه فاغتاظوا وحسبوا احساب النعمان والملك كسرى وقالوا لا بد من انهما يبعثا الينا بالعساكر والرجال بسبب ما كان منا على رجالهما. ثم ان الامير ابراهيم دعا بولده ولامه على فعله وقال له لا ريب انك جلبت الينا شرا عظيما ورميتنا بويل وأى ويل وعندى ان من الاوفق أن أبعثك الى النعمان تعتذر اليه وترجع أموال كسرى ونزيدها ترضية له واظهر له جهل قومه وانكم ما عرفتموهم قط

فقال حمزه انى أعجب منك يا أبى كيف ان الخوف يتسلط عليك ويضعف لك قلبك أندفع الجزية وعندك رجال وأبطال وابنك حمزه لا يخاف أحدا فى هذه الدنيا وانى غير مكتف بما فعلت وقد أقسمت بالاقسام العظيمة انى لا بد من أن أسير الى الملك النعمان وأخرب الحيرة وأذبحه ذبح الاغنام كيف انه يطيع الاعجام ويترك عبادة الله بالاصنام ويعبد النار المحرقة مع انه عربى ومن الواجب عليه أن يكون مع العرب ويسحبها كلها على الاعجام ليقلع منهم الاثار ويمنع أبناء جنسه من الذل ودفع الجزية لقوم لا يفرقون بين الحلال والحرام وبعد أن أفعل ما افعله بالملك النعمان اسير الى المدائن واخرب الايوان على راس كسرى انوشروان واهدم معابد النيران وادع الجميع اذلاء بسيفى مطيعين لامرى عابدين الله سبحانه وتعالى. فقال له ابوه يا ولدى انت تتكلم عن جهل وعدم ادراك اتظن الملك النعمان قليل الانصار والاعوان الا تعلم أنه ملك ملوك العرب وصاحب الراية الكبرى بينهم او بالحري لا تعلم ما هو كسرى انوشروان او تظنه من بعد رؤساء القبائل الذين تقصدهم وتقاتلهم وتسلب منهم اموالهم وليس عندهم من الرجال الا خمسمائة اوالف رجل على الاكثر فع الى نفسك واعلم ان الملك كسرى اكبر ملوك هذا الزمان يملك ما لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى ومن المقرر ان عساكره

لا ينقص عن الكرات والملايين فمن نحن ومن منا يذكر لدى ذكر الملك كسرى فالتبصر بالعواقب افضل لنا وملافاة امرنا قبل الوقوع بورطة وبيلة خير من ان نقع بعظائم الامور فقال له حمزه ان ما فعلته فعلته لا اندم عليه قط وما قلته من مسيرى الى الملك النعمان واجباره على ترك عبادة النيران لا بد منه فلا تطمع نفسك برجوعي عن عملي فاجلس انت على تختك وكن براحة فاذا سئلت فقل ابى حمزة فعل ما فعل ودعهم يأتون الى ويرون ما يسرهم مني . فلما راى سادات مكة اصرار حمزه على قوله وشاهدوا اغيظا ابيه منه قالوا له اعلم ايها الامير ان ابنك من رجال كسرى وكذلك الذين معه يعيشون على حسابه فاذا سئلت عما كان من هذا الامر وكيف وقع بجماعة الملوك فقل لهم ان هذا لا علم لى به وان الذى فعله قومكم ولا ريب ان كسرى يسامح حمزه على فعله لعلمه انه بحاجة اليه كما اخبره بزرجمهر ولا يرضى بقصاصه الى ان ينفذ المقدر فاترك ابنك على زعمه فعسى ان الله قصدا نفاذ غاياته وخلاصنا من الذل كما اخبر وزير كسرى انوشروان . فسكت عند ذلك الامير ابراهيم وسال الله نهاية الحال على اتم منوال وبات ينتظر ما يكون من امر الاعجام والملك النعمان عند وصول الاخبار اليهما بما وقع من حمزه على قومهما وما نالهما

واما الامير حمزه فانه بقى مصرا على عزمه بالمسير الى الحيرة ومحاربة الملك النعمان وارجاعه عن عبادة النار الى عبادة الديان واعلم بذلك قومه وقال لهم كونوا على استعداد انرحل بعد قليل من الايام فاجابوا سؤاله وقالوا نحن لك وبين يديك فاين سرت بنا سرنا ومن قاتلت بنا قاتلنا ولا نبخل بأرواحنا عليك قط فشكرهم على ذلك واقام مدة سبعة ايام وفى اليوم الثامن ركب على مثل هذه النية فجاء اليه ابوه وسادات قومه وجعلوا ينصحونه ويلومونه على فعله ويحذرونه من شر عمله ورداءة عاقبته وهو يصر ويمتنع الا السفر الى الحيرة واتمام ما عزم عليه . وراى ابوه منه المكابرة فلم يقدر على ردعه فسلمه لله ودعا له بالنجاح وفى ظنه انه لا يحصل على النجاح التام ولا بد من ان الملك النعمان يقبض عليه ويجاريه على عمله . وركب حمزه وخرج من مكة المطهرة وركب لركوبه سائر رجاله وهم الثمانمائة فارس كلهم شبان مرد ذان من سنه وسار بين يديه عمر العيار كانه عفريت من عفاريت السيد سليمان ينطلق فى ذلك البر فيغيب عن الابصار ثم يعود باسرع من هبوب الرياح الى ان بعدوا عن تلك البلاد وتبطنوا فى البرارى والقفار والسهول والاوعار والامير حمزه يتمنى ان يصل الى الحيرة ليدهمها بغتة ويوقع فيها ولا يمسك الا الملك النعمان مسك الايدى ويجازيه على فعله وفيما هو سائر على تلك الحالة واذا باخيه عمر قد جاء اليه وقال له عرج بنا يا اخى عن هذه الطريق ولا ترم بنفسك الى الخطر فانى رايت اسدا هائل المنظر كبير الجثة لا اظن انه يوجد اعظم منه قد انحدر من الجبل ووقف

فى الطريق يمنع مرورنا واخاف ان لا نصادف معه نجاحا فيفترسك ونوقع نحن من بعدك باليأس. فقال له ويلك ياعمر اتحب ان تمتحني بهذا الكلام او تخوفني فيه امارايت فعلي بالاسد قبل اليوم وانت تعلم انه لو اجتمعت الوف من الاساد وقصدت افتراسي لما مكنت واحدا منها من نفسي بل كنت اهلكتها عن بكرة ابيها فاذا الاسود عندي الا اشبه بهرة البرية وسوف ترى بعينيك مما يكون من هذا الاسد الذي اشرت اليه وحكيت عنه . وبقي الامير حمزه سائرا على طريقه الى ان التقى بالاسد وهو رابض فى وسط الطريق واعينه تقدح كشاهيب نار ولما رأى الامير وقدا قبل فى الاول وقف على قوائمه ورفع بذنبه الى اعلى ظهره ثم ضرب به على جانبيه وكشر على انيابه واخرج أظافره وفي عزمه ان ينحط على الامير فيضربه بيديه يسحقه تحتهما ثم ينهشه ويأكل لحمه ويهرش عظامه. غير ان الامير كان يتقدم اليه بتأن وثبات وقد نزل عن الجواد ومشى على الارض وبيده الحسام والاسد صابر عليه الى ان قرب وصار بجانبه واذا بالاسد قد بعث بصوت قوي جفلت منه الخيول وارتاعت الفرسان وانحط دفعة واحدة على الامير حمزه فاجابه بصوت أشد من صوته وأسرع بضربة حسام على رأس الاسد ضربه صادرة من يد بطل أبطال ذاك الزمان فوقعت بين عيني الاسد شقت رأسه نصفين وشطرته الى شطرين فوقع الاسد الى الارض قتيلا فى الحال وقد تعجب رجاله من فعله وما أبداه فى قتال الاسد وكيف انه قتله بضربه واحدة وزاد حبهم له وولوعهم به وأراد الامير أن يتقدم من الاسد وينتزع قلبه ويأكله واذا به سمع صوتا على بعد فال بنظره واذا به يرى فارسا منحدرا من الجبل وهو يسرع الى نحوه فصبر عليه الى أن قرب منه ووصل اليه فراه من الفرسان وتحته جواد من الخيول الحسان متقلد بسائر أنواع السلاح فقال له ما تريد ولاي سبب جئت. قال جئت لانتقم منك وأعجل من هذه الدنيا مرتحلك حيث قتلت أنيسي ورفيقي ومن الفت عليه زمانا طويلا. ثم انه صدمه صدمة قويه فالتقاه الامير حمزه بهمة وحمية واخذا فى القتال والاتساع بالمجال. وسلوك طريق الاهوال. وهما يتطاعنان بالرماح الطوال. ويتضاربان بالسيوف الصقال. ويهمهمان كاسود الدحال. وداما على مثل تلك الحال مقدار ساعة من الزمان وفرسان مكة تنظر وترى واذا بها قد رات فارس الجبل قد قام فى ركابه وضرب الامير حمزه ضربه بحسامه فضيعها بمعرفته وشدة خبرته وبعد ذلك اخذه الغيظ والحنق فصاح بصوت ارتجت منه تلك السهول والوديان وقد ضايق خصمه ولاصقه ومد يده الى جلباب درعه واقتلعه من بحر سرجه واصبح بيده كالعصفور واراد ان يضرب به الارض فصاح مستجيرا به وطلب منه الامان وان يعفو اعنه فشفق عليه والقاه بتأن الى الارض وقال له ويلك احك لي قصتك وما سبب سكناك فى هذه البريه وكيف يكون فى الاسد رفيقك وانيسك وصديقك مع اني لم اسمع قط ان الانسان يألف الاسود ويقيم معها فى البراري والكهوف

ويترك معاشرة ابناء جنسه ورجال قومه

فقال الفارس اعلم انى ماتركت الناس الا لامر عظيم وطلبت نفسى البعد عن الناس الانفراد بين الوهاد وذلك انى من رجال الحيرة ومن قوم الملك النعمان وكان لى عنده مقام وعلو شان اخدمه كباقى الفرسان وانا عائش بنعمة ورخاء لا اهتم بامر قط الى ان علقت بنته وطلبت نفسى زواجها وهى بنت جميلة المنظر بديعة الجمال قد اعتادت ركوب الخيل والغارات فى الليل والنهار ولذلك قد دعاها ابوها بالقناصة حيث كان يندر وجود مثلها بين ابناء جنسها ومع ماهى عليه من الصفات الحسنة كانت كاذبة خادعة وكنت اتمنى رضاها وارغب فى كل ما يمكنى من خدمتها وانا اكتم امرى عنها وعن ابيها وانتظر الزمان المناسب الى ان كان ذات يوم ونحن قائمون فى المدينة واذا باحد الفرسان قد جاء الى الملك النعمان وأخبره انه رأى العساكر والفرسان فى خارج المدينة وهى بعدد الجراد المنتشر فاضطربنا جميعا ولم نعلم ماالسبب وبينما نحن كذلك واذا برسول قد دخل على الملك النعمان يحمل كتابا فدفعه اليه وبعد ان قرأه قال اعلموا ان هذا الكتاب من الامير غشام احد امراء العراق وهو بطل من الابطال لا يوجد له قرين فى هذا الزمان وقد ذكر لى انه سمع ان لى بنت اسمها القناصة فجاء يطلبها وهو يخطبها منى ويذكر لى ان امتنعت ولم اجب سؤاله اخذها بالرغم عنى اى بقوة السيف والسنان فما قولكم فى ذلك فقالوا له اسأل بنتك ولا فاذا قبلت به اعطيناه اياها واذا امتنعت دافعنا وارجعنا هذا الامير بالخيبة وانتا طاولناه لبينما نكاتب العرب ونجمع العساكر وكانت رجال الملك النعمان تتكلم بذلك وانا ضائع العقل فاقد الحيل من ان يتم ماقالوه وترضى القناصة بالامير الغشام فالتزم ان اموت شوقا ووجدا وهياما وفى الحال دعاها ابوها اليه فحضرت وهى اشبه بالغزال الشارد تحجل بخلخالها ملثمة بلثام لا يبان منها غير عينيها فلما رايتها كدت ان اقع على الارض وجعل قلبي يخفق هلعا واشتد بى حبها اشتدادا عظيما وانا لا أعرف ماذا تجيب وكنت انتظر انها ان اجابت فى القبول اقتل نفسى فى الحال واريح نفسى من عذاب البعد عنها ولم يكن فى وسعى اذا طلبها من ابيها زوجة لى لانه ملك من الملوك الكبار وانا فارس من بعض فرسانه واحسب من خدامه ولا يمكنى ذلك الا اذا ساعدتنى الايام ورفعت من شانى اورضيت هى بى ووافقتنى على ما انا فيه

ولما سألها ابوها عن الامير غشام واخبرها بغايته قالت له انى لا ارضى به مطلقا كونه جاء متهددا وفى ظنه انه يقتنص القناصة ويذلها وانى اقسم بحياتك ان لا بد لى ان القاه فى وسط الميدان فاما ان ياخذنى رغما عنى ويجبرنى الى ان اكون زوجة بالغصب لا بالرضا واما انى اقتله وارجع قومه بالخيبة والا اكون عرضة لتهديده ويكون ابى الملك النعمان ملك العرب وعامل ملك كسرى انوشروان ويخاف الامير غشام وقومه فسرنى ما سمعته منها وقلت فى نفسى انها

اصابت وان الدهر سيساعدني في هذه المرة فاذا لم تقتل الامير غشام قتلته انا واخذتها بخاطرها ورضاها او اكون قد فعلت جميلا معها ومع ابيها ويعرف اني كفؤ لها . فقال النعمان لابنته اني اعرف انك لست من رجاله فهو افة من الافات قد انتشر صيته في كل الجهات وخافته الابطال والسادات ولا سيما ان رجال الناغير مجتمعين وليس عندنا من العساكر ما يكفي للدفاع ومن الصواب وعده فيما طلب الى ان نكاتب العرب فتأتينا الفرسان من كل مكان واذ ذاك نخاصمه وندفعه عنا فقالت ان الامر ما يحتاج الى كل ماتقوله واني اعرف من نفسي اني قادرة عليه ومع ذلك فاكتب اليه ان يلتقيني غدا في الميدان فاذا أسرني له الحق ان ياخذني زوجة واذا اسرته رجع بالخيبة وتركني وأخبره بان ابنتي آلت على نفسها ان لا تتزوج الا بمن يقدر عليها في وسط الميدان ويأسرها على مرأى من سائر الفرسان . قال أخاف ان يأسرك ويأخذك بالرغم عنا فتكونين بذلك كسيبة وهذا عار عند العرب فاذا كان كذلك آرى من الموافق ان نزفك عليه بالرضا والاختيار . قالت أفضل الموت على ذلك ولا بد من قتاله واني أعتقد اني قادرة على كبحه وارجاعه بالخيبة وقتله وسوف ترى بعينك من أمري وامره

فلما سمع ابوها كلامها لم يسعه الا الاجابة وعرف ان ابنته لا تقدر على الامير غشام الا انه علق اماله بالصدفة وقال في نفسه ربما تتمكن منه وتقتله ولذلك سمح لها وانا اقرأ على وجهه غايته وأرجو أن يوافقها الى ان انتهى الامر وكتب كتابا الى الامير غشام يخبره بما كان من أمر ابنته وانها لا ترضى ان تتزوج بمن لم يكن أشد منها باسا وأقدر في ساحة الطراد ويقول له في آخر الكلام أن يبكر في الغد الى الميدان ايتقيها هناك ويبارزها وتفصل الحال بينهما ولما كان اليوم الثاني خرجت الى جوادي وركبته وتقلدت بعدتي وانا لا أعرف ما تنتهي اليه حال القناصة في ذلك اليوم واتمنى ان تتخلص من هذا الطالب الجديد ليبقى لي في القبيلة فاتوصل بعد ذلك اليها بمساعدة الصدف وما استقر بي الوقوف في ذلك المقام الا وجاء الملك النعمان ومعه جماعة من الابطال واعيان قومه العظام ومن ثم جاءت القناصة وهي غائصة بالحديد من راسها الى ارجلها وتحتها جواد من خيول ابيها الجياد وكان مضى قسم من النهار واذا بالامير غشام قد اقبل من الجهة الثانية ومن خلفه عساكره وابطاله وهي تقدم كانها الجراد المنتشر وفي الحال اسرع الى وسط الساحة وصال وجال ولعب برمحه العسال حتى حارت منه الفرسان والابطال . ثم طلب الى الملك النعمان ان يبعث ابنته القناصة كما اشار لتلتقيه في ساحة المجال فاسرعت اليه وانقضت عليه وقام بينهما سوق الحرب واختلف الطعن والضرب . وهما تارة يفترقان وتارة يجتمعان . كانهما اسدان يزأران وكبشان يتناطحان والفرسان تنظر اليهما بالعيان من كل ناحية ومكان ولم تكن القناصة من رجال الامير غشام ولا ممن يلتقيه في ساحة الحرب والصدام الا انه كان يطاولها ويحاولها ولا يريد ان يقهرها قدامها الى ان قرب الزوال

وعند ذلك صاح فيها وهجم عليها واقتلعها من ظهر جوادها ورجع بها الى قومه وقد وقع الرعب بقلب الجميع والخوف على القناصة من قانصيها ولحق بي من الغيظ والحنق ما لم يلحق مخلوق قبلي وتمنيت ان يكون بقية نور من نور ذلك النهار لاسرع الى خلاصها غير اني وقفت مرتبكا وقد عاد الملك النعمان حزينا على ابنته الى الابيات ورجع معه جميع السادات ليفكرون بامر غشام وهل يدومون معه على القتال او يسالمونه ويزوجونه بالقناصة اما انا فلم ارجع قط وبقيت واقفا في مكاني مبهوتا حائرا لا اعلم ماذا افعل وماذا اتصرف ولبثت الى اذ مضى ربع الليل واذا ذاك خطر في ذهني ان اسير الى صيوان الامير غشام واخاطر عساي اقدر على خلاص القناصة واكون بذلك قد فعلت جميلا معها واسالها باستحقاق زواجها ولا اظن انها تمتنع ولا ابوها يمتنع من اجابة طلبي بعد ان يعرف بعظم عملي ومخاطرتي بنفسي وهلاك عدوه

ولما قوي براسي هذا الخاطر ربطت بجوادي في ناحيه وسرت تحت الظلام مستتر به الى ان اختلط بالعراقيين جماعة الامير غشام وتوصلت بالقضاء والقدر الى صيوان الامير فوجدت عنده حارسا من قومه فضربته بسيفي على حين غفلة ارديته قتيلا ودخلت الصيوان فوجدت الامير نائما على سريره والى الارض القناصة وهي مقيدة فاسرعت اليه وضربته بسيفي فقتلته واسرعت اليها فحللت وثاقها وكانت قد رأتني وعرفت اني من قومها ففرحت مزيد الفرح بي وفي الحال قلت لها اتبعيني من بين الاعداء اولا فاسرعت خلفي وخرجنا من بينهم والليل يسترنا ولم يرانا احد ولما آمنا على انفسنا دنت مني وجعلت تشكرني على فعلي وقالت لي ما الذي حملك على هذا الفعل وان ترمي بنفسك في طريق المخاطر والاهوال لاجلي فقلت لها عن السبب وشرحت لها ما وقع بقلبي من حبها واني فضلت الموت على ان اراها بيد الاعداء ثم رميت نفسي بين يديها وقلت لها ارجوك ياسيدتي لا تضيعي لي تعبا ولا تنسي عملي معك واريد منك ان تعديني وعدا صادقا على العجب والولاء والمودة واني على الدوام امينا صادقا مطيعا والا فاموت واخسر عقلي فاجابت قولي ووعدتني ان لا تتزوج باحد غيري ولا ترضى لها بعلا صغيرا او كبيرا الا انا. فاطمئن لكلامها بالي وهدأ روعي وعلقت نفسي بالمحبة وسرت معها الى ان اوصلتها الى بيتها وتركتها على امل ان تاتي في اليوم الثاني ديوان ابيها لتعرض عليه وقعة الحال وسرت انا الى محلي وقلبي يكاد يطير فرحا انتظر اليوم الآتي لاعرض على النعمان ما كان من امري وامر الامير غشام وكان بكل عهدي ان القناصة تعرض امري على ابيها وتشكرني وتخبره بما فعلته معها من المعروف وكيف خلصتها ورميت بنفسي الى الخطر من اجلها وصرفت تلك الليلة اردد بفكري ما يكون من امري وامرها وانا على اتم يقين من زواجها

ولما كان صباح اليوم الثاني خرجت الى حضرة النعمان فوجدته قد بكر الى ديوانه واجتمع

عنده الخاص والعام من رجاله ووزرائه لاجل ان يدبروا امرهم ويكاتبوا العرب ويسعوا بخلاص القناصه وبينما نحن جالسون وانا انظر الى الباب منتظراقدومها لفض هذا المشكل واذا بها قد اقبلت وحالما رآها ابوها الجميع اندهشوا وتعجبوا من هذا الامر وما منهم الامن اسرع اليها وهناها بالسلامه وشكر الله على خلاصها وبعد ان دنت من ابيها وسلمت عليه وقبلت يديه سألها عن سبب خلاصها وكان يزعمي انها تجيبه وتخبره بما فعلته معها قالت له اعلم انى ماسلمت نفسي اسيرالى الامير غشام الا وفى ظنى ان احتال عليه واقتله وذلك انى حاربته كل النهار فوجدته فارساصنديدا وعرفت انى بقيت على المكابرة نعود الى الحرب فى اليوم الثانى وربما طال المطال الى أكثر من ذلك فطمعت بتعجيل الوقت وعليه فقد سلمته نفسى كاسيرة فطمع بى ولما أخذنى الى صيوانه ارادان يتهددنى فقلت له لا حق لك بهذا وما انا الا راضية بك لانك من فرسان هذا الزمان المعدودين وانى كنت أحب ان لا اتزوج الا بمن يفوقنى بسالة حتى رأيت منك ما رأيت وهكذا كان الشرط بينك وبين ابى ولا يحق لك ان تعاملنى كسبية استحوزت عليها اثناء القتال بل كامرأة قبلت من كل خاطرها ان تكون لك زوجة أمينة وانى أرى من الواجب اللازم ان نذهب فى الغد الى أبى وانا معك وتساله زواجى وهو يجيبك عليه فتاخذنى على الشرف والناموس وتحسم القتال بينك وبينه يكون ذلك اليق بمقامك واحفظ لغرضى فاعجبه كلامى هذا وصدقه كل التصديق قام الى وفك وثاقى وقال اتى الليلة عندى وفى الصباح ذهبت بك الى ابيك مكرمة معززة واعدتك اليه وقدمت له كل ما يليق بمقامه من التعظيم والاكرام فصبرت عليه الى ان نام مطمئنا فقمت الى سيفه اخذته واتيت الى سريره فضربته ضربة واحدة فصلت راسه عن جسده وخرجت من الصيوان تحت الظلام لا يعلم بى احد ولاجل التوفيق وتمام النجاح لم يرنى احد ونجوت من بينهم واتيت الى بيتى وهذا الذى كان من امرى

وكانت تتكلم وانا ارتجف وقلبي كاد ينشق من الغيظ حيث جاء الامر على خلاف ما احب وانتظر ولم تذكر اسمي قط ولا تذكرت معروفى لها ولما لم يسعنى الاخفاء قلت لابيها انها لم تحكى الصدق ياسيدى وقد قصدت اخفاء الحقيقة والحال على خلاف ما قالت. ثم شرحت له الواقعة بتمامها وما كان من مسيرى اليها وخلاصها وقلت له انى السبب الوحيد الذى حملنى عليه هو الحب والغرام وقد وعدتنى عليه ووعدتنى ايضا انها تذكر معروفى معها وجميلى امامك وتسالك زواجى وانى اعجب كيف انها انكرت كل ما تقدم ذكره وحكت غير الحقيقه بما لا يدخل العقل الانسانى . فنظرت الى نظرة المحتقر الغضوب وقالت لابيها ما هذا الا كذاب منافق يطمع نفسه بى ويريد التحرش بما لا يناله ومن هو لا قبل به مع انى امتنعت من الملوك الكبار والامراء العظام فاردت ان اتكلم فمنعنى النعمان ووبخنى ولامنى على ما صدر منى فقلت له انى لا اخاف

الحق وان ماقلته صحيحا وانها تريدان تجعلني كاذبا وانا اعرف بنفسي ماعملت ولا اريد منك الا الاعتراف بمعروفي واجبار بنتك على زواجي كوني اشتريتها من العدو وخلصتها النفسي. فلم يهن كلامي هذا على النعمان فطردني من ديوانه وامرني ان اخرج من المدينه ولا اعود اليها ابدا فالتزمت الى الخروج والغضب يفعل بي اشده وقد غاب عني وعيي وضاع عقلي وبعد ان بعدت عن القبيله بعث في اثري مائة بارس من فرسانه يقصدون قتلي فاوقفت بهم وشتت شملهم وسرت الى هذه البريه وقد اخذ عقلي في ان يجتمع الى بعضه ورعيت الى نفسي وجعلت الومها على ما ابدت وقلت كان الاحرى بي اذ اصبر على مضضي ولا بد للزمان من مساعدتي ولا ريب ان القناصة تشكرني وتمدحني اذا رأتني سكت عن كلامها ووافقتها عليه ولم اعترضها قط وتعلم ان سبب ذلك حبي لها . وجعلت اذم الطيش والحدة حيث رميت بنفسي الى وهدة الغضب وقدتها الى سبيل البعد والجفا ولا اعلم بعد ذلك ماذا اجرى على قوم غشام ولكني اظن انهم لابد في اليوم التالي يتفرقون اذا راوا اميرهم قتيلا لانهم ماجاؤا الا لاجل زواجه وهم يعلمون ان العرب لا تترك النعمان وان كسرى يمده بالعساكر والجنود ولهذا فضلت البعد وانا اخاف سطوته ومامن معين او مساعد يشتد به ازري لا تمكن من مقاصدي فالتزمت الى الانفراد في احدى الجبال اعيش كما تعيش الوحوش وفيما انا كذلك اعترضني هذا الاسد الذي قتلته فتحاولت واياه وقتا ليس بقليل الى أن تغلبت عليه اخيرا وتمكنت منه بضربة دبوس على رأسه وقع منها الى الارض فاسرعت الى سيفي وأردت ان اجز رقبته فوجدته ذليلا حقيرا ورأيت الدمع يسيل من عينيه فشفقت عليه واغمدت سيفي ومسحت الدمعة من عينيه فكانه شعر بمعروفي وعرف عفوي عنه فنهض وهو يلوح بذنبه وأظهر كل طاعة وذل بين يدي فاعجبني جدا ومن ذلك الوقت الفته وصار لا يفارقني دقيقة وربطت في هذه الطريق وصرت عند قدوم المارة منها كثيرا كانوا أو قليلا اطلقت عليهم الاسد فيبددهم وأسير اليهم واحضر اسلابهم واغتنم مامعهم ودامت هذه الحالة حالتي والاسد رفيقي الى ان فرقت بيننا انت ومع كل هذه الايام لم تفتر محبة القناصة من قلبي ولا سلوتها قط ساعة واحدة ولا اعرف الطرق المؤدية الى نوال المراد

فلما سمع الامير حمزة كلامه تعجب منه جدا فقال له ما اسمك قال اسمي مخلوف قال اعلم اني ذاهب الى مدينة النعمان للانتقام منه على كفره وعبادته النار وطاعته الاعجام واريدك في الحال ان تذهب معي وتدخل في عداد قومي واني أعدك وعدا صادقا اني لابد ان أزوجك بالقناصة هذه بالرغم عن أبيها وانولك مرادك منها شفقة مني عليك فلما سمع مخلوف كلام الامير حمزة فرح به غاية الفرح وسر منه مزيد السرور وقال له اني منذ هذه الساعة وعلى الدوام أكون في ركابك وبين يديك وهل الاقى سيدا وسندا مثلك يميني ويساعد ضعفي ويقربني

من مقصدى ويقهر لى عدوى فزاد له الامير فى وعده. ومن ثم ساروا من هناك وحمزة يقصد جهة بلاد النعمان ومخلوف يسير أمامهم كدلول على الطريق وقلبه متعلق بالحيرة وأصبح يرجع نوال مراده وثبت فى ظنه ان الامير حمزة يقدر وحده ان يلتقى عساكر الحيرة باجمعهم وينزل بهم المصاب والبلاء

ثم طلب الامير حمزة أن يسير امام رجاله لوحده وأوصاهم ان يتأثروه وبين يديه عمر ومخلوف فقط وهو منفرد بهما وأوسع فى البر وتوغل فى تلك الجنبات الى ان وصل الى طريق ضيق ينتهى منه الى جبل عال فاراد الدخول بذلك الطريق واذا به يرى اربعة اشخاص من الاعجام الى جانب من الطريق فبعث اخاه عمر يأتيه بهم فسار اليهم واحضرهم بين يديه فراهم حفاة عراة موثقين بالحبال ولما رأوه بكوا وناحوا على انفسهم وطلبوا امنه الامان وقالوا اكفانا ما نحن فيه من العذاب فليس معنا ما يسد رمقنا ونحن الان نموت جوعا فاتركنا نتدبر الى حالنا . فقال لاتخافوا فانى لا أقصد بكم ضرا ولست ممن يضر بالناس ان ينزعهم مما يملكون لاسيما وأنى ارى من حالتكم انكم منهوبون مسلحون بل أنا ممن ينفع ويغيث فاخبرونى بامركم ومن الذى فعل معكم هذه الافعال لانتقم لكم منه واجازيه على فعله وارجع لكم مافقد منكم ثم امر اخاه عمر ان يفك وثاقهم ويدفع اليهم ما يسدون به رمقهم ففعل وأكلوا واستراحوا وشكروا من مجابرة الامير حمزة لهم ثم ان أحدهم تقدم منه ليشرح له حالهم فقال له اعلم ايها الاسد الغشمشم والسيد المعظم اننا من الاعجام قوم كسرى أنوشروان وقد تعودنا على معاطات التجارة منذ قديم الزمان نحمل البضائع من بلاد الى بلاد فنتجر فيها ونربح الاموال وقد اتخذنا هذه المهنة سببا لمعيشتنا ومنذ قديم الزمان ونحن ننتقل من بلاد الى بلاد دون ان يلحق بنا ضر او أذى الى ان كان هذه المرة حملنا بضائعنا وأتينا بلاد اليمن فبعناها كلها وربحنا فيها ارباحا عظيمة. ومن ثم قصدنا الرجوع الى بلادنا فاخترنا المرور على الحيرة ومنها الى المدائن لظننا انها اكثر امانا واطمئنانا وداومنا السير حتى وصلنا الى هذه الجهة اى الى خلف هذا الجبل فصادف مرورنا عند طريق واسع ونحن مسرورون كل السرور ومامن مانع نراه فى طريق يحول دون الوصول الى غايتنا من سرعة العودة الى بلادنا وفيما نحن كذلك واذا خرج علينا فارس طويل القامة عريض الاكتاف واسع الصدر مدجج بالسلاح الى قمة رأسه ومن خلفه أربعون فارسا كلهم مسلحون فايقنا بالفناء وثبت لدينا انهم من قطعة الطريق. ومن ثم تقدم منا كبيرهم هذا وسالنا عن حالنا فاردنا ان نوهمه عساه ان يتركنا فقلنا له اننا من جماعة الملك كسرى أنوشروان وقد طفنا البلاد وسلكنا المدائن والعواصم والملوك تكرمنا اكراما له وترسل له معنا الاموال وما معنا الان فهو من امواله نحملها له فما كان منه الا أنه نزع منا كل مامعنا وفعل بنا ما ترى وقال انطلقوا الى ملككم

وأخبروه بما جرى عليكم وقولوا له ان الذى فعل بنا هذه الفعال هو اصفران الدربندى صاحب الحصن واسالوه ان كان يقدر ان يخلص امواله من يدى وان شاء فليبعث بكل جنوده ورجاله لاجل غنيمة لى وازيه ما نفعل بهم فلم نقدر على المكابرة ونحن لا نصدق بالنجاة منه وكان بعهدنا ان لا يعفوا عنا حتى رأيناه تركنا ولو قتلنا لما منعه احد

فلما سمع الامير حمزة كلامهم زاد به الغيظ من اصفران الدربندى وحدثته نفسه ان يخلص لهم اموالهم ويفعل معهم جميلا أولا لكونهم مظلومين ومنهوبين وثانيا ليشيع صيته بين الاعجام ويعرف الملك كسرى لعلمه ان هؤلاء لا بد لهم من أن يسيروا الى بلادهم ويخبروا بما جرى لهم ويصل خبرهم الى ملكهم ولذلك قال لهم سيروا امامى وكونوا بامان وراحة ودلونى على الذى فعل معكم هذه الفعال لانتقم لكم منه وأعيد عليكم اموالكم وكل ما فقد منكم وأزيدكم فوقها من ماله وما أراه عنده فقالوا له اننا ما صدقنا فزنا بانفسنا منه وبعدنا عنه فاذا عدنا اليه اهلكنا ولا يبقى علينا قط لاسيما وانه فارس صنديد وقومه اربعون فارسا وانت غلام ولا نظنك تقدر عليه ولا تخاطر بنفسك من اجلنا فعرج عن هذا الطريق ولا تتعرض له. فقال لهم سوف ترون ما يحل بعدوكم وما يكون من امره فلابد من خلاص اموالكم وارجاعها معكم الى بلادكم وان كنتم تخافون على أنفسكم منه فقفوا عن بعد وانظروا ما يجرى بيننا واذا كان معه مائة الف لا أحسب لهم حسابا بمعونته تعالى . ثم سار فى الطريق نفسه وساروا هم من خلفه وفى كل ظنهم انه لا يقدر على خلاص اموالهم الا ان حبهم لارجاع ما فقد منهم جعلهم ان يعلقوا الامل بذلك وقالوا لبعضهم ربما يكون ذلك صحيحا فيرجع الينا ما خسرناه وفقدنا ولا زالوا سائرين خلفه الى أن اكتشفوا قلعة الدربندى عن بعد فقالوا له ان هذه القلعة هى مقره ومحل اقامته ولا بد انه اذ ذاك يخرج اليك ونحن لا نقدر على ان نراه ونظهر له بل نبقى مختفيين فى مكان لا يرانا منه لا هو ولا أحد من قومه حتى استظهرت عليه ظهرنا والا نكون رجعنا من حيث اتينا وما علم بنا احد فعذرهم الامير حمزة وعرف ان الجبن يفعل باهله اكثر من ذلك وان خوفهم من أصفران يحملهم على أكثر من ذلك وعليه فقد تركتهم فى مكانهم وتقدم هو الى الامام وبين يديه اخوه عمرو والامير مخلوف وداوموا المسير وعمر يقول له اصبر الى حين وصول رجالنا الان ليس من الصواب ان تقاتل وانت وحيد وربما اصبت بامر لم يكن فى حساب فقال له ويلك اتظننى ارجوا مساعدة احد بامر اريده وسوف ترى ما يكون منى ومن اصفران الدربندى هذا وقومه. ثم امر مخلوفا ان لا يباشر القتال بل يبقى متفرجا وناظرا فاجابه الى سؤاله وأطاع امره

وكان صاحب هذه القلعة وهو الاصفران المذكور يحسب من ابطال ذلك الزمان قد اتخذ تلك القلعة مكانا ومكث فيها واتخذ لنفسه اربعين صاحبا من الفرسان المعدودين

يركبو ذلكوبه ويسيرون تحت امره اينما سار وقد قطع تلك الطريق ومنع عنها المارة فاترك قافلة الا وانتزع ما تحمل ولا شرذمة من العساكر الا وانزل بها الويل والعذاب فانتشر صيته في سائر الجهات وهابته أصحاب التجارة وما أحد منهم يقدر على المرور من تلك الناحية خوفا على ماله او روحه الا الذين لا علم لهم به أو الذين سمعوا به ولم يعرفوا مكان إقامته في تلك الناحية وقد رفعت عليه شكاوى كثيرة الى الملك كسرى والملك النعمان فيرسلان اليه بالعساكر بقصد اذلاله ومنع تعديه عن ابناء السبيل فيفرق العساكر ويبددها ولا يقدر احد أن يتمكن منه لمتانة مركزه وقوة باسه ومحبة أصحابه له ودام هذا العمل عمله وهو يذهب في اكثر الاحيان الى غير طرقات لما رأى ان تلك الطريق قد خاف المرور منها القوافل والتجار وصار يسطو على كل من يقع به حتى جمع اموالا غزيرة في تلك القلعة وصار يحسب من أغنى ملوك ذاك الزمان وأمرائها وأعيانها

وكان في ذاك اليوم الذي جاء فيه الامير حمزة جالسا في القلعة بين أصحابه مسرورا بما وصلت اليه يديه من أموال تجار الاعجام لانها كانت كثيرة وذات قيمة وفيما هو على مثل ذلك اذا سمع صوت الامير حمزة يناديه من أسفل القلعة فطل من الشباك ونظر الى الامير حمزة فاستصغره واحتقره وقال له ماذا تريد ومن تطلب وما معك: قال ليس معي الا هذا السيف الذي اعددته لقطع رأسك ونزع روحك من صدرك واراحة الناس منك ومن قومك فانزل حالا ولا تطل الكلام فلما سمع الاصفران كلام الامير حمزة لعب به الغيظ والغضب وكان يظنه ان يرسل له احد اصحابه ينهي امره الا أن الحدة وما لحق به جعله ان ينزل بنفسه ليشفي غليل فؤاده منه ويبرد ظما كبده من قتله ويعتاض عن اهانته بموته . ومن ثم ركب جواده وتقدم منه وقد نظر اليه نظرة المختبر عن التقرب منه فعرف أن للشجاعة دليل عظيم على جبهته تشهد له ولا تشهد عليه. فقال له من أنت أيها الغلام اخبرني الصحيح قبل ان اعدمك الحياة عساي اشفق عليك واعفو عنك وارح نفسي من قتالك واكتفي بنزع جوادك وما عليك ومن الذي رماك عندي وبعثك الى لتلقي بنفسك الى المخاطر والاهوال . قال اما انا فما من وسيلة لتعرفني الان. واما سبب مجيء فهو اني اتيت منتصرا للاعجام الذين سلبتهم اموالهم وثيابهم وتركتهم عبرة للناس وقد رايتهم على تلك الحالة فحزنت عليهم فارجع اليهم اموالهم وعدني بالامتناع من التعدي على عباد الله والرجوع عن مثل هذه المظالم وعليه تركت قتالك وعفوت عنك والا وقعت بشر عملك ولا تظن انك تتخلص من يدي أو تقدر على الفرار أو تحدثك نفسك بالغلبة اذا رأيت مني صغر سني واغتررت بكبر جسمك ورأسك

قال فلم يجبه الدربندي بشيء بل استل الحسام وانقض عليه انقضاض اساد الآجام

فالتقاه الامير حمزة كما تلتقي الارض الجافة وابل الغمام واخذ معه بالعراك والصدام والافتراق والالتحام والسعي خلف شرب كاس الحمام وهما يصيحان باصوات الرعود ويزأران زئير الاسود ويتقاتلان قتال الفهود وفي تلك الساعة وصلت جماعة الامير حمزة الى محل القتال وشاهدت أميرها على تلك الحال فوقفت تنتظر ما يكون من أمرهما وهي متيقنة انه يفوز على خصمه وينال منه غاية المراد وكذلك وقف جماعة اصفران وهم الاربعون فارسا ينتظرون ما يكون من أميرهم ومقاتلته وقد رأوا من شدة بطشه وسرعة قتاله فتأكدوا انهم كانوا على خلاف اليقين هذا والضرب مختلف الوقوع بين الامير حمزة والاصفران والطعن متصل بينهما بكل خفة واتقان وداما على مثل هذا الشان يتقلبان على ساحات ذاك الميدان ويوسعان فيها بالطول والعرض ثم ينقضان الى ان فات الظهر بثلاث ساعات وعند ذلك أسرع الاصفران الى الامير حمزة بطعنة ظن بفكره انها مصيبة ورماه بها من قلب مجروح فغطس الامير حمزة تحت بطن الجواد أضاعها بمعرفته وكثرة خبرته ثم اعتدل على ظهر جواده وقد اشتد به الحنق وتكدر من التطويل والاهمال فصاح بصوت أكثر ارتفاعا من أصوات الصواعق مال منه الجبل من جهة الى ثانية واهتز من أربع أركانه وانحلت عزائم الاصفران وضعفت قوته ورأى من نفسه الغلبة وأراد أن يشهر سيفه فلم تطعه يده فنظر منه الامير حمزة ما حل به ووقع فيه فقرب منه ومد يده وانتشله من ظهر جواده والقاه الى أخيه عمر وقال له شد وثاقه لبينما أبدد رفاقه فصاح به الاصفران العفو يا امير حمزة البهلوان فاني وقيعك وخصيصك على طول الزمان واخدم ركابك أين سرت وفي أي مكان ولا تعاملني بغير الرحمة والرفق فانت ممن ظلم بل ممن رحم

فتعجب الامير عند ذكر اسمه وقال له من أين تعرفني اني الامير حمزة وانا لم أذكر أمامك اسمي ولا بحت به قط قال اعلم يا سيدي اني قصدت ذات يوم التوسع في البراري والقفار وذلك من مدة سنوات فصادف مروري على مغارة في لحف جبل فاردت أن أنزوي اليها واستظل من شدة حرارة الشمس في ذاك النهار فرأيت فيها حبيسا قد طال شعره وابيض وهرم حتى كاد يعجز عن القيام فسلمت عليه واخذتني هيبته كل مأخذ لانه من عباد الله ووجهه كان يطفح بالانوار فلم يسعني الا اعتباره بالرغم عني وعندما سمع صوتي قال لي ادخل يا اصفران فاني موعود بك انك تأتي الي وتأوي جسمي التراب لان يومي قد جاء ولم يبق في العمر مطمع واني مشتاق الى ملاقاة وجه ربي وعما قليل ينتهي شوقي فزادت حيرتي منه واعتباره عندي وقلت له من اين عرفتني ومن أخبرك بي قال اذ ربي اعطاني من سابق المعرفة ما امكني ان أعرف به ما لا يعرفه غيري رحمة منه لي وفوق كل ذلك فان الوحي جاءني في ليل الامس وحكى لي عن ان الله يدعوني وانه لما كان لا يرغب باهانة جثتي التي تحمل

نفسي سيسخر لي في الغد رجلا يدعى اصفران الدربندي صاحب الحصن فيمر من هنا ويشتد عليه الحر ويلتزم الى الالتجاء في هذه المغارة وهو الذي يدفن جسمك التراب

فلما سمعت كلامه فرحت به وقلت له هل لك ان تجيبني ياسيدي عن سؤال اريد اسألك اياه قال ماذا تريد ياولدي قلت اني منذ نشئت نشأت على حب القتال فخرجت فارسا معدودا ومن حين وعيت الى هذه الدنيا وانا اقاتل الفرسان واغير على القبائل حتى ألقيت الرعب في قلوب الملوك الكبار وهابتني اعاظمها مثل كسرى والنعمان ولم يكبحني احد قط فهل ياترى يقدر على احد فيما بعد اويوجد لي في زماني من يقدر على قتالي والثبات امامي فقال لي لاتغتر بنفسك ياولدي فاني اخبرك خبرا اكيدا انه ولد من اعوام قليلة غلام سعيد في مكة المطهرة اسمه الامير حمزة ابن الامير ابراهيم وهذا هو الذي يكيدك ويذلك وتكون من اتباعه فيما بعد ويكون لك معه صحبة وفي خدمته الشرف الاكبر وهذا الذي أخبرك عنه وهو الذي يخلص العرب من العجم ويملك المدن والبلدان وينتشر صيته من مكان الى مكان وتهابه جبابرة الزمان فاذا رأيته فاقرأه مني السلام والتحيات واياك من ان تكابر في قتاله او تحدثك نفسك بالطمع به

وما انتهى الحبيس من كلامه حتى فارقت روحه جسده فدفنته في التراب وخرجت من المغارة واذا الريح قد بردت فرجعت الى قلعتي وانا افكر بما سمعت وكنت على الدوام انتظر وقوعي بالرجل الذي اخبرني عنه الحبيس وهو انت الى ان اشرفت الان ووطئت هذه الارض وجرى لي معك ماجرى وقد سألتك عن اسمك فلم تخبرني ولو أخبرتني به لسلمت نفسي اليك منذ الاول ولا امكني ان اجسر على المقاومة لاني متصور في ذهني كل التصور ان الامير حمزة بن الامير ابراهيم يأسرني واكون من رجاله بل كنت اسلمك بنفسي وارمي عليك سلام رجل الله

فلما سمع الامير حمزة كلام اصفران الدربندي تعجب مزيد العجب واطرق الى الارض صاغيا ساكتا مدة خمس دقائق يفكر بما سمع . ثم رفع راسه وامر عمران يترك أسيره وقال له انت منذ هذه الساعة دخلت في رفقتي وانك مقدم على رجالي كونك مستحق لمثل هذا واشكر الله الذي علمني مالم أعلم وعرف بي الناس قبل ان اعرف . واني اريد منك الان قبل كل شيء ان ترجع اموال الاعجام التي سلبتها منهم وكان المذكورون لما راوا أفعال الامير حمزة فرحوا فرحا لايوصف وجاءوا الى بين رجاله واصبحوا ينتظرون الفرج بارجاع أموالهم اليهم . فقال له اصفران الاتعرف ياسيدي ان الاعجام هي بالفعل من أعداء العرب وانها تسلب أموالها على الدوام بالرغم عنها أي ان ملك الاعجام ياخذ الجزية منها فكيف بعد ان

وصات اموالهم الينا نرجعها ولاسيما هم من عبدة النار لا يعرفون عبادة الله . قال انى اعرف ذلك لكن سلب الاموال على هذه الطريقة لا ترضى الله تعالى وعليه فانى أريد ان أرجع اموال هؤلاء الاعجام لسببين اولا لكونى وعدتهم بها وجئت لاجلها وثانيا لتصل اخبارى الى بلاد العجم ويعرفون بما عملت مع قومهم ويصل أمرى الى بزرجمهر الوزير لانه ينتظر ظهورى ويسره امرى فقال له ان الاموال جميعها داخل القلعة وهى كلها تحت امرك واذا شئت لتقيم فيها ثلاثة ايام بضيافتى . ومن ثم اسلمك وديعة سلمها الى الحبيس لاسلمك اياها وهى ستة معاضيد من الذهب واحدة لك وخمسة لخمسة اولاد يلدون لك تحفظ عليها الى حين ظهورهم فقال وما نفع هذا المعاضيد وما هو القصد منها . قال ان القصد منها بحسب ما اخبرنى الحبيس ان لابسها يحفظ من الشر والغدر فلا تنفذ فيه المكائد ويشتد ساعده فاذا امسك قطعة من الحديد بين اصابعه وشد عليها اذابها وهى محفوظة عندى منذ ذلك الزمان الى اليوم فزاد فرح الامير حمزة بما سمعه وتاقت نفسه الى استلام ما وضع امانة به وسار مع الامير ومن خلفه رجاله الى داخل القلعة بعد ان ربطوا اخيولهم خارجها واحتفل لهم الدربندى بوليمة فاخرة وأكرمهم مزيد الاكرام وسقاهم من صافى الخمور ونحر لهم النحور وقدم لهم العلوفات ودفع كل الاموال التى فى القلعة الى الامير حمزة ووضعها بين يديه فدعا الاعجام وامرهم ان يأخذوا اموالهم فاخذوها واضاف لهم فوقها ما جعلهم مسرورين فرحين . فشكروه وساروا يثنون عليه ويشكرونه ثم اقام الامير حمزة مدة ثلاثة ايام فى تلك القلعة وفى اليوم الرابع طلب الرحيل الى الحيرة وسال اصفران بالركوب فاجابه وحمل كل ما فى القلعة من الاموال والجواهر والذخائر ونحوها ودفع المعاضيد الى الامير حمزة فاخذها وتعجب منها لما رأى عليها من الاسماء المكتوبة ولم يعرف ان يقرأ منها الا إسم الله فقط فلبس واحدا منها وابقى الباقى الى حين الحاجة وركب من فوق جواده وركب قومه والامير اصفران وساروا جميعا عن تلك الناحية يقصدون طريق الحيرة والامير حمزة مسرور غاية السرور بما وصل اليه ومتعجب من عناية الله به ومما أعطى من السعادة والمجد وكيف أنه سار من الفرسان والابطال المشهورين يذلون لديه ويقصدون خدمته وينضمون الى رجاله ليقاتلوا بين يديه ولما تبطن القفار وقوى به الاستذكار انشد وقال

ربيت على حب التفاخر والمجد ... وابديت فى نيل المنى والعلا جهدى
واصبحت الايام تأتى مطيعة ... الى ومولى القوم عندى كالعبد
أنا حمزة العليا اذا انتسب الاولى ... يباهون عند السبق بالاب والجد
انا الرجل المحكى على باننى ... خلقت وافلاك العلا خدمت سعدى
اليك أيا نعمان اسرى وهمتى أشد ... لدى الهيجا من الصارم الهندى

وفى كفى اليمنى مهندة لقد ابرت بان الموت مصدره عندى
تفلق هامات الطغاة بحدها ويضمد جرح اللائذين بذا الجد
فسوف ترى منى بشوشا وعابسا شفوقا على المظلوم قاس على الضد
اهش اذا حل العفاة بساحتى كما هشت الاباء للابن فى المهد
واعبس ان كان الطغاة توهموا خلاصا وارهابا وذى عادة الاسد

وقد سر اصفران الدربندي من شعره ونظامه وفصاحة كلامه وعرف ان قيامه بين يديه يأتيه بمنفعة عظيمة وانه هو نفس الرجل الذي أشار اليه الحبيس فى كلامه وأنه يفعل الافعال العجيبة فى أيامه وفى أهل زمانه وبقوا سائرين على تلك الحالة عدة أيام حتى قربوا من بلاد النعمان ودخلوا حدود أراضيه فانتشر بين الخاص والعام إن الامير حمزة دخل الحدود الى ان وصل الى الملك النعمان وذلك من سكان الضياع والقرى التى كان يمر بها الامير حمزة مع جماعته

وكان النعمان بلغه ما فعل الامير حمزة برجاله ورجال كسرى وذلك ان المنهزمين بقيوا فى هزيمتهم حتى دخلوا إلى النعمان واخبروه بكل ما جرى وكان وكيف ان الامير حمزة بن الامير ابراهيم نزع منهم الاموال التى كانوا جلبوها من العرب وكيف انه أوقع بهم وقتل جماعة منهم ولو لم يطلبوا الهرب والفرار لما نجوا من بين يديه فغضب من ذلك مزيد الغضب وأراد ان يجمع العساكر ويبعثها الى مكة فاعترض عليه وزيره وقال له اعلم ياسيدى إن من الصواب ان تعلم بذلك كسرى وتدعى رجاله المنهزمين يسيرون اليه ويخبرونه بما كان من الامير حمزة لانك ان سرت انت الى مكة اسرت بالعرب فتنة لا تنقضى الا بهلاك العرب وتدوم وتسعر نارها حتى تتصل بالكبير والصغير والبعيد والقريب كون العرب لا تتخلى عن مكة وتدافع عن عيالها المالكة الشريفة ولا سيما ان الامير حمزة من رجال كسرى ولا يخفاك ما جاء به الوزير بزرجمهر من مدة اعوام ومسيره الى بيت الله الحرام لاجل هذا الغلام الذى سيكون له فى زمانه احاديث غريبة تنتشر من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب وربما مسيرك يغيظ الملك كسرى أنوشروان قال لقد اصبت بذلك ومن الصواب ان ابعث بتحرير الى الملك كسرى أطلعه على كل ماجرى واخبره بواقعة الحال وادعه ان يصدر الى امره فيما يريد وابقى على الانتظار

وكتب من تلك الساعة كتابا الى الملك الاكبر يشرح له ما كان من الامير حمزة ويستخبر منه عما يريد ان يفعل به . وبعث الكتاب مع رسول من قومه وسيره مع جماعة الاعجام المنهزمين وبقى هو على تلك الحالة عدة أيام الى ان بلغه الخبر بقدوم الامير حمزة وجماعته الى بلاده وان مجيئه بصفة ثانية فاضطرب وكان ما يشيع عنه من الاخبار وما حكاه الوزير بزرجمهر قد جعل كل من سمع به يحسب له حسابا ويخافه جداً وكان النعمان ينتظر بذلك او امر كسرى سيده لعلمه انه ينتظر بلوغ هذا الغلام الذى سيمنع عنه غارات الاعداء ويقتل له عدواً يتسلط على بلاده كل ذلك

مما تلقى الاوهام فى قلبه . فجمع النعمان رجال قومه واستشارهم فيما يفعل فقالوا له ان الامير حمزة ما جاء بلادنا الا بقصد العداوه ولا بد من امرهم وقع له ومن الصواب فطاولته الى حين وصول الاخبار الينا من كسرى . وكانت القناصة بنت النعمان موجودة فى الديوان فقالت لابيها اعلم يا أبى ان هذا الامير ما جاء الينا الا ليوقع بنا ويخرب بلادنا ويفعل مالا يفعله العـدو الالد ولذلك أرى من اللازم ردعه واكتفاء شره من الاول قبل أن يوصل شره الينا وانى أتعهد لـكم بذلك وأعدكم اوعد الصادق انى أسير اليه واتيكم به اسيرا أو أفعل به ما فعلت بالامير غشام قبل ان يصل الى ضواحى المدينة ويقاتلنا بين البيوت . فقال لها أبوها ماهذا الـكلام الا من قبيل الجهالة والاوهام فانك لا تقدرين على الثبات بين يدى الامير حمزه وهو وان كان غلاما الا انه شديد العزم والحيل وقد دلت عليه الدلائل قبل وجوده فى هذا العالم قالت سوف ترى ما يكون وتعلم ان بنتك القناصة فضلا عما هى عليه من شدة الحيل والبسالة هى صاحبة مكر وخداع عند القتال لا يقدر عليها اشد الرجال ولا بد لى من انفاذ ما خطر بفكرى كيف كان الحال . فلما سمع النعمان كلامها سكت عنها فنهضت فى الحال واخذت معها جماعة من البنات كانت اتخذتهن كرفاق وقت الغزو والقتال وسارت من المدينة لتلاقى الامير حمزه بعيدا عن الحيرة وفى كل نيتها انها توقع بالامير حمزه وتحتال عليه اذا لم تقدر عليه بالبراز فتأسره او تقتله

وكان الامير حمزه يتقـدم بجماعته ومعه اصفران الدربندى صاحب الحصن ومخلوف صاحب القناصة التى تقدم معنا ذكره وبقوا فى مسيرهم الى ان بقى بينهم وبين مدينة النعمان مسافة اثنى عشر ساعة تمام فنزل فى تلك الارض وامر قومه ان ينزلوا ليرتاحوا ويأكلوا الطعام ويباتوا تلك الليله وفى صباح اليوم الثانى يسير فيمسى عند المدينة فباتوا وصرفوا الوقت على الراحة والاطمئنان وقبل المساء تبينوا القناصة ومن معها من البنات وقد وصلت وضربت خيامها فى تلك الارض وكان حمزه يجهلها ولا يعرف من هى ولم يهتم مزيد اهتمام بهذا الامر لانه راى شرذمة قليلة لا تزيد عن المائتين نفس لكنه تعجب كيف انهم اقاموا فى ناحية ثانية لكن بقصد الحرب والقتال فدعى اليه مخلوفا وساله عن اولئك القوم هل هم من جماعة النعمان ومن احدى طوائف العربان فقال له لا اخفاك يا سيدى ان هذه هى القناصة بنت النعمان ولا ريب ان خبرنا وصل الى ابيها وعرفت هى به فاخذت المسالة على نفسها وتعهدت له بانها تنهى الامر وحدها وما ذلك الا من تشامخها بنفسها واعتمادها على الحيل والخداع فجاءت بجماعتها البنات اللاتى تراهن امامك فغضب حمزه من ذلك وصعب عليه كيف انه يقاتل البنات وهى خلقن لا للقتال وقتالهن عار عليه غير انه توجع فى داخله من عمل القناصة وقال لمخلوف لا بد لى من تاديب هذه الجاهلة وتربيتها لتعلم حدود نفسها ولا تجسر ثانية على التعرض للفرسان قال

انت تعلم ياسيدى ما كان بينى و بينها وقد اخبرتك به جليا وارجوك تسمح لى ان ابرزها فى الغد اذا كانت جاءت للقتال وانى احب ان اخذها اسيرة واريد ان اقهرها واتغلب عليها لتكون اسيرتى ولى حق ان ادعى عليها بانى اسرتها وماسكتها فى الميدان . وكان الامير حمزه يعلم بقوة باسه وانه من الابطال فتركه على ما اراد . وبعد ذلك وصل اليه كتاب من القناصة توعده به الى الحرب فى الصباح وانها جاءت لقتاله وردعه حيث بلغ ابوها خبره وعرض بقدومه فبعثها اليه لاجل هذه الغاية . فاجابها عليها جوابا لطيفا وقال لها به ان ترجع الى ابيها والا تلاقى فى الغد ما لا يخطر لها ببال

قال وفى صباح اليوم الثانى نهض الامير مخلوف قبل الجميع لانه كان طول ليلته فرحا مسرورا ينتظر النهار لينزل الى الميدان ويقنص القناصة ويأخذها اسيرة ويرغمها على الزواج به لان بواقى حبها كانت باقية فى داخله فلم تقلع قط وما صدق ان راى ضوء النهار حتى سبق الجميع فركب جواده وبرز الى ساحة الميدان وجعل يلعب على جواده كانه السرحان ومن . ثم صارت تنهض الرجال وتركب خيولها وتقصد الميدان واذا بالقناصة قد ركبت مع باقى البنات وبرزت الى ساحة القتال ولما تاكدته ارتاعت وجفلت وقالت له ويلك هل انت باق بقيد الحياة وانا اظنك هلكت وانقرضت ومضت عليك الايام وانى كنت اريد براز الامير حمزه وقتاله لاريه قيمة نفسه غير انى الان ارغب ان اذيقك العذاب واميتك شر ميتة حيث كذبتنى عند ابى وبين قومى واردت ان تظهر الفضل لك وتهيننى . فقال لها ما فعلت ذلك الا بعد ان انكرتينى بالكلية وما ذكرت لى اسماقط لا قبل ولا بعد فعرفت خبائة نيتك واحناث وعدك ثم انه هجم عليها فالتقته واخذا بالدفاع والقتال وهما اشد عداوة يتقاتلان وكل منهم بغاية وشان هى تطلب هلاكه واذلاله وفناء عمره وهو يطلب اسرها والحصول عليها وزواجها بالرضا او بالغصب وداما على مثل تلك الحال يتقلبان فى ساحة المجال مدة من الزمان حتى ضاق الامر على القناصة ورات من نفسها انها مغلوبة مع الامير مخلوف فارادت ان تعمد الى الحيلة ولذلك عادت الى الوراء وقالت له تمهل قليلا فى قتالى فان الحر قد ضايقنى واريد تخفيف ما على من الحديد وكن بذلك منصفا فقال لها افعلى ما بدا لك فانت اصبحت فى حوزتى ولا عاد لك خلاص من يدى

واذ ذاك زاحت لثامها فبان منه وجهها الفتان يضىء كالبدر فى الاشراق ثم اخذت منديلا ورفعت الطاسة عن راسها ومسحت بها وجهها وراسها واسدلت شعرها فوق اكتافها الى ظهر جوادها حتى كاد يصل الى الارض وهى تظهر التافف والتضجر والمضايقة من الحر وضيقة النفس من شدة العرق واخيرا فكت ازرار صدريتها وما تحتها من الثياب حتى بان فسحة صدرها والعرق يسيل كالمجارى ويتجدول فى اسفل ذاك الوادى الواقع بين

جبلى تلك الفسحة فلما رأى مخلوف ما راى اشتد به الوجد والهيام وضاع عقله وتاه فى محاسنها اى تيهان ولم يعد يقدر ان يمالك نفسه او يثبت فى ظهر الجواد ولما رات منه ذلك صاحت به وانحدرت عليه كانها الاسد الفائز وهى عالمة بشدة حبه وعشقه وبما حل به من عظم ما راى ونظر ورفعت الدبوس فى يدها وضربته به فلم يمد يده الى المدافعة ولا تستر منها بل قبل ان تصل الضربة اليه وقع من هوائها الى الارض خلف جواده فضحكت منه وارادت ان تسرع اليه وتكل عليه وترتاح منه واذا بالامير حمزه قد صاح بصوت كالرعد القاصف وهجم عليها هجوم الاسد الكاسر وقد خاف على الامير مخلوف وعرف ان العشق أضعفه حتى بعد فوزه حل به ما حل وهو يتالم من خداعها وحيلتها ولما وصل اليها انحط عليها انحطاط الصواعق وصاح بها وأخذ معها فى القتال والصدام فرأت منه انه كالجبل الراسى وانها لا تقدر أن تثبت أمامه أكثر من نصف ساعة فيهلكها ويميتها فارادت ان تعمد الى حيلة ثانية تتخلص بها منه ولذلك قالت له مهلا ياسيدى فقال لها انى لست ممن يؤخذ بالحيل والخداع فسلمى الى نفسك فى الحال والا نزلت بك الوبال وتركتك عبرة تضرب بها الامثال فى سائر الاجيال ثم زاد عليها فى القتال فانبهرت من عمله ولم ترأوفق من التسليم والطاعة وطلب الامان فأمنها على نفسها وان تسلم اليه أسيرة فقادها الى قومه وكان مخلوف قد علم بنفسه وقام وهو مرضوض من تلك الوقعة انما كان العشق مضيع لاحواله فلا يعرف يمينه من شماله ولما راها وقد سلمت الى الامير وقادها الى قومه فرح مزيد الفرح واملى بالفوز والنجاح وانه ياخذها تلك الليلة عروسا له ويشفى فؤاده منها واما باقى البنات اللاتى كن معها فانهن رجعن الى الوراء وانهزمن فى الحال فلم يتبعهن أحد ورجعن يخبرن الملك النعمان

واما الامير حمزه فانه امر ان تقام الافراح فى الحال ويعمل عرس للامير مخلوف لانه وعده وأقسم له انه لابد ان يزوجها ولذلك دعاها اليه وقال لها اعلمى انك اصبحت الان فى قبضة يدى وانى أريد ان أزفك على مخلوف فهو اصبح من رجالى ومقدم بينهم ومن الصواب أن تصغى وتطيعى وانى لا ارجع عن هذا العزم قط حيث مانويت امرا الا فعلته وقد حتمت ذلك واريد أجريه فى هذه الليلة فسكتت ولم تبدى خطابا وعلمت انها وقعت وان لاخلاص لها الا بالصبر واستعمال الحيلة عسى ان الصدف تساعدها وتبعدها عن مخلوف وبقى الفرح قائما الى الليل والليل اخذ مخلوف زوجته الى نفسه ودخل بها صيوانه واراد ان يقرب منها فقالت له تمهل الان اتريد ان تغصبنى غصبا فانا رضيتك زوجا لى لكنى لا ارضى ان البس العار على نفسى واجعل نفسى معيرة عند الكبير والصغير فيقال انى تزوجت بالرغم عنى وسبيت واغتصبت وانت تعلم انى بنت الملك النعمان ملك ملوك العربان واذا كان الامير حمزه لا يعرف عظم مقدرة

ابي وجاهه وقوة سلطانه فانت تعرف ذلك وتعلم مقامه عند الملك كسرى أنوشروان فاذا فعلت قبيحا لا يسير اليك ابي بل يجازيك على عملك فمن الصواب ان تصبر وتبقيني عندك الى ان ينتهي الامر وتاخذني بخاطر ابي وبرضاه وتزف زفافا ملوكيا على رؤوس الاشهاد قال طاقد كفاني مالقيت منك قبلا وانا لا اصدق ان احصل عليك واقوز بك واما من جهة العار فقد عرف الجميع اني تزوجتك فاذا كان ثم عار لا ينفي بعد حيث لا يظن احد الا انك زوجتي وانفردت بك وصرت مالكا لك فلا تطمعي نفسك بالمحال فجعلت تحاوله وتخدعه وتظنه يقبل منها وهو لا يقبل ولا يرضى ان يضيع وقتا حصل عليه بعد معانات اهوال وصعوبات وكانت الطبيعة لا تسلم معه باجابة طلبها وما يمهده فيها من الكذب جعله ان لا يامنها ويخافها وبالاختصار انه اتاها بالرغم عنها فصبرت عليه ولم تر ان حالتها اصبحت توجبها الى البقاء معه والقرب منه كونه اصبح زوجها قولا وفعلا والا لا مطامع لغيرها غير ازمز اياها والحنق كانا اكبر وسيلة لاضمار الانتقام في قلبها وقد اظهرت رضاها منه وابدت حبها ومن ثم قصدت ان تنام واظهرت التعب والملال فتركها وجعلت نفسها نائمة ونام هو الى جانبها وبقيت صابرة عليه الى ان تاكدت انه نام وغرق ببحر الغفلة فنهضت الى سيفه فاخذته وضربته به على عاتقه فصلته عن جسده واخذت الراس وخرجت من الصيوان وذهبت من ذاك المكان تحت اجنحة الظلام حتى بعدت عن الخيام وامنت على نفسها وارتاح بالها من جهة الامير مخلوف وهي تريد ان تخفي حالها ولا تدع احدا يعلم ماحل بها خوفا من الافتضاح وكانت تخافه ايضا من الايام لا تخفي امرها فتظهر الحقيقة من حماها وبقيت سائرة الى المدينة

وكان الامير حمزه نام تلك الليلة مرتاحا وما عنده علم بما جرى الا انه عند الصباح نهض من فراشه فلاح له هذا الخاطر وتذكر ما كان من امر غشام والقصة التي حكتها لابيها فخاف ان تفعل امرا مضرا بحليفه مخلوف ولما خطر له هذا الخاطر تكدر منه ونهض حالا وسار الى صيوان مخلوف وناداه يخرج اليه فلم يسمع صوتا فخفق قلبه عليه وعلم انه ربما يكون قتل فدخل الصيوان حالا وعند دخوله وجد مخلوفا مقتولا والدماء تسير في الاراضي فغاب وعيه وكاد يعمى بصره ولم يعد يعلم ما امامه وصاح باخيه عمر وقال له ويلك اسرع الى جوادي واتني به وبعدة جلادي فاني ارغب ان اتبع هذه الخبيثة الخادعة ولا انام الليلة ان لم انتقم منها لانها قتلت مخلوفا وغشتني فاسرع عمر وجاءه بكل ما طلب فركب في الحال وانطلق باسرع من لمح البصر ولما راى اصفران الدربندي ركوبه وعلم الحقيقة ركب هو ايضا وركب الثمانمائة فارس مع كبيرهم وكان يدعى الامير مقبل وانطلقوا في اثره الا انه كان قد غاب عن بصرهم لسرعة جريه وشدة حنقه وبقي سائرا وعمر يقفز بين يديه ويركض فيسبق الجواد باميال ثم يلتفت الى ان يصل اليه وما فات ظهر النهار الا وجاء المدينة وبقي سائرا والغضب يفعل به ولا احد يعرفه

ويفكر انه الامير حمزه وبقى فى مسيره الى ان وصل الى ديوان الملك النعمان فنزل عن جواده واوقف عمر عنده واوصاه بالمحافظة عليه الى ان يخرج من الديوان. وبقى دالاحتى الصدر فراى النعمان جالسا مع اعيان قومه وبنته واقفة امامه وبيدها راس مخلوف وهى تقول له لقد قتلت اليوم بالحيلة مخلوفا ولا بد فى الغد من قتل الامير حمزه

(قال الراوى) وكان لما رجع البنات الى الملك النعمان واخبرته عما حل على بنته وانها اخذت اسيرة تكدر مزيد الكدر واغتاظ وقال لا بد ان يقع عليها سوء وقد حذرتها فلم تتحذر ولا رجعت عن غايتها وهى تظن ان كل فارس لا فته تقدر عليه ثم امر ان تعدد العساكر فى الحال ليلاقى الامير حمزة وقد انشغل فكره كل الاشغال وقال لوزيره اننا تهاملنا فى أمر حمزة حتى وصل الينا وأسر بنتي قال ليس كان من الصواب ان تذهب بنتك اليه وكنا نطاوله بالقتال الى حين يانينا خبر من الملك كسرى او الى حين يجتمع عندنا بعض الفرسان الذين يقفون أمامه والان يمكننا فى الغد ان نجمع العساكر الموجودة فى المدينة ونذهب اليه او نصبر عليه الى ان ياتى بجماعته فنحاربه ونقبض عليه ونبقيه عندنا مدة أيام الى ان نرى مايكون من أمره ثم امر ان تتعدد العساكر وتخرج الى خارج المدينة فى اليوم الآتى. ولما كان الغد عند النهار وهو فى ديوانه بحسب عادته يريد ان يعلم ماجرى على بنته مع الامير حمزة ويبعث بالاوامر الى النواحى لتجتمع بعض العساكر عنده مع فرسانها واذا ببنته قد دخلت عليه حاملة رأس مخلوف فلما راها وقف ملهوفا وهناها بالسلامة وسألها عن سبب خلاصها فقالت له اتسألني وانت تعلم انى القناصة وان لا أحد يقدر على كيدي وانى اكيد كل سيد مجيد وفارس صنديد. فقال لها ورأس من هذا الذى تحملينه قالت هذا رأس الامير مخلوف فان الامير حمزه اسرنى برضاى وفى ظنه ان يزفنى على مخلوف فاجبته وعمل العرس لانه كان وعد مخلوفا فى الطريق وجاء معه لاجل هذه الغاية وبعد العرس أتيت صيوان مخلوف وقلت له ان من اللازم ان اصلح بينك وبين ابى وتعود الى بلادك وتبعد عن الغرباء فانقاد الى ووعدنى ان يجيء معى فى نصف الليل بينما يكون نام الامير حمزه وجماعته وامن لى واخذ ينزع عنه ثيابه لينام فحاولت حصولى على سيفه وضربته به ضربة واحدة القيته قتيلا ثم نزعت رأسه عن جسده وصبرت الى ان مضى قسم من الليل فخرجت ولا احد يعلم بى وبقيت سائرة الى ان وصلت الى هنا وهذا توفيق عظيم ولى امل كبير انى كما أتيتك اليوم برأس مخلوف هذا المتعدى الخارج اتيتك برأس الامير حمزة

وصادف مجيء الامير حمزة فى تلك الساعة ودخوله الى الديوان وقد سمع الكلام الاخير فهاج به الغضب ورأى القناصة فزاد به هياجه وتذكر اعمالها القبيحة فلم يطق الا الانتقام منها فصاح بها وقال لها ويلك ايتها الخبيثة اتجسرين على قتل مخلوف زوجك وبعلك وتعدين

اياك بقتلى ثم ضربها بالسيف على وسطها قطعها الى نصفين القاها الى الارض قتيلة وصاح بابيها وقال له انى احترم دواوين الملوك فلا اقتلك تعديا فى ديوانك ثم خرج من الديوان فاعترضه الحجاب وارادوا الوقوع به فضرب فيهم بسيفه البتار حتى فتحوا له الطريق فصار فى فسحه الدار واذا بالعساكر القائمه هناك قد هجمت عليه وفى نيتها ان تقبض عليه او تعدمه الحياة فالتقاها بقوة عزم وثبات جنان وارسل سيفه الى صدرها فمددها على تلك الفسحه وطير رؤسها عن أجسادها وباقل من نصف ساعة قتل نحو خمسة عشر رجلا حتى توصل الى الباب واذا بعمر واقف عنده بالجواد فملاظهره واراد الرجوع الى الوراء واذا بالعساكر قد اقبلت من كل مكان لان الملك النعمان لما راى ماحل بابنته وشاهد افعال الامير حمزه وقع به الغيظ والحنق ولكنه لم يقدر ان يفعل شيئا فى الحال خوفا من ان يعجل عليه فيقتله وليس من يقدر على الدفاع والممانعه اذ ذاك فالتزم الى الخروج من باب اخر فى ظهر المكان واسرع الى جواده فركبه وجعل يجمع العساكر ويامرها بالتقدم الى نحو الامير حمزة وينخيها على الهجوم عليه ولما راته الطليعة طمعت به لانفراده فاعترضته وقومت أسنتها وجاءت نحوه فصاح بها صياح الابطال وانحط عليها انحطاط البواشق على اضعف الحجال. واخذ يجول فيهم ذات اليمين وذات الشمال ويعدمهم على تلك الرمال ويتقدم الى الامام كلما انقشعت العساكر واتسع له المجال . وهى تزيد على الدوام وتتجمع من كل مكان وتسرع من كل ناحية وهو صابر صبر صناديد الرجال يفرج بما صيب به من أتساع دائرة المجال وكان اخبره عمر يحمى ظهره ولا يترك احدا يصل اليه وهو كفرخ من فروخ الجان يطعن بطون الخيول فتقع رجالها على الارض فيطعنها بالخنجر فى صدرها

وفى تلك الساعة وصل اصفران الدربندى وجماعة الامير حمزة وشاهدوا ماهو واقع فى المدينة فدخلوا وجاؤا مكان القتال وصاحوا وحملوا للمحاماة عن اميرهم وسيدهم فاشتدت الحرب وحميت نار الطعن والضرب وقامت القيامة وحلت الندامه وقلت السلامه واصفران الدربندى يسطو اسطوة الاسادى يفعل افعال الابطال الشداد. والامير عقيل انزل على القوم البلاء والتنكيل والعذاب الوبيل ودامت الحرب الى قرب الزوال وحينئذ تفرقت عساكر النعمان فى كل جهه ومكان مذعوره بالنار ذات الشرار من عظم ما رات من قتال هؤلاء الفرسان الذى كل واحد منهم يعد بقبيلة من قبائل العربان ولا سيما الامير حمزة من ابراهيم صاحب الفضل العظيم والباس الجسيم . وكان الامير حمزه قد وصل الى الملك النعمان وهو طالب الهرب فانقض عليه ومسكه وسلمه الى اخيه عمرو وعند ذلك رجع الامير حمزة من ساحة القتال وهو مغموس بالدم من راسه الى قدمه فاغتسل ونزع ثيابه ودخل ديوان النعمان وجلس مكانه وجمع قومه وامر ان يؤتى بالنعمان الى بين يديه فاحضره وهو ذليل حقير بعد ان كان عزيزا كريما بامن

الكبير والصغير . وعند وقوفه بين يديه قال لاخيه عمر اقطع رقبته هذا الطاغي ولا تدعني اراه بعد الان لانه مخاتل وخداع فتقدم عمر منه واراد ان ينفذ فيه امر اخيه فاستجار به الملك النعمان وقال ماهو الذنب الذي فعلته حتى وجب على القتل واذا قتلتني ترمي نفسك بورطة وبيلة لان العراق برمتها تابى لثاري والملك كسرى يغيظه ذلك وارى من الصواب ان تطلقني وتاخذني لك نصيرا ومعينا فانا الاعربي الاصل من جنسك وابوك كنت على الدوام اعظمه واكرمه واعتبره اعتبار اشراف العرب واسيادهم العظام ولا افعل شيئا بين العرب الا بارادته واطلاعه كونه الحاكم والملك في بيت الحرام . فقال حمزه ان ماتزعمه من مجيء العرب والعجم الى فهذا لا اخافه قط ولا احسب حسابه لاني بمساعدته تعالى اقدر على الغلبة عليهم واما سؤالك عن الذنب الذي فعلته فهو ان اباءك واجدادك كانوا يعبدون الله ويكرمون مكة المطهره ويأتون اليها عام فوافقت في كل انت وكسرى ورجعت عما كان عليه اسلافك وملت الى عبادة النيران وهذا الذنب وحده كاف لموتك وتطلب ان اتخذك معينا وساعداً فلو كنت ممن يعبد الله لفعلت ذلك ولكنك ممن يخالفه ولو لم تكن عربيا لما سرت اليك قبل ان أرى منك الشر وأرى الآن ان من اللازم انقيادك الى بما أطلبه منك والا لامناص لك من الموت وهو ان تعبد الله تعالى . فقال هذا اريده واتمناه وماتركت طريقة ابائي وأجدادي الا كرها عني وأجابة لطلب كسرى أنوشروان قال لا تخف احدا وان كان كسرى يعترضك بامر فاني اسير اليه واخرب الايوان على رأسه واقيم بين العجم والعرب الحروب الهائله ولي ثقة كبرى بالنصر والظفر . فقال النعمان اني اعدك ياحمزة من هذه الساعة الى عبادته تعالى ومهاجري مجرى لان نفسي على الدوام مضطربة من عبادة النيران وضميري متعوب من البعد عن الله سبحانه وتعالى خائفا من عذاب يومه الاخير مع ان اسلافي كانوا يعبدون الله مع انهم كانوا من عمال كسرى غير انه لم يطالب منهم ترك عبادتهم كما ترى مني وما كان قصد كسرى بذلك ان يعم عبادة النيران بين العربان

فلما سمع الامير حمزه كلامه وانه يرجع الى عبادة الله سبحانه وتعالى نهض اليه بنفسه وفك وثاقه وساله ان يجلس على كرسيه وصافح كل منهما الاخر واعتذر اليه ودعا الملك النعمان كل رجال قومه الاعيان واصلحهم مع الامير حمزة وعرفهم ما بينه وبين الامير وكيف انه مال الى عبادته تعالى ورجع اليها وترك النيران ففرح الجميع وقالوا اننا بعذاب الضمير على الدوام ومالنا من يرضى بغير عبادته تعالى . وشكروا الامير حمزة على عمله ومدحوه كل المدح على خدمته لله سبحانه وتعالى واعد النعمان مكانا للامير حمزة وامر ان تعد لهم الولائم وتذبح لهم الذبائح وانصرف تلك الليله وفي الصباح عاد الامير حمزه الى الديوان فوجد الولائم قائمة والعلائق تعدد والحاصل ان الامير حمزة بقي خمسة عشر يوما عند النعمان وفي كل يوم يزيد له بالاكرام

والاحتفال وفي اليوم السادس عشر قال حمزة للنعمان واني اريد ان اذهب الى المدائن وانظر حالة كسرى انوشروان فان كان على الوفاق معنا سالمناه وان كان يخاصمنا خاصمناه وحاربناه وانزلنا به الويل والعبر

فقال النعمان اني لا اشور عليك الان بالمسير الى بلاد الاعجام لان كسرى كثير الجنود والاعوان وبلاده واسعة جدا لا يكاد ملك من ملوك العالم يقارنه او يعادله مالا ورجالا فاذا سرنا اليه لا نكفل النجاح ولا خفاك ان العرب كثيرة الحروب وعلى الدوام تطلب مساعدة العرب ويسالني ملكها المسير اليه بعساكر العرب فاذا سرت سرت انت معي لاسيما ان الوزير بزرجمهر قد اخبرني ان كسرى يحتاج اليك ويرضى فيك ولا بد من ان تجلو العدو عن بلاده وذات يوم وقد رأى حلما من نحو ١٨ سنه تقريبا ففسره له هذا الوزير من ان عدواً يخرج اليه من حصن خيبر ويملك المدائن فتطرد له هذا العدو وتعيد اليه بلاده وهذا لا بد منه فاذهب الان الى بلادك واقم عند ابيك الى حين احتياجك فيرسل يستنجدك ويدعوك اليه فتنال بذلك الشرف والفخار ويكون لك عنده العظمة والاعتبار ويرى من نفسه انه محتاج الى الانقياد اليك ارها بابك وجميلك معه. فقال حمزة لقد اصبت بذلك وهذا قد سمعته مرارا واخبرني به الخضر عليه السلام ولا بد لي من القيام في مكة الى حين احتياج كسرى لي فيرسل من يستدعيني لنصرته فانصره واري بعد ذلك ما يفعله الله سبحانه وتعالى ولا يلزمني ان عاند القدرة فان الوقت لم يأت بعد وقد سبق الوعد أن ادخل بلاد العجم على هذه الطريقة لا على غيرها . وأقام بعد ذلك يوما واحدا وبعده ركب بجماعته وودع الملك النعمان وسار من ذلك المكان يقصد بلاده والاوطان وقد خرج النعمان لوداعه الى خارج المدينه ومن ثم رجع الى الحيرة وسار حمزة على طريق بلاده

قال وبعد ان سار الامير حمزة الى بلاده ورجع النعمان مسرورا بصاحبة الامير حمزة ورجوعه الى عبادة الله على يده الا أنه حسب حساب كسرى أنوشروان وفكر انه لا بد أن يغضب اذا عرف بذلك وبقي نحو ثلاثة ايام يتردد بهذا الشان وفي اليوم الرابع خطر له ان يذهب الى المدائن بلاد العجم ويدخل على كسرى ويرى ما هنالك من الاخبار عن الامير حمزة وعن العرب ولا بد الملك كسرى قد وصل اليه خبر حمزة من رجاله ومن المكتوب الذي بعثه له وعما فعل مع رجاله وسلب أمواله . ولما قوي به هذا الخاطر استعد للذهاب فاحضر موكبه الخاص وركب بجماعته من الحيرة قاصدا بلاد العجم وبقي في مسيره الى أن وصل الى المدائن مقر الملك كسرى أنوشروان وكرسي حكمه . وكان كما تقدم لا يقدر أحد ان يدخل على الملك كسرى الا بالاذن وبعد مقاساة أهوال وعذاب وصعوبات لكثرة الحجاب والاعوان وطوائف الخدمة المقيمين في ايوانه فلما وصل الى المدائن كان عند الغروب فذهب الى القصر المعد لنزول

الضيوف من العمال والامراء والملوك الى اليوم الثاني وفيه نهض عندما عرف أن الملك كسرى قد خرج الى ايوانه وجاء الباب الخارجي واستأذن بالدخول مع حاجب الباب فجاء الى كسرى وعرض عليه إستئذان الملك النعمان فقال له دعه يدخل فما جاءنا هذه الايام الالحاجة وغاية مهمة . ولما وصل الاذن الى النعمان دخل وصعد الايوان وجاء الديوان ووقف بين يدي كسرى واظهر خضوعه وطاعته فاذن له بالجلوس فجلس ثم قال له اعرض حاجتك يانعمان فما تريد وما السبب الذي دعاك الى المجيء الى دون ان استدعيك او ابعث اليك برسول وقد تركت ملكك وبلادك قال اعلم ايها الملك الاعظم والسيد الغشمشم ان فارسا من مكة قد خرج علي وجاء بلادي وقتل رجالي ونهب أموالي واحرمني بنتي القناصة وقد بعثت اليك بكتاب عن ذلك ولم أعلم ماذا حصل من عظمتك . فاضطرب الملك كسرى من هذا الخبر وتكدر مزيد الكدر قال ما اسم هذا الفارس قال الامير حمزة ابن الامير ابراهيم . فقال لابد لي من خراب مكة وقتل هذا الامير وهدم كل معابد العرب لانهم بعملهم هذا قد اخترقوا حرمتي ولم يراعوا اعمالي عليهم وكان كسرى قد غاب عن ذهنه ما كان من نحو عشرين سنة تقريبا من أمر الحلم ولم يعد يعني اليه قط والمكتوب الذي قد بعثه النعمان اخذه بزرجمهر ولم يعرضه على كسرى ولما رأى بزرجمهر حالة الملك وانه يرغب في مساعدة النعمان بذلك وان يرسل الى مكة العساكر والاجناد قال له اعلم ياسيدي ان الملك النعمان قد بعث اليك بكتاب يخبرك بعمل هذا الامير وفعله وقد جاءت أيضا رجالك الذين كانوا مع رجال النعمان واخبروا أن الامير حمزة هذا قتل منهم جانبا وسلبهم الاموال وأعادهم خاسرين فكتمت عنك هذا الخبر قال وكيف لم تطلعني عليه بوقته لابعث من يأتيني بهذا الكلب العربي الذي أشرت اليه بانه يدعى الامير حمزة لاقتله على باب المدائن اعتبارا لغيره قال اني اخفيت ذلك لما ثبت عندي ان هذا الامير هو من رجال الملك كسرى ومن أقرب الناس اليه وأحبهم عنده

فزاد عجب كسرى بذلك وقال ما معنى هذا الكلام وأي علاقة بيني وبين اجلاف العرب ومن هو الذي تزعمه انه أعز الناس عندي . قال هذا ياسيدي الاسد الذي رأيته في حلمك منذ زمان طويل وبعثتني لاجله الى مكة لاكتبه من قومك وهو تربى على مالك الخاص وعاش تحت الاسم الذي دعوته اياه وقد بلغني ايضا انه فعل جميلا مع جماعة من تجار الاعجام كان سلبهم اصفران الدربندي صاحب الحصن ونزع منهم كل مالهم حتى ثيابهم فخلصها لهم بعد أسر اصفران وجعله من رجاله على أننا طالما سمعنا بتعديه وأمرنا النعمان ان يبعث اليه بالعساكر فلم نستفد شيئا فلما سمع كسرى ذلك صفق من الفرح وقال هذا الذي اخبرتني عنه أنه يخلص ملكي من عدوي الذي يخرج على بلادي قال نعم هذا هو ياسيدي وقد ظهر للوجود وأخذت

افعاله تنمو او تزيد وتشيع حتى خافته اكثر العرب وانتشر بين العجم ثم ان كسرى امر أن يخلع على النعمان الخلع السنية ويغمر بالاموال والعطايا جزاء على وصول هذا الخبر اليه فتكدر الوزير بختك بن قرقيش من ذلك وقال لكسرى لقد نسيت ياسيدى حالة العرب وماهم عليه من الهمجية وعدم الامانة فاذا أكرمتهم لاتامن جانبهم وكان هذا الوزير ردى الطباع حسود طماع بخيل مبغض لايحب احد فغاظ كلامه هذا الملك النعمان الا انه صبر عليه لمعرفته بان منزلة العرب عند الاعجام منزلة العبد الذليل عند السيد البخيل الكثير الكبر والتعجرف غير أن كسرى لم يعتبر كلام وزيره فى هذا المعنى وان رأه من الصالح والنافع لنفسه غير انه سبق فعطى . ثم ان النعمان ودع الملك كسرى وخرج من عنده مغتاظا من كلام الوزير بختك وسار بعد ان تودع من الوزير بزرجمهر وهو يسال الله فى نفسه ان يكون خلاص العرب من العجم بوقت قريب على يد الامير حمزة فيستخلصونه من الظلم والذل ويرتفع عنهم هذا النير الثقيل الذى تحملوه زمانا طويلا وبعد أن مضى على ذلك مدة أيام وانشغل كل بنفسه وبملكه ونحو ذلك بلغ الملك كسرى ان خارتين صاحب حصن خيبر قد خرج بعساكره وعددها اربعمائة الف فارس من الفرسان المنتخبين ودخل حدود البلاد وهو يظلم وينهب ويقتل ولا يراعى حرمة احد قط وانه يقصد التقدم الى جهة المدائن ليستولى عليها ويجلس عوضا عنه على كرسى العجم ليجعل نفسه كسرى الجديد فاغتاظ من ذلك وتكدر مزيد الكدر من خروج هذا الرجل عليه الا انه لم يعتبره حق الاعتبار وترجح له انه سيجمع العساكر العجمية وغيرها ويؤدبه على فعله وكان الذى جعله ان لايحسب له حسابا قلة رجاله الذين عددهم اربعمائة الف. ومن ثم أمر ان تجمع العساكر وتكون على اهبة القتال قبل وصول هذا العاتى الخارج وفوض امر ذلك وتدبيره الى وزيره بختك فاخذ فى تجييش الجيوش وتعدد المؤن وتهيئة كل مايلزم للحرب والقتال من البلاد وبعد ان انتهى كل ذلك اجتمع بختك بكسرى وقال له لقد تم امرك ولم يبق من حاجة لا كثر وقد اجتمع عندنا نحو تسعمائة الف فارس من الفرسان والابطال وهؤلاء اكثر من جيوش خارتين باضعاف

فقال له اذن اريد منك أن تذهب بهم الى ملاقاة خارتين وتحاربه على بعد عن المدائن قبل أن يصل الينا فلم يوافق هذا الامر بختك وخاف من وقوعه بين يدى خارتين وان يفتك به فقال لكسرى ليس من الصواب ياسيدى ان نلاقيه عن بعد من هذه المدينة بل من الصواب ان تبقى العساكر خارج المدينة حتى اذا وصل دافعت عنها وارجعته بالخيبة والا اذا تفرقت عساكرنا وهى بعيدة فلا تعود تقدر على التجمع والدفاع عن المدينة قبل وصوله اليها .

فاستحسن كسرى قوله وأمر أن تقيم العساكر خارج البلد وتنصب خيامها فى ضواحيها واقامت على ذلك الانتظار مدة اثنا عشر يوما الى ان بلغ كسرى ان خارتين المذكور قد قرب

من المدائن ولم يبق بينه وبين جيوشه الا مدة يوم وانه امتلك كل العواصم التي مربها وعند ذلك أمر العساكر ان تستعد للقتال وتتحضر لملاقاة المهاجمين وفرق عليهم المؤن والذخائر وبقيت على الاستعداد الى أن كان صباح اليوم الثاني وفيه طلت عساكر خارتين واقبلت الى جهة العاصمة وهي منتشرة كالجراد في الوهاد ولما صارت مقابل عساكر الاعجام ضربت خيامها وقامت بقية ذلك النهار الى أن كان اليوم الثاني ركب خارتين فوق جواد طال كانه الجمل بالارتفاع وعلى عاتقه عمد من الحديد وتقدم امام عساكره فتبينه جماعة الاعجام واذا به قبيح المنظر جـدا برأس كبير اصلع وعيون مستديرة صغيرة في وجه كبير مجمد مسترسل شعر الرأس الى الاكتاف وبظهره حدبة تعلو رقبته وصدره واط وقامة معوجة وكان مع كل ذلك من الابطال المعدودين ولما رأته عساكر الاعجام قد ركب بقومه ركبت وتقدمت باذن بختك بن قرقيش الى ملاقاته ورفعت الرايات النيرانية والبيارق الكسروية ولم يكن الا القليل حتى هجمت العساكر على بعضها هجوم الاساد. واشتغلت فيما بينهما نيران الحرب والطراد. واهتزت من ركض خيولها تلك البراري والوهاد. وكان يوما عظيم الاحوال. كثير الاهوال . انقلبت فيه على بعضها الجبال. ومالت من عظم المقاتلين الاكام والتلال. وزهقت نفوس الابطال من كثرة الغبار وضيق المجال وكان خارتين صاحب حصن خيبر. يزأر كما زأر الاسد الغضنفر. ويسطو سطوة الليث القسور. ويبدد الرجال ويمددها على وجه الرمال. وهي تنفر من امامه كما تنفر الحجال من امام البواشق وترتجف بين يديه كما ترجف الارض عند وقوع الصواعق هذا والحرب قائمة على قدم وساق. والفرسان تدخل أبواب المحاق ساعية وراء العدم تنظر الفناء في أي جهة فتنفض عليه وتصاحفه مصاحفة الام ولدها عند غيابه عنها وصولها اليه. وفرسان العجم تتأخر وفرسان خيبر تتقدم وقد اشتدت همتها بما فعله مقدمها خارتين الليث الغشمشم ولم يكن من يقدر ان يلقاه في جيوش الفرس ورجال العجم وعساكر الديلم ولذلك سطا سطوة الجبابرة وفعل العجائب والاهوال الى ان جاء الزوال وضربت طبول الانفصال وحينئذ رجع الفريقان الى الخيام على أصعب ما يكون من التعب والملال ولا أحد منهم يصدق ان يرجع بسلام

وعندما رجعت الاعجام الى خيامها دخل بختك الوزير المدينة واجتمع بالملك كسرى وباقي الوزراء فقال له كسرى إني اخاف ان عساكري تفشل في هذه المرة ويلحق بنا الويل وتصاب بمصيبة وقد تبينت ولاحظت ان عساكري لم تأت بالمقصود بل تاخرت ولحق بها النقص وكان بودي منذ الاول ان أرسل الى الملك النعمان واستدعي جماعة العربان للحضور والقتال معنا فمنعتني ووعدتني بالنصر والظفر فقال له كن ياسيدي باطمئنان فان جيوشنا كثيرة ولابد أن يكون الفوز لنا ولا حاجة لاتيان العرب لانهم اذا حضروا معنا حربا

وانتصرنا بها ينسبون النصر لهم وبسببهم وعليه فلا اريد وصولهم الينا وحضورهم معنا ولا أكره مساعدتهم ولا احب ان يتفاخروا علينا وينظروا الينا نظر العبيد الى الاسياد فيبقون عمرهم على الذل والطاعة فتأثر الوزير بزرجمهر من كلام بختك وعرف ان فى هذه المره ولا بد من كثرة العجم واحتياجهم الى مساعدة العرب ولا سيما الامير حمزة فهو وحده الذى يقتل خارتين ويكون ذلك سبب وصوله الى كسرى والتصرف به ولذلك قال لبختك ان امتناعنا عن العرب ودعوتهم لقتالنا من باب الخطأ والغلط لانهم من عمالنا وملزومون بخدمتنا أثناء القتال والدفاع عنا وعن بلادنا كما اننا نحن نحامى عنهم ونلحظهم وننظر اليهم بمراعاة ونكرمهم فاذا كنا لا نستدعيهم وقت القتال فلا يكونون من أتباعنا ورجالنا غير ان الوقت قد فات ولا تفيدنا شيئاً دعوة العرب والاوفق أن تنظروا فيما تفوز به عساكرنا وننجوا من قبضة خارتين ورجاله . فقال بختك ان أمر القتال مناط بى ومفوض الى ولا يمكن أن نتأخر ببركة النيران وعنايتها وكيف وعدد عساكرنا يفوق عساكر خيبر ونحن قادرون على الدوام الى زيادتها بخلاف الاعداء فلم يبد كسرى اذ ذاك قولا وصبر ينتظر مايكون من امر عساكره مع الخيبرين

وأما خارتين فانه عند المساء أمر ان تنقل خيامه الى الامام وقد سر بما وقع له من النجاح فى ذاك اليوم وامل بالفوز العظيم وأوصى كل عساكره وأبطاله ان لا احد يدعوه منذ ذلك الحين الا بالملك كسرى ملك العجم والعرب والديلم وسيد ملوك الزمان ويعدهم بالنجاح والعطايا وانهم يحكمون على تلك المدن ويكون لهم المقام الاول على سكان تلك البلاد وصبر طول تلك الليلة الى أن اشرق صباح اليوم الثانى فنهض الى جواده فركبه وتقلد بسلاحه وارخى شعره على أكتافه الى ظهر جواده وتقدم فى أول عساكره وطبوله تضرب بما يشبه الصواعق فركب بختك بن قرقيش وامر عساكر العجم أن تركب فركبت وتقدمت الى ساحة الميدان طالبة للقتال ولم يكن الا القليل حتى اشتبك القومان وقام قائم الحرب والطعان . وانتشرت الفرسان فى ذاك المكان وبقى القتال على أشد ما يكون من الدوران الى ان كان المساء ضربت طبول الانفصال وقد حل فى ذاك اليوم بالعجم أعظم مما حل بالاول وتأخروا الى الوراء وقتل منهم مقتلة عظيمة

ودام الامر على مثل ذلك والقتال يعمل مدة عشرة أيام حتى لجأ الفرس الى المدينة وتأخروا كل التأخير وتبدد شملهم كل مبدد وثبت عند كسرى إن العدو لا بد أن يدخل بلاده فى اليوم التالى أو الذى بعده ولذلك طلب من وزيره بزرجمهر أن يسعى له بطريقة تقية وتخلصه فقال له الآن ما من وسيلة لنجاتنا من هذا الطاغى وعندى من الصواب أولا أن نبعث فى هذه الليلة باولادنا وعيالنا وكل ما يتعلق بنا الى مدينة طهران لنحفظها بها من

الاعداء ونكون على امان من جهتها وبعد ذلك نسير نحن هناك ننظر فى أمر خلاصنا لان الخيبريين سيدخلون المدينة فى الغدو يتملكونها وحينئذ نتركها نحن موقتا ومن ثم نعود اليها وسوف ترى بعينيك مايكون من أمر العرب الذين تتم النصرة لنا على أيديهم فاستصوب كسرى هذا الرأى وأمر ان ترسل الحريم والعيال الى طهران أى حريم الامراء والاعيان والوزراء وحريم ماهو عزيز عندهم وثمين ليكون محفوظا فلا تنهبه قوم خارتين ولا يصير عليه أمر من الامور . وصرفوا تلك الليلة على ماتقدم وفى اليوم التالى نهض خارتين وهو مؤمل بالفوز والنجاح وهجم على بقية عساكر العجم وضربها بقومه ضربا أليما موجعاً فبددها وما جاء اخر ذاك النهار حتى ضايق المدينة كل المضايقه وانزل بها الويل والعبر فالتزم كسرى أن يتركها ويسير عنها من جهة ثانية برجاله وابطاله الاخصاء قاصداً مدينة طهران

وبعد ذلك سلمت المدينة الى خارتين فدخلها منتصراً فائزاً وتملكها بقوة سيفه وقبض على كل ماص فيها ونهب أموالها وذهب الى الايوان الاكبر وجلس على تخت الملك كسرى واعتز بنفسه وقال لرجاله الان صح ماكنت أزعمه وقوله من أن عرش كسرى سيكون لى أى انى سأسمى بهذا الاسم واكون انا الملك على العرب والعجم وكل مايملكه كسرى فتهابنى الملوك وتخشانى الابطال حيث أعلم من نفسي ان لا فارس بين فرسان هذا الزمان يقدر ان يلاقينى فى حومة الميدان او يثبت امامى ساعة من الزمان فهناه الجميع بما وصل اليه وشكروه على شجاعته واطنبوا فى مدحه وسألوه ان ينظر فى احوالهم ويقدمهم على اهل البلاد . قال هذا لا بد منه الان من الاصابة ان تكونوا انتم الحكام والولاة والمالكين على الاعجام حتى لا تقوم لهم قائمه فيما بعد غير ان هذا سيكون بالتتابع ومرادى ان ابعث فى الغد الى سائر عمال الملك كسرى وادعوهم ان يأتوا الى فمن جاء طائعا كان له النجاح والتوفيق فابقيته وصبرت عليه الى ان اعزله عزلا ومن امتنع واظهر العصيان قلعت اثاره وخربت دياره ونام تلك الليلة الى ان كان الغد وفى ذاك اليوم اخذ فكتب الكتب الى كل نواحى بلاد فارس والعرب الى داخل المدائن حتى ماترك بلد الا ودعا عاملها ان يحضر اليه واعلمه بما فعل فى العجم وكيف انه استولى على الكبير والصغير فى المدائن وطرد الملك كسرى ووزرائه وتهددهم بان كل من امتنع عن الحضور بعث اليه بالعساكر وانزل به العبر وسمى نفسه كسرى الخيبرى او كسرى الجديد . وبعد ان ارسل الرسل بالمكاتيب وجعل ينتظر وصول المرسل اليهم فلم يقدم عليه احد ولا وصل منهم اليه احد ولا جاءه خبر من احد ولذلك وقع به الغيظ والكدر كيف انه لم يطعه منهم احد واراد ان يذهب بالعساكر الى تلك العمال غير انه راى نفسه انه فى ذلك الوقت غير

قادر على المسير وترك المدائن خوفا من ان يستغنم كسرى فرصة غيابه ويرجع الى تلك البلاد فيكون ضيع تلك النصرة واذهبها سدى فبقى فى المدينة على ماتقدم وفى نفسه الشر لكل اولئك العمال ولاسيما الملك النعمان ملك العرب الذى كان ينتظر وصوله قبل الجميع لانه كان يخاف العرب ان تتجمع عليه لعلمه ان فرسانها كثيرة وابطالها مشهوره

قال فهذا ما كان منه واما كان من الملك كسرى انو شروان وقومه الذين هربوا معه فانهم داموا فى مسيرهم الى ان وصلوا الى طهران وهى احدى مدائن كسرى انو شروان قريبة من عاصمته عامره حصينة فدخلوها وهم ماهوءون خائفون مكدرون لضياع بلادهم وغلبتهم من العدو الالد وبعد أن استقر بهم المقر وارتاحوا من التعب اجتمع كسرى بوزيريه ينظر فى أمر خلاص بلاده واذ ذاك قال بختك لكسرى لقدجاء بفكرى كلام كنت قد سمعته منذ سنين وترددت فى صحته حتى تبين لنا كذبه الآن وعدم صحته . فقال كسرى وما هو هذا الكلام . قال ان وزيرك بزرجمهر قال ان رجلا من العرب يخلص بلادك من الاعداء ويردها اليك ويساعدك عند وقوع مثل هذه الاحوال ومما ظهر الآن انه لم يصب فى قوله وان مايزعمه لم يقع بعين الفعل قال صدقت فلم أرى صحة لذلك مع أنى سمعت بهذا الرجل العربى من الملك النعمان ثم التفت الى بزرجمهر وكان يسمع كلام بختك ابن قرقيش ويضحك منه بكدر لعلمه انه صادر عن فؤاد مجبول بالحسد والبغض والتهكم وقال له أى وزيرى بزرجمهر اين هذا الذى أشرت اليه فقد احتجنا الى مساعدته ولم يأت لمساعدتنا مع اننا صرفنا عليه الاموال وخسرنا الخسائر الباهظة وربيناه على حسابنا

قال انى لم اغلط فى قولى ولا اخطأت ولا نطقت الا بالصواب وبعين الحقيقة فان الامير حمزة هو الآن فى مكة بلد أبيه وأجداده لا يعلم ماذا جرى علينا ولا ما كان من امر خارتين والمدائن وهو ينتظر اشارة منا ليأتى ويخلص البلاد وهذا قوله ولا اخشى فيه لومة لائم انه كان من الله الهى الذى اعبده انا ويعبده هذا الامير حمزة منذ عشرين سنة وقد وقع عليك وأنت فى الحلم لتسبق معرفته وتستدرك نفسك ولا تسلم بلادك للاعداء الذين مثل خارتين صاحب حصن خيبر . قال كسرى اننا نحن الذين اخطأنا بحق انفسنا وتهاملنا بارسال وراء هذا الامير الذى تزعم انه يكون العلة الوحيدة لخلاص بلادى وارى الان من اللازم ان تذهب انت بنفسك وتدخل بلاد العرب وتجمع الجيوش منها ومن كل

نواحيها وتأتي معها بهذا الفارس المدعو بحمزة العرب لخلاصنا وخلاص بلادنا وأكون انا قد جمعت العساكر من سائر نواحي بلادي فاسير من هنا لدى وصول العرب ونخلص المدائن ونهلك هذا الطاغي الذي قد جاءنا فقم الآن وخذ ماتقدر تأخذه من هذه البلاد هدية للامير حمزة ولابيه ولا تدع بابا من أبواب الفرج الا وافتحه والا انتقل ملكنا لغيرنا وطردنا من البلاد واصبحنا لا نملك الاماعلينا

فاستحسن الوزير كلامه وقال اني في هذه الليلة استعد لذلك وعند الصباح اكون في الطريق كي لايضيع معنا الوقت . ثم انه قام على الاستعداد كل باقي النهار والليل وقبل الصباح اخذ جماعة من الاعجام ليكونوا برفقته وسار عن طهران عن طريق الحيرة حتى وصلها بعد أيام فدخل على الملك النعمان وسلم عليه فلاقاه وترحب به وعرض عليه مكاتيب خارتين وانه يدعوه للطاعة والانقياد وانه يسير اليه في الحال واخبره كيف لم يجبه ولا التفت الى كلامه وانه أخذ في ان يجمع الجيوش العربية ليسير بها الى قتال الخيبريين . فشكره بزرجمهر وقال له لايجب ان تسير الا والامير حمزة في مقدمة الجيوش لانه هو وحده عليه المعول والذي كتب له من السعادة ما لم يكتب قط على غيره وهاانذا قد ابتدأت ايام سعادته ووصل الى بداية المنتظر فابق انت على عملك واجمع جيوشك وانتظرني الى اذ اعود اليك بالامير حمزة فتسير معه لاني ذاهب الى مكة المطهرة الى الامير ابراهيم وارجع من هناك به وبجماعته وبعد ان اقام ثلاثة ايام عند الملك النعمان ذهب من هناك يقصد بيت الله الحرام الى ان وصل اليه وعرف به الامير ابراهيم فخرج اليه وسلم عليه وترحب به ومعه الامير حمزة . فلما راه بزرجمهر نزل عن جواده وتقدم اليه فقبله وقد رأى على وجهه علائم الشجاعة والسعادة والاقبال والتوفيق فصح عنده كل ما كان يظنه من اجله وبعد رجوعهم الى الخيام قال له الوزير اعلم ياحمزة اني ماجئت الا لاجلك لاذهب بك الى كسرى انوشروان تقتل له عدوه وتفرج عن بلاده . ثم ان الوزير حكى للامير ابراهيم وولده الامير حمزة كل ما كان من امر خارتين وكسرى وكيف انه استولى على عاصمة المملكة وجلس على كرسي العجم وفي ظنه انه يملك البلاد ويكون الحاكم على العباد وكيف ان كسرى بعثه اليه بالهدايا والتحف ويرجوه المسير الى خلاص بلاده : فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام اشتد به الغيظ والحنق ولعبت برأسه النخوة العربية فقال وحق البيت والصفا لابد لي من المسير الى هذا الخيبري وذبحه ذبح الاغنام وتشتيت عساكره ولو كانوا بعدد الرمال كل ذلك إكراما لك ولاتيانك لي مع اني من أضعف الناس قدرا فصيرت لي مقاما

عند الملوك الكبار وذكرتني عند كسرى حتى يرى من نفسه انه محتاج الى مساعدتي وعليه فلا أبخل بروحي في سبيل انت وعدتني لاسلكه واسير فيه . فعجب الوزير من كلامه وفصاحة لسانه وقال له سوف يكون لك المقام الاول في زمانك وتسود على كل قائم وقاعد ولست أنا الذي رفعت مقامك وذكرتك عند الملك كسرى بل ان الله سبحانه وتعالى اظهر له ذلك قبل وجودك في الوجود وسخرني لاخبره واسعى في تربيتك على حساب الملك كسرى وتكون من رجاله وتخلص له بلاده ومن ثم يكون لك بعد ذلك الحظ الاوفر والسعد الاعظم وينتشر صيتك في الافاق وتطيعك العواصم والمدائن فهذا الابد منه . ففرح الامير حمزه بكل ما سمعه من نوال الحظ الاوفر والسعد الاعظم

وبعد ذلك قام الوزير الى البيت فطاف حوله ثلاث مرات ثم سجد للات والعزى وأدى الفروض المتوجبة على العرب التي كانت في ذلك العصر . ثم رجع الى بيت الامير ابراهيم فاقام عنده في ضيافته مدة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع سأله أن يتأهب للسفر فاجابه وأمر أصفران الدربندي أن يستعد وجماعته وأمر أيضا الامير عقيل أن يستعد مع الثمانمائة فارس أخصائه ورجاله وهو فرحان بنفسه كل الفرح يكاد يطير شعاعه أولا لحبه بخوض مثل هذه المهمة ورغبته بالحرب والقتال وثانيا ليرى الفرس شجاعة العرب ويدعوهم الى الاعتراف بانهم أشد منهم باسا وأعلى مقاما ولاسيما ليرى كسرى أفعاله وحدة قتاله وهو يقول في نفسه ولو لم يكن كسرى يحبني حبا عظيما لما أرسل خلفي من يدعوني اليه وهو أكبر رجل في مملكته أي وزيره بزرجمهر ويستنجد في لمثل هذه المهمة وبقي على مثل ذلك الى اليوم التالي وفيه نهض الامير الى أبيه فقبل يده وطلب رضاه ودعاه وسأله مداومة الادعية له ودخل البيت فسأل الله المساعدة والتوفيق في بلاد العجم وما يكون له فيها وركب جواده وصاح باخيه عمر أن يركب بين يديه فاجابه وقد حمل قناته وقسيه وتقمط بوسطه بقماط من الجلد ملاه من الخناجر معلقة به وشد على رجله قماط من الجلد الاحمر الى حد ساقيه ووضع على رأسه طاسة صغيرة من الفولاذ مدورة ربطها بسلسلة رقيقة من النحاس الى تحت ذقنه وانطلق باسرع من لمح البصر حتى غاب عن العيان ثم ظهر كما يظهر البرق في اللمعان ثم اختفى باسرع من طرفة عين حتى تعجب الوزير منه ومن عمله وكاد لا يصدق انه من الانس وقد تذكر عمل أبيه وكيف انه ضرب امه لتلد في ذلك اليوم الذي ولدت به ام حمزة وغيرها من العربان طمعا بالمال وما كان ذلك الا لسعادة الامير حمزه ثم بعد ذلك تقدم الوزير فودع ابراهيم وكان قد خرج لوداعهم فاوصاهم بولده وان يكون له ركبا فاجابه ووعده بكل خير ثم تقدم حمزه فقبل يدا بيه فقبله وبكى على فراقه واوصاه ايضا بالالتفات الى نفسه والى الشرف العربي ومراعاته وقيام ناموس الطوائف العربية فاجاب الامير حمزة قول ابيه بالرضا والقبول والطاعة وبكى عند وداعه وسار كل

واحد منهم في سبيله فرجع الاب بقومه الى مكة وسار حمزه مع بزرجمهر وحوله جماعته ورفاقه واخوه عمر يعلو الاكام والجبال ويبحث الطرق والمغائر ويعود الى بين يدي اخيه باسرع من لحظة عين وداوموا المسير مدة ايام حتى وصلوا الى الحيرة وعرف الملك النعمان بقدومهم فخرج الى ملتقاهم وكان قد جمع العساكر والرجال واقام بانتظار الامير حمزه ورجوع الوزير الى ان بلغه اتيانهما فخرج وترحب بهما وسلم على الامير حمزة مزيد السلام ودخل به وبجماعته المدينة وعمل لهم الولائم الفاخرة واضافهم كعادة العرب مدة ثلاثة ايام ثم طلب منهم الوزير بزرجمهر ان يسير وامعه الى طهران ليجتمعوا بالملك كسرى ويسير معا الى مقاتلة خارتين

فقال الامير حمزه واي فضل للعرب اذا قامت مع العجم اليس انهم يأتون على العظمة والكبر فاذا نسبوا هذا الفوز لهم وضيعوا حقوقنا واني اريد ان اذهب بنفسي مع جماعتي الاخصاء الذين جئت بهم من مكة فقط واني بمعرفته تعالى اقدر ان اقتل خارتين وابيد قومه . فقال بزرجمهر لا تسلك سلك الغلط يا ولدي لان خارتين فارس صنديد ولا سيما معه من ابطال خيبر اربعمائة الف نفس وبهم تغلب على جيوش العجم وعددهم تسعمائة الف نفس ولذلك ارى من الصواب ان تسير الى كسرى وتقاتلوا معا ولا تضيعوا الفرصة . فقال اقسم بالرب العظيم رب زمزم والحطيم اني لا اقاتل قط مع العجم ولا احب ان اضيع تعب العرب بكبرهم وعظمتهم فتبسم الوزير من كلامه وقال لقد اصبت يا ولدي فانك تقدر على ما تقول فقط اريد منك ان تصحب معك الملك النعمان برجاله وما تجمع عنده من العساكر وما في ذلك عار قط لانك تكون انت القائد والامير عليهم ويكونون تحت امرتك وافعل ذلك اكراما لخاطري . قال هذا افعله ولا امتنع عنه لانكوني محتاج اليه وقت الحرب والقتال لكن لية ال ان العرب اهل غزوات وحروب ويكون لهم على العجم التقدم ويكسبون من الفخر ما اكسبه او اقاسمهم السعادة وارفع لهم ناموسهم وشرفهم وامنع عبدة النار الاختلاط بعبدة الله ورجاله

فلما سمع الوزير هذا الكلام فرح به وقال في نفسه الحق بيده ومن كان مثله لا خوف عليه لانه يعبد الله يكرمه ويطيعه ومن يحب الله لا يتركه ولا يتخلى عنه وبعد ذلك اخذ الملك النعمان يامر جيوشه التي تجمعت بالركوب كل قبيلة بقبيلتها وكل طائفة بطائفتها وكان عددها كلها نحو خمسين الف فارس من كل مدرع ولابس وليث عابس . ولما انتهى وركب كل واحد جواده ركب الامير حمزه كانه طود من الاطواد او اسد من الاساد ومن خلفه اخوته بالسن والى جانبه الملك النعمان بن المنذر والى الجانب الاخر اصفران الدربندي وما مضى الا ساعات قليلة حتى تحركت ركابهم في تلك الارض واذ ذاك تقدم الوزير من الامير حمزه فودعه ودعا له بالتوفيق والنجاح وودع النعمان وسائر الامراء وسار من هناك في طريق طهران وسار حمزه في طريق المدائن يسير مسير البرق وهو يتوق كل التوق الى مشاهدة خارتين هذا

والاجتماع به فى ساحة القتال ونفسه تطلب ان يخوض معامع الوغى ويحضر الوقائع العظام واكثر سروره بارتفاع اسمه وعلو منزلته وقيادته للعرب تحت أمرته والمسير بهم الى قتال الخيبريين وسوقهم الى أى مكان أرادوهم على طاعته واكرامه ولما تمادى به السير وتذكر ماسيكون له عند كسرى من المقام والاعتبار وعلو المنزلة ورفعة الشان وكيف انه مع صغر سنه قدفاق سواه واعطاه الله مالم يعطه لغيره من ابناء زمانه وذلك انه سبق فوعد به الملك كسرى انه يخلص له بلاده الى غير ذلك ولهذا انشد وقال

سوف يلقى منى العداة وبالا　　وترى فى حربى أمورا ثقالا
فاخوض الوغى بسيف ثقيل　　وبرمح يقصر الاجالا
فانا المقدام الذى قيل عنى　　يوم طعن القنا أصون العيالا
وأنا حمزة القتال ولى عزم　　شديد به أدك الجبالا
وأبيد الطغاة بالسيف قهرا　　وأسر العفاة انسا ومالا
قام لى فوق كوكب السعد بيت　　شيدته يد الاله تعالى
شيدته فعز فوق دعام　　وتسامى بالمجد أصلا رجالا
وزها رونقا يفوق سواه　　وتباها سعادة وجمالا
ودنت تسجد الاسود لديه　　فانا قد عودتها الاذلالا

ولما انتهى الامير حمزه من ابياته تعجب الملك النعمان من فصاحة لسانه ومن ميله الى الفخار واجتهاده الى ركوب الاخطار وزاد اليه ميلا وحبا وعرف ان نجمه سيعلوا فى افق المجد الى ان يدرك اعلا شان وانه سيكون له فى زمانه شان واى شان . وبقى سائرا الى جانبه على الحالة المتقدم ذكرها مدة الطريق الى ان قربوا من المدائن وتبينوا عاصمة الفرس وهى عامرة مشيدة الاركان يظهر للرائى عن بعد كانها قطعة واحدة كثيرة الالوان لعظم قصورها ولقربها من بعضها ولكثرة زخرفتها . واذا ذاك امر الملك النعمان بالنزول فى تلك الارض وقال للامير حمزة لايجب ان نتقدم اكثر من تقدمنا بحيث تخرج الينا عساكر خارتين فنقيم فى الفسحة التى امامنا فاجابه الى سؤاله واقامت العرب فى تلك الارض وقد ضربت خيامها وسرحت خيولها وانتشرت منتظرة مايكون من امر هامع الخيبريين . وبعد ان استقر بهم الجلوس سأل الملك النعمان الامير حمزة ان يكتب كتابا الى خارتين يتهدده به فكتب اليه

«اعلم ايها الخيبرى الطاغى المتكبر الذى ظن بنفسه فوق ماهو انى قبل ان خلقت سبق ذكرى الى الملك كسرى وانى ساقتل له عدوا عظيما يتسلط على بلاده وهو ان الملك كسرى راى من مدة عشرين سنة حلما انه كان فى ايوانه وأمامه مائدة عليها وزة قدمت لياً كلها وهو جائع جدا وقبل أن يمد لها يدا جاءه كلب شنيع الخلقة هائل المنظر طويل الشعر اختطفه

الوزة من أمامه وهو لا يقدر أن يمنعه وقبل ان خرج ذلك الكاب من الديوان ظهر عليه أسد فضربه بيده سحقه سحقا ونزع منه الوزة وارجعها الى كسرى فاستيقظ مرعوبا وعرض حلمه هذا على وزرائه ففسروه له بما معناه ان الكاب هو انت وانك تظهر على بلاده وتطرده من ملكه وتستولي على تخت حكمه ومن ثم يأتي الاسد وهو انا فاختطف روحك من صدرك وأعيد اليه ملكه وها قد اتيت اليك لاقوم بما كان من ذلك الحلم فاخرج الي في الحال بجميع رجالك وابطالك لابيدك وابيدهم دفعة واحدة واذا امتنعت عن الخروج دخلت المدينة وقتلتك في وسط الديوان ويكون ذلك اكبر عار عليك تهان به مدى الزمان وتتحدث به الناس جيلا بعد جيل وهذا آخر ما اكتبه اليك وسيجمعنا الميدان والسلام ﴾

ثم طوى الكتاب بعدان وقع عليه وختمه وسلمه الى اخيه عمر وامره بان يسير به الى خارتين ويعود منه بالجواب فاخذه وسار نحو المدينة وكان خارتين قد عرف بوصول الملك النعمان وهو في ديوانه برجال العرب فظن انه جاء لتقديم الطاعة وقادته فروض العامل عن مواليه فقال لمن حواليه كنت اظن بالملك النعمان العصاوة والعناد وانا متكدر من عمله كيف لم يحضر لمبايعتي كما انى متكدر من غيره من ولاة البلاد حتى رايته الان قد جاء بقومه ولا بد من ان ارقيه وأرفع منزلته وأغمره بالعطاء لان العرب ممن يجب ان يراعون لكثرتهم وشجاعتهم . وفيما هم على مثل ذلك واذا بعمر قد دخل عليه بكتاب اخيه ولما صار أمامه ونظر اليه ضحك منه حتى استلقى على قفاه وقد رأى من هيبته كل عجيبة ثم ساله عن غرضه فدفع اليه الكتاب وبحلق عينيه فيه وكشر على نابه حتى زاد منه تعجبا ثم فض الكتاب وقراه وعرف رموزه ومعناه فاضطرب في بعضه وارغى وازبد وقام وقعد وقال لعمر من هذا الذي يقال له حمزه وقد تجاسر وكتب مثل هذا الكتاب وهو بدوي لا اصل له ولا نسب ويريد ان يتعرض لي ويجعل لنفسه مقاما بين الناس فلابد لي من قتله مجازاة له على تعديه حيث دعاني بالكاب ودعا نفسه بالاسد . قال ان كنت لا تعرفه فسوف تعرفه اذا اجتمعت به في ساحة الميدان ورايت منه شدة باسه وخبرته بمعرفة الطعان ومن المقرر الثابت انه لا بد ان يقتلك ويرجع البلاد الى كسرى فا كتب له الجواب لاسير به اليه لانه قائم على الانتظار ان كنت تخرج اليه او تخافه فلا تخرج. فقال انه لا يستحق له عندي كتابا ولا بد ان اخرج اليه في الغد واقتله واقتل الملك النعمان وكل من جاء لاجل هذه الغاية واقيم حاكما على العرب من قبلي اختاره واصطفيه فاذهب وبلغه ان يلاقيني في الغد الى الساحة لاذهب بعمره وارى فرسان العرب والعجم وكل من يكون حاضرا ما يحل به وبكل من يجسر ان يلقاني في ميدان او يعصاني في شان . فخرج عمر من الديوان وهو يتعجب من قباحة منظر هذا الرجل وضخامة جسمه

وطول شعره وشعر عينيه وحاجبيه

ولما صار امام اخيه حمزه اخبره بما كان من امر خارتين وما راى مثله من قباحة المنظر مع انه كان يلبس تاجا كملك العجم . فقال حمزه لا بد لي من قتله في الغدا وما بعد الغد ونزع هذا التاج عن راسه وباتوا تلك الليلة على مثل تلك الحالة ينتظرون خروج الخيبريين الى ان كان الصباح وفيه نهض الامير حمزه من منامه وخرج من صيوانه فراى ابواب المدينه قد فتحت واخذت العساكر تخرج منها افواجا افواجا وتنتشر في تلك الارض وتضرب خيامها ودامت على ذلك طول النهار حتى سدت ذاك المكان وملاته من الشرق الى الغرب فانبهر الملك النعمان من كثرتها ووقعت الرعبة في ركبه وخاف من الفشل والخيبة والتشتيت . وقال للامير حمزه ان عساكر خارتين كثيرة ولا بد ان يقع الرعب في قلوب رجالنا منها وقد كان بفكرنا أن نستنجد الملك كسرى ونسأله أن يبعث الينا بالعساكر فخالفت ولم ترض والآن أرى شدة احتياجنا الى ذلك لان بغير الكثرة لا تغلب على هؤلاء العساكر . فقال له الامير حمزه انى كنت أحب ان لا تأتى أنت أيضا ولا أصحاب معى غير رجالى وانى أعرف انى أقدر اذا كبح بهم خارتين ورجاله وليس هو فقط بل أقدر أن أغلب بهم ملوك الارض قاطبة لانهم فرسان وأبطال خلقوا للحرب والقتال كل واحد منهم يلقى الالف والالفين والثلاثة الاف وان كنت قد وهمت من ذلك فارجع بقومك ودعنى أقضى الامر بنفسى فذاك أحب لدى وأفضل عندى وقد أخبرتك انى لا أحب أن أخلط عباد النيران بعباد الله ورجاله فلا يختلط العرب بالعجم ولاسيما انى لو جئت بعساكر العجم لبقى قدر العرب منحطا وظن رجال كسرى ان النصر كان بسبب مساعدتهم لنا وانضمامهم الينا وانى أعرف انك لا تزال موهوما وخائفا الى حين ترى بعينيك حالة الخيبريين وما يحل بهم وبقائدهم خارتين فسكت النعمان وأصبح ينتظر مايكون من أمر الامير حمزه والاعداء وراى ان كلامه بالصواب وان الفرس قوم معودون على الكبر والعظمة ينظرون على الدوام الى العرب بعين الذل والاحتقار ولا يسلمون قط بشجاعة احد منهم

قال وانقضى ذاك النهار دون حرب ولا نزال الى ان كان اليوم الثانى ضربت الطبول واسرعت الرجال من كل ناحية الى خيولها فاسرجتها واعتلت فوقها وتقدمت الى ساحة الميدان . وكانت العرب مترددة في امر الامير حمزه لا يترجح في عقلها انه يقدر على الاتيان بالمطلوب او يمكنه قتل خارتين ولذلك كانت قلوبها خائفة تنتظر أن ترى قتاله لتعرف عظم مقدرته لانها لم تكن شاهدته في حرب ولا في قتال واما الامير حمزه فجمع رجاله الاخصاء وقومه وامرهم ان ينقضوا في كل مكان ينقض هو فيه فيحمون ظهره ويقاتلون كقتاله وقال لهم اعلموا ان المعول في هذه المهمة عليكم والرجا بكم فاذا تأخرتم تأخروا جماعة

النعمان واذا تقدمتم تقدموا واشتدت ظهورهم فقال له اصفران الدربندي انى اعلم اننا نحن وحدنا نكفى لقتال هؤلاء الخيبريين مهما كانوا كثيرين ولا حاجة بالعرب وقوم النعمان وسوف ترى بعينك ما يكون لنا واذا شئت اسمح لى ان اقاتل هذا اليوم وحدى برجالى وعند اخر النهار تظهر الحقيقة ويعلم الملك النعمان ان اربعين من خدامك ورجالك لاقوا اربعمائة الف وعادوا منصورين ظافرين فمدحه حمزه وعرف انه يقدر على مايقول لعلمه ببسالته وشجعاته وبينما هو على مثل ذلك واذا بعساكر خارتين قد صاحت وهجمت هجمة واحدة واندفعت كانها السيول عند اشتداد الرياح فالتقتها العرب ملتقى اسود البطاح . واخذت معها بالمحاربة والكفاح . وحمل الامير حمزه البهلوان . بما اعطى من قوة القلب والجنان وبأقل من نصف ساعة اختلط الخيبريون بالعرب واشتد لهيب تلك الحرب واضطرب وعلا الصياح من كل فارس . وهمهم كل بطل مداعس . حتى خيل للرائى ان يوم القيامة قد حل . وان نذير السلامة قد انقرض واضمحل . فزهقت النفوس وقطعت الرؤس وعملت السيوف على تفريق الحتوف فقسمتها على الرجال وفرقتها على الابطال فاصبحوا اشار الضربات الاجال وعصفت فيهم رياح الاقدار . فذهبت بهم الى عالم الفناء والبوار وقصرت ما لهم من الاعمار وكان الامير حمزه راى ازدحام العساكر ففرح منه القلب وسر الخاطر وغاص فى بحار تلك الواقعة وانقض على الخيبريين انقضاض الصاعقة ومحقهم بصمصامته الماحقة وفرقهم تفريق الرياح اذا ضربت بالرماد وشردهم بين تلك البرارى والوهاد ومن خلفه اصفران الدربندى وبقية رجاله الاجواد يزأرون كأزأر الاساد وينتزعون الارواح من الاجساد ولما رأى النعمان حمزه وفعاله ورأت العرب حربه وشاهدت اعماله اشتدت ظهورها وثبت عندها انه بطل لا كالابطال وقيل لاتقاس به الاقيال ودامت الحرب على مثل تلك الحال . الى ان قرب الزوال فضربت طبول الانفصال ورجع حمزه برجاله والدماء تغطى جسده وهو كانه الليث الخارج من الغاب فتلقاه الملك النعمان بالاحضان وقبله ما بين عينيه وشكره كل الشكر واثنى عليه وقال له بالحقيقة انك فارس هذا الزمان ومنشىء شرف العربان فلله درك من فارس اوحد وبطل امجد فقال له حمزه انى اقاتل لاحياء شرف بنى جنسى وارتفاع مقامهم الى اوج الفخار وكان بودى ان اقضى الامر فى هذا النهار غير ان كثرة الاعداء خانتنى واحيت من امال الاعداء بطول البقاء ولاسيما انهم يعلقون امالهم بخارتين لعلمهم انه من افرس فرسان هذا الزمان فادام حيا لاتنقطع منهم الامال وعندى لو بارزته فى هذا النهار وقتلته لتفرق قومه وطلبوا البرارى والقفار فقال له النعمان انى ارى انه ليس فى برازك له من فائدة ومن الموافق ان تبقى الحرب على ماهى فلا تمضى الا أيام قليلة حتى تضعف شوكتهم ويقلون واذ ذاك يفر خارتين ويترك هذه الديار والا اذا حل بك امر او تغلب عليك انقلبت الحال علينا

وتفرقنا في كل قطر وسبسب فقال حمزه اني لا ازال اراك خائفا من خارتين وليكن مؤكدا عندك انه لم يبق من عمره غير هذه الليلة وفي اليوم الآتي يمسي تحت حوافر الخيل فكن مطمان البال فاني موعود من الخضر عليه السلام اني اكون متوفق الاعمال في كل الاحوال وافوز على كل عدو ومناضل وهذه اول مرة سلكت فيها سبل الفخار وطابت ميادين القتال فلا اظن اني اكبح واصاب بما تزعم ولا يمكن لمن وعدني بالسعادة ان يخاف وعده وحاشا الله من ذلك

وبات حمزه تلك الليلة ينتظر اليوم التالي وهو متيقن كل اليقين انه سيقتل خارتين وينهي امره دفعة واحدة ويري النعمان فعاله وما وصل اليه من الاقبال وقوة الباس وعند الصباح المنتظر نهض من فراشه الى سلاحه فافرغه عليه وخرج الى جواده فركبه وكان قومه قد جاؤا اخيولهم فركبوها وتقدموا امامه الى ساحة القتال بينما كان كل من العسكرين يتعدد ويتقدم على الترتيب والانتظام وقبل ان تم وقوف القوميز على ما اعتاد اليه تلك الازمنة عند القتال سقط الامير حمزه الى وسط الميدان كانه أسد من الاساد وهو مضيق الالثام على كتفه الرمح اللهذام وفي وسطه السيف الصمصام وعلى جسده من الحديد ما يثقل حمله على كل بطل همام

ثم انه صال وجال ولعب على أربعة أركان المجال حتى تحيرت منا عقول الرجال واندهشت من أعماله الفرسان والابطال وفيما هو على مثل تلك الحال صدمه خارتين صدمة تتمتع الجبال وهو كانه الغول في قباحة منظره وطول أظافره وشعره وقال لحمزه انت هو حمزه صاحب الكتاب الذي أرسل الي وأنت الذي يقال عنه انه سيقتل خارتين ويبدد رجاله قال نعم أنا هو الاسد وانت الكلب ومن المعروف الثابت عند الناس وفي العقول ان الاسد يبطش بالكلاب واي نسبة بين الاسد والكلب وفي هذا اليوم تنظر فرسان هذا الميدان ما يحل بك ويصل اليك اي يرون يوم مصرعك وانقضاء اجلك ويشاهدونك وانت مداس من جوادي بعد ان يسلك سيفي في جسمك مسلكا واسعا . فلعب الغيظ بقاب خارتين عند سماعه كلام حمزه وتمزقت احشاءه ولم يعرف بما يجيبه ولذلك امتشق حسامه وضرب به حمزه فالتقاه بقوة زنده وعظم مقدرته وشدة بأسه وأخذ معه في القتال والطعن بالرماح الطوال . والضرب بالسيوف الصقال وشخصت اليهما الابصار وأحدقت بهما أعين النظار وما فيهم الا من انتظر النهاية بينهما بقلة الاصطبار . وقد ملا فوقهما الغبار واجتمع عليهما بقوة البتار وسبح جوادهما بالعرق كما تسبح الاسماك بالابحار وهما تارة يفترقان وتارة يجتمعان كانهما جبلان يلتطمان أو أسدان يتناطحان ودامت بينهما الحال على مثل هذا الشان نحو خمس ساعات من الزمان وقد خافت العرب على حمزة من خارتين لما رأته كانه الجبل الراسي لا يتزعزع من مكانه وهو يهدر

كفحول الجمال وضربات تسبق نزول القضا ولعلمهم ان الامير حمزه صغير السن لم يحضر ميادين القتال ولا قاتل مثل هذه الابطال ودعت لله المتعال ان يخلصه من هذه الحال واذا بهم سمعوا صيحة عظيمة ارتجت منها السهول وجفلت الخيول ومالت اليها الانظار والعقول وكان الصائح الامير حمزه قد انحط على خصمه انحطاط الصواعق وضربه بتين عزمه بسيفه الماحق وقع على عاتقه الايمن فقطعه وخرج السيف من تحت ابطه الايسر فمال خارتين عن ظهر جواده كانه طود من الاطواد يختبط بدمه وقد ذهبت روحه من جسده وكانت عموم الفرسان تنظر الى تلك الضربة فلما رات العرب ان اميرها قتل خارتين فرحت غاية الفرح واملت الفوز والنجاح وثبت عند الملك النعمان ما كان يتردد في ثبوته ولذلك امر رجال العرب ان تحمل حملة واحدة لما راى الامير حمزة وقد خاض ذاك العباد واغمد بالفرسان سيفه القرضاب وبين يديه عمر كانه الشاب يدور حول جواده كالدولاب وحمل ايضا اصفران الدربندى والامير عقيل وباقي الثمانمائة فارس اخصاء الامير واشتبك القتال بين القومين وصاح على رؤسهما غراب البين وقصرت الاعمار وحل على الخيبريين الدمار وايقنوا بالهلاك والبوار وهم يقاتلون مدافعة عن الارواح قاطعين الرجاء من الفوز والنجاح وقد ظنوا انهم يلجئون الى المدينة للخلاص من قتال العرب غير انه قد خاب ظنهم حيث ان العجم من سكان المدينة كانوا ابانتظار النهاية حتى رأوا عن بعد وتأكدوا ان خارتين قد قتل فتجمعوا وحملوا السلاح ووقفوا عند الابواب لمنع الخيبريين من الدخول وعندما راوهم وقد اقبلوا صاحوا بهم ووضعوا فيهم السيف وقلوبهم محروقة من اعمالهم فوقعوا بين عدوين كل منهم يطلب هلاكهم وفناؤهم فلم يروا اوفق من الهرب والفرار . والبعد عن تلك الديار طمعا بالنجاة واملا بالحياة فشردوا يمينا وشمالا وانتشروا متفرقين ما بين عشرة وعشرين والامير حمزه يضرب فيهم وقد اشفى غليله واهلك قسما كبيرا ومثله كانت تفعل رجاله حتى ما جاء اخر النهار الا وهم بعيدون عن تلك الديار وقد امتلات الارض من قتلاهم وصبغت بأدميتهم تلك الساحة حتى لم يعد يرى وجه الارض وبعد ذلك اجتمع الامير حمزه بالنعمان فقبله ما بين الاعيان وشكره على فعله وقال له بالحقيقة انك فارس الزمان الاوحد وبطله الامجد وليس لك ثان وما شاهدته اليوم من قتالك وحربك ونزالك لم اره قط من غيرك ولا بد ان يحلك كسرى محل الاسياد العظام ويجعل لك عنده ارفع منزلة واعلى مقام فقال انى لا اطلب المنزلة لنفسي ولا اريد من كسرى الا ان يعترف بفضل العرب وبسالتهم لانى لا احتاج الى التفاته ما زلت قادرا ان انشىء الشرف لنفسي واقيم لي في صدر هذا الزمان مركزا حسنا فان لم يعترف كسرى بفضل العرب الزمته الى ذلك بقوة سيفي الاحدب وشدة بأسي وما اعطاني الله من قوة الجنان

ثم انه بعد ذلك جاء الامير حمزه الى نحو ابواب المدينة فتلقاه اهلها بالترحاب والاكرام

وقدموا له مزيد الاعتبار والاحترام وادخلوه المدينة بالفرح والسرور ونظر الامير الى اخيه عمر فوجده يحمل راس خارتين وكان عند نهاية القتال اسرع الى وسط الميدان وقطعه وجاء به فقال له لماذا هذا وما هو السبب الذي دعاك لحمله قال لا خفاك يا اخي انى اعلم انك لا بد ان تبعثنى الى كسرى لابشره بهذه البشارة فاذا كان معى الراس ورآه كان فرحه اعظم فحصل منه على انعام زائد واموال غزيرة مقابلة لمثل هذه البشارة ولا خفاك ان جماعتى من العيارين الذين اصطفيتهم لنفسي يحبون المال ودائما يسألونى دفع معيناتهم وانا حتى الآن لا مال عندى ولذلك اريد ان احصل على الاموال الغزيرة ولى ثقة كبرى بان من الآن وصاعدا يحصل لى كل ما اطلبه وارجوه بمساعدتك فوعده حمزة بكل جميل ودخل واياه المدينة ومعهما الملك النعمان وبعض الامراء ودخلوا قصر الملك كسرى وناموا به تلك الليلة وفى الصباح جاءوا الايوان وصعدوا عليه ونظر حمزة الى كثرة الاموال التى كان جمعها خارتين وابقاها فى الخزائن مع الاموال التى كان جاء بها من بلاده والتى نهبها فى اثناء اتيانه الى المدائن فاذا هى شيء كثير يكاد لا يحصاه العقل ويضيع عنده واذ ذاك قال له الملك النعمان ان هذا المال هو مالنا ولنا الحق بالتصرف فيه ومن الواجب ان نأخذه لانه من مال خارتين وقد قتلناه واصبح ماله مباحا لنا وما مانع يمنعنا عنه فقال حمزة هذا لا اوافق عليه ولا أريده فهو الآن فى قبضة الملك كسرى وصار ملكه لاننا نحن نقاتل عنه وله كل ما يقع بأيدينا فهو من ماله دون شك فان انعم علينا كان خيرا والا فاننا فى غنى عن ذلك الا لاظهر للفرس عفة نفوس العرب ولكى لا يقال عنهم انهم لصوص وطماعون فانتبه النعمان الى كلامه ووعاه وعرف ان الحق بيده وان الله قد جمع به كل خصائل حميدة وجمله باحسن الصفات وابهاها وبعد ذلك كتب الامير حمزة كتابا الى الملك كسرى يخبره به ما كان من امره وامر خارتين ودفعه الى اخيه عمر وقال له خذ هذا الكتاب واعجل به الى طهران وادخل على كسرى فادفعه اليه واقر منى السلام الى الوزير بزرجمهر واساله ان يرضى على ويدعو لى واخبره بانى مشتاق الى تقبيل اياديه ففرح عمر بهذه الرسالة وقال فى نفسه لا بد لى من ان أحصل فى هذه المرة على الاموال الغزيرة والانعامات الكثيرة وانال كل ما اتمناه واقدر بعد ذلك ان انعم على اصحابى والعيارين الذين اتخذتهم لنفسي وودع اخاه والملك النعمان وخرج فرحانا مسرورا وطول الطريق يفكر بما سيحصل عليه ويناله وكلما سار برهة يردد فى عقله مقدار ما يأخذه ومقدار ما يعطى الى ان وصل الى طهران وهى البلاد التى اقام فيها الملك كسرى كما تقدم معنا

قال وكان الوزير بزرجمهر بعد ان ودع الامير حمزة بقى سائرا الى ان وصل الى طهران وهو مسرور من الامير مؤكد بنجاحه ولما دخل على كسرى قال له بشرنى ايها الوزير النصوح العاقل الخبير قال قد جاء الامر على حسب ما تريد وان الفارس الذي نحن نرتجى منه نصرا قد

وجدناه فجاء الحيره ومنها سار الى المدائن مع الملك النعمان وفرسان العرب قال لقد اخطئته وكان من اللازم ان يأتي الينا ونجتمع به اولا ومن ثم نسيره بالعساكر لاني اخاف ان رجال العرب لا يأتون بالمطلوب ولاسيما ان قوم خارتين كثيرون واشداء قال بزرجمهر اني عرضت عليه ذلك فلم يقبل ولم يرضى ان يقاتل الا وحده مع جماعته وقال لي ما من حاجة لتنازل الملك الاكبر وازعاجه بمثل هذا الامر واني سانهي له الامر على حسب ما يريد ويختار . ففرح كسرى وقال لا بد لنا من مكافاته اذا تم لنا المطلوب وخلص لنا بلادنا فقال بختك ابن قرقيش ان العرب أجلاف ولا اظن انهم يأتون بالنصر واذا توفقوا الى ذلك لا نعود نقدر على مرضاتهم فيطمعون فينا ومن عمل هذا الامير حمزه يظهر ذلك لانه لا يريد ان تشترك معه في القتال لغاية خبيثة منه دلت عليها قرائن الاحوال فقال بزرجمهر لو كان كما تقول لما سعى في خدمتنا وجاء يقاتل عن بلادنا وأوطاننا وخاطر بنفسه من أجلنا ولاسيما انه يعرف بنفسه انه من رجال كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان وما اراد بذلك الا تخفيف الثقلة عن العجم وكيف كان الحال فهو يظهر طاعته ويرغب في خدمة دولتنا على انه من المقرر ان العرب هم عمالنا واننا عند الاقتضاء نطلب اليهم القتال معنا كباقي اتباعنا ولا يجب ان نظن بهم غير ما استحقوه ما زالوا مطيعين لنا مجيبين لاوامرنا فقال كسرى ان كان حمزه يقتل عدوي ويخلص لي بلادي يكون قد استحق ليس فقط المدح والثناء بل الانعام وعلو المرتبة وسوف اكافئه على عمله هذا بكل جميل واحسان وكان بختك كما تقدم ردي القلب حاسد لا يرضى غير مصلحته فكدره كلام بزرجمهر واضمر الشر للامير حمزه عند سنوح الفرصة وترك ذلك الى وقته

وبقي كسرى في طيسفون ينتظر خبرا من قبل حمزه ويرغب في ان يعرف ماذا جرى على بلاده وعلى خارتين فيها ومضى عليه مدة أيام الى ان وصل عمر العيار بكتاب اخيه فدخل المدينة وجاء الديوان وهو محتبك باعيان المدينة ووزراء كسرى وكلهم من حواليه وهو في وسطهم ولما رآه عمر اراد ان يسبق بالبشاره مكتوب أخيه فصاح وهو في الباب بصوت استدعى انتباه الملك والجميع ومالوا باعناقهم اليه وقال ابشر ايها الملك العظيم والسيد الجسيم الذي ملكت العرب والعجم واتصل حكمك الى كثير من الامم ان عدوك خارتين قتله فارس هذا الزمان وزهرة الفخر وعلو الشان من ذل بين يديه كل جبار عنيد وفارس صنديد الذي تفخر الملوك اذا تشرفت بلثم يديه ورضيت السعاده ان تكون على الدوام حواليه وهو الامير حمزة العرب وتاج المجد والنسب وقد اعاد البلاد اليك ورد ملكك عليك . وقد بعثني لابشرك بذلك واشرح لك ما لحق باعدائك من المهالك . وها لك رأس خارتين . صاحب حصن خيبر اللعين . ثم ان عمر رمى بالرأس في الوسط وهو على هيئته الكئيبة فجفل منه الجميع وقد انبهر كسرى مما سمع ولم يعد يعرف بماذا يجيب وصاح صياح الفرح وصفق بيديه وقال لوزيره

بزرجمهر لقد تم وعدك ايها الصادق الامين وانتهى ما اشرت اليه وعادت بلادي الي ولم يفتني ما كنت ارجوه ثم قام ودنا من الرأس ورفسه برجله وقال هذا راس الكلب الذي رأيته في حلمي قد قتل من الذي اعاد الي الوزه . وبعد ذلك تقدم عمرو سلم الكتاب الى الملك كسرى فدفعه الى وزيره بزرجمهر ليقرأه عليه فقرأه واذا به

﴿ من الامير حمزه عابد الرحمان * ومبيد اهل الكفر والطغيان * ورافع شرف العربان * الى الملك كسرى انوشروان * صاحب التاج والايوان ﴾

انى لما كنت قد ربيت على نعمتك ونشأت تحت عنايتك وهمتك وكان من الواجب على خدمتك والقتال عن بلادك والدفاع عن حصونك وتاجك كي لا يطمع عدويك ولهذا السبب سرت بامر وزيرك بزرجمهر الى المدائن والتقيت بعدوك الخبيث خارتين فبارزته في الميدان وبساعات قليلة انهيت امره وبددت شمل رجاله وفرقتهم في كل قطر وواد لا يعرفون في طريقهم يمينهم من شمالهم حتى اذا كان المساء دخلت المدينة محفوفا بالنصر المجيد وقد أجليت الاعداء عنها تاركين اموالهم وغنائمهم ولم يأخذوا معهم غير ارواحهم وهم غير امنين عليها اعداء عن الذين قتلوا وملئت الارض من جثثهم وقد بعثت اليك مع عياري عمر وهو ايضا من رجالك رأس خارتين لتدوسه رجلك وتتحقق موته وانى باق في المدينة على انتظارك حتى تأتي وتستلم كرسيك وأموال عدوك فانها باقية على ما هي لم يمد احد اليها ابدا ولا زالت عساكر العرب قائمة خارج البلد لم تدخل قط الا اذا أمرتها أنت والسلام مني اليك

فلما سمع الملك كسرى مآل الكتاب فرح بالامير حمزة وقال لقومه لا بد لنا من الذهاب والرجوع الى المدائن لنشاهد الامير حمزة وننعم عليه هناك ونكافئه على معروفه بما استحقه فعله هذا ثم ان كسرى قال لوزيره بزرجمهر اخبر عمر هذا العيار الذي جاءنا بالبشارة ان لا مال له عندي هنا لاعطيه وانعم عليه مكافأة على بشارته اياي ولكن عند عودي الى المدينة ازيد من عطاه واغمره بالاموال وكان عمر قائما على الانتظار وان يسمع امر كسرى بدفع البشارة له الى ان بلغه الوزير كلامه فتكدر من ذلك وخاف ان يذهب تعبه بلا جدوى ولا نتيجة ولا يناله بارة الفرد الا ان الوزير طمنه ووعده بكل جميل واحسان واكد له ان يحمل كسرى على الانعام عليه عند وصوله الى خزينته . وبعد ذلك امر كسرى عمر ان يسير مع الوزير بزرجمهر امامه وكتب كتابا الى حمزه يقول له فيه انه آت اليه على اثر وزيره وانه لا تمضي أيام الا ويكون في المدينة . وابدى منه كل مسرة وحبور ووعده بكل جميل عند وصوله اليه . ومن ثم أمر الوزير ان يركب الى المدائن وقال له سر امامي الى المدائن واقرئ حمزه مني السلام واخبره اني بعد أيام اكون عنده بحيث تسير بين يدي عيالي واعياني الذين جاؤا معي وحال وصولك احتفل

با كرامه واحسن معاملته وقم بكل ما يليق بشانه فاجاب الوزير امر سيده وركب وسار الى المدائن وبين يديه عمر وهو يقول له انى اخاف ان يصل كسرى الى المدائن وينسى اذ يدفع لى اجرة سيرى اليه وبشارتى له فيضيع تعبي سدى ولا بدلى عند وصولى الى جماعتى يطالبونى بنصيبهم من انعام كسرى فاذا قلت لهم انه لم يعطنى شيء يضحكون منى ولا يصدقون ان خزينة طهران فارغة لا مال فيها

فقال له كن براحة وانه لا يضيع عليك شارتك لو شاء ان يعطيك قليلا لامكنه ان ياخذ من خزينة إيران او من أمواله الخاصة غير انه يعرف ان مثل هذه البشارة تحتاج لاموال تعادلها فاخر ذلك الى حين وصوله الى بلاده وكرسيه وحكمه فيزيد من عطائك ويجعلك راضيا منه وليس كسرى ببخيل ليمنع عنك امواله قال انى أخاف ان يكون ساذج القلب فيلعب به الوزير بختك ويمنعه عن غاية يريدها . قال هذا فيه صحيح وقد يلعب فيه الوزير بختك بحسب مشتهاه عندما يخلو له الجو وهو يظنه أمينا على مصلحته ولا يعلم ماهو عليه من رداءة الاعمال وخباثة الافكار وتركيب اساليب الخداع والكذب الذى لا طائل تحته غير ان كسرى يركن لى ويعرف منى امانتى له فاذا منعه بختك عن ان يدفع اجرة بشارتك جملته ان يعطيك قياما بوعده فكن مستريحا وداما على المسير وبزرجمهر يشتاق ان يصل الى المدينة ويرى الامير حمزه ليهنئه بهذا النصر المجيد ويبشره بحسن الاستقبال وبالسعادة حتى وصلا اليها ودخلها

قال وكان الامير حمزه بعد مسير أخيه عمر أقام بين رجاله خارج البلد فيدخل مع الملك النعمان الى المدينة يقيم فيها ساعات ليتفرج عليها او يقيم فى ديوانها ثم يعود الى بين رجاله وقد أمن المدينة واعاد اليها الراحة والسلام وجمع كل اموال خارتين وما تركه الى الخزينة والى مخزن المملكة لم يترك احد يديه الى حاجة تساوى باره كى يعرف كسرى ان العرب كرام النفوس لا كما يظنون بهم من البربره والدناءه

وفى ذات يوم وهو اليوم الذى جاء به بزرجمهر دخل حمزه ومعه الملك النعمان واصفران الدربندى والامير عقيل الى ديوان كسرى فوجدوا كرسيه يتلألأ كلمعان البرق لعظم ماعليها مـن الجواهر وهى من الذهب الخاص منقوشة بالنقش المختلف من صنعة الفرس . فقال الملك النعمان للامير حمزه ارتفع الى هذا الكرسى واجلس عليه فانت على استحقاق من ذلك . قال لا اطمع نفسى ان اجلس على هـذا الكرسى ذات يوم ولا أريد أن أشغل نفسى عن خـدمة أبناء جنسى والقيـام بينهم غير انى اجلس على سبيل التجربة فقط . لارى كيف يكون حال الجالس عليه . ثم انه نهض بخفة وسرعـة الى الكرسى وجلس عليه فغرق الى وسطـه لانها كانت مشددة بالمخمل الثمـين محشوة

بريش النعام الابيض فانسر وشعر بليونة وقال النعمان هنيئا لكسرى فانه يتنعم بجلوسه على كرسيه الناعم . فقال له النعمان انى اريد ان اسألك امرا فهل ترضاه وتقبل به والا ترجعنى عنه وتحرمنى منه قال انى لا امنعه من امر تريده وذمة العرب فامرنى بما تشاء قال انى اريد منك ان تجرب التاج على رأسك لارى فى جلوسك على هذا الكرسى كم تزيد على كسرى بهاء وعظمة وكم يوجد فرق بينك وبينه . فقال له انى كنت لا احب ان اجرب بمثل هذا الامر كون لا يلبس التاج الا من دخل خطة الملوك وانا لا احق لى بالدخول فى هذا الباب وما أنا الا بدوى ابن أمير اقيم على قبيلة صغيرة حقيرة غير انى لا اريد ان احرمك من امر تريده فاجيبك الى سؤالك قال اننا جميعا نعترف بشرفك وعلو حسبك ونسبك فما انت الا بن امير مكة المكرمة أعلى العرب شرفا واكرمهم أما وأبا وأما الملوك الادون فكم فى المرتبة والمنزلة وعلاوة على ذلك فان سيفك سينتصب حكما فى زمانك فتخضع له الملوك وتذل له السادات العظام وبعد قليل من الوقت يعترف لك اكبر ملوك العالم وهو كسرى انو شروان صاحب التاج والايوان الذى كان سبب رجوعه الى كرسيه أنت ولولاك لما عاد ثانية الى بلاده ولا فرح بان رأى التاج على رأسه بل بقى مطرودا مهانا وانتهت هذه الدولة به

وفى الحال دعا النعمان ببعض خدمة الايوان وأمره ان يأتى بتاج من تيجان كسرى الذى كان يلبسه خارتين فأتى به وهو مرصع بالجواهر الكريمة وكل حجر كالكوكب يضىء ويلمع وكان كسرى قد أصحب هذا التاج الكبير الذى يلبسه وقت الاعياد والزين وفى الاحتفالات الرسمية وهو يثمن بثمن يساوى بلاد كسرى باجمعها اقيمه وباقى ماله من التيجان فى قصره . فلبس الامير حمزة التاج على رأسه فزاد بهاء وكان جميل الصورة أبيض الوجه ناعم الخد مورد أشقر الشاربين صغيرهما لان الشعر قد بدا يخط فى وجهه فانبهر النعمان منه وقال له انه يليق بك واليق من كسرى مهابة وفيما الامير حمزة على مثل ذلك مع الملك النعمان واذا بالوزير بزرجمهر قد دخل ورأى الامير حمزة على تلك الحالة فهجم عليه واحتضنه وقال له لم أر ابهى منظرا ولا أجمل بحياتى من هذا المنظر البهيج فنزع حالا التاج عن رأسه وقال لا تؤاخذنى ياسيدى فانى فعلت ذلك تجربة بطلب الملك النعمان . قال لا بأس منه فانت ابهى من كسرى واليق منه تحته على كرسيه ولا بد أن تنظر كيف الدهر أوصلك الى أن تجلس على مثل هذا التخت ثم تتخلى عنه لصاحبه الذى وجوده عليه يكون منك وبك . ثم سلم النعمان على الوزير وقبل حمزة يده فشكره الوزير على كل ما فعل وبلغه رسالة كسرى ووعده انه ات على اثره لاجل ان يراه ويقدم له مديحه ويشكره ثم ساله اذا كان أكرم قومه من مال خارتين قال كلا ياسيدى فانى لم ادع احد عديدا الى عقال واحد لان المال وكل الاسلاب حفظت تحت خاطر كسرى انوشروان فان شاء

وهب منها شيء وان شاء اخذها لنفسه فانحن ممن يطمع باموال ولا نريد ان نخرج عن طرق الاداب قال بزرجمهر وهو يتعجب من حسن صفاته وكرامة ذاته لقد أصبت يا ولدي غير ان كسرى لا يفكر بهذا الامر ويعرف أن هذا المال اغتنمتوه من سيوفكم فهو من حقكم ومامن معترض عليه وفيه ولا بدله عند اتيانه الى هذه المدينه ان يكافئكم ويقسم عليك غنائمكم ويجازيك على جميلك ومعروفك ومفاداتك بنفسك لاجل بلاده وهو عارفا كيدا انك تحسب من رجاله ولك الحق عليه والقيام بنعمته

ثم ان بزرجمهر عمل لهم وليمة فاخرة وأكرمهم غاية الاكرام الى أن قرب مجيء كسرى فسال النعمان الامير حمزة ان تقيموا في الخيام حتى اذا جاؤا الايرونه بل يكونوا في معسكرهم فيدعونهم اليه او ياتي هو بنفسه اذا عرف حق الجميل فاستحسن الامير حمزة ذلك وخرج مع النعمان الى خيامهم واقاموا فيها مسرورين بتقدم العرب واجتماعهم بكسرى بعد قليل وفي اليوم التالي لمجيئهم تقدمت الاخبار بقدوم كسرى فخرجت الرجال من سكان المدينه والنساء وكل انسان لملاقاة ملكهم ولتهنئته بعودته سالما الى بلاده بعد ان سار مطرودا عنها قاطعا الرجاء من النجاح فيها ولما التقوا به أظهروا كل فرحهم وأبدوا له من حسن الملتقى ما يستدعيه ذاك المقام وأعادوا عليه كل ما كان من أمر خارتين أثناء تملكه على البلاد وبعد ان دخل المدينة وجلس على كرسيه في ديوانه وحوله الوزراء والاعيان سال عن الامير حمزة فقال له بزرجمهر انه لم يدخل المدينة الا عدة مرات فقط دون ان يراه احد من قومك بل كان ياتي هذا الديوان وهو خال من الحكام فيتفرج عليه ومن ثم يعود. قال ولماذلك قال انه لم يقبل مفارقة قومه ولا رضي ان يتناول واحدة من أموال خارتين بل أبقاها كلها في الخزائن الى حين مجيئك لتراها كما هي وماذلك الا من عزة نفس العرب وعفة جانبهم فضحك بختك من كلامه وقال من اين العرب مثل هذه اللغة وهم مشهورون بالسلب والنهب والسبي يعيشون من السرقات والشحاذة لا يعرفون غير ذلك فقال له بزرجمهر ان عملهم لا يحسب من قبيل السرقة اذ غار بعضهم على البعض واكتسب ماله بقوة السيف على ان حفظ الزمام والمروءة عندهم فلا يضيعون حرمة الجار ولا يتعدون الا على العدو ويحسنون اكرام الضيوف الى غير ذلك ولنا شاهد عمل الامير حمزة وقومه واني أعرف اكيدا انه لو أخذ مال خارتين بل مال المدينة باجمعه لما غاظ ذلك سيدي الملك بل كان يسر منه لعلمه انه له الفضل الاكبر والمعروف الذي يكافي باعظم الاشياء واثمنها

وفيما هم مثل ذلك واذا بالامير عمر العيار قد دخل الديوان لانه كان قد عرف بقدوم كسرى فصبر عليه الى ان استقر به المقام واجتمع في ديوانه فلبس ثوبا أسود قصيرا ضيق الصدر والاكمام واسع الوسط علق به على دائرة من الاجراس شيئا كثيرا ولبس على رأسه

قبعة طويلة معلق بها كثير من الاجراس أيضا وفي وسطه منطقة من الجلد الاحمر المنقوش بالنقش الرفيع وسار الى ان جاء الديوان فلما رآه كسرى عرفه حق المعرفة انه الامير عمر فنظر اليه وإذا به رآه قد قفز الى سلسلة معلقة في باب الديوان وقلب من فوقها ثم رمى بنفسه الى الارض وسلم على كسرى فرد عليه السلام ومن ثم عاد فقفز الى نافذة عالية في حائط الايوان ورجع عائدا الى الارض وهو يقلب بالهواء ويلعب العابا عجيبة مضحكة حتى ضحك منه الملك كسرى وجميع الموجودين

وبعد ذلك قال له الوزير بزرجمهر قد كفى يا عمر فقد سر منك حضرة الملك وعجب من أعمالك وقال انى اريد أن يفي لي بوعده فانه ممن وفى وانى ممن وفى له ولا اريد ان أضيع حقا وعدني به. قال كسرى ماذا يقول فحكى له بزرجمهر عن كلام عمر فقال له لقد اصاب فاني وعدته بذلك ولا بد من القيام بالوعد لان له علينا ثمن البشارة وأمر ان يدفع له الف دينار فبلغه الوزير فضحك منه وقال له هذا المبلغ لا يكفي في جنب عذابي الى طهران ودركفى وراء نواله ولا سيما وان لي جماعة يبلغ عددهم أربعون عيارا فماذا ياترى ينال الواحد منهم فشرح الوزير لكسرى كلامه فضحك منه وامر له بعشرة الاف دينار فاخذها وودع الوزير وكسرى وقفز من نافذة من أعلى الايوان الى الارض وانطلق من هناك والجميع يتعجبون من خفة عمله وسرعة جريه وعياقته وبقي سائرا الى ان دخل بين معسكرهم ووصل الى اصحابه فقال لهم اتبعوني فقد جئتكم بالمطلوب وسينال كل واحد منكم قسمه وسار الى أمامهم فانطلقوا حواليه حتى جاء أكمة صغيرة فصعد عليها وابقى جماعته في اسفلها فجعل ينثر الذهب من فوق فيقع الى الاسفل فيزدحمون عليه ويتضاربون لالتقاطه وهو يضحك الضحك الشديد مسرورا من عمله هذا الى ان فرغ الذهب من يده فحزن جدا على فراغه وتمنى بان يكون باق معه شيء ينثره ثم نزل عن الاكمة وسار وسار جماعة من خلفه وما منهم الا من اصابه المال الكثير الا هو فقد رجع صفر اليدين ولما دخل بين الخيام جاء الى اخيه فسأله عن سبب غيابه فحكى له ما كان منه عند كسرى وكيف انعم عليه بعشرة الاف دينار فتكدر الامير حمزة من ذلك وقال له ما هذا العمل فانه مهين بشأن العرب ويظن العجم اننا شحاذون نقصد اخذ المال منهم بالخداع والحيلة وهذا امر لا يرضيني فاياك من العود اليه ثانيا وعندي ان تذهب بالمال الى الوزير بزرجمهر وتخبره ان يعيده الى كسرى فاننا في غنى عنه وما من حاجة لنا فيه لانه لم يكن على سبيل الانعام عليك منه بل أنت طلبته على سبيل السؤال منه. قال لم يبقى معي من الذهب ولا واحد قال اين ذهبت به قال انفقته في سبيله. ثم حكى له ما كان منه ومن أصحابه فضحك حمزة وتركه واوصاه ان لا يعود ثانية الى مثل هذا العمل

فهذا ما كان من الامير حمزة وأما ما كان من كسرى انوشروان فانه اقام في المدينة الى

اليوم التالى بقصد الراحة وفيه خرج من قصر منامته وصعد ايوانه العالى ودخل الديوان وجلس فى صدره على كرسيه المرصع وجاء ارباب مجلسه كل على رتبته واذذاك قال لبزرجمهر انى لا اريد ان اصبر ايها الوزير الامين عن مشاهدة الامير حمزة أكثر مما صبرت واريدك ان تذهب اليه الان وتدعوه عن لسانى ان يأتى الى لاراه واقيم بما هو لائق به وبشانه فاجاب الوزير أمر سيده وخرج بالزينة الفاخرة واصحب معه جماعة من أعيان بلاده وجاء خيام الامير حمزه فخرج اليه ولاقاه وقبل يديه وسلم عليه ودخل واياه صيوان الملك النعمان فترحب بهما وجلسا عنده واذذاك بلغ الوزير الامير حمزه دعوة كسرى وانه بعثه اليه ليأتيه به. فقال له حمزه انى لا اضيع لك تعبا ومن الواجب ان اسير بخدمتك الى ديوان الملك كسرى حتى اراه واسلم عليه. فقال الملك النعمان ان ذلك لا يوافق وقد يحصل منه سبب وربما تخرب لاجله المدائن ويقع مما ليس فى الحساب فقال حمزه وكيف ذلك . قال اعلم ان العجم متكبرون لا يعاملون العرب الا معاملة الهزء والسخرية فاذا دخلنا المدينة على مثل دعوة الملك اواذا جلسنا فى ديوانه فلا بد من احدهم يضحك علينا ومنا وانى أعرف ذلك وقد وقع معى مرارا فاصبر عليه حتى ان صغيرهم كان يضحك على كانى موضوع للهزء الا انك اذا شاهدت انت ذلك وقع عليك او على احد اتباعك لا تصبر عليه فتلتزم الى اشهار السلاح ويقع بيننا وبين الاعجام ما يكدرنا ويغيظنا ويغيظ الملك ايضا فاذ شاء الملك كسرى ومنع قومه من استعمال هذه العادة التى اعتادوا عليها ومن تجاسر عليها قتلناه فلا يطالبنا احد بدمه دخلنا والا فاننا لا نرى كسرى ولا مواجهته وقد حان الزمان الموافق لقيام شرفنا ومنع ذلنا من هذه الطائفة التى احترقت عباد الله وكرمت عباد النيران من ابناء جنسهم. فسلم له بزرجمهر بذلك وقال له لقد اصبت به ومن الواجب ان تسعوا فى كل ما به راحة العرب ورفع شانهم. فقال الامير حمزه لما كنت تعرف ياسيدى فلما اتيت الينا وقبل ان تقرر هذه الحالة. قال ان مولاى الملك امرنى ولا اقدر على مخالفة امره والا فيغضب منى وحيث قد ابديتم ذلك فانى ابلغه اياه

ومن ثم رجع الوزير عائدا الى المدينة فدخلها وقدم الى كسرى فساله عن الامير حمزه فاخبره كل ما كان من امره وامر النعمان وقال له ان هذا الامير حر الضمير لا يقدر ان يصبر على اهانته فاذا رأى سببا يحط من شرفه جرد سيفه وفعل العجائب فى من اهانه وبذلك اخاف من ان يبدو من قومنا سوء معاملة بحقه فيلتزم الى نقص محبتنا ومن ثم تنقلب بيننا وبينه الاحوال فيكون عدوا لنا بعد ان كان صديقنا وتلتزم عوضا ان نعامله بالاكرام ان نمنع شره. فقال الملك كسرى لقد اصاب فى هذا فاذا وقع من احد فى حقه ما يغيظه جازيته بالقتل ولذلك اريد منك ان تبعث مناديا

ينادي بكل اسواق المدينة وشوارعها ان من لا يبدي الاستحسان من أعمال الامير حمزة او احد أتباعه او من يظهر سوء آداب او ضحك من قبيل الهزء والاستخفاف يكون دمه مباح فاذا لم يقتله حمزة يقتله الملك ففعل بزرجمهر كل ما أوصاه به الملك حتى بلغ الخبر الكبير والصغير وبعد ان انتهى من كل هذه الامور بعث الوزير يرسله الى الملك النعمان والامير حمزة يخبرهما بما كان من امر كسرى وكيف نشر اعلانه بكل المدينة ولذلك ما من باس من أتيانهما الى داخل المدينة اجابة لدعوة كسرى انوشروان

وشاع في كل البلدان الامير حمزه سيدخل المدينة باحتفال مع رجاله لاجل دعوة الملك فجاءت الناس افواجا نساء ورجالا وما ذلك الا كون المنادى كان وسيلة لتشويقهم الى الفرجة في تلك المرة مع انه دخل قبل ذلك دون ان يفكر احدا بالاتيان اليه الا الاعيان فقط ولا سيما في تلك المرة لما رأوا ان الملك قد بعث وزيره بختك ليلاقي الامير عند ابواب المدينة وهو بالملابس الرسمية المذهبة ومعه جماعة من ديوان الملك وان نصف العساكر على الطرقات وهي على غاية الانتظام والاحتشام كل ذلك بتدبير الوزير بزرجمهر ليعرف الخاص والعام محبة كسرى للامير وقد بين له ان كل ما عمله معه ليعادل عمله وهو بارجاع بلاده اليه

فلما بلغ النعمان والامير حمزة كلام الوزير نهضا وركب كل منهما جواده واخذ اتباعه وركب اصفران الدربندي والامير عقيل ووزراء النعمان وامراء القبائل الذين كانوا معه في محاربة خارتين وتقدموا الى ابواب المدينة وعند دخولهم وجدوا تلك الزينة والابهة فانبهر حمزة وقال للنعمان لما كل هذا الشيء فما من موجب له فان كسرى يريد ان يفرج الناس علينا كاننا العوبة ومن الموفق ان ندخل دون ان يعلم بنا احد قال هذا مما يزيد في عظمتك ويظهر حب الملك لك لانه يريد ان يلاقيك ملاقاة الملوك الكبار وها قد بعث وزيره الاكبر بختك لملاقاتك قال هل عند كسرى وزير مقدم غير بزرجمهر. قال عنده وزير اخر اسمه بختك وهو الذي ستراه الان غير انه يبغض العرب جدا ويتمنى لهم الهلاك والقلعان ولولا وجود بزرجمهر عند كسرى لكان همي منذ زمان بهلاكنا. قال اذا لا بد من كبحه واذلاله واريد كيف يبغض العرب وفي تلك الاثناء وصلوا الى امام الوزير فترجل النعمان وترجل الوزير وسلما على بعضهما ففعل الامير حمزه كذلك وكان بختك متكدرا من هذه الحالة كل التكدير ولم يسبق له ان اضحك بوجه النعمان مرة واحدة فكيف هذه المرة اجبر بامر سيده ان يبدي للعرب الاتين كل اعتبار واحترام الا انه كان قد اضمر الشر في المستقبل للامير حمزة. ومع ان طالع الامير كان محبوبا وكل من يراه يسر منه ويعشقه اولا لجماله وثانيا لشجاعته وكان بختك بعكس

ذلك فانه حالما وقع نظره عليه جفل قلبه منه وزادله بغضا ولم يريدامن السعي في هلاكه وكان ذلك منه مزية اعتادعليها اوجدتها به دواعي الحسد الخبيث وبعدان سلم كل من النعمان ومن معه على الوزير بالاشارة لانه كان لا يعرف باللغة العربية وهم لا يعرفون الفارسية مشوا جميعا الى جهة الايوان والناس تزدحم من اليمين والشمال والنساء قد تسلقن السطوح وصعدن على الجدران يتفرجون على الامير حمزة الذي خلص بلادهم وكيف ان ملكهم ادخله بالزينة والعظمة

قال وكان من العادة ان لا يدخل احد على كسرى وهو في ديوانه لابسا سلاحا بل من الواجب عليه ان ينزع سلاحه في الخارج ويبقيه عند الحجاب الى حين خروجه اعتبار الملك وحرصا على حياته من ان يغدر به احد من اصحاب الغايات والمفاسد او يحصل من ذلك خلل في ناموسه وشرف عظمته . فعندما وصل حمزة الى باب الديوان اراد ان يدخل بسلاحه فمد الوزير بختك يده لينزع منه السيف دون ان يكلمه فجفل الامير من ذلك وامتنع عن تسليم السيف وقال في باله لا بد من ان تكون غاية الفرس رديئة يريدون ان ياخذوا سلاحنا ليبطشوا بنا وقد اخبرني النعمان باحتقارهم العرب ثم مد بختك يده ثانية ليأخذ السيف واشار اليه ان يسلمه اياه فزاد حنق الامير وتكدر من عمله وصاح اني لا اسلم سيفي لاحد قط ثم رفع يده وضرب الوزير كفا على صفحة خده من قلب محروق منه سمع له صوت وعوى بختك كما تعوي الكلاب ووقعت اضراسه واسنانه وسال الدم من فمه وتالم جدا وفي الحال وضع بختك يديه على خده ودخل متألما متوجعا . واما الامير حمزه فانه صاح في الحجاب وقال كل من يدنو منكم الي اعدمته الحياة وتركته ممددا على الارض ونظر الى الملك النعمان فراه قد نزع سيفه فصاح به وقال له البس سيفك فلا تنزعه فان الفرس يقصدون لنا شرا فقال له ان هذه من العوائد عندهم ان لا يدخل احد بسيفه وسلاحه الى بين يدي الملك قال انا لا اعرف هذه العادة ولا بيني وبين كسرى شرط عليها فان اعجبه ان ادخل بسيفي دخلت والا رجعت من حيث اتيت وسمع كسرى من الداخل الصياح وراى وزيره بختك على تلك الحالة فانبهر وخاف ان يكون احد اغاظ الامير فسال عن الخبر فقيل له ان حمزة لا يدخل الا بسيفه وقد اراد الوزير نزع السيف منه فضربه على وجهه صفعة كادت تعدمه الحياة وقد ذهبت بثاث عمره واضاعت منه اسنانه فالتفت الى وزيره بزرجمهر وقال له اسرع الى الامير وادخله بسلاحه ومن معه فامن خوف منهم والا اوقع بالعساكر وجرى بينه وبين العجم امر مكدر فجاء الوزير الى خارج الايوان فوجد حمزة عند الباب والناس قد تفرقوا من حواليه وخافوا منه كل الخوف فدنا الوزير وقال له ادخل يا حمزة بسيفك ولا تلم احدا سواي لاني نسيت ان اخبرك بذلك او اخذ الاذن لك بالدخول فلا يعترضك احد . قال انا لا افارق سيفي قط ولو وقع الشرط بيني وبينكم منذ الاول ما دخلت هذه البلاد وما اخذ

السلاح الا دليل سوء على الظن وان قصد الملك او رجاله ان يجردونا من سلاحنا ثم يهجموا علينا فيقتلونا . فسكه الوزير من يده وادخله وهو يقول له حسنا جاريت بختك فهو يستحق أكثر من ذلك . فقال له اكديا سيدي انه حالما وقعت عيني عليه جفل قلبي منه وكنت اريد ان اقتله في الحال غير اني عرفت ان كسرى يحبه وقدمه عليك فلم ارض ان اغيظه لكن لا بد من قتله

ولما دخل على كسرى وشاهده وهو على تلك الهيئة والجمال وقعت محبته في قلبه وصبر عليه الى ان قرب منه وقبل يديه فنزل قليلا عن عرشه وقبله وشكره على فعله وامر ان يقدم له كرسي الى جانبه فجلس وهو مسرور من معاملة كسرى ثم التفت الى يمينه فرأى الوزير بختك جالسا وقد ربط حنكه بمنديل وقد سكن وورم فعرف انه لا بد ان يكون متكدرا منه غير انه لم يبد امرا ولا اعتذر اليه بل اعرض عنه الى الملك كسرى وقال له لا تؤاخذني ياسيدي حيث قد ضربت الوزير بختك لانه قصد ان ينفذ عظمته في وأراد ان يجعلني ذليلا حتى تصورت ان نيتك على غير سليمة ومرادكم اخذ سلاحي لتتواقعوا بي وهذا الامر اجهله اولیس معروف عندنا نحن العرب وقد رای مجازاته على سوء تدبيره لانه كان من اللازم ان يدخل عليك ويستأذن لي منك كما ذنت لي مع وزيرك بزرجمهر ومن المعلوم عندك اني لا احب ان ادع احد يتعدى علي لاني ربيت على نعمتك وقبل ان خلقت دعيت من رجالك فالداعي يا ترى لاهانتي فقال له كسرى لا باس ايها الامير اذا غلط وزيري واخطأ فهو محب لك لا يقصد اهانتك ولا بد من اصلاح الامر بينك وبينه فلم يبد بختك ولا كلمة بل بقي صابرا على دهره ينتظر سنوح الفرص لينتقم من الامير حمزة ويجعل عليه اخذ ثاره . ومن ثم قدم الامير حمزة وجماعته الشراب واستعاد الملك كسرى منه حديث حربه مع خارتين وكيف قتله فاعاده عليه ذلك الى ان مضى قسم من النهار

ثم ان كسرى سال الامير حمزه اذا كان يرغب في الاكل يتقدم لهم موائد الطعام فقال له . نعم اني جائع وكذلك جماعتي واريد ان ابقى بقية النهار الى المساء هنا فامر في الحال ان تمد الموائد للغذاء ودعي الامير حمزة وجماعته واعيان الفرس والملك كسرى لياكلوا على تلك الموائد فنهضوا اليه ونظر الامير حمزه الى ما على المائدة فوجدوا صحونا من الذهب تضيء مثل الكوكب وهي تلمع وعليها من المآكل الفاخرة مالم يذقه قط من طيور مقمرة بالسمن محشوة بالسنوبر ودجاج وغير ذلك من الهكارج ولحومات والكبيبات وكلها موضوعة بتلك الصحون وعند كل صحن فوطه من الحرير المزركش ومعلقة وشوكه من الذهب بما تاكله اهل الحضاره ولدى جلوس الاعجام على المائده اخذ كل واحد منهم معلقة وشوكة وبدأ بالاكل وبقي حمزه جالسا لم يمد يده الى المائده فطلب كسرى من بزرجمهر ان يسأله لما لا يا كل فسأله فقال له اني ربيت على

عادة العرب ولا اريد ان اكل بغير عادتي وانتم تاكلون هنا بالواسطة ان تجعلون بين يديكم وفكم واسطة نحن لا نحب الواسطة وعندي اذا شئتم اكلنا بايدينا دون ان يظهر مكدر منكم عند اكلنا والا فاننا لا ناكل معكم قط فبلغ الوزير كسرى كلامه فقال له لا باس فاني اعرف ان البدو ياكلون بايديهم وهذا امر اعتادوا عليه وهو من الامور التي لا يلتفت اليها وكل انسان ياكل بحسب مشتهاه

وحينئذ شمر الامير حمزة عن ساعده ومد يده الى الخبز فزقه ودار بيده اللقمة ولفها على الصحن من الطعام وفعلت العرب مثله واخذت الايدي تنزل وتطلع ودار معمل الاكل واشتغل فيه الامير حمزة بجد واجتهاد وبقي ذلك الى ان فرغ الجميع من الطعام فرفعت الصحون ووضعت غيرها من الحلويات من كامل الاشكال المصطلح عليها عند العجم من اخر المأكل واعظمها فاكلوا الحلوى واكتفوا منها ثم نهضوا ورجعوا الى ثم نهضوا ورجعوا الى مراكزهم وقدمت لهم القهوة وبعد ذلك قال كسرى اني اريد ان اقوم للامير وان كان ليس من شيء يقوم بحق واجبه . ثم امر ان يقدم الى العرب كل واحد ثوب عربي ثمين وان يقدم الى الملك النعمان ثوب أيضا والى الامير حمزة فقدمت الثياب المذكوره وكان ثوب الامير حمزه من أغلى الثياب واعظمها وأبهاها قد خصه به تفضيلا على سواه ولما رأى أصفران الدربندي ان انعام كسرى قد وصل اليه وأنه جلس بين يديه نهض اليه وقبل يديه وشكره على انعامه وطلب منه المسامحة عما كان يبديه في أول حياته قبل ان اجتمع بالامير حمزة من قطع الطرقات والتعدي على أصحابه فسال الملك كسرى عنه ومن هو وماذا يريد فقال له بزرجمهر هذا هو اصفران الدربندي الذي كان يربط في الطرقات ويتعدى على أهل السبيل فقد لاقاه الامير حمزة في الطريق وحاربه وأسره فصالحه على ان يكون من رجاله ومن قومه ويعيش بقية عمره في ركابه وأتى الآن يعتذر اليك عما سبق منه ويسالك المسامحة والعفو عنه فقال اني اسامحه اكراما لخاطر الامير حمزه لانه من رجاله ومساعديه

وبعد ان بقي العرب عند كسرى كل النهار وطلبوا اليه الاذن بالذهاب والرجوع الى خيامهم فقال لوزيره بزرجمهر ان يخبر حمزة ليبقى بالمدينة وينام مع جماعته في قصر خصوصي يعده لهم افضل من قيامهم في الفلاه . فقال له حمزه اننا لا نرغب ان ننام الا في خيامنا فهي أفضل عندنا من القصور الشامخة التي تبتنوها وتتكلفون عليها . ثم انه ودع الملك كسرى وخرج من الديوان وتبعه قومه ولما وصلوا الى الخيام قال النعمان للامير حمزه اني سررت جدا في هذا اليوم لان كسرى غير مسراه مع العرب وعاملهم معاملة اللين والرقة واللطف وابدى لك ما يرفع من قدرهم ويعلي شانهم بخلاف الاول فاني كنت احضر على

الدوام فى كل سنة الى بين يدى كسرى فكنت أعامل بالاهانة والاذلال وعدم الاكتراث ليس فقط من كسرى من جميع قومه لاحتقارهم العرب وحطهم من شانهم وما ذلك الا كراما لك وخوفا من تكدير خاطرك . قال حمزة لا بد ان تنقلب الايام فنعامل الاعجام مثل المعاملة التى كانوا يعاملون بها العرب لان الله سبحانه وتعالى يرضى على العرب لطاعتهم له ولا يقبل بان يبقوا اذلاء عند عباد النيران

ثم ان النعمان دخل الى صيوانه لينام وذهب الامير حمزة الى صيوانه فدخله وأقام الامير عمر عند بابه المحافظة عليه الى ان مضى قسم من الليل وعمر لا ينام ولا ياخذه هدو بل كان كالشيطان الرجيم ينطلق من جهة الى ثانية طائفة حول الصيوان وفيما هو كذلك اذ لاح له شيخ يتقدم الى جهة الصيوان فانقض عليه كالبرق وقبض على عنقه وقال له من أنت فقال له أتركنى فانى عربى مثلك قال هو أنك عربى لكن لبسك لبس الاعجام قال انى خادم عند ستى مهردكار بنت كسرى أنوشروان وقد دعتنى هذه الليلة واعطتنى كتابا لسيدى الامير حمزه وبعضا من طعامها امرتنى ان اقدمه اليه واعرض عليه كتابها واجيء اليها بالجواب وانى خادم عند أبيها من عدة سنوات أعرف اللغة الفارسية جيدا وهى اوصتنى وصية ان أقصد عمر العيار واتوقع عليه من قبلها وأدعوه لمساعدتها عند أخيه حمزه فقال له لقد وصلت فانه هو عمر وانى أساعدها بكل ما تريده بشرط ان لا تقلل لى من المال الذى يقع بيدها لان عندى أربعون عيارا وأريد على الدوام ان أبذل لهم الاموال ليثروا ويعرفوا احى لهم . قال ان ذلك يكون لك على الدوام . فقال له أعطنى الكتاب وما جئت به وانتظرنى لاحضرك أمام الامير حمزه فاعطاه الكتاب ووعاء الذى فيه الاكل الفاخر وخاتم من الذهب عليه فص من الجوهر الثمين وقال له أوصل كل ذلك الى سيدى الامير حمزة فاخذها منه ودخل داخل الصيوان ودنا من سرير الامير حمزة وصاح عند رأسه يدعوه فاستيقظ مرعوبا وقال له ماذا جرى ولما جئت الى فى مثل هذا الوقت . قال ليس الان وقت النوم بل انهض وتيقظ وتبصر . قال ماذا تعنى اهل وقع أمر مكدر قال لا بل وقع أمر مفرح جدا وهو ان رسولا جاء من قبل مهردكار بنت الملك كسرى يحمل كتابا لك وخاتما من الماس ووعاء به اطعمة وهو ينتظر فى الخارج للجوابه فخفق قلب الامير حمزة وشعر عند سماعه اسم مهردكار بنت كسرى شعورا غير اعتيادى ولم يكن راها ولا سمع بها ولا عرف بوجودها ولا يعرف مثل هذه الاميال ولا كيف ان الانسان على الدوام اسير قلبه فى مثل هذه الاحوال . وفى الحال نهض من سريره وتناول الكتاب وجاء الى قرب المصباح ففضه وقراه فراه مكتوبا بالخط العربى ومعناه

اسيرة الحب قيدها الجمال قيودا لا تنحل ورمتها أيدى الظالمين . بسجن من الهوى يزيد ويقود بها على الدوام لم تسبق لى ان ملت الى غرام او فكرت بمثل هذه الاوهام او خطر لى ان

أعلق قلبي بفتى من الفتيان او أسلك سبل هذا الميدان أو أعرف ان نظرة واحده كافية أن تفعل بي ما فعلت وترميني بالوساوس وتلقيني على سرير الضنا وتجعلني أسلك سبيلا ربما كان غير موافق سلوك من لايعرف ولا يدرك مفاعيله .

أنا مهردكار بنت الملك كسرى أنوشروان رجعت مع ابي الى المدائن من طهران وقد زرع بفكري خبر اعمالك وبسالتك واقدامك وعلو منزلتك عند أبي فاخذني لذلك الشوق الى ان اراك على سبيل الحب لا على أمل ان يحصل لي ما أنا به الان وفيما أنا في قصري المقابل للايوان الذي يقيم به أبي سمعت من قهرماني ان الامير حمزة سياتي في هذا اليوم لزيارة المدينة ويأتي الايوان ففرحت جدا وقلت في نفسي لا بد لي من ان أرى هذا الذي فعل معنا الجميل واعاد الينا بلادنا وارجعنا الى ممالكنا ونفى عدونا فجلست في شباك مطل الى باب الايوان لعلمي انك لا بد في مرورك ان تدخل من هناك فاراك وصبرت الى ان رأيت موكبك قد أقبل وانت الى جانب الملك النعمان فاخذت من القرينة انك انت المقصود لاني رأيتك كالبدر اشراقا والغزالة بهاء والاسد بسالة وأنت أصغر الذين معك سنا وكنت سمعت ان الشعر لم ينبت حتى الان بعارضيك واكبر برهان دلني على أنك انت هو الامير حمزة انعطاف قلبي اليك بالرغم عني وتوجيه افكاري لنحوك عن غير قصد مني حتى بحت بالرغم عني الى قهرماني وقلت لها اني بكلي اريد ان أرمي بنفسي على هذا الامير العربي الذي اراه . وكنت انت لا تنظر الى فوق ولو نظرت لكنت رأيتني وعلمت حالتي ومع ان حواسي كانت مشغلة كلها بك كنت اتمنى ان تنظر الى جهتي لارى عليك التحيات ولا بد ان قلبك كان يميل الى كما مال قلبي اليك فنصبح متحابين على الدوام . وها اني اعدك من هذه الساعة الى الابد اني قائمة على حبك لا أختار عنك بديلا ولا ارضى سواك محبا ولم يكن قصدي من حبي لك الا ان ادين بدين الله الذي تعبده انت واكون لك زوجة فاذا قبلتني تكون السعادة قد عاهدتني على الراحة والهناء والا فالشقاء والويل والعذاب والتعاسه لي لاني ساموت حالا بعد قطع الرجاء من نوال غايتي فاشتر حياتي واشفق على ذلي ولا تضيع فتاة حفظت مع صغر سنها كل قواعد الاداب وتعلمت العلوم الفارسية والعربية واني وان كان ابي له غيري عدة اولاد فانه يحبني ويفضلني عليهم جميعهم ولا يفعل الاما يرضيني وقد بعثت اليك ياسيدي بعربون الحب والعهد وهو خاتم من خواتمي الثمينة لتعرف بعظم محبتي وتتذكرني كلما نظرت الى هذا العربون ومتى قبلته يكون ذلك دلالة كبرى على قبولك اياي ورضاك بي ولا اريد منك بدلا من ذلك الا تناول الخاتم والابتسام منه . وحيث لا اخفاك ان الانسان يسر جدا اذا رأى ان يشاركه ويقاسم حبيبه في كل شيء يأكله ويلتذ به عاهدت نفسي ان ابعث اليك مع خادمي وهو امين جدا بالوان الطعام التي اكل منها فتنطعش نفسي وتستريح جدا عندما افتكر ان الذي اكل منه

حبيبي فاياك من ان تمتنع عن قبولي خوفا من ان الله سبحانه الذي يعرف ما في الخفايا يجازيك على ظلمي ولا يتركك لك مثل هذه الخطية اذ تكون قتلتني ظلما والله لا يحب الظالمين واني اعلمك ياسيدي اذا شئت ان تراني فلك حال دخولك الى الايوان انظر الى الوراء وارفع بنظرك الى فوق فتراني قائمة بالشباك اراقب خطواتك وانظر اليك مترقبه ان تراني لتعلم اني لا اريد ظلمك ولو اعرف من نفسي اني غير موافقة لك لتحملت شدة الحب وسلمت بذاتي الى الموت دون ان أطلعك على امري ولا اقول ذلك مفاخرة بنفسي بل تكون بامان من هذه الجهة وتعلم بانك ساكن بقلب فتاة قادرة على خدمتك باحسن اسلوب تريده فاقبلني اقبلني واعذرني

(وتحت الكتاب هذه الابيات)

خذها سطور اليك قد بعثت ... تروم للنفس ما يعللها
اكتبها والدموع تنقطها ... بعبرة لازلت احملها
نعم فظني اذا بصرت بها ... نيابة عني فما تقبلها

(وكذلك غيره)

يا ربع كم لك من شجي هاتك ... مغرى بخود درك المصون الفاتك
اوقفت دمعي في غرامك بعدما ... سد الهوى الا اليك مسالكي
عهدي وشمل السعد فيك مقندا ... والعيش تبسم من ثناياضاحك
وعليك من وجه الامير بشاشة ... افديه من وجه اغر مبارك
مولى جناحه خيله ورجاله ... يوم الوغى من فتية وملائك
تمشي الفوارس تحت ذيل ركابه ... طوع القياد فياله من مالك

وبعد ان فرغ الامير حمزة من قراءة الكتاب زادت به الوساوس وتلاعبت به أيدي الحب وأخذت تقلبه من اليمين الى الشمال ومن الشمال الى اليمين وهو مطرق الى الارض ينظر الى نفسه نظر المتعجب ويفكر كيف ان هذه الفتاة رغبت في أن تدعوه الى حبها ومعاهدتها مع أنها بنت ملك يملك على جانب عظيم من الارض وهو بدوي لا يملك مالا ولا قصورا يقدر ان يرضيها بالاقامة بها وان كان بقوة جنانه وقائم سيفه يقدر ان ينال كلما يريد غير أنه لا يحكم على المستقبل فلما راه الامير عمر على تلك الحالة قال لما هذا التهامل بالجواب وهل تتردد بالقبول ومن يصل الى ان يكون محبا لبنت الملك كسرى ويتأخر واي شرف أكبر من هذا وهي تقول لك انك اذا امتنعت عن اجابة طلبها تلقيها بالخطر وتتسبب لها الضرر. قال ويلك ياوجه القرد اني مرتاب في موافقة هذا الامر وأخاف ان لا تكون جميلة كالواجب وتكون كبيرة بالعمر وهذا مما لا ارضاه لنفسي ولا اريد ان أرهن قولي عندها وارجع عنه فيما بعد نعم اني ارى من ذاتي داع

يدعونى الى محبتها ويصور لى ذهنى انها جميلة ولا اريد ان أبث شيئا قبل النظر اليها والسؤال عنها وعن معارفها وادابها . قال له هذا فى الغد نسال عنه وتمتحنه من الملك النعمان لانه اخبر باقوال كسرى واولاده ويعرف كم سنة سن كل واحد منهم. قال اني اريد ان تفضحنا عند العرب وتشهر هذا الامر قبل ان نباشره ونسعى فيه لاسيما وان الامر خطر ولابد ان يحول دونه صعوبات جمه . قال انت هذا الامر لا يعنيك فلا ادع احدا يعرف فاتفقا ثم ان عمرا خرج الى رسول مهردكار وقال له ان مولاى مسرور من عمل سيدتك وليس يملك الان دواة وقرطاسا ليكتب اليها جوابا وسيجيبها فى غير هذا الوقت فقل لها تكون بامان واطمئنان فالامر يقضى على حسب مشتهاها وما من مانع يمنعها بل لا تنسى ما وعدتنى به من المال

وفى صباح اليوم الثانى خرجت العرب الى الخارج وانتظروا الامير وفى ظنهم انه يقصد المدينة فى ذاك اليوم ويقيم فى ديوان كسرى كاليوم الاول فلم يخرج بل بقى الى ان جاء النعمان فخرج اليه الى صيوانه وبعد أن سلم عليه جلس بالقرب منه واجتمع أمراء العرب هناك فقال النعمان الاتحب أن تنزل هذا اليوم المدينة وتجتمع بالملك كسرى فانه ينتظر قدومك قال انى لا أريد ان أقيم فى هذا اليوم عنده بل اقيم بين قومى كى لا يقال عنا عند الاعجام اننا ثقال الاعمال وليعرف كسرى ان انفسنا تأنف التمسك به كثير الا اذا هو طلبنا وسعى فى ان نكون عنده اى وقت اراد . وبينما هم جالسون وقد اخذ بينهم الكلام على كسرى وبلاده واحواله ومحبته للامير حمزة ومعاملته اياه معاملة الملوك مع انه لم يكن قبلا يكرم عربيا ويعتبر ان العرب قوم همج لا يصلحون للمجالسة ولا يوافقون للاستئناس اما الان فقد اصبح محبا لهم اكراما له ولابد انه فى كل يوم يفتقده ويدعوه الى الانضمام مع رجال ديوانه . فقام عمر وكان واقفا بالقرب من أخيه حمزة هل ان كسرى له أولاد وهل أن أولاده مثله ارقاء وأصحاب لطف وكمال وأداب . قال نعم ان الملك كسرى له ثلاثة أولاد ذكور واسم الكبير منهم هرمز تاج والثانى فروخ والثالث خرسف وأما من جهة صفاتهم فهم مختلفو الاطوار وحتى الان لم يظهر من أعمالهم شىء قط . قال اننا نريد ان نعرف أحوال الكسرى واحوال بلاده وعائلته وهل عنده غير هؤلاء الثلاثة اولاد الذكور قال انى أعرف ان له عدة بنات لكن لا أعرف اساميهن جميعهن وما أعرفه ما هو شائع عن بنته الصغيرة واسمها مهردكار ومعناه بالعربى شمس الدنيا وقد اشتهرت ببلاد العرب والعجم بانها لا يوجد واحدة أجمل منها فى ايامها قط ولكننى لم ارها وقد طلبها ملوك وعمال وابناء وزراء ولم تقبل باحد منهم قط . وابوها يحبها جدا ويعلم انها وحيده فى عصرها جمالا واطوارا فلكى يجعلها كاملة فى كل خصالها وضع لها الاساتذه والمعلمين حتى تعلمت كل العلوم التى لا يمكن لاحسن الرجال واذكاهم ان يتعلمها ويدرسها . قال وهل هى كبيرة فى العمر لانه لابد ان تكون فوق العشرين حيث اكتسبت هذه الشهره والوقت

الذي تعلمت به لا بد ان يكون طويلا. فعرف النعمان ان عمرا يقصد معنى بهذا السؤال وترجح عنده ان حمزه يريد ان اخاه يسال مثل هذا السؤال لان دلائل الحب كانت لا تخفى عليه وقد مال بكل سمعه واذانه الى الانتباه فلحظ الواقع وقال لعمر لا تبلغ الرابعة عشر وقد تعلمت لا بطويل الوقت ولو كان غيرها لصرف عشرين سنة لكنها بعدة خمس سنوات تعلمت عدة لغات وعلوم نافعة عربية وفارسية

وكان الامير حمزه صاغيا الى هذا الكلام وقد ثبت عنده كل الثبوت انها موافقة له لما اشتهر عنها من الجمال وحسن الخصال وان كثيرا من الامراء والوزراء رغبوا فيها فلم يحصلوا عليها فاخذ الحب ينمو في فؤاده ويزيد دقيقة فدقيقة وهو لا يتصور الا جمالها وقلبه يتحدث بها وصار يود ان ينزل المدينة ويمر من المكان الذي اشارت له عليه ليراها ويشاهد جمالها واقام مدة في صيوان الملك النعمان ثم رجع الى صيوانه واقام الى المساء وقد قال له عمر اسمعت يا اخي ما قال الملك النعمان عن مهردكار واني اراها موافقة من كل وجه واسأل الله ان يوصلك بها وتصبح زوجة لك. فقال له دع عنك هذا الكلام ومن الصواب ان لا تفكر بشيء بعيد النوال قال لاي سبب بعيد النوال قال اما سمعت كم طلبها من الملوك فلم ينل احد مراده لانها بنت كسرى أنوشروان وجميلة للغاية وقد تربت على الدلال تربية تؤذن بوجوب عظمتها ومجدها ولذلك ارى صعوبة كثيرة وخطرا عظيما بالسعي في نوال مثل هذا الامر وارى من الواجب قبل التطرف والدخول في مثل هذا الشان ان ننظر في العواقب ونرى تلك الصعوبة واني اعرف من نفسي اذا امتنع كسرى او حالت امور اخرى بيني وبين نوال غايتي التزم الى تجريد سيفي فاقتل كسرى او غيره ممن يهم مهردكار أمرهم ولذلك ارى من الصواب ان لا تفكر الا بامر تحت طاعتنا وفي امكاننا ولنا قال ان كسرى يحبك ولا يمنع عنك امرا تريده ولا بد اذا علم برغبتك بزواج بنته يسرع الى اتمام ذلك ويفعل كل ما يرضيك. قال وان كان كسرى يحبني الا انه يرى ان من العار عليه ان يزوج بنته لبدوي وهم يكرهون العرب ويحطون من قدرهم ولم يسبق ان وقع مثل هذا الامر فيلتزم ان ينقض تلك المحبة ويسلك معي مسلك العناد اذا رأني مصرا على طلبي ولا ريب اني اعرف شرف الملوك واعرف كثرة رغبتهم في المحافظة على ناموسهم واعرف ايضا اذا رضي كسرى بزواجي يقال عنه انه زوج بنته برجل من أصناف الناس وممن يليق به ان يكون خادما عنده وهل يورثه العار والشنار قال اذا كان القاضي راضي فلما تطفل الشهود وحيث هي راضية عنك قابلة فيك اخذناها بالرغم عن الجميع واذا شئت دخلت قصرها واخرجتها منه وسرت بها الى اي مكان امرتني دون ان اترك احد يعرف بها. قال هذا لا افعله قط ولا اريده فاهذا الفعل الا فعل ادنياء الناس واللصوص. وكيف اسرق بنت كسرى وصار بيني وبينه معرفة ومودة وكيف ارضى وانا حمزة هذا الزمان

يقال عنى قد تزوجت ببنت كسرى على هذه الطريقة المهينة فاقصر كلامك فى هذا المعنى ودع التقاد يرتدبر هذا الامر ولا تبح به قطعا الى احد

ثم تركه عمر وذهب الى جماعته العيارين فزارهم واقام بينهم نحو ساعتين وهم يلعبون الملاعب الرياضية ويتمرنون على مصلحتهم ومهنتهم. ثم عاد الى الصيوان وحال وصوله وجد رسول مهردكار وقد جاء بالطعام ودفعه اليه وبلغه سلامها وانها كانت بانتظار مروره فى ذلك اليوم الى ديوان ابيها. فقال له عمر ان اليوم بقى فى الحلة وفى الغد يذهب الى ابيها ثم دخل بالطعام على اخيه ووضعه بين يديه ففتح الغلبة واذا به يراه سخنا تفوح منه الروائح الزكية مما يتوق المرء الى اكله مهما كان شبعانا فنظر حمزة اليه وقال ان الفتاة علقت بى كل التعلق وليس من العدل ان اضيع لها املها وارجعها بالخيبة وانى استعين بالله على نوال المراد وان يساعدنا فى تدبير هذا الامر ومنع ما يقف فى طريقنا من الصعوبات ووطد العزم على ان ينزل فى الغد المدينة ويراها ويتدبر بعد ذلك فى الوصول اليه والاقتراب منها ثم اكل من ذاك الطعام وهو كاد لا يشبع منه حتى فرغ عن اخره فرفعه عمر. وبقى حمزة فى صيوانه كل تلك الليلة لم يخرج منه قط ولا اراد مواجهة احد وجل ما كان يفكر به كيفية الوصول الى بنت الملك وكلما رأى الى ذلك عظمت عليه الحال واتسعت دائرة الصعوبة فكان لا يعلق املا بالوصول اليها الا بمساعدة الصدفة وعناية الله وقام تلك الليلة وفى الصباح نهض من فراشه فلبس افخر ثيابه وتقلد بسلاحه واعتلى فوق جواده وخرج الى الملك النعمان فوجده بانتظاره وقال له هل لك اليوم ان تذهب الى الملك كسرى لانه قد بعث رسولا الينا يلومنا عن تاخيرنا الى المسير اليه فى اليوم الماضى فوعدته اننا نذهب الآن. فقال انى اذهب فامر اعيانك ان يركبوا معنا فاجابه وركب اصفران الدربندى ووزراء النعمان وساروا الى المدينة والامير ينظر الى فوق وهو يتمنى ان يرى مهردكار ويشاهد ماهى عليه من الحسن والجمال وهل هى كما وصفها النعمان ام لا وكان كل قلبه وفكره يقول له بانها فوق ذلك ولما قرب من ايوان مال بنظره الى الوراء فرأى شمس الدنيا واقفة فى الشباك كانها البدر يتلالا فى سناء محاسنها وهى لابسة ثوبا اصفر عليه عروق سوداء وعليها من الحلى والجواهر ما يزيد فى اشراق جمالها وعلى رأسها اكليل من الزهر الابيض فوق اكليل من الالماس والجواهر يلمع كانه الكوكب فى الليلة الظلماء وحال وقوع نظر الامير حمزة عليها اشارت اليه بالسلام وحيته برأسها تحية لطيفة. فاجابها بعياقة كانه يضع يده على رأسه لاصلاح خودته كى لا يلحظ عليه احد فعرفت انه يجيبها على تحياتها فشعرت مزيد السرور ولولا تقدر ان تضبط نفسها وتتمالك قواها لالقت بجسمها كله عليه بل صبرت على نفسها واطمأنت بالها نوعا

ودخل الامير الى الداخل وهو مشغول الفكر وقد انبهر مما شاهده من جمالها وعرف انه

مثل هذا الجمال لا يمكن ان يدركه عقل فيصفه حق وصفه او يشرح عنه مقدار مقداره ولما دخل الديوان نهض اليه جميع الاعيان وتقدم بزرجمهر الى الامام ولاقاه لانه كان كما تقدم يحبه ويريد ان يظهر محبته له على رغم حاسده وعدوه ودنا من كسرى فقبل يديه وسلم عليه فترحب به وهش بوجهه وامر ان يجلس الى جانبه بقرب وزيره بزرجمهر حيث هو الترجمان فيما بين العرب والعجم وبعد ان استقر به الجلوس ومن معه قال لهم كسرى انه كان بودي ان تأتوا ديواني في كل يوم ما دمتم على ضيافتي فلما تأخرتم في الامس ولم تحضروا أكان لذلك سبب هل بدأ من أحد من قومي ما يغيظكم لا نتقم لكم منه جزاء على فعله فقال له حمزة انه لم يكن من سبب غير اني لم ارض ان اثقل عليك كل يوم كوني اعرف ان ديوانك لا يعد على الدوام للضيافات بل يحتاج الى تدبير الدولة فوجدنا فيه يؤخر الى مصالح البلاد. قال هذا لا ارضاه لاني اريد في كل يوم ان تكونوا في ديواني فاراكم ولا سيما انت يا حمزة العرب فاني مولع بك ولا اريد ان يمر يوم ولا اراك به فعدني الان انك في كل يوم تأتيني وتجلس الى جانبي دون تكليف وخجل كانك ولدي فوعده حمزه بذلك وقد فرح من معاملته له باللطف والمحبة كل الفرح وعرف ان هذه المعاملة ستنيله مراده من الوصول الى مهردكار غير انه لا يبدي اشارة تدل على شيء من ذلك وبقي حافظا على اللياقة والاداب الى ان يرى طريقا يتوصل منه الى نوال مراده واما بختك بن قرقيش فانه كان لا يزال موجوعا من صفعة الامير حمزة وكلما وقعت عينيه عليه يتألم ويتوجع وتتمزق احشاه وتنفطر مرارته ويكاد يقع الى الارض من عظم الغيظ. وهو يتمنى ان يرى بابا يتوصل منه الى هلاكه

قال وفيما هو على ذلك خطر بفكره خاطر سر منه مزيد السرور وفرح غاية الفرح وطفح على وجهه طافح البشر والتفت الى الملك كسرى وقال له باللسان الفارسي لقد خطر لي امر ياسيدي اريد ان ابديه لك فهل تصغي اليه. قال ما هو قال انه من المقرر الثابت ان الامير حمزه هو اشد الفرسان شجاعته واقدرهم قوى غير اننا لم نشاهد قتاله ولا حربه ولا نزاله فخطر لي ان نسأله اذا كان يقدر ان يصارع الاسد الذي عندنا بالقفص ام لا فقال كسرى دع عنك هذا الامر فامن فائده فيه واخاف ان يبطش به الاسد او يوصل اليه باذى فنخسره وتقع بعده بالندم . قال من اين للاسد ان يبطش به وعلى ما اظن ويظهر لي انه يقدر ان يصرع الاسد مهما كان عظيما على ان الخوف لا يكون بهذه الدرجة فان الاسد يبقى مربوطا وما ذلك الا لنرى مقدار قوته ونعرف هل يمكنه ان يثبت امام الاسد ام لا واني اسمع كثيرا من الناس ولا سيما العرب يسطون على الاسود فيقتلونها وينالون بذلك المجد والفخار. قال هذا لا يمكن قط. وفيما هم على ذلك قال حمزة لبزرجمهر اريد منك ياسيدي ان تخبرني عن معنى الكلام الواقع بين كسرى ووزيره فاني اراهما على اختلاف واخاف ان يكون ذلك مما يتعلق بي قال ان كل ذلك

يتعلق بك وهو ان هذا الخبيث بختك يريد يقنع كسرى ليدعوك الى مصارعة اسد هائل عندنا محبوس فى قفص منذ الصغر وهو لا يوجد اكبر منه بين الاساد جيء به صغيرا ووضع بهذا القفص وعين الخدام والوكلاء لطعامه وهو يكبر ويسمن حتى صار النظر اليه يخيف ويرعب اشد الناس بساله وله الان عدة سنين عديدة ولا ريب انه اذا خرج من القفص يا كل الناس ويفعل الافعال القبيحة كونه كان محبوسا ويشتاق الى الفلاه والخروج من الحبس وهذا ارى ان غاية بختك خبيثة من نحوك وانه يريد ان يلقيك بمثل هذه التهلكة العظيمة لياخذ بثاره منك فقال له اذن اريد منك ان تسأل لى الملك ان يسمح لى بصراع هذا الاسد فانى اريد ان اصارعه وارى اهل المدائن كيف يصير باسدهم وادع بختك هذا عوت من الكمد. قال دع عنك فانحن بحاجة اليه. قال هذا لا بد منه ولا اريد الا مصارعة هذا الاسد بالقرب من باب هذا الايوان ولا ارجع عن هذا الطلب مطلقا فسال كسرى عن الحاح حمزة فعرض عليه بزرجمهر كل ما تقدم ذكره وانه يريد مبارزة الاسد فقال له ان هذا لا يريده الملك خوفا عليه واذا مات ما نتيجته بمصارعة الاسد فاعاد عليه كلام كسرى فقال حمزة انى اذا لم يسمح لى بصراع الاسد تركت ديوانه وخرجت غضبانا من حضرته فان شيئا اريده يمنعنى منه واما من جهة خوفه على فاخبره انى قبل ان وصلت اليه قتلت اسدين وهذا الثالث

ولما رأى كسرى الحاحه اجابه الى سؤاله وقال فى نفسه انه بطل شديد الذراع ولا اخافه عليه من الاسد ومع كل ذلك انى اسال النار حفظه وارجاعه سالما من الاسد. وفى الحال امر كسرى ان يؤتى بالاسد امام الايوان حيث هناك ساحة واسعة يمكن الاسد اذا فلت لا يضر باحد حيث لا احد يبقى عند وجهه فاتى بالقفص وهو على عجلات الى تلك الساحة ووضع فى وسطها واخبر الامير حمزه ففرح غاية الفرح وقال فى نفسه لا بد ان ارى مهردكار فعلى وكيف اقتل الاساد واقودها كالخرفان واكيد بذلك بختك الخبيث المحتال الذى ظن ان الاسد يقتلنى ويعدمنى الحياه ثم ان الملك جلس على ظهر الايوان ينظر الى الساحة ومثله جميع الوزراء وارباب الديوان ولم يجسر احد ان يقف فى الساحة خوفا من الاسد واجتمع الناس كالنجوم على الجدران من كل ناحية يتفرجون نساء ورجالا وخرجت مهردكار الى شباكها وجلست عليه وهى حزينة القلب منفطرة وقد بلغها ان حمزة يصارع الاسد فخافت عليه منه وجعلت تذرف دموع الياس وتسال له السلامة ولما تيقن حمزة ان مهردكار جلست تنظر اليه سقط الى وسط الساحة ونزع ما عليه من السلاح واعطاه لاخيه يحفظه له وبقى بثيابه وعمامته ولم يخف شيئا منها حياء من حبيبته. ولما قرب من القفص كسر بابه من فوق الى اسفل ليمكن الاسد من الخروج وفى الحال خرج من قفصه كانه الغول الهائل ولما شم النسيم ونظر نفسه فى الخارج تنفس وفرح فكان حمزة قد دنا منه وفك قيوده فاصبح مطلق الايدى والارجل فزاد حيلا

وتنشق رائحة الحرية فزأر بصوت اشبه بالرعد ورفع يديه الى فوق وبقي واقفا على ارجله وانحذف على الامير حمزة وهو يطلب افتراسه فاجابه بصوت اشد ارتفاعا من صوته والتقاه بقوة قلب وجنان ومسكه من وسطه ولم يدعه يتمكن منه وصار كلما اراد الاسد ان يدنو ابفمه منه ليفترسه فيضربه بيده على وجهه يدوخه

قال وكان الاسد مرتاحا كل هذه المدة وقوائمه شديدة قوية فجعل يحذف بحمزه الى اليمين والشمال بقصد القائه الى الارض وحمزة يحاول ويدافع وهو ثابت امامه ثبات الابطال وقد نشبت أظافر الاسد في زنديه فسال منها الدم وتمزقت ثيابه وبقي الامر على مثل ذلك والامير مع الاسد في صراع وقتال لا يتمكن احدهما من الاخر حتى ثبت عند الجميع ان الامير حمزة من الابطال الشداد غير انهم كانوا لا يرجون خلاصه من بين ايادي الاسد بل كانوا كثيرا حزينا عليه ولاسيما مهردكار فانها رأت عن بعد الدم سائلا من جسده فتاكد لديها ان الاسد يفترسه ويميته ولم تقدر ان تضبط نفسها من البكاء ودموعها تذرف على خدودها منتظرة النهاية وبكل عزمها انه اذا الحق بحبيبها امر مكدر رمت بنفسها من الطاقه فتموت حالا وتلحق به ولا تعيش ساعة بعده. وفيما كان الامير حمزه مع الاسد في جدال ونضال لاحت منه التفاتة الى مهردكار فراها باكية العين تنظر اليه بانكسار كانها مرجحه عدم نجاحه فطار عقله وصاح صيحة اهتزت منها تالك القصور وارتجت الارض وتزلزلت وارتبك الاسد وضاع عقله فانحط عليه حمزه ودخل بسرعه البرق تحت وسطه فتمكن من يديه فشدها الى بعضهما ثم ميلها الى الشمال ومال هو الى اليمين فوقع الاسد الى الارض كانه الطود فداس حمزة على رأسه وشد باحدى يده بما اعطاه الله من القوة فقلع اليد وبعد نصف ساعة اختبط الاسد فمات فمد حمزة يده الى جوفه واخرج قلبه واكله

وقد صدر عن ذلك غوغاء وصياح من العرب والعجم وكان اشد الجميع سرورا مهردكار وجعل قلبها يخفق خفقان المسره وتمنت ان ترمي نفسها عليه وتضمه الى صدرها وتتمكن من ان تشكره على فعله وتمدحه عليه وكذلك كسرى فانه نزل عن ظهر الايوان الى بابه وتقدم من حمزة وقبله بين عينيه وتقدم الجميع الى تهنئته بالسلامة وفوزه على الاسد الا بختك الوزير فانه دنا منه وكلمة التهنئة لم تخرج من فمه بل كاد يموت وحزن على خلاص حمزة من الاسد وغاب وعيه وبعد ذلك رجع معهم الى الايوان بعد ان راى بطرف نظره الى مهردكار وهي تبسم عباسم الفرح وقد ابدت له علامات الاستحسان من اعماله كل ذلك دون ان يلحظ احد اولا يعلم بها احد بعد ان دخل امر الملك كسرى ان يذهب به بزرجمهر الى الحمام فيغسل بدنه ويلبس بدلة من افخر الثياب التي يختارها فاخذه بزرجمهر الى الحمام واغتسل فيه وهو قبل ذلك لا يعرف الحمام ولا الماء السخن فنظر بدنه مرتاحا جدا ومن ثم رجع مع الوزير وهو يقول له ان الزمان

يخدمني ولا بدلي من كيد بختك ابن قريش لانه يريد لي الهلاك والقلمان وما قصد بصارعتي الاسد الا لظنه انه يفترسني ويميتني فجاء الامر بعكس ما ظن حتى رأيته وقد كادت تنفطر مرارته ويعدم الحياة قال اني اعلم منه ذلك واعرف ان الله سيطيل بعمرك وينولك الفوز العظيم على الفرس وعلى غيرهم فتحظى بالسعاده التي وعدت بها من الله سبحانه وتعالى ومن الخضر عليه السلام

وبعد ان دخلوا الديوان وجلس في مركزه بجانب كسرى قدم له الشراب وبعده امر بمد صفرة الطعام المختلفة الالوان فجلس العرب على جانب منها والاعجام على جنب اخر واكلوا حتى كتفوا وعادوا الى مراكزهم فجلسوا على كراسيهم ومن ثم امر كسرى ان يعطى الامير حمزه ثوب فاخر من ثيابه الخاصة يلبسه في اي وقت اراد فاعطي وقد سر من ذلك مزيد السرور وبقي في ديوان كسرى الى المساء وعند المساء خرج من الديوان مع جماعته العرب وهو يرفل بثوب المجد والفخار وبختك ينظر اليه نظر المتالم والمتوجع ويعض على اصابعه من شدة الغيظ كيف انه لم يعز بالمطلوب ولم يتمكن الاسد من قتل الامير بل ذل بين يديه حتى قتله وزاد بذلك فخرا ورفعة في عيني كسرى انوشروان فقدمه اكثر من الاول وتماحبه في قلبه فكانه قصد بذلك منفعة ورفع شانه غير انه صبر على دهره واخذ يفكر في طريقة ثانية ينال بها مراده من عدوه الالد ولما صار حمزة في باب الايوان راى مهردكار واقفة على الانتظار فاشار اليها باسرع من لمح البصر بالوداع وركب على ظهر جواده وركبت العرب من خلفه والملك النعمان الى جانبه وانطلقوا من ذلك المكان بعد ان كان قد اوصاه كسرى ان لا يبارح ديوانه يوما واحدا بل من الواجب عليه ان يحضر في كل يوم حيث لا يقدر على فراقه . ولما دخلوا الخيام نزل الامير في صيوانه ولم يكن عنده سوى اخيه عمر فاخذ يفكر في مهردكار وجمالها وما اعطاها الله من الحسن الفائق الحد وفيما يفكر بمثل هذا الامر دنا منه عمر وقال له لقد رأيت مهردكار يا أخي فاعجبتني جدا وعرفت انها تليق بك وتليق انت بها وهي كالبدر جمالا والغصن دلالا فاسال الله ان يهنيك بها ولا يحرمك منها قال له اني عرفت انها كما قلت واكثر لكن الامر الوحيد الخطر هو ان صعوبة عظيمة بيني وبين نيل مرادي لان كسرى حالما يعرف اني احب بنته واطلب تزويجها يمتنع وتسقط هذه المحبه التي بنيتها بقلبه ويقع بيني وبينه الخلاف فالتزم ان احصل عليها بقوة السيف الامر الذي لا أريده ولا تريده هي ايضا ولذلك اعلم ان الزمان رماني بحبها قاصدا به ان يلقيني في مخاطر جمة ويجعل لي بذلك كبير العذاب ولا عرف ما يكون من هذا القبيل . فقال له لا زلت تنظر الى اهون الامور لديك نظر المتعصب الخائف فكيف يمكن لكسرى ان يمنع عنك ابنته وأنت كنت السبب في ارجاع بلاده اليه فلولاك لا يزال مطرودا وابنته لا تتزوج الا باقل الناس حيث يكون قد سقط من الدرجة

الملكية فهل تقاس بنته ببلاده وعلى ما أظن انه يعرف مقدار الجميل ولا يجحد معروفا عملته معه بل يقدره حق قدره ولا يبخل ببنته. قال وان كنت قد ارجعت اليه بلاده غير انه يرى زواجي ببنته حطة من شأنه بين الفرس فهم لا يحبون الاختلاط بالعرب وعليه فاكون قد القيت نفسي بوهدة التعب خصوصا ان عند كسرى وزير ردى الطباع شنيع الخصال حسود يريد لي الهلاك وهو مسموع الكلمة بين الفرس لانه من اعيان البلاد لا يمكن مخالفته من احد حتى ومن نفس الملك ومع كل ذلك فاني اتكالي بذلك على الله سبحانه وتعالى وفيما هو على مثل ذلك واذا برسول مهردكار قد وصل يحمل الطعام فدخل على الامير حمزه وقال له سيدتي تهديك السلام وترجو منك مداومة الحضور الى ابيها لتراك في كل يوم صباحا ومساء فهي لا تقدر على فراقك يوما واحدا. فقال له بلغها سلامي واخبرها ان ما بي هو واشد مما بها وان قلبي تعلق في حبها واني اريد ان أكون على الدوام قريبا منها ولذلك لا افارقها قط ولا ابعد عنها فستراني على الدوام الى اذ يسهل لي الله سبحانه وتعالى الوصول اليها واخذ في الاكل وهو مسرور من لذته وانطلق عمر ليرى جماعته العيارين ويستكشف حالهم وينظر في امرهم حسب عادته وعاد الرسول الى مولاته فاخبرها بكلام الامير حمزة ففرحت مزيد الفرح وكانت في ذاك اليوم مشروحة الصدر مما شاهدت منه ولا سيما عندما رأته قد قتل الاسد كانه الهر بين يديه وقالت في نفسها قد تم لي كل ما أرجوه فهاهو قد حياني تحيات المودة وأظهر لي من كرامته وميله ما جعلني أعلق أكبر الامل به وانكل على حبه وأي سعادة لي اعظم من هذا أن أكون زوجة لرجل جميل الصورة مرفوع الشان قوي الجنان لا تقدر الاسود ان تثبت بين يديه فاهو الا وحيد هذه الدنيا وبطلها جمع الله به كل خصلة حسنة وعليه فاني أدوم على محبته وابيع روحي في ما ينيله كل الراحة وكل ما يبديه لي فهو من لطفه. ثم دخلت الى غرفتها وانفردت بنفسها وأنشدت

بالله فاذن لي اقبل	شوقي الى تقبيل ثغ رك دونه حر السعير
الطرف من غرف القصور	دره بفم التضمير لو أبصرتك القاصرات
او لو نظرت الى الجماد	لتهتكت كتهتكي وتعلمت كشف الستور
عذر ولكن من عذيري	لجماد بالعذب النمير اوليس في حبك لي
هات اسقنيها بالصغير	ومتى لجئت الى الشكاية من صدودك يا أميري
حتى اغيب عن الشعور	وان سمحت فالكبير وانظر الى مرفقا
وعلى الحياة وطيبها	وأستل روحي ياحياتي من جفونك بالفتور
	مني السلام الى النشور

وبقيت تردد في فؤادها كرامته وتشخص في ذهنها كل ما رأته في النهار وما شاهدته حين

قتاله الاسد وهى لا تريدان تنزع تلك الصورة او تبعدها عن خاطرها دقيقة الى ان كان المساء فقدمت لها قهرمانتها الطعام فاخذت منه كفايتها ودفعته الى خادمها واوصته ان يوصله الى الامير حمزه واكلت قليلا واقامت على انتظاره الى ان عاد اليها واخبرها بما سمع منه فكادت تطير فرحا وهى لا تعرف فى اى مكان هى من النعيم وتأكد عندها حب الامير حمزه لها وان لا يبقى عليها الا الاهتمام بامر الاجتماع وتدبير طريقة تحفظها بقاء أملها وزواجها به

ونام الامير حمزه تلك الليلة على ما تقدم ذكره وفى الصباح بكر الى صيوان النعمان وقال له هلم بنا نذهب الى كسرى فانه لا بد ان ينتظر فى هذا اليوم اذا تأخرنا عن الرواح اليه او امتنعنا مع انى وعدته فى كل يوم احضر اليه الى ان يسمح لنا بالذهاب الى بلادنا او يجد امرا اخر يعيقنا عن الرواح . فأجاب النعمان طلبه وركب هو واصفران الدربندى والامير عقيل وساروا جميعا حتى جاؤا باب المدينة فدخلوه وتقدموا من الايوان وهناك رفع حمزه نظره الى جهة قصر الست مهردكار بنت الملك وسلطانة الحسن والبهاء فوجدها قد جلست على الشباك وهى مدبجة بالجواهر عليها ثوب من المخمل الاحمر يلمع بلمعان الشمس والكواكب وفى وسطها منطقة من الذهب الوهاج مزركشة بالحجارة الكريمة وفى رجليها حذاء مزركش بالذهب والحجارة الكريمة ولم يكن كل ذلك يحسب بشىء بالنسبة الى بهاء جبينها ونور طلعتها ولمعان خديها الموردين وطول عنقها اللامع الابيض القائم بين كتفيها المركبين على أحسن نسق وبالاختصار ان كل ما بها مصنوع بيده تعالى وهو راض منها فجاءت فتنة للعالمين فلما رأى حمزه ذلك البهاء مال بنظره عنه وهو لا يقدر ان يضبط نفسه وخاف ان احدق بها أو نظر اليها دقيقة كاملة يقع الى الارض وحال وقوع نظره عليها حيته باشارة لطيفة وقعت من قلبه موقعا عظيما غير انه اظهر الجلد واخفى الكمد ودخل الباب وهو يدعو الله الى مساعدته وبقى الى ان وقف فى ديوان كسرى فسلم عليه وقدم فروض التحيات بكل لياقة وادب فنهض له كسرى عن كرسيه حسب العادة وقبله بين عينيه واجلسه الى جانبه واخذ معه فى الحديث وهو يجيبه عن كل ما يسأله عنه محافظا على اعتباره وتعظيمه والملك مأخوذ من ذلك مدهوش من طاعته له يزيد حبا فيه وبالاختصار انه صرف ذلك النهار فى ديوانه وفى المساء نهض ورجع الى الخيام برفاقه من العرب بعد ان ودع بالاشارة مهردكار . وبعد ان دخل صيوانه بقليل جاءه الطعام مع خادم مهردكار فقدمه له مع عمر فاكل وشكر الله واقام على الفكر والاهتمام بأمره ينظر فى عواقب ما هو فيه ويتمنى مساعدة الله ومعاونة الصدف لينال ما هو طالب وقد رسمت فى ذهنه مهردكار على الحالة التى راها فيها ذاك النهار وهى فتنة للناظرين وعليها من المهابة والجلال ما لا يوجد على ابيها ولا على غيره من الملوك وكان كلما دقق النظر وامعن فى ذاك الرسم المطبوع فى ذهنه يضيق صدره ويقل صبره ويتمنى ان يكون فى قصرها وبين يديها يراها

ويسمع عذوبة الفاظها ويلتقط من حب جمالها ما يمكن ان يلتقطه بايدي نظره ودام على ذلك كل السهرة وهو لا يخرج من صيوانه ولا يرضى بمواجهة احد كي لا يضيع معه الوقت او يغيبه عن ذهنه شخص محبوبته وهو على انفراد لان المحب الصادق يحلو له الانفراد لمثل هذا السبب اي ليتسع معه المجال في امر من احب فيشخص جماله نصب عينيه ويكلمه بافكاره ويخابره ويهتم بأمور كثيرة تتعلق به ويتمنى امرارا كثيرة ان يعرضها عليه ناظرا الى ذلك بلذة ورغبة كأن حبيبه يسر من اعماله هذه. وقد راى الامير حمزة ان الحب يستدعي التبصر بمثل هذه الظروف والتسلي بالاوهام والتصورات واخيرا عن انشدة لاشعار ولذلك انشد قائلا

بأبي الظباء الفاترات جفونا ... الفاتكات سوالفا وعيونا
المطلعات من الثغور كواكبا ... المسبلات من الشعور دجونا
الراشقات من اللواحظ سهما ... المرسلات الى القلوب متونا
سفروا وقد صبغ الحياء خدودهم ... ارأيت وردا خالط النسرينا
ونفرت غزلانا وتهن غوانيا ... وسفرن اقمارا وملن غصونا
غيد اذا هزوا المعاطف لاترى ... الا صريعا بينهن طعينا
سود النواظر ما كحلن باثمد ... والحسن حقا يغلب التحسينا
يالائما قد جار في تعنيفه ... هلا رحمت متيما مفتونا
فانا الذي اتخذ المحبة والهوى ... شرعا لارباب الغرام ودينا
ومريضة الاجفان ساحر لحظها ... ينبيك عما في الفؤاد كمينا
في طرفها السفاح اصبح خدها ... الهادي ترى نعمانه مامونا
معشوقة الحركات حرك قدها ... قلبا اليها كان قبل سكونا
واذا انثنت خلت الرماح معاطفا ... واذا رنت خلت السيوف جفونا
شمس لطلعتها الهلال قد انحنى ... ادبا فاصبح يشبه العرجونا
والورق غنت اذا انثنى قدها ... طربا فاعرب لحنه التلحينا
لاتسالن اذا قصدت قصورها ... واقصد بحيث ترى الجمال مصونا
واذا اردت ترى هلال جبينها ... فانظر الى حيث الصباح مبينا

وكان هو ينشد ويرى لذة في داخله وارتياحا الى من احبها وهو يعجب من نفسه ومن تلك اللذة ولم يكن قبلا قد سلك طريق الغرام ولا عرف الاسباب الدافعة اليه والمتثبتة فيه فكان كن يتدرج في سلمه كل ساعة يرى له فيه نوما جديدا

قال وبينما هو على مثل ذلك اذ دخل عليه اخوه عمر وقال له ان على الباب رجل فارسي يتكلم بالعربية وقد اخبرني انه جاء من قبل بختك بن قرقيش ليعرض عليك أمرا فيه الصالح والخير

لك . قال ان ذلك لا يصدر عن بختك ولا بدان فى الامر سر فدع الرجل يدخل واحترس منه كل الاحتراس . فخرج اليه وأدخله ولما صار أمام حمزه سلم عليه وجلس الى جانبه وقال له اعلم يا مولاى انى رسول الوزير بختك بن قرقيش وزير كسرى وقد ارسلنى اليك بكلام اطلعك عليه . حتى اذا رأيت فيه الموافقة والخير صدقته والا فالامر لك . قال قل فانى اسمع لك . قال ان مولاى قد أخبرنى أن أقول لك انك تنظر اليه نظر العداوة مع انه يرغب فى نجاحك وفلاحك لكنك تعديت عليه وضربته على وجهه وخرقت ناموسه بين عموم أعيان الفرس وفوق كل هذا اقدا وجهته ولهذا كان قد نوى أن يحقد عليك غير انه راى فى ذلك صعوبة فاراد ان يتخذك خليلا وحليفا ويبدل مابقلبك من الغيظ برضى وتكون انت صديقه وتتخذه كما اتخذت بزرجمهر خصوصا لما راى ان الملك يحبك حبا عظيما وليظهر لك برهانا على ماتقدم امرنى ان اعرض عليك امر جواد عظيم موجود عند كسرى انوشروان اسمه الاصفران لا يوجد له نظير فى هذا الزمان فاذا ملكت هذا الجواد فزت على كل فارس وبطل ونلت كل ما تتمناه لانه نادرة هذا الزمان ووحيد فيه يبلغ ارتفاعه ارتفاع الجمل اشقر اللون صبوح الطلعة شديد القوائم واسع الصدر الا انه قوى جد لا يقدر احد ان يعلو ظهره الا اذا كان مثلك فيقوده كالكلب وهذا من باب الحب والولاء وسوف تعلم اذا رايت هذا الجواد ان بختك محبا لك اكثر من غيره وذلك لما راى انه لا يصلح الا لك ولا بد أن يصعب عليك كسرى أمر الحصول عليه ويظهر لك صعوبة بذلك فاياك من الامتناع وسوف تعلم الصحيح فلما سمع كلام الرجل عرف ان بختك لا يقصد بذلك خيرا غير انه علق بالجواد وتعشقه كتعشقه لمهردكار وعرف ان هذا الجواد يحتاج اليه اذا كان كما وصفه ذلك الرجل عن لسان الوزير بختك وقال فى نفسه لا بد أن يكشف لى الغد عن المسألة ثم قال للرجل بلغ مولاك منى السلام واشكره عنى وقل له انى فى الغد أطلب هذا الجواد من كسرى وانى ألح عليه واسأله التكرم به فقال الرجل لكن أريد منك أن لا تخبر الملك ان بختك أخبرك بذلك الا بعد نوالك اياه ودخوله فى يدك وتجربيه فى ساحة الميدان وتأكيدك نصح سيدى فوعده بذلك وأرجعه فرحا مسرور

قال وكان بختك من نفس ذاك اليوم الذى قتل فيه حمزة الاسد وهو يفكر فى طريقة ثانية يهلكه بها لكى يأخذ منه بثاره فضاقت فى وجهه كل المذاهب وانقضى ذاك اليوم واليوم التالى وهو عامل على الفكرة ليلا ونهارا لا يترك بابا يتوصل به الى موته الا وأمعن به وبحث فى كيفيته الى ان كان مساء ذاك اليوم خطر له خاطر وهو ان من عهد عشرين سنة اهدى الى كسرى جواد عظيم لا يوجد له ثان من بلاد الروم وكان مهرا صغيرا فعين له من يربيه ويحسن طعامه وخدمته حتى كبر فأراد ان يجربه فاركبه لبعض فرسانه فلما صار على ظهره ضرب رجليه بالارض وحذفه عنه فالقاه الى الارض ورفسه برجله فى قلبه باسرع من لمح البصر فاماته

فتكدر من ذلك كسرى انوشروان واراد قتل الجواد فقام عليه الفرسان والامراء والاعيان وقالوا له ان هذا الجواد هو أفضل من المدائن فاذا كان هذا الفارس لم يثبت على ظهره فغيره يثبت ولا بد من وجود رجل يقدر أن يعلوه ويتخذه له فيكون سندا لفارس وكان عند كسرى وقتئذ فارس صنديد وجبار عنيد اسمه رستم البهلواز وهو بهلوان بلاد العجم وفارس فرسان الديلم فتقدم من كسرى وقال له هبنى هذا الجواد فانا أركبه وأطيعه فظن كسرى أنه يقدر عليه فسمح له به فجاء اليه وأراد ان يركب على ظهره فضربه بقوائمه ألقاه الى الارض وأتبعه بالاول ولذلك تكاثر الناس على الجواد واحتاطوا به بالحبال وربطوه وقادوه الى اصطبل مخصوص ووضعوه فيه وصار فى كل سنة يظهر فارس فى بلاد الفرس أو فى غيرها فيطلب هذا الجواد فلا يقدر أن يدنو منه وهو على الدوام يسمن ويقوى ويشتد حتى أصبح كالفيل وامتنع الناس أن يذكروه لفهمهم وتأكد أن لا أحد يقدر أن يعلوه أو يمتلكه ولذلك خطر لبختك ان يلقى الامير حمزة بهذه التهلكة بحيث يطلب الجواد من كسرى ويقصد أن يركبه فيفعل به كما فعل بغيره ولما ترجح عنده هذا الظن سره زيد السرور وطفح قلبه من الفرح ودعا بترجمانه وكاتم اسراره وأوصاه أن يذهب الى حمزة بقضاء هذه المهمة ولما عاد اليه وأخبره بما قاله له تبت عنده انه لا بد أن يموت فى اليوم الثانى لدى وصوله الى الجواد ولعظم فرحه لم ينم تلك الليلة وما صدق أن طلع النهار وأخذت الناس فى الذهاب الى مجلس كسرى فكان أول من سار فدخل وأخذت الناس ترد حسب العادة وتجلس فى مراكزها

قال وأما الامير حمزة فانه سار فى اليوم الثانى مع النعمان وجماعته وهو مشغول الفكر من جهة الجواد ويتمنى ان يصل اليه ويراه وهل هو كما وصف له ام لا فانه كان كما قيل له يكون قد نال سعادة يحسبها من السعادات العظيمة وقيل انه دخل الايوان راى محبوبته على حسب العادة خيته وحياها حتى ادرك النعمان الحقيقة ولحظ الحب الواقع بينهما من تكرار التحيات فى الصباح والمساء ولما صار أمام كسرى قبل يديه فقبله بين عينيه واثنى عليه واجلسه الى جانبه بينه وبين بزرجمهر . وبعد ان استقر به الجلوس وتمادى مع كسرى قليلا التفت الى بزرجمهر الوزير وقال له اريد منك ياسيدى ان تبلغ كسرى كلاما اريد ان اعرضه عليه قال قل ماشئت فانى أطلعه عليه قال ارجوه ان يسمح لى بالاصفران فقد سمعت عنه انه من الخيول الحسان وانى احتاج ان يكون عندى مثل هذا الجواد لانال به غاية القصد والمراد واقهر الاعداء والحساد فقال له بزرجمهر وقد اظهر التعجب والاندهاش ممن عرفت ذلك ومن أطلعك على مثل هذا الخبر فلا ريب انه عدو لك يقصد لك الهلاك والوبال لان الجواد هذا هو أشد حيلا من الاسد قوى القوائم قد أمات عدة فرسان وابطال من الذين تضرب بهم الامثال فى بلاد فارس دون ن يقدر أحد ان يصل اليه ولذلك لا اريد ان تذكر ذلك لكسرى ولا ية بل هو ايضا منك ذلك

ولا تخاطر بك الى هذا الحداد لا يريدان يعدمك هذه الدنيا بل يرغب فى بقاك وطول عمرك.
قال لا خوف على من هذا الجواد ولا بد لى من الحصول عليه وآخذه لنفسي واريد منك ان تتكرم على وتسال لى الملك ان يهبه لى فيكون قد فعل معي جميلا واكرمني اكثر مما استحققت . وكان الملك يرى ماهو دائر بين حمزه ووزيره فالتفت اليه وساله عن سبب ذلك فاطلعه على سر المسالة واخبره انه يزعم ان حمزة يريد ان ياخذ الاصفران فامتنع عليه كسرى وقال له بلغه ان هذا ليس من الصواب فهو مثل ابني وقد تربى على نعمتي فلا القيه بيدي بين يدي الهلاك والموت واني انتظر ان أكافئه بالخير لا بالشر فاذ سمحت له بالجواد أكون قد عاملته باقبح الاعمال فيقال عني اني قتلت من ارجع الى بلادي وحارب من أجلي وقهر لي عدوي فدعه يعدل عن ذلك فقد كفى ما كان من أمر الاسد وصراعه له ومافى العناد من فائدة فلما سمع حمزة هذا الكلام اشتد عنده ميله الى الجواد ورغبته فيه فقال للملك ان هذا الجواد يصلح لي وليس من الصواب ان يبقى متروكا لا نفع له ولا سيما افضله على كل امر يريد ان يكرمني به وأما خوفه علي منه فهو بغير محله واذا كنت اخاف من جواد مثل هذا لا يصلح لي ان اقيم في ديوان كسرى واتشرف بين يديه على الدوام واحسب من أتباعه فطلبي الجواد لا بد منه وارجو من سيدي الملك ان لا يحرمني من شيء اريده ولا بد أنه يسر اذا راني راكبا فوق هذا الجواد وهو عندي كالطفل الرضيع أقوده كيف شئت فلما سمع كسرى كلامه رأى ان لا بد له من الجواد فسمح له وقال له اني لا أبخل عليك بجواد اريد أن يكون لا عز الناس عندي الا خوفا على حياتك والا لو طلبت مني نصف مملكتي لدفعتها اليك وشاركتك فيها فانك تأخذها باستحقاق مني

ثم ان الملك امر ان يؤخذ حمزة الى الاصطبل الموضوع فيه الجواد فيفتحه بيده ويرى ما يكون من أمره وشاع الخبر اذ ذاك بين الخاص والعام وسر الوزير بختك وثبت عنده ان الامير سيداس بارجل الجواد وينتهي امره فكان مسرور الفؤاد مرجحا اخذ ثاره منه واما مهردكار فانها حزنت حزنا كثيرا عندما بلغها هذا الخبر وخافت كل الخوف على الامير وقالت في نفسها انهم كل يوم يرون له مهلكا كأنهم يريدون موته وعلى هذا يظهر انهم اعداء له وهذا الامر اشغل لها بالها كثيرا وضاق من اجله صدرها واحتارت فيما تفعل وحولت أن تخاطر بنفسها اذا ماسلمه الله من الجواد وتستدعيه اليها في الليل وتجتمع واياه وتساله في تدبير طريقة لزواجها به وخلاصه من كيد الاعداء واقامت في مكانها تنظر ما يكون من امر حبيبها وهذا الجواد وهي تطلب له من الله العناية ان يخلص ويطيل بعمره وينجو من هذا الفخ الذى نصب له . وفى تلك الساعة خرج الامير حمزة وبين يديه خدامين يذهبون به الى الاصطبل واقام

الملك ورجال دولته وباقى الاعيان على الجدران والسطوح وكذلك النساء والاطفال وازدحمت الارجل وهم يطلبون الفرجة على الامير حمزه وعلى الجواد الذى له مدة سنين داخل الاصطبل لا يقدر أحد أن يصل اليه ويدنو امنه وقد قتل عدة فرسان ولما وصل الامير الى الباب قال له الخدم هذا هو الباب وهو من الحديد وهذه مفاتيحه فتى بعدنا نحن فافتحه واخرجه . قال ومن كان يقدم لهذا العلف حتى كلكم تخافونه أما كان منكم واحد ياسف عليه . قالوا كلا بل فتح له من السقف نافذة يدلى له العلف منها وقد قتل عدة خدامين . واذا ذاك أخذ المفاتيح وتقدم من الباب وكان الاصطبل فى جانب الايوان عند اسفله ففتحه ونظر الى الداخل واذا به يرى الجواد قد صهل صهيلا قويا فتعجب من عظم جثته وهول منظره وتاقت نفسه اليه وتقدم بقلب قوى الى الداخل وكان الجواد مقيدا بالحديد بيديه ورجليه مشبوحا بالسكك ومع ذلك يضرب بيديه ورجليه فيسمع له قرقعة وضجيج يرتج منه الاصطبل بل الايوان برمته ولما قرب منه ضربه بيديه على رأسه واخرجه مقيدا بعد ان استلم زمامه فهدأ الجواد قليلا ولما صار فى الخلاء نظر الى جهة قصر الملك فوجدها تنظر اليه باسمة كانها راضية من عمله فعرف انها غير خائفة عليه بعد ان رأته فعل ما فعل بالاسد وقتل كانه الهر الضعيف فاشتدت به الرغبة الى اتمام عمله واراد ايضا ان يرى الملك ما يفعل بالجواد ويتهور بختك الذى كان ينظر اليه منتظرا ان يفك قيود الجواد ويحله من عقاله

وبعد ان استقر فى نصف الساحة تقدم من رجليه ففك القيود وحالا لما شعر الجواد باطلاقه ضرب رجليه بالارض فحفر فيها خليجا عميقا ثم رفع يديه بالهوا واستوى على رجليه وافقا وانحذف الى جهة الامير حمزة قاصدا ان يفعل به كما فعل بغيره من الفرسان الذين قصدوا ركوبه فصاح فيه بصوت قوى وضربه بكفه على صدغه وشد له بعقوده نغيب هداه وضيعه ووقف هاديا ساكتا خائفا فاخذ اللجام وادخله فى فمه دون ان يبدى منه اقل حركة او ممانعة كانه عرف ان هذا الفارس هو فارسه الذى يستحق ان يركبه ويملك قياده ووضع السرج على ظهره وشده وقفز من الارض الى ظهره كانه فرخ النعام وارسل نظره بخفة الى جهة قصر مهردكار فراها تزيد ابتساما وعلائم الفرح والمسرة تطفح على وجهها فاطلق الجواد من تحت قصرها وقد صاح به فخرج كانه السهم اذا انطلق حتى كادت لا تراه العيون لخفة جريه وسرعة مشيه وباقل من دقيقة مر من تحت المكان الواقفة فيه مهردكار فكادت تطير من الفرح ولولا خجلها لرمت بنفسها عليه وذهبت قتيلة هواه غيران وعده وعمله واشاراته جعلها ان تعلق الامل بالاجتماع به بوقت قريب

وبعد ان انتهى الى اخر الساحه دار بالجواد الى الجهة الثانيه واطلقه فانطلق كالبرق الخاطف ومر من تحت الايوان والملك ينظر نظر المسرور المبتهج وعند ما راه قد رفع بعينيه

لنحوه اشار اليه اشارة الاستحسان واما بختك فانه كاد ان يموت وتنفطر مرارته وثبت عنده ان الامير حمزة ليس ممن يقهر وان الجواد صار فى قبضته فيستعين عليه فى حروبه وعلى اخصامه ويتقوى عما هو عليه ويزيده قوة وبسالة بواسطته . وبقى الامير حمزه يصول ويجول على ظهر الجواد حتى طاع ولان وسال العرق من جسده كالجارى ولما رأى حمزه منه اللين وصل الى باب الديوان ونزل عنه واذا بالامير سهر قد انقض عليه فمسكه من مقوده وربطه الى باب الايوان ودخل الامير فتقدم منه الاول بزرجمهر وقبله بين عينيه وهناه بالجواد وقال له لقد اعطيت ما لم يعط لغيرك وما ذلك من الامن توفيقك وسعادتك لانك موعود بذلك من الله فقال له ان ما وصل الى كان بمساعدتك والتفاتك وحبك ودماك وانا على الدوام متخذك غوثا وسندا ومرشدا ومدبرا ولا أحيد عما تامرنى على الدوام ولو كان بذلك موتى وفنائى ومن ثم تقدم حمزه من الملك فقبل يديه فقبله وقال ان هذا الجواد لم يخلق الالك وقد ابى ان يعلوا على ظهره سواك ولذلك سمحت لك به وقدمته ليكون جوادك الخصوصى تقاتل به أعداك ثم التفت ايضا الى جهة بختك وقال له لقد كان سبب وصول هذا الجواد الى بواسطة مساعيك ولو لم ترسل لى من يخبرنى عنه لما عرفت به فلاجل هذه الغاية فقط أشكرك . فوقع هذا الكلام على بختك وقوع الصاعقة لانه كشف له عن عمله فتلافى امره وقال له والنار تتقد فى احشائه لقد ظهر لك حبى وانى على الدوام اريد ان تكون ممتازا على غيرك وذلك لعلمى ان سيدى الملك يرغب فيك كل الرغبة يطلب على الدوام ان تكون فى الدرجة الاولى بين رجاله فانا وجميع المخلصين للملك يتمنون لك الخير حبا فيك ورغبة فى مجازاته لانه سيدنا والنار تنذرنا على الدوام بطاعته وموافقته على كل ما يطلبه منا ويريده فحفظته لنا وابقته سالما مدى الايام والاعوام فلم يخف على الامير حمزة ان كلامه هذا خلاف ما اضمر وغب

وبعد ذلك دخل الملك الى ديوانه وجلس على كرسيه والى جانبه الامير حمزة البهلوان وحوله باقى الاعجام من عرب وعجم وترك وديلم وغيرهم من القبائل والامم وبعد ان استقر بهم الجلوس امر ان تدلهم بواطى المدام والنقل ثم امر لهم بالطعام فنهضوا الى مقام الاكل فاكلوا واكتفوا وغسلوا ايديهم ورجعوا الى مراكزهم كل هذا والملك كسرى ينظر الى وجه الامير حمزة نظر المحب الهائم وهو متعجب منه ومن قوة باسه وكثره شجاعته وما وجد فيه من البطش والاقتدار الذى لم يوجد بغيره من بنى الانسان وهو يؤمل على يده الفوز والنجاح الى ان كان المساء وعند انصراف الناس نهض الامير حمزة والملك النعمان ومن معهم من الاعيان والفرسان خرجوا من الديوان وركبوا خيولهم وساروا وبعد ان نظر الامير الى معشوقته نظر المودع وبقى سائرا الى صيوانه فدخله والجواد معه وهو فرحان به كل الفرح مسرور كل المسرة لا يرفع نظره منه وقد حسب ذلك من اكبر اسباب السعادة

وعرف شدة احتياجه الى مثل هذا الجواد الحسن وقال لاخيه عمر انى ارى نفسي فى هذا اليوم مالكا الدنيا فهذا الجواد هو عندى أعز من الدنيا وأفضل لا يقاس به ثمن . ثم قال له انى اعرف ذلك واطلب من الله الذى نولك مرادك وملكك الجواد يملكك مهردكار ويزوجك بها . قال انى لفى ذلك صعوبة عظيمة هل سمعت قبل الان أن عجمية تزوجت ببدوى وبين البداوة والحضارة بون عظيم . فقال له اذ لم يكن سبق ذلك فاجعل انت نفسك اول من سن هذه العادة فيتبعك غيرك عليها وما المانع من ذلك وفى العرب لياقة أكثر من العجم لاسيما وان بنت الملك تحبك وفى نفسها تطلب ذلك وترضاه والملك يحبك ويتمنى لك كل خير وماطلبت منه امرا الا وكان فعله أسبق اليه من قولك . قال انى علقت نفسي بمهردكار واعتمدت على زواجها ولا عدت أرجع عن عزمي فاذا صار لى ذلك عن رضا كان من جملة توفيق البارى سبحانه وتعالى واذا امتنع الملك ولم يصر بدوا صعوبة ذلك جردت سيفى ضد الفرس وأخذت من أحببتها بقوة السيف والسنان رغما عن كل ممانع

وما استقر الامير فى صيوانه حتى جاء رسول مهردكار بالطعام فدفعه الى عمر فقدمه الى الامير فاكل وبعد أن اكتفى ذهب الى صيوان الملك النعمان لصرف السهرة عنده تلك الليلة تضييعا للوقت وتسلية لنفسه وذهب عمر الى أصحابه وجماعته وصرف وقتا عندهم على حسب عادته ومن ثم رجع الى اخيه وعاد معه الى صيوانه الى ان كان اليوم الثانى نهض الامير حمزة ونزل الى ديوان كسرى على حسب العادة مع الملك النعمان وجماعته فلاقاهم بالبشاشة والترحيب وأجلس الامير فى مركزه المعتاد وأخذ معه فى الحديث وهو يظهر له كل طاعة وخضوع ويقدم نفسه الى خدمته على طول الايام وبزرجمهر بينهم ترجمان . وفيماهم على مثل تلك الحالة واذا باحد الحجاب قد دخل على الديوان وقبل يدى الملك كسرى وقال له اعلم ياسيدى ان بالباب مقبل البهلوان وهو يسأل الدخول عليك فهل تأذن له ان يدخل . فلما سمع الامير حمزة باسم مقبل البهلوان مالت نفسه الى أن تراه ويعلم من هو هذا واذا به قد دخل ونظر اليه فرآه كانه الفيل قطعة كبير الدماغ والجثة طويل القامة كانه النخلة لا يوجد له ثان بين الرجال باياد طوال وصدر واسع واعين تقدح نارا وشرارا . ولما وقف بين يدى الملك فقبلهما ووقف ينظر الى اليمين والشمال فامره كسرى ان يجلس فقال له ان سمح لى سيدى الملك لا اجلس الا بعد ان يجيب طلبي ويمنحنى ما اطلبه . قال وما تطلب اسالنى فاجيبك . قال انى لا أطلب الا ما هو من حقوقى لانى بهلوان مقدم على كل بهلوانى بلادك . وقد عرفت فى هذه الايام ان احد العرب المعروف بالامير حمزة قد جاء البلاد واخذ الرتبة الاولى عندك وانعمت عليه بكل ما هو عزيز لديك ولذلك رأيت ان من الواجب ان أجرب نفسي معه اما فى القتال وأما فى مقام الصراع فاذا صرعني فدمى له مباح واذا صرعته

يرجع بالخيبة من بلادنا ولا يعود الى الافتخار علينا لانه كيف يكون بين فرسان الفرس الوف من البهلوانية ويأتي رجل بدوي ينال التقدم مع ان العرب على الدوام هم كعبيد لنا لا نرفع لهم شأنا ولا نعظم لهم قدرا

فقال له كسرى دع هذا الطلب وارجع عنه فانا انت من رجاله ولا اريد ان اخاطر بنفسك بصراعه وما في ذلك من فائدة فانت عندي عزيز وهو اكبر عزة. قال كيف اتركه وانت تعلم ان من الواجب على خدام الملك ان يكونوا على الدوام سالكين مسالك الجد والاجتهاد فمن منهم نال الفضل اكتسب المقام الاول وان من حقوقي انا الا ادع احدا في ديوان سيدي مقدما علي فاذا قهرت حمزة كان لي المقام الاول عليه ويشهد الخاص والعام اني اشد منه بسالة واقداما ويحق لي الفخر عليه وعلى سواه. قال هذا لا أوافقك عليه قط

وكان يتكلم وينظر الى جهة الامير حمزة فعرف ان الكلام دائر بسببه: فسأل بزرجمهر طلبه وماذا يريد فاعرضه عليه وحكى له كل ما كان من امره وامر الملك كسرى. فقال له اريد منك ياسيدي ان تبلغ الملك ان يأمرني بصراعه فاني ارغب فيه ولا اتركه ومن كان مثلي لا يخاف من الف بهلوان مثل هذا البهلوان. قال اني اعرف ذلك واريد منك ان تصارعه لاني مؤكد ان الوزير بختك قد بعث اليه واحضره مع انه كان غائبا عن المدينة وما حضر الا بالاتفاق معه وهو يظن انه ينال منك المقصود ويعدمك الحياة او يقلل من مقامك ويحط من قدرك. ثم التفت الوزير الى الملك وقال له اعلم ياسيدي ان الامير يرجو منك ان تسمح له بمصارعة مقبل وهو مصر عليه ولا أظن انه يرجع. قال اني غير قابل في ذلك فان كلا الاثنين عزيز عندي ولا ارغب بوقوع عداوة بينهما او نزاع او أمر آخر مكدر. فقال مقبل اني استرحم منك ان لا تحرمني من شيء طلبته واري من نفسي ان لا بد لي منه فاخبره وأكرم علي به حالا. وبقي مقبل البهلوان يلح على كسرى حتى اجابه الى طلبه وعين ساحة للصراع خارج الايوان وخرج كسرى الى خارج الايوان وجلس على كرسي فوق باب الديوان وفي الحال نزل الى ساحة الامير حمزة ومقبل البهلوان وكان مقبل يرجح كل الترجيح انه يقتل حمزة حيث ما كان شاهده قبل افعاله بل كان يتكل على قوته وعلى قول بختك الوزير له بانه يقدر ان يتمكن منه ويعدمه الحياة ووعده ان اهلكه او اذله وارجعه بالخيبة غمره بالعطاء الجزيل وانعم عليه جدا

ولما صار في وسط الساحة نزع مقبل ثيابه ولم يبق عليه سوى لباس من الجلد قصير ثم اخذ شيئا من دهن الشحم ودهن به بدنه حتى صار يلمع كالبلور وصارت اليد لا تستوي عليه ولا تلبث على الجسد ثم اشار الى الامير حمزة ان ينزع ثيابه ويفعل كفعله فلم يقبل واشار له ان لا يفعل ذلك وكان قد نظر الى فوق فرأى مهردكار وهي تنظر اليه منتظرة نهاية عمله مع خصمه فلم يبد باخذه هدو ولا اضطراب وقد استقبح هذه العادة ان ترى مهردكار بدن رجل وانقض

عليه ومد يده الى وسطه ليقبض عليه فلم يتمكن من ان يمسكه واما مقبل فانه امسكه من زناده وشده اليه وفي ظنه انه بهذه الشدة يلقيه الى الارض فلم يتزعزع الامير بل اثبت رجله في الارض فاصبح كانه الجبل الراسي لا تميله الزوابع ولا القوات ودامت المجاولة بين الاثنين وكل واحد منهما يظهر من قواه كل ما عنده وقد خاف الناس من مجي حمزة عليه عند ما راوا انه يشبابه وراوا مقبلا عريانا لا يتمكن الامير من مسكه وكذلك مهرد كار فانها كانت تعرف اصطلاح وباب الصراع فخافت ان يقع حمزة ويتغلب عليه خصمه وذلك لما رأته يمد يده فلا يقدر ان يقبض على شيء وذاك قابض على وسطه فمضى عليهما اكثر من ساعتين والامير حمزة يحاول القبض عليه وهو يفلت منه حتى تعب مقبل ولم يعد في وسعه الثبات وكاد يقع الى الارض فلحظ حمزه ذلك فانحط عليه ومد يده الى رقبته فانقض عليه وارسل يده الثانية الى ما بين ساقيه ورفعه بما اعطي من القوة والباس فصار فوق رأسه ثم مشى به وقصد ان يضعه امام كسرى ليرى نفسه

ولما رأت تلك الجموع افعال حمزه صفقت من الفرح وكذلك الملك وبزرجمهر فانهم سروا مزيد السرور وعرفوا ان حمزه فارس كرار وبطل مغوار ليس له نظير في سائر الاقطار واراد حمزة ان يضع مقبلا الى الارض واذا به قد رفع يده وهو مرفوع الى فوق رأسه وضربه بباطن كفه على وجهه لطمه غيبت الامير حمزة عن صوابه وكاد يطير عقله من رأسه ولم يعد يعرف من امامه ولا من وراءه ولكثرة حمقه ضربه بالارض امام باب الايوان بكل عزمه فانخلعت رقبته وخرجت روحه فتكدر بختك الوزير من ذلك وقال للملك ان الامير حمزه قد خرق حرمتك وحرمتنا ولم يراع جانب الادب وقد قتل رجلا من كبراء الفرس كثير الاهل والعيال فاعمله هذا الامن باب التعدي والجور . فقال له بزرجمهر ان حمزه ليس بمخطىء فانه هو الذي تعدى عليه وطلب صراعه ولم يكن من قصد الامير حمزة قتله الا بعد ان لطمه بحضرة الملك على وجهه تلك اللطمة فلو نزلت على ركن لهدمته فاجاب كسرى اني اعرف ان حمزه مصيبا نخرق حرمتي ووقع من مقبل لا منه. ثم نظروا واذا بهم رأوا حمزة مال الى اخيه عمرو واخذ منه سلاحه فتقلده به وأمره ان يقدم له الجواد ليركبه فعرف انه تكدر من عمل مقبل وخاف من ان موته يغيظ الفرس فيقدمون على عناده فقال في الحال لوزيره بزرجمهر اسرع الى الامير حمزة وادخله الايوان واخبره ان مقبلا قد نال ما استحقه وقد سامحناه بدمه فنزل اليه بزرجمهر وتعطف بخاطره وارجعه الى صيوانه وجاء به الى الملك كسرى فقبل اليه واعتذر من فعله وقال له بواسطة بزرجمهر اعلم ياسيدي اني ما قصدت له شرا الا بعد ان بدا بالشر وكان بودي أن القيه بتمهل امامكم مغلوبا فعاملني بالخيانة ففعلت به ما فعلت. اني مسرور من عملك وعليه فاني أعهد اليك بكل امواله واملاكه واسلابه تاخذها لنفسك فاعتذر حمزه وقال ياسيدي اني

لا ارغب بشيء الا برضا كم على قال لا بد من ذلك وسوف ازيدك من اموالي اضعاف الاضعاف واذ ذاك تقدم الامير عمرو وقال له لقد مضت مدة ياسيدي ولم تسمح لي بشيء من المال حتى ضجر جماعتي العيارون . فامر له بخمسة آلاف دينار فقبضها وهو من الفرح على جانب عظيم حد الا يصدق متى يجتمع بعياريه . حتى يبذل المال عليهم وينثره على رؤسهم

قال وصرف حمزة كل ذاك اليوم عند كسرى وهو مسرور الخاطر قرير الناظر يقربه منه ويفرح به ويهش بوجهه وعند المساء خرج من الديوان ونزل الى الاسفل وركب الاصفران ورفع عينيه الى فوق فوجد مهردكار كالعادة واقفة في طاقه قصرها فاشار اليها موادعا فاجابته على اشارته باشارة وقعت على قلبه ارق من وقوع الماء في جوف الظمآن وبقي سائرا الى ان دخل الخيام وبقيت هي واقفة ترقب خطواته وقلبها يتبعه من ورائه طائرا يرف حواليه الى ان غاب عن اعينها فشعرت من نفسها بانقباض وانفطر قلبها كيف انه غاب عن اعينها فصرفت نحو من ساعة تنظر الى الطريق التي سار فيها والارض التي مشى عليها حتى اسودت نجمة الليل فتركت الشباك ودخلت غرفتها وهي تخاطب نفسها وتقول لما ارى هذا التهامل والى متى وانا على هذه الحالة لا أسعى في وسيلة تقربكي وتقربه مني وتجمعنا معا واخذ هذا الفكر في خاطرها ماخذا عظيما ورأت من الصواب ان تكتب له مع الرسول الذي يحمل الطعام تستشيره في هذا المعنى وتطلب اليه ان ينظر في الطريق الموصل الى الغاية . ولذلك اخذت فكتبت

(من مهردكار بنت كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان الى الامير حمزه البهلوان حبيبها ورجائها في هذا الزمان من اتخذ لها سندا وغوثا وتطلب بقاه مدى الزمان)

قد ثبت عندك شدة حبك لي وتنازلك بقبولي لخدمتك ونظرت الي نظر الهائم المغرم حتى اصبحنا في الحب على درجة عظيمة وقلب كل واحد منا بيد الاخر وقد نظرت الى الحالة التي عليها فتعجب كل العجب كيف اننا متقاعدون عن تدبير الوسائل التي توصل بعضنا الى بعض وتحفظ لنا راحتنا في المستقبل وننتهي من هذه الحالة واني أرى ان ذلك لا يتم الا بتدبيرك واعتنائك فدبر انت ماتراه حسنا واذا تسهل لك ان تتوصل الي فلا تتأسر وعرفني عما يخطر لك في هذا القبيل واذا كان لا يخطر لك الاتيان الي فاسمح لي اذ اقول لك ان تذهب الى ابي وتسأله ان يزوجك بي وعلى ما أظن انه لا يمتنع عن ذلك لانه يحبك محبة زائدة ويرضى كل ماترضاه فلا يمنع عنك شيئا تريده واني ازودك اخيرا المحبة الخالصة والمودة الاكيده وأعدك اني رهينة لامرك أسير بين يديك اينما سرت احمل كل ما تامرني به واقاسمك الشقاء والهناء اني اكون شريكة لك لا انفك عنك وعن خدمتك فلا صالح لي في هذه الدنيا الا ان

ارى وجهك وانظرك على الدوام فى الصباح والمساء بل وفى كل ان ولا أريد منك الا ان تبقى راضيا على قانعا بانك السند الوحيد الى والغوث الاكبر)

ثم انها طوت الكتاب وختمته ودفعته لخادمها الخاص واوصته ان يأتى منه بالجواب ثم حملته الطعام وسار الى جهة الامير حمزة حتى وصل اليه فرأى الامير عمر العيار عند باب الصيوان فناوله الكتاب والطعام وساله الجواب فاخذه الى حمزة ولما قرأه وعرف ما فيه شغل باله واخذ يفكر فى معناه وخطر له ان يذهب الى قصر مهردكار ويجتمع بها ويسمع حديثها ويلتذ كل اللذة بالتقرب منها وهون عليه الحب كل صعوبة دون ذلك فدعا الرسول وقال له اخبرها لا تك انى أسير اليها فى هذه الليلة بعد ساعتين فلتكن على حذر وتسعى فى امر مرورى من الباب حتى لا يرانى احد حفظا للشرفها وشرفى كى لا يقال عنا ما يثلم صيتنا فقبل الرجل يده وصار الى سيدته ولما وصل اليها بلغها ما قاله الامير ففرحت غاية الفرح وسرت مزيد السرور وامرت قهرمانتها بتدبير غرفة الشراب ووضع كل مشروب ومشمول ونقل عليها . ثم انها امرت الرجل خادمها الخاص ان يقف عند الباب عوضا عن الحارس وان يدعوه اليها فسار ووقف بالباب وجاء حاجب الباب فقالت له انك منذ اكثر من عشر سنين وانت حارس على باب قصرى وأنا لا امنع عنك شيئا وانى الآن اريد منك امرا اجبنى عليه ولك منى الجزاء العظيم فقال لها انك تعلمين صدق قولى وتعرفين خدمتى وصداقتى قالت لا اخفاك حالة الامير حمزة البهلوان الذى جاء هذه البلاد وفعل ما فعل حتى غمر بلادنا بافضاله وكنت لا اعرفه بل اسمع به فقصدت ان اراه وتسهل لى ان يزورنى فى هذه الليلة واراه وانعم عليه مكافاة على فعله ببلادنا ولذلك اريد منك ان لا تمنعه اذا جاء وان لا تظهر امره الى احد ثم دفعت اليه قبضة من الدراهم . فلما سمع حاجب الباب كلامها صفق من الفرح وقال لها أصحيح ما تقولين ياسيدتى وهل ان الامير حمزة ياتى الى هذا القصر قالت نعم انه ياتى بعد قليل قال انى مولع به ياسيدتى واتمنى على الدوام ان ابقى بين يديه وفى خدمته لانى شاهدت فعاله ورأيت اعماله وتعشقته نفسى واستعد على الدوام ان افديه بنفسى واعاهدك انى لا اخبر احد بمجيئه ولا امنعه ولا كان بذلك فقدان حياتى وسعادتى فمدحته مهردكار واثنت عليه واعادته الى الباب وصرفت الخدام الى غرف مناماتهم ولم تبق الا قهرمانتها فقط وامرت الرجل الذى يحمل الطعام ان يقف خارج الباب ليخبر الامير حمزة ويطمنه بالدخول وان كل شىء قد تسهل له ومن ثم دخلت الى غرفة ملابسها فنزعت ما عليها ولبست انخر ما عندها من الملابس وتزينت بالحلى الفاخرة وتتوجت بتاج من الالماس والحجارة الكريمة من عمل الفرس وفيه شموس من الذهب على دائره وخرجت الى الغرفة التى اعدتها قهرمانتها فوجدتها قد انهت كل شىء وصفت المدام ووضعت الزهور عليها ومنقولات الفاخره واقامت على الانتظار وقلبها يخفق الدقيقة بعد الدقيقة وافكارها

تضرب من جهة حبيبها متفكرة كيف تكون حالة اجتماعها به ووجوده عندها ولم تقدر تلك الحالة من السعادة واللذة مع انها لم يكن قد اجتمعت قبل ذلك الحين برجل غريب وخصوصا على مائدة الشراب

قال فهذا ما كان منها واما ما كان من الامير حمزة فانه بعد تناول الطعام جلس ينتظر عودة اخيه عمر من جماعته لانه سار اليهم وفرق عليهم الاموال ولم يبق معه بارة واحدة وبعد ان عاد اليه امره ان يسير امامه الى المدينة فاجابه وسار بين يديه حتى وصلا الى الباب فدخلاه ولم يكن ثمت مانع لان الابواب كانت تفتح ليلا ونهارا دون معارضة ولا ممانعة فتدخل الناس ويخرج اما للنزهة واما لاشغال خصوصية. ومن ثم سار الى ان قربا من قصر مهردكار واذا بخادمها ينتظرهما هناك فتقدم من الامير حمزة وقبل يديه وقال له تفضل ياسيدى فان سيدتى قد اعدت كل شيء لدخولك ومامن مانع يمنعك وعند قربه من القصر تقدم منه الحاجب وقبل يديه وقال له انى اخدمك على الدوام وافدى بنفسى لاجلك فشكره حمزه وقال له سوف اكافئك على جميلك هذا وبعد ذلك دخل القصر وامامه الرجل يسير من سلم الى اخر ومن دهليز الى اخر حتى صعد به الطابق العلوى وحالما وصل اليه شعرت مهردكار باتيانه فطار قلبها شعاعا وخرجت حالا لملاقاته ولما راها الامير وهو على تلك الحالة لم يقدر ان يتمالك نفسه عن ان يقبلها قبلة اللقاء وحياها تحيات العاشق المشتاق فاجابته على تحياته بالمثل واخذته من ابطه ودخلت به الى الغرفة السابقة الذكر واذا به يراها فائحة بروائح الند والعنبر والبخور والزهور تبعث أيضا بزكا روائحها العطرية فانشرح صدره لهذه الحالة ولم يكن قد مر عليه تنعم مثل النعيم او جلس مثل هذا المجلس البهج الانيق ومن ثم اجلسته على كرسى من العاج عليها شبكة من اللؤلؤ والمرجان وهى من المخمل الاحمر والحرير المزركش بالزراكش الفضة والذهبية وبعد ان استقر بهما الجلوس امرت قهرمانتها بالخروج فخرجت وخلا لهما الجو واخذ كل واحد منهما يطارح الاخر غرامه ويشكو اليه ما يلاقى من الوجد والهيام وقد قالت مهردكار انى كنت لا اظن ان الزمان يسمح لى ان اراك الى جانبى وفى القرب منى كل أسباب الحظ ومعداته وكفانى الان عيشة فى هذه الدنيا فقد وصلت الى اعظم السعادات وافضل الراحات والذ المعيشات كيف لا وان محبوبى امامى وعليه المعول ومنه ارجو دوام هذه الحالة اذ اراد الله ان يحسن الى ببقائى بعد فقال لها لقد قسم الله الحظ بيننا فانى مثلك اشعر بهناء وراحة عجيبين لم أكن اظن ان الاقى مثلهما فى حياتى بطولها وعليه فانى ساحافظ على مثل هذه الحالة واسعى فى كل ما فيه راحتك وهناك واطلبك لنفسى زوجة من ابيك فاذا أجاب كان خيرا والا اخذتك بقوة السيف والسنان وفتكت بابيك ولا ادعك تكونى لغيرى مطلقا ما زلت على قيد الحياة. قالت انى أفضل ان يبقى الحب على حالة بينك وبين ابى وان لا يتكدر احد من الاخر حيث انى احب ابى جدا وافضل ان ابقى الدوام تحت

طاعته ونظره . قال وانى مثلك اريد ذلك الان قلبى يخبرنى ان الحرب ستنشب بيننا والتزم الى عناده وتقع بيننا الاهوال ولا بد ان القلب دليل الانسان فارادت ان تمانع ذلك الا انها خافت من تصديع خاطره وغيظه وتركت الامور لتدبير العناية وقالت له ليس الان وقت كلام فقبل كل شيء اريد ان اصرف وقتاً على الحظ وشرب العقار فاغتنام مثل هذه الفرصة اوفق من تضييعها . ثم تناولت قدحاً من الشراب وناولته اياه بعد ان شربت منه قليلاً فاخذه من يدها وهو يتامل فى محاسنها ويحدق بجمالها وما اعطاها الله من الحسن الفائق والجمال الرائق وان كل ما راه فيها فهو حسن فاذا نظرت كانت تنظر باعين الغزال واذا نطقت كانت تنطق بلفظ اشهى من السحر الحلال كيف لا وهى شمس الدنيا وبالحقيقة ابهى من الشمس والقمر فكم من اقمار تضيء فى افق جبينها اللامع وكم من شمس تختفى تحت ثنايا محياها الساطع بافاقنا وخدا ببيض مورد اصيل مدور وفم قيل فى الامثال كانه خاتم سليمان فاذا اغلقته لا يمكن ان يعرف الناظر اين مكانه ولا بد ان تاتى بوصف جمالها باتمامه واذا لم يكن كله فبعضه فى غير هذا المكان مما ياتى .

وبعد ان احدق بجمالها متاملا كثيرا أنشد

زرت ازورتها على الاقمار   اومارأيت مطالع الانوار
وتبسمت عن راح ريق خلته   بردا اذيب بعرشف النوار
وتبرقت بسحاب برقعها فما   ابهى طلوع البدر فى الاسحار
وتضوعت حبات وجنتها فقل   فى نشرطى حدائق الازهار
وسطا على العشاق جفن لحاظها   اسمعت جفننا ناب عن بتار
ورنت جآذر لحظها عن ساحر   اغرى فؤاد الصب بالانذار
حمراء بيضاء الازار كانها   شمس تجلت فى ضياء نهار
لو لم تكن كالغصن ماهاجت على   ذاك القوام بلابل الاطيار
كلا ولاهام الشقيق بخدها   الا لنظهر جنة فى نار
فاعجب لناظرها اراق دمى وقد   لبس الجنوب عليه ثوب غبار
حاكت عنتر خالها فى خدها   والاصل فى الدعوى على دينار
فقضى بتعذيب الحشا نعمانه   لما قضى بتنعم الابصار
لم ابكها لكن بنظرة غيرها   طهرت اجفانى بماء جارى

وبعد ان فرغ من انشاده شرب الكاس وارجعها فارغة وهو ضائع العقل من شدة الهيام ومثله مهردكار فانها لما سمعته وقد انشد ما انشد فيها وفى جمالها تهلل وجهها فرحا وثبت عندها ان محبته صادقة وافية بالمقصود ولا ريب ان كل حبيب يطمان باله ويرتاح ضميره وازداد فرحا وخصوصا عندما يرى محبوبه يخلص الود وانه يصفه عن فؤاد صادق ولا بد ايضا انه

يرغب في ان يزيده في محنته له ليجعل نفسه بدرجة حبيبه وتفوقه اي انه يرغب في ان يجاري من حبه ويبرهن له انه أكثر مما هو احب وهكذا كانت مهردكار وحالتها على اعظم راحة وسعادة لم تعد تفكر بابيها واخوتها ولا ببلادها وصار عندها أفضل شيء ما هو امامها ولا سيما عند مارات الامير حمزة قد دنا من المائدة وتناول كاسا فارغة وسكب فيها من الخمرة شيئا وناولها اياها فمدت يدها وكانت تلمع وتضيء لشدة بياضها وفيها دماج من الذهب يغطي نصف زندها مرصعا بالحجارة الكريمة الغالية الثمن وبعد ان تناولت القدح لم ترد ان تشربه على الفور بل ارادت ان تمزجها بتصورها من ماء جماله فشربت الخمر والجمال في كاس واحد وبعد ان احدقت في حبيبها نحو من خمس دقائق تسمع له لفظ عذوبة حديثة المسكر وعند ذلك انشدت

وافى وأرواح العذيب نواسم   والليل فيه من الصباح مباسم
أهلا بمن أمري به وعد له   متاخر وهوى لنا متقدم
غض الشبيبة يعذر المضنى به   لجماله ويلام فيه اللائم
النضر من أعطافه وكنانة   بلحاظه وبهجتي هو هائم
هو ناظر متعشق وجوانح   فيها مواطن للجوى ومعالم
هيهات أن أثني عناني والصبا   غض وغصن العمر رطب ناعم
أو أشتكي حالي ومن أحببته   أبدا لاخلاف القبول ملازم

ثم تنهدت من فؤاد متلوع بنار الغرام وأنشدت

يامن شغلت به سري وأوهامي   ومن بمعناه اتحادي واتهامي
ومن الفت رضاه الرحب جانبه   وفزت منه باحسان وانعام
لم أنس اقدامك التي سمت ومشت   بهن حينا على الحسناء اقدامي
كن كيف شئت فداك الناس كلهم   فالناس كلهم في ظلك السامي
وحسن ايامك الغر التي حسنت   بها ليالي من دهري واياي

وبعد ان شربت الكاس ناولته اياها فشرب وهكذا صرفا نحوا من ساعتين على اطيب هناء واصفى عيشة وانعم راحة وبعد ذلك طلب الامير الذهاب فقال لها اريد منك ان تمنحيني الرضا والقبول وان تعاهديني على الوفاء والمودة فهذا اول مرة اجتمعنا بها ومن الواجب ان تكون قلوبنا مرتبطة بروابط لا تنفصل عروتها الى ان ندرج بالاكفان واني اقسم لك بالله العظيم وبيت الله الحرام ان لا اتركك ولا امتنع عنك ولا ازال اطلب زواجك حتى احصل عليه ولو حالت دون ذلك الوف من المصاعب والمصائب ولو اجتمع علي ايضا الوف الوف الناس ولي الله فهو يساعدني على ما اريد. فقالت له واني ايضا اقسم بربك الذي اعبده مجددا واعتبره انه الحي القيوم الذي لا يموت ولا يترك عباده من عنايته اني احافظ على حبك حتى الموت

وارعى عهدك ولا اخونه قط ولا انثني عن وعدي هذا ولو فتكت بي فواتك الهلاك ولعبت بجسمي سيوف الانتقام وعاندني ابي ورجال مملكته كلهم ولما ارتاح بال كل واحد منهما من هذا القبيل قال لها الامير حمزه اني في صباح الغد سآتي الى ابيك حسب عادتي وحال وجودي عنده اطلبك منه زوجة وانظر ماذا يقول وبماذا يجيب ولا ريب انه ينعم لي بك اذا تركك على غايته وارادته لكن جماعة الفرس ينكروز عليه ذلك فلا يوافقهم قط ولا يرضون به ابدا. قالت اني احذرك من الوزير بختك فهو خبيث محتال خادع غاش يسعى بهلاكك على الدوام واذا وجد من يمانع ابي او يبعده عن الاجابة فيكون هو لانه مسموع الكلمة عنده جدا وليس عنده فقط بل عند عموم رجال الفرس لانه من عائلة شريفة جدا مكرم الخاطر عند الخاص والعام بعد ابي وابي يعلم منه ذلك الا انه يرى نفسه مضطرا للانقياد اليه حيا برعاياه مع انه يعرف ان بزرجمهر اعقل منه واحكم وافضل ادبا غير ان العجم يعلمون انه يعبد الله ولا يعبد النار فيميلون الى بختك قال لها كوني براحة من هذا الوجه فما على خوف من احد ما دامت عين الله ترعاني وتحفظني ثم ودعها وخرج وهو يقول لها يصعب علي بعادك ومبارحتك ولا بد ان نجتمع قريبا ان شاء الله فبكت لفراقه وشعرت بان حياتها انسلخت عن جسمها فدخلت غرفتها ونزعت ثيابها ورمت بنفسها على سريرها ولولا املها بقرب وصوله من زمن راحتها لما نامت تلك الليلة مطلقا غير انها اطمأن بالها عند فكرها بان الغد يكشف عن باطن سر حياتها وهل ان اباها يجيب او يمتنع وعليه فانها بعد امعان الفكرة نحو امن ساعة غرقت ببحر النوم الطويل

واما الامير حمزه فانه بقي سائرا ومعه الامير عمر حتى وصل الى صيوانه ولم يشعر به احد فدخله ونام وهو موجه بكل فكره الى محبوبته مؤكد بانه سيحصل عليها باي طريقة كانت اما بالرضا واما بالقتال وجعل يفكر كيف يطلبها من أبيها في الغد وماذا يقول له واذا امتنع ماذا يجب ان يفعل وما لبث على ذلك نحو امن ساعة حتى ذهب به شرب العقار الى النعاس فنام تلك الليلة غائبا عن الهدى ولم ينتبه الا عند الصباح فنهض من فراشه وذهب الى الملك النعمان فوجده بانتظاره فجلس عنده الى ان اجتمع عنده الامراء وحان الوقت الذين يذهبون به الى ديوان كسرى فقام كل منهم الى جواده فركبه وسار واجميعا الى المدينة ولما قربوا منها نظر حمزة الى قصر مهردكار فوجدها بالشباك كعادته خياها على نظر من الملك النعمان وجماعته حتى لم يعد يخفى امره على احد وبعد ذلك دخل الديوان وكل من العرب يتعجب من حال الامير وما هي العلاقة الواقعة بينه وبين بنت كسرى وحسب الملك النعمان لذلك حسابا وخاف العاقبة ولم يخطر له ابدا ان الامير حمزه يفكر بزواج مهردكار أو ان يقدر على الزواج بادنى بنت من بنات الفرس وهذا كان كل من العرب يتمناهن عليه من الجمال البارع والحسن البديع الذي خصهن الله به دون سواهن من نساء العالم قاطبة

قال ولما دخل الامير حمزة للديوان وجلس فى مكانه بالقرب من كسرى جعل يباسطه ويحادثه وقد زاد معه بالكلام عن العادة لشدة حبه له الا ان الملك قال لوزيره بزرجمهر اريد منك أن تخبر الامير حمزة انه الآن براحة ومامن صعب ان ترقية المعالى وانى أشعر على الدوام بصدافة خدمته وقد فعل معنا جميلا لا أنساه قط وحتى الساعة لم اكافئه من تلقاء نفسي وأريد أن يطلب منى الان ما يتمنى فاعطيه اياه فى مقابلة فضله على بلاد الاعجام . فبلغ بزرجمهر الكلام الى حمزة وسأله أن يطلب ما اراد فقال له اخاف اذا طلبت شيئا فلم يجبنى اليه فعاد الكلام على الملك قال فليطلب مهما اراد فانى لا امنع عنه شيئا ولو كان كرسي ملكى وتاجى ولما سمع حمزة هذا الكلام حركه الغرام وثبت عنده ان الصدفة قد خدمته فجاء الامر على احب ما يشتهى ولذلك قال لبزرجمهر أريد أن تسأل الملك بزواجى ببنته مهردكار وهذا الذى اريده وغيره لا اريد فاذا جاد كان ذلك كرما منه وجبر بخاطري والا فيكون قد منعنى من شيء احبه وما مانى بغير الحق فلما سمع بزرجمهر هذا الكلام نشف ريقه فى فمه واضطرب اضطرابا عظيما وقال لحمزة ان هذا الذى تطلبه لا يمكن ابدا فارجع عنه ولا تلقى بنفسك فى سبيل العناد فينقلب الحب الواقع الان بينك وبين الملك الى بغض وعداوة فاطلب امر الايمس به ناموسه ودينه . قال لا اريد الا ان يسمح لى ببنته فان اجاب بالرضا كنت خادما له على طول الزمان والا جردت فى وجهه سيف الانتقام ومت على عداوته ولا انفك الا بعد نوال غايتى وليس عليك ياسيدى الا بلاغ كلامى للملك ومامن باس عليك حيث لم اطلب امرا به اخلال ناموسه ودينه فالزواج سنة محمودة عند عموم بنى الانسان واما دينه فانى لم امسه قط وقد بلغنى ان مهردكار هى على دين الله عز وجل ولهذا طلبت ان لا ابقيها بين عبدة النار

فوقع هذا الكلام من الوزير بزرجمهر موقع الاستحسان غير انه كان لا يجسر ان يعرضه على كسرى وكان كسرى لحظ من حالة الوزير واضطرابه ان طلب حمزة خطير فاراد ان يعرفه ويجيبه اليه ليظهر محبته امام جميع الحاضرين فقال للوزير لما هذه المعالجة فاخبرنى بما يطلب حمزة فلا امنع عنه شيئا ولو كان طلبه بنتى مهردكار ليس انى فوضته ووعدته ومن كان مثلى لا يقول ويخالف . فقال له ياسيدى انه يريد ان يتقرب منك ويتزوج بنتك مهردكار وما قصده بذلك الا ليكون على الدوام بين يديك وفى ديوانك ويدافع عن بلادك وهذه الطريقة تجعله مضطرا وقد اردت ان امنعه عن هذا الطلب لعلمى ان بنتكم لا تليق ان تكون زوجة لرجل عربى فقال لى هذا الابد منه وان حضرة الملك وعدنى بان يعطينى كل ما اطلبه خصوصا انى متربى على نعمته كما يتربى اجداد اولاده واولاد عمه والذى حملنى على هذا الطلب اعتقادى بحلم الملك وكرمه فلما سمع الملك ذلك لم يرض ان يمتنع واستحى من ان يرجع بقوله فقال على الفور بلغ حمزة انى اجبته الى طلبه وانعمت له ببنتى مهردكار زوجة وحليلة فانى اعرف انها وان كانت

بنت اعظم ملوك هذا الزمان وقد اعطيت من الحسن والادب وجودة العقل مالم يعطى لغيرها قط الا انها تحتاج ان يكون لها زوجا كالامير حمزة يقابلها بالشكل ويقدر ان يحميها من كل عدو ومطارد وزواجه بينتى لا يقوم مقام تخليصه لبلادى من عدوى فلما سمع الوزير بختك وجميع الحاضرين هذا الكلام اعترتهم الدهشة واخذهم الجمود ولم يكن من واحد منهم يصدق قبل ذلك ان كسرى يصدر منه مثل هذا الكلام وخصوصا الملك النعمان فانه عند ما سمع الوزير يبلغ حمزة كلام سيده تعجب كل العجب وهو لا يصدق انه ينتهى مثل هذا الامر واما بختك بن قرقيش فانه وقع باليأس ونزلت عليه صاعقة من الغضب وانفطرت مرارته وكاد يغيب صوابه واصبح فاقد الحس والعقل بوقت واحد وبقى اكثر من ساعة لا يطيق الكلام ولا يخرج ريقه من حلقه

قال ولما سمع الامير حمزة كلام الملك نهض اليه فى الحال فقبل يديه وشكره مزيد الشكر فقبله الملك وبش فى وجهه واعاده الى موضعه وامر ان يوضع الطعام حسب العادة للغداء فجلسوا على مائدة الطعام واكلوا وقاموا عن الاكل يشكرون الله تعالى وشاع الخبر من ديوان الملك الى غيره ان الملك قد زوج بنته مهردكار بالامير حمزة حتى وصل الى مهردكار من حاجب بابها فانه حالما بلغه هذا الخبر دخل عليها وقال لها انى ابشرك ياسيدتى بامر اظنك ترضينه وتحبينه قالت وما هو وقد شعرت به فى داخلها لانها كانت طول الوقت تفكر فى هذا المعنى وتتوق نفسها الى معرفة ما يكون جواب ابيها وهى فى خفقان قلب دائم الى ان قال لها الحاجب ان اباك قد انعم بزواجك الى الامير حمزة عن رضا وقبول. فطار قلبها شغفا عند سماعها هذا الخبر ونزلت دمعة الفرح على خدها من أعينها وبقيت اكثر من ساعة صامتة لا تعرف ما تقول لعظم ما وقع عليها من الفرح وبعد ذلك نزعت عقدا من الجوهر كان برقبتها فدفعته الى الحاجب وقالت له هذا جزاء بشارتك الا أنى أريدك أن تكتمه كى لا يقال عنى انى مرتبطة معه على ذلك فكاد الرجل يطير من الفرح وهو لا يصدق انها أنعمت عليه بمثل هذا الانعام وبعد أن قبل يديها خرج من عندها يدعو النار أن تساعدها ولا تحرمها من غايتها وأقامت بعده على أهنأ حالة وأنعم بال ترى نفسها والى ما سمعته بين التعجب والاندهاش تنتظر الى أن يأتى المساء لتبعث الى الامير حمزة بالطعام وتسأله عما كان من أمر أبيها مفصلا

وأما الامير حمزة فانه بقى فى ديوان الملك إلى أن أرفض فذهب كل واحد الى حاله ورجع الامير مسرور الخاطر طيب الفؤاد فودعه كسرى اكثر من العادة انسا ولطفا ولما سار فى الطريق قال النعمان للامير حمزه انى لا أصدق ان كسرى يجيب على طلبك بالايجاب وماذلك الامن السعادة الكبرى التى خدمتك بالاول ولا تزال تخدمك قال وما عجيب بذلك ولما يمتنع كسرى عن الاجابة ألست أنا خلصت له بلاده وأرجعته الى ملكه ولى عليه الفضل الذى لا يوصف وهل

يرى لبنته أليق منى فتى. قال أليس القصد الا العادة فقط فان الفرس يكرهون حد التقرب من العرب فلا يعتبرنهم الا اعتبار الخدمة ويستحقرن معيشتهم وأطوارهم فيضربون بهم الامثال ولهذا نتعجب من ذلك ومن نفس مهرد كار كيف يمكنها أن تعيش مع بدوى وتترك القصور الشوامخ والراحة والرفاهية قال انى لا أغير عليها امرا فتبقى عائشة كما كانت وان كان من جهة العادة ان الفرس يحطون من قدر العرب فانى سابطل هذه العادة واجعل الفرس يتمنون التقرب من العرب ولا يكرهون امر من امورهم وسوف ترى مايقدرنى عليه الله سبحانه وتعالى فدعا له الجميع بالتوفيق وطول العمر ودوام الاقبال وساروا حتى وصلوا الى الخيام فتفرق كل الى صيوانه وسار حمزه الى صيوانه فدخله وجلس ينتظر الطعام حسب العادة وقلبه ملآن بالسرور فدخل عليه أخوه عمرو وقال له أما قلت لك مرارا ان الامر سهل ومامن صعوبة تحول دون غرضك فاهنيك من الان . قال انى قلت لك منذ الاول ان قلبي وضميرى تنبهانى ان الامر صعب ومع الى الان سمعت كلام كسرى وثبت لدى انه زوجنى بنته بحضر من الناس يشهدون عليه ولم يعد فى وسعه الرجوع لا أصدق ان أحصل على مهرد كار دون قتال ونزال واراقة دماء وصعوبات جمه . قال لم يعد من موجب لذلك فاذا قال كسرى قولا فعله الا اذا غيره عنه بختك الخبيث لمحتال وفيما هما على مثل ذلك واذا بالخادم جاء بالطعام فقدمه للامير وساله عن لسان مولاته أن يخبرها عما كان فحكى له الواقعة وقال له بشرها بكل خير وسعادة فقد قضى الامر وانتهى . فرجع الرجل فرحانا وأخبر مولاته

قال وفيما هى على مثل ذلك واذا بابيها قد دخل عليها فقامت له ولاقته وقبلت يديه فقبلها وأجلسها الى جانبه وأخبرها عما كان من امر الامير حمزه وانه أنعم عليه بزواجها فلم تظهر شيئا مما فى قلبها بل قالت له انت أبى ومالك قيادى وأمرى بيدك كيف شئت دبرتنى فلا حياة لى بغير رضاك ومساعدتك وفى تلك الساعة جاء الوزير بختك الى ذلك القصر ودخل على الملك فقام له وترحب به وساله عن سبب مجيئه فى مثل هذا الوقت وأتيانه الى قصر مهرد كار قال انك لا تجهل ياسيدى أمر مجيىء اليك فى مثل هذا الوقت لانى رايت منك فى هذا اليوم ماادهشنى وجعلنى لاأصدق انك كسرى أنوشروان وأخاف ان يكون قد طرأ عليك أمر غير من شرفك وناموسك وطباعك . قال لماذلك وماالذى أدهشك قال تنازلك بزواج مهرد كار الى هذا البدوى فقد انزلت من قدرك وقدر بلادك وبنى جنسك الى أدنى درجة وانت تعلم ان الامير حمزة لو أراد الزواج باقل بنت من بنات فارس لامتنعنا عليه فكم بالحرى بنتك التى لا نظير لها فى هذا الزمان فعملك هذا مما يبغض النار ويبعد عنك اولادعمك واقاربك ويحط من قدرك عند عموم رعاياك وما انى واحد منهم ومسئول بحفظ ناموسك من السقوط اتيت أرجوك الرجوع عن قولك قال هذا لا يمكننى بعد لانى قلت ولا أرجع بقولى فاذا امتنعت يقال عنى

كاذب نا كث الجميل على اني أرى ان الامير حمزة يستحق أن يكون زوجا لمهرد كار وحاكما على بلاد فارس ولابسا التاج . فقال له الوزير لاريب ان الزمان غير من صفاتك ياسيدي فما كلامك هذا من باب الكمال ولا أعرف ما السبب الذي أوصلك الى هذه الدرجة فاذا يقال عنك اذا رجعت بقولك غير انك وعيت الى نفسك وطلبت حفظ ناموسك لان عموم رعاياك في هذه الليلة يتحدثون بشانك ويتعجبون من أمرك وسماحك بينتك شمس الدنيا وزينتها . قال فقلت لك ولا أرجع بقولي اني لا أرغب في الكذب ولا أندم على شيء صدر مني . قال ان كنت لا تريد أن ترجع عن قول وقع منك بارادتك فالنار تدعوك اليه بالرغم عنك والا تكون مغتاظة منك لانك زوجت بنتك برجل على غير عبادتها فتلزم أن تترك عبادة النار وتعبد الله الذي يعبده زوجها واذا كنت لا ترضى بالرجوع عن قولك فاعهد الي بتدبير هذا الامر فاني اخلصك منه بطريقة اخرى وماذا ترى عدت ترتجي من الامير حمزه فقد انقضى الامر الذي كنا نطلبه منه وتم الحلم فبقاؤه نقمة للفرس وانا ارسله الى تهلكة تتخلص منها انت من قومك ولا يعرف ذلك منك احد ولا اذا تزوجت بنتك لحمزة تكون قد رفعت عن العرب نيرا ثقيلا واضعت الملك من يدك لانهم الان عارفون ان لاقدرة لهم على عنادنا وخرق حرمتنا فيطمعون ويظنون ان لولا خوفك من باسهم ومن الامير حمزة لما زوجته بنتك وخصوصا انه متى اتصل نسبك بنسبه يرى ان له الحق في الملك اما على العرب واما على العجم فنقع في أمر خطير يصعب علينا دفعه فيما بعد وبقي بختك على الملك حتى غيره عن عزمه واقنعه أن لا يزوج بنته بالامير حمزة وان زواجها مضرة كبرى للفرس . وكانت مهرد كار تسمع كل هذا الكلام فاسودت الدنيا في عينيها وانقلبت افراحها الى اتراح وضاق صدرها فخرجت من امام ابيها وذهبت الى سريرها فانطرحت عليه حزينة كئيبه وبقي الملك والوزير فقال له كيف التدبير الان للخلاص من هذه الورطة الوبيلة قال ان من الواجب ان لا تبقى انت على قولك ولا ترجع عنه واذا سألك حمزة الانجاز بالوعد فقل له اني وعدتك ولا ارجع بوعدي وبنتي هي لك وقد طلبتها مني ومن اللازم ان تطلبها من وزيري بختك وبزرجمهر حيث انهما مدبرا ملكي ولا ريب ان بزرجمهر يجيب وانا ادبر امري واقول له شيئا نتخلص منه على غير كدر ويبقى الامر على حاله

قال وبعد ان اتفقا على ماتقدم سار الملك الى قصره وسار بختك فرحا مسرورا بنوال مراده واقناع الملك بارجاعه عن عزمه وبغضه لحمزة وسعيه مع وزيره على هلاكه وكان على جانب عظيم من البساطة اقل امر يرجعه عن عزمه ولا سيما ان وزيره بختك كان معدود الخاطر عنده محبو بامنه فهو بصفة وزير ديني وامام في الدولة الفارسية في ذاك الزمان وما كان ذلك من كسرى الا لحسن حظ حمزة وسوء حظ الملك ليجلب على بلاده حروبا واهوالا ويرمي

بنفسه فى وهدة الاخطار ولم يعد يلتفت بعد ذلك اليوم الى عمل الامير حمزة معه ومعروفه ونسي ماهو عليه من البسالة والاقدام وماذلك الا بتدبيره سبحانه وتعالى يحي ويميت ويقلب الاحوال فهو على كل شيء قدير

قال فهذا ما كان من امر كسرى ووزيره واما ما كان من الامير حمزة فانه قام فى الصباح مسرورا فرحا وعول على الخروج من صيوانه الى صيوان الملك النعمان واذا به يرى عند الباب خادم مهردكار ينتظر خروجه فارتبك من اتيانه فى مثل هذا الوقت على غير عادة فتقدم منه وسأله عن سبب مجيئه فدفع اليه كتابا كانت قد اعطته اياه سيدته ليعطيه الى الامير حمزة تذكر له كل ما كان من امر ابيها وبختك وما سمعته منهما وتذكر له فيه ان لا يظهر ذلك بل يبقى كاتمه فى صدره الى حين يرى مايكون من امر ابيها فاغتاظ الامير حمزه من ذلك وقال لعن الله الفرس فانهم اقوام اشرار ولا بدلى من هلاك بختك كيف ما كان الحال غير انه وعى الى كلام حبيبته وصبر على امره وقال للرجل سلم على مولاتك واخبرها انى سأ كتم ذلك واصرف كل جهدي الى دوام الالفة والمحبة بيني وبين ابيها اكراما لخاطرها ولو تحملت فى ذلك صعوبة عظيمة وثقلة اعظم

ثم ان بعد ذلك سار الى صيوان الملك النعمان فوجده له بالانتظار فقال له هلم بنا نسير الى ديوان كسرى لترى مايكون من امره فى هذا اليوم ونطلب اليه ان يعين لنا يوم الزفاف وفى اى وقت يكون . فركب الجميع وساروا حتى جاؤا الى باب الايوان فنظر حمزه الى فوق فراى مهردكار جالسة فى مكانها واعينها تذرف دموع الحزن منكسرة الخاطر لا تتبسم كالعادة فانفطرت لذلك مرارته وتكدره زيد الكدر وانطبقت المدائن على راسه وحياها التحية المعتادة فاجابته بالاشارة ثم دخل الديوان فتلقاه كسرى بالبشاشة وترحب به واجلسه الى جانبه وقربه منه وامر ان يقدم له وجماعته الشراب كالعادة . ومن ثم التفت الامير الى بزرجمهر وقال له اريد منك ياسيدي ان تسال لى حضرة الملك ان يعين يوم زفاف بنته وفى اى يوم يكون وما يريد لها مهرا لانى لا ارغب فى التطويل وحيث قد انعم واوعد فلم يبق الا انجاز الوعد فبلغ الوزير كسرى كلام حمزه فقال له انى زوجته ابنتى ولا أرجع بوعدى قط غير انى وعيت الى نفسي فعرفت انى خرقت حرمة وزرائي وكان من اللازم ان استشيرهم بذلك ومن الواجب ان يرضوهم قبلى كونهم مدبرين امري وامر مملكتي ومثل هذا الامر له تعلق بهم ولا سيما الوزير بختك لانه يجب ان يرى ان كان ذلك موافق الشريعة الفارسية ام لا فلما سمع بزرجمهر ذلك ادرك بفطانته وذكائه الدسيسة وعرف ان بختك قد غير خاطر الملك على حمزة وعليه فانه بلغه كلامه وقال له ان الامور بحسب الظاهر مامن مانع ولكن فى المسالة سر . فقال حمزه

للوزير اريد ان تسال لي بختك وتخبره اني مزمع ان اقترن بمهر دكار بنت الملك كسرى فهل يقبل بذلك او يرى مايمنع وقوع هذا القران واريد ان اعرف فكره من هذا القبيل وماذا يقول وحينئذ قال لبختك لما كنت ايها الوزير الخبير مدبر الدولة الفارسية وسيد فيها ولك المقام الاول في صدرا عيانها يريد منك الامير حمزه ان تبدي رايك في شان زواجه بمهر دكار بنت كسرى سيدنا فهل من مانع يحول دون اتمام هذا الزواج وهل تصادق عليه او تمتنع عنه . فقال له قل للامير حمزه ما اخبرك به حرفا بحرف وهو اني في ليلة امس كنت مجتمعا مع سيدي الملك في قصر بنته فوجدته مضطرب الافكار متكدرا فقلت له لماذلك وانت كنت في النهار مسرورا وقد زوجت بنتك بالامير حمزه ومن اللازم ان تهتم بهذا الزواج وتنظر فيه وتدبره لان عموم بلاد الفرس ينتظرون مثل هذا الزواج حيث انهم جميعهم يحبون الامير حمزه مخلص بلادهم ويحبون مهر دكار بنت ملكهم ووحيدة عصرها . فقال لي اني من اجل ذلك مغتاظا لا ندما على وعدى للامير حمزة ببنتي حيث اعلم انه يستحقها وهو افضل رجل عندي احبه حبا لا يوصف غير اني كنت قبل وقوع مثل هذه الامر ان ارسله الى الامير معقل البهلوان صاحب حصن تبزان فقد عصاني ولم يعتبر اوامري وبعثت له بعدة جيوش وفرسان فبددها وشردها وحتى اليوم يدوس كلامي ويوقع باصحابي وكيف اكون كسرى انوشروان ملك الارض شرقها والغرب ويعصاني مثل هذا الامير . وحيث ان الامير حمزة قد طلب بنتي ووعدته بها لم يعد في وسعي ان أعرض عليه مثل هذا الامر او أطلب اليه الذهاب الى تبزان خوفا من ان يظن في السوء وتتهمني العرب ورعاياي بالغدر والخداع فقلت ان هذا الامر سهل جدا لان من عادة العرب ان لا يتزوجوا فتاة ما لم يقدموا لها مهرا وصداقا فاطلب منه مهر بنتك اذلال معقل البهلوان وبذلك تكون قد انصفته وارحت نفسك من هذا العاصي الخادع وعندي أن صهره حمزة لا يقبل ان يتزوج بمهر دكار وعلى أبيها مثل هذا الكدر والهم فيزيله قبل ان يفتكر بزواجه ويحتفل به . فقال لي اني لا اوافق على ذلك ولا ينطق به لساني فقلت دعني أقول له وأعرض عليه هذا الامر وبعد ذلك يرى ما يريده حتى اذا امتنع عن الذهاب الى قتال معقل ولح بزواج مهر دكار أجبناه لانه صار كواحد منا وهذا نريده منه اذا كان يرضي ويرى نفسه قادرا كبح جماح هذا العاصي يسير اليه ويقتله ويأتي به الينا والا فالخاطر له والامر مفوض اليه . فلما سمع بزرجمهر هذا الكلام كادت تنفطر مرارته لعلمه ان الامير معقل هو فارس لا يوجد مثله في ذلك الزمان وله عدة سنين عاص في قلعته لا يمكن لالوف الوف من الفرسان ان تتوصل اليه او تنال منه مرادا الا انه كان يرى نفسه مضطرا الى أخباره بكل ما قاله بختك فاعاده على حمزة حرفا بحرف واطلعه ان المانع هو هذا الامر فقط

ولما سمع الامير حمزة هذا الكلام وقف امام كسرى وقال له على مسمع من الجميع انى اقسم بالله العظيم رب موسى وابراهيم وبالركن والحجر والبيت العتيق المطهر انى لا اتزوج بمهردكار مالم احضر الى هذا الديوان هذا العاصى الذى يزعم انه لا يقدر على اذلاله وهو معقل البهلوان كى لا يكون حجة لبختك وغيره واقسم برأس كسرى صاحب هذا الايوان انى لا أسير اليه برفيق بل أسير وحدى ومعى عمر العيار كى لا يكون فى ذلك من يعيننى ويساعدنى ولا أصبح فى اليوم القادم الا سائرا على طريق تبزان انجاز الغاية محى الملك ابو مهردكار

قال ولما سمع كسرى كلام بختك علم انه القاه فى خطر عظيم وامر جسيم وقال فى نفسه لله درك من وزير قادر على الاحتيال لقد سعيت فى خلاص بنتى وانفاذ غايتك بوقت واحد الا انه قال علنا بواسطة بزرجمهر انى لا أريد ان يذهب صهرى حمزة وحده فليأخذ جيوش العرب والعجم معه ولا اريد ان يخاطر بنفسه او يلاقى صعوبة من أجلى وهو عندى من أعز الفرسان وبذلك يكون ضميرى مطمئنا عليه ومرتاحا من جهته . فقال الامير حمزة هذا لا يمكن ابدا وقد اقسمت ان لا اسير الا وحدى ولا اصحب معى غير جوادى الاصفر انز وسيفى واخى عمر وكفانى مثل هؤلاء الرفقاء المساعدين . ثم انه طلب الانصراف من ديوان كسرى وخرج وهو على نية السفر متكدر من مساعى بختك . ولما رأته مهردكار وقد خرج على غير الاستواء وقبل الوقت المعتاد خفق قلبها وخافت من ان يكون قد وقع امر مكدر بينه وبين ابيها وتمزقت احشاؤها وتاقت الى المعرفة الحقيقة فلم تقدر ولم تعلم من لوائح وجهه غير انها رأته متكدرا واشار اليها اشارة المودع فدخلت غرفتها فى الحال وهى حزينه ووضعت رأسها بين يديها واذرفت دموع الياس وشعرت بان الدهر سيعاندها ولا يترك لها سبيلا لهنائها وتصورت بافكارها ان الامير حمزة حبيبها قد تنازع مع أبيها وبسبب هذا النزاع لا بد ان يتصعب عليها التقرب منه ولولا ذلك لما خرج غضبانا ومتكدرا فى مثل ذاك الوقت . وبقت حالتها على ماهى منتظرة المساء لتعرف ما كان من أمر ابيها والامير

قال وعندما اسودت خيمة الليل وعقد الخيط الاسود على هامة البلد دعت بخادمها ودفعت اليه الطعام وسالته ان يطلب من الامير ان يخبرها بما وقع بينه وبين ابيها فسار الرجل الى ان وقف بين يدى الامير فدفع اليه الطعام وقال له ان سيدتى لما رأتك وأنت عائد من عند أبيها على تلك الحالة تكدرت ولا تزال متكدرة حتى الآن وهى لا تعلم السبب الذى دعاك الى الخروج قبل الوقت وانت على تلك الحالة وقالت لى ان استفسر لها من السبب الموجب لمثل هذا وقد شعرت بتعاسة حظها وسوء مستقبلها فقال له انه لم يكن ما كدرنى من أبيها الا تسليمه امر زواجها للوزير بختك ومع كل ذلك فانى لا ازال احافظ على مودتها وارعى عهودها اكثر من الاول بالف مرة فلتكن براحة وانتأكد انى لا بد ان أحصل عليها ولو كان دونها سد

الاسكندر . وان أباها بواسطة الوزير بختك طلب مني أن أطيع له الامير معقل صاحب حصن تيزان ظنا منه انه يرميني بتهلكة جديدة وبهذه الطريقة يتخلص مني وقد وعدته اني اسير وحدي الى هذا العاصي واجيء به ذليلا الى بين يدي ابيها ليعلم اني اقول فافعل فيقتصر مرة ثانية عن مثل هذا العمل وفوق كل ذلك فاني اقصد كيد الوزير بختك فاذا راني وقد تخلصت من هذه التهلكة وعدت منصورا ظافرا انفطرت مرارته وزاد قهرا فوق قهر وغيظا فوق غيظ ولا بد انه بعد رجوعه يدبر لي امرا اخر يشغلني به عن الزواج واني اعاهدها اني ابقى محافظا على السلام مع ابيها اكراما لخاطرها فاجيبه الى كل ما يطلبني ويندبني اليه الى النهاية اي الى اليوم الذي يأمر به الله سبحانه وتعالى بعقد زواجنا ومراعات راحتنا فاقرها السلام واخبرها اني لست متكدرا من ابيها ابدا ولا اريد ان اسمع انها مكدرة مقهورة ويسرني ان اسمع انها براحة ومسرة من اجلي ومن اجل كل شيء

فقبل الرجل يديه وخرج وبعد ان اكل حمزة الطعام جاء اليه الملك النعمان واصفران الدربندي والامير عقيل وباقي الامراء وعندما استقر بهم الجلوس قال له الملك النعمان يصعب علينا الوعد الذي وعدت به الملك كسرى واني من اجلك في شاغل عظيم لانك رميت بنفسك في خطر عظيم واشرطت على نفسك انك تاتي بالامير معقل مع انه نادرة هذا الزمان وفارس لم يخلق مثله بين الفرسان وانتشر صيته من الشرق الى الغرب وفاق على كل فارس ندب فقصدته الفرسان من اليمن والعراق وارض الهند لتجرب نفسها معه فلم يكن من يثبت امامه حتى ان الملك كسرى طالما بعث اليه بالفرسان والابطال فبدد شملها وشردها وهو لا ينقاد الى احد وهو لا ينقاد الى احد ولا يذل لاحد فقال له الامير حمزة ان هذا مما يزيدني تشوقا الى ملاقاته ليعرف كسرى مقدار شجاعتي ويؤكد ان العرب علة البسالة والاقدام وان فرسانهم مقدمة على غيرها وليعرف ايضا انه يصاهر بطلا لا يعجز عن أمر من هذه الدنيا ولا يثبت لديه فارس وأني أكرر قسمي الان اني لا بد ان اجيء بمعقل حيا معترفا بفضلي وشجاعتي . فقال له اصفران الدربندي ان كان لا بد لك من ذلك فاني أسير في ركابك واقاتل بين يديك حيث لا أطيق فراقك ولا أصبر عنه قال هذا لا يمكن قط لاني أقسمت أن أسير وحدي فاذا سار معي أحد يقولون باني رافقت مساعدا فساعدني فلا يطمع احد بمرافقتي غير اخي عمر . فسكت الجميع عن الجواب وبعد ان انصرفوا دعا اخاه عمرا وقال له اني اريد ان اسير في الصباح فكن على حذر وهيء نفسك للسفر وسيس الجواد واكثر له من العلف واصحب معك كل ما تحتاجه من زاد وطعام واسأل لنا عن الطريق الموديه الى تيزان قال ان كل شيء قد حضر وما جئت الآن إلا بعد ان عرفت الطريق ورسمها وفي اي جهة قلعة تيزان فانا ممن يتهامل بامر واذا شئت فاذن لي ان اسير وحدي الى معقل هذا الذي تطلب المسير اليه فاجيئك به مقيدا لتسلمه الى

كسرى . قال لا يمكن ذلك ولا اريد أن احك جسمي الابظفرى . ثم ان الامير نام تلك الليلة ينتظر الصباح

فهذا ما كان من الامير حمزة واما ما كان من مهردكار فانها انتظرت الى ان عاد اليها رسولها واخبرها بما سمعه من الامير وانه سيسافر الى حصن الامير معقل ليأتى به ذليلا الى بين يدى ابيها فادركت سر المسألة وعرفت ان اباها قد اتفق مع بختك على هلاكه وقد رجع عن عزمه وترك الوفاء وخان الوعد الذى وعد به فتكدرت مزيد الكدر ولولا شروط التربية لكرهت اباها وتمنت موته على خيانته هذه حيث كانت لا تحب الخائنين وتفضل اصحاب الاطوار الثابتة الكاملة وتمدح العبد اذا كان امينا وتفضله على السيد ان كان غاشا وخافت كل الخوف من ان الامير معقل هذا الذى كانت تسمع عنه انه نادر المثال بين الابطال يبطش بمحبوبها او يوصل اليه اذى ومما كان يزيدها خوفا وكدرا واضطرابا قول الرسول ان سيسير الى قلعة تيزان وحده لا يصحب معه غير الامير عمر العيار فقط ولا يرضى بمساعدة احد على هذا الامر وصرفت تلك الليلة بطولها مشغلة البال مقلقة الافكار خائفة من غوائل الايام والليال بعد ان كانت قد اوصلت اللقمة الى فمها عادت الى محاولة اختطافها منها وشتتت محبوبها الى الاماكن البعيدة ولم تر لانحباس همها وحزنها فرجا بالشكوى ومناشدة الاشعار ولذلك قالت

ما كان اغناك ياعينى عن النظر ... فصرعى كان بين السحر والحور
اجلت لحظى فى خديه فاشتملت ... غلالة الوجنة الحمراء من نظرى
فلو تأملتها اخرى لاحرقتنى ... شعاعها واختفت عنى من الخفر
رفقا بتعذيب قلبي يامعذبه ... فاننى بشر يا احسن البشر
صيرت جسمى رقيقا كالزجاج غدا ... يشف من جمر نار الشوق والفكر
دخانها زفرات والحريق بها ... قلبى بلا ذالة والدمع كالشرر
وعاذل قال لى ان الهوى خطر ... لا كنت ان لم اكن منه خطر

ولما لم تر وسيلة لاخماد نار بلواها غير الصبر والتسليم لارادة العناية صبرت منتظرة الفرج منه تعالى واملت كغيرها من بنى الانسان ان الدهر لا يبقى على حاله ولا بد من ان يأتى بالمقصود مهما اخلف وان مر فلا بد ان يحلو وهكذا تركت كل شيء لعنايته تعالى

قال وكان كسرى بعد ذهاب حمزة قد اجتمع ببختك ومدحه على فعله وقال له انى مسرور منك فى هذا اليوم سرورا عظيما لانك دبرت تدبيرا احسنا به ننال المراد كيف كان الحال فاذا فاز الامير معقل تخلصنا من الامير حمزة ووعدنا كما كنا قبلا وتخلصت ايضا من وعدى له واذا فاز حمزة وطيع معقلا كان الامر افضل واوفق قال انى اخبرك ان الامير حمزة لا يعود من هذه

الخطرة فان هلاكه فيها وسوف ترى وتسمع ما يصيبر به فما معقل ممن يحسب حساب الف من مثل حمزة . وبعد ان ذهب بختك الى بيته دعا باحد خدمه وقال له مرادى انا كتب كتابا الى الامير معقل صاحب حصن تيزان واريد منك ان تذهب به هذه الليلة وتسير على عجل بحيث تقدر ان تصل اليه قبل وصول حمزة العرب واياك من التأخير فاجاب طلبه ومن ثم كتب بختك كتابا الى معقل يقول له فيه

(لما كنت الان وحيدا فى بلاد فارس وكنت اعتقد انه لا يوجد لك ثان اردت ان اطلعك على امر لك به النجاح والفلاح . وهو انه ظهر فى بلاد العرب فارس صنديد وبطل عنيد جاء الى بلاد كسرى وخلص له ملكه من خارتين الذى تملك المدائن وجلس على عرش المملكة فوقع من الملك موقعا عظيما واحبه غير انى كرهته كل الكره فاردت ان ارميه بقتال الاسد وصراعه مؤملا انه يفترسه فقتل الاسد وزاد رفعة بعيون الاعجام جميعهم ثم اخذ الجواد الاصفران وقتل البهلوان مقبل واخيرا اطلب مهردكار بنت الملك الذى لا يوجد له ثان فى هذه الايام بكل صفاتها وخصالها وجمالها فانعم عليه ابوها بها ووعده بزواجها فكدرنى ذلك وغاظنى ولم ار وسيلة لهلاكه الا انى اقنعت الملك باخلاف ووعدته وارسلته اليك على امل ان بذلك ويأتى بالرغم عنك الى الملك كسرى ذليلا حقيرا فاقسم انه لا بد من قهرك وان يسير وحيدا وهاكذا بعثت اليك قبل ان يصل لاخبرك بامره لتكون على حذر منه وتقتله اشر قتلة ولك منى العطاء الجزيل علاوة على ما بعثه اليك الان مع خادمى وانى ابقى على الدوام شاكرا لك اسعى بامرك واسال النار مساعدتك على هذا الطاغى العربى الذى اذا اهملنا امره طردنا من ملكنا وفاز هو بالنجاح والذكر الحميد

ثم طوى الكتاب ودفعه الى خادمه وامر له بجواد من الخيول الجياد واعطاه صرة من المال والجواهر ليدفعها الى معقل البهلوان وسار الرجل الليل والنهار حتى وصل الى قلعة تيزان فسلم المكتوب الى معقل ففضه وقراه وعرف ما به فقام وقعد وارغى وأزبد وقال للرسول بلغ مولاك انه لا بد لى من قتال هذا الامير الذى حكى لى عنه وسوف ابعث له براسه ليطرحه امام كسرى فيعلم انى الرجل الوحيد على وجه الارض فلا يطمع نفسه مرة ثانية ان يرسل لى احدا وانى اصبحت الان شاكرا لسيدك على اخبارى وامله بى وثقته والا لو لا حبه لما كان فعل مافعل واظهر لى انه يحبنى . فشكره الرسول وقبل يديه ورجع من عنده وبعد ان غاب دعا باحد اتباعه وقال له اقم من اسفل القلعة ومتى رأيت فارسا بين يديه رجل اسود فلا تدع احدا من جماعتى ورجالى يتعرض له وارجع الى فاخبرنى به حالا . فقال له الرجل لماذا يا سيدى لا تامر احد رجالك ان يبارزه وينهى امره ويريحك من شره ولا تتنازل انت الى قتاله . قال له انى اعرف أكيدا انه فارس صنديد وبطل مجيد فاحب ان اجرب نفسى معه اولا وانى لا اريد له شرا لانه يعبد الله

عز وجل وهذا الاله انا اعبده وكان ابي قبل ان جاء من بلاد العرب الى هذه البلاد يعبده وهي العبادة الحقيقة فكيف اوقع به اكراما لخاطر بختك الوزير الذي يعبد النار ولا سيما ان الفرس اعداء لنا ولا ارغب بالتقرب منهم واراد بختك ان يغررني بالمال والجواهر فاهلكه الله من رجل خبيث وقد ظنني من الناس الذين يؤخذون بالحيل وسوف ترون ما يكون واني قبل ان الى اري هذا الرجل الآن الى اشعر بحبه ولم تقع له بغضة قط بقلبي. فسار الرجل الى اسفل الحصن واقام على الانتظار

فهذا ما كان من معقل البهلوان واما ما كان من الامير حمزة عند الصباح نهض من فراشه وامر اخاه ان يسرج له الجواد ففعل ومن ثم تقلد بسلاحه وركب وذهب الى الملك النعمان فودعه واوصاه بالمحافظة على قومه وجماعه العرب فقال له اني اخاف بعد ذهابك يحصل علينا امر مكدر من الفرس فيوقعون بنا ولا سيما اذا راوك وقد طال سفرك قال اذا وجدتم ان معاملة الفرس قد تغيرت وان عين الغدر قد ظهرت منهم فارسلوا الى بالخبر وان كنت لم اقض شغلي فارجع واخرب المدائن على راس كسرى وبختك. وبعد ذلك سار حمزة في طريق تيزان وهو يود ان يصل باقرب وقت ويلتقي بمعقل البهلوان فيأسره ويرجع به حالا وقد خاف ان تكون نية كسرى خبيثة على العرب فيستغنم فرصة غيابه ويجر غايته فيهم الا انه كان مطمئن الخاطر بوجود اصفران الدربندي والامير عقيل وقومه الاخصاء الذين كل واحد منهم يقوم مقام جيش من جيوش كسرى ولما تبطن القفار وتمادى به التسيار تذكر ما جرى عليه من كسرى وبختك وما وقع بينه وبين محبوبته مهردكار من الحب الخالص الذي حمله على المسير والتغرب الى ابعد ديار فانشد وقال

يكفيك اني فارس الاقطار	ومذل كل صميدع جبار
وقوام رمحي قد اعد سنانه	الصدور واهل البغي والكفار
انا حمزة الاعراب مسعود الركاب	مشيد الاطناب غوث الجار
انا شمس هذا الدهر بل انا بدره	انا نجمه الوضاح ذو الانوار
انا من عتى المجد يخدم ساحتي	وسقتني العليا بكاس نضار
انا من رضعت الحب عن صغر انا	طول الزمان حبيب مهردكار
انا من سقيت لبان كل فضيلة	قبل الوجود بحكمة الاقدار
يا امة الاعجام اني حمزة	عالي المقام مكرس الاطوار
ان كان بختك قد سعى بعذابي	فالدهر زاد بهيبتي ووقاري
لولاك يا شمس الجمال ونوره	انزلت بالاعجام كل دمار
وتركت حولهم الجوارح حوما	فتنوشهم بالناب والاظفار

لكنما الايام سوف تريك ما يبدوا بهم من سيفى البتار

ودام الامير حمزة على المسير وبين يديه اخوه عمر يخترق الشعاب والقفار كأنه السهم اذا اطلق من الاوتار ويسبق الاصفران بالمسير عند ركضه سائرين على طريق تيزان مدة ايام الى ان قربا منها وتبينا من بعد القلعة القائم فيها معقل البهلوان فعندها نزل الامير حمزة عن جواده فاكلا واستقيا من الماء وسقى الجواد وارتاح نحوا من ساعة وكان الوقت اذ ذاك قد قارب المساء فبات الى الصباح وفى الصباح نهض وتقدم الى جهة القلعة واذا به يرى اثنين من جماعة معقل البهلوان سائرين منها فاطلق جواده نحوهما ولما رأياه تقدما هما ايضا الى نحوه وسالاه عن حاله قال لهما اذهبا الى الامير معقل واخبراه ان حمزة العرب قد جاء من بلاد كسرى لاجل ذله وكيده واسالوه ان يبرز الى ساحة القتال لانهى امره فى هذا النهار واسير به الى اعدائه فقال له انا ننصحك ان ترجع من حيث اتيت ولا تعرض بنفسك الى الاخطار فما معقل البهلوان كمن رأيت من الفرسان ونخاف عليك اى يوقع بك ويعدمك الحياة مع انك شاب ومن الجنون ان تلقى نفسك وانت فى زهرة صباك مع اميرنا . وفيما هم على ذلك أقبل الرجل الذى اقامه معقل بانتظار الامير ولما تاكده وعاد حالا الى سيده واخبره بوصول الامير حمزة فركب معقل البهلوان وتقلد بسلاحه حتى اصبح كأنه قلة من القلل وكان كما تقدم فارسا صنديدا وبطلا مجيدا وقد سار الى جهة الامير حمزة وكان لا يعرفه وقال له الرجلان اللذان كانا قد التقيا به هو ذا سيدنا ات وعما قليل يظهر لك الحق وتعرفه من البطل فتركهما وسار الى ان التقيا ولما وقعت عيونهما ببعضهما احدق كل برفيقه برهة ثم قال معقل البهلوان للامير حمزة انى اتوسم فيك الخير ولا اعرف من عداوة بينى وبينك فلما جئت الى وماذا تريد منى قال انى علمت انك عاص على الملك الاكبر فاردت ان ارجعك على هذا العصيان واذلك واسحبك خلفى موثوقا بالقيود لاقدمك الى كسرى مهر البنته وقد وعدت بذلك . قال لا تأمل المحال ولا تقاتل من لا يريد ان يقاتلك حبا بك لانك أنت تعبد الله الواحد الديان وأنا على عبادته ايضا ولا تعلق املا بوعد العجم فاهم ممن يقول ويفى ولو لم اكن عارفا امرك وماهو السبب الذى دعاك الى القدوم الى أو بالحرى السبب الذى حمل كسرى وبختك على ان يلقياك الى وهدة الهلاك لقاتلتك وارينك نفسك فى الحال غير ان هذا وجدته من باب التظلم والجور بل رأيت من العدل ان اصطحب واياك فنسير الى بلاد كسرى ونخرب المدائن عليه وتاخذ بنته بالرغم عنه وتقتل بختك الخبيث المحتال . فنظر اليه حمزة نظرة المتعجب وكاد يوافقه على غاياته لو لا تذكره بانه اقسم يمينا فى ديوان كسرى انه لا بد ان يقوده ذليلا حقيرا فقال له لا تظن انى ممن يقاد بالحيل والخداع فما اتيت الى هذه البلدة الا لاجل غاية واحده وهى أخذك الى عدوك مقيدا فكيف اخلف بقولى واحنث بيمينى واتفق معك عليه فخذ سلاحك والقنى ولا تطمع

بغير القتال

ثم انه جرد سيفه وهجم على معقل البهلوان فالتقاه بقوة قلب وثبات جنان ودخل معه مضيق الحرب والطعان وهاجا كما تهيج فحول الجمال والتطما كما تلتطم البحور عند هيجان ريح الشمال. وبطل من بينهما القيل والقال. وعادا الى الجد بعد المحال وتركا الهزل والجدال وقد اخذهما الضجر والقلق وسبح جوادهما بالعرق. ودام على مثل هذا الحال الى قرب الزوال فرجعا عن القتال. دون ان ينال احدهما من الاخر مراما. وبعد ان رجع معقل البهلوان سيفه الى غمده قال له قد انتهى معنا النهار دون ان نصل الى الغرض المطلوب واني اريد منك الآن أن تأتي الى القلعة وتاكل عندي الطعام وتنام في قصري حيث انك غريب هنا وليس من مكان ان تقيم به غير هذا المكان. قال كيف ان يقع بيني وبينك مثل هذا الامر ومتى أكلت طعامك حرم علي قتالك وكيف أكون امينا على نفسي وأنا عند عدوي. قال ليس بيننا عداوة قط واني اعتبرك أكبر صديق لي ولا يمكن لاحدنا أن يبطش بالاخر لكن لا بد أن نعرف من هو الفائز ومن أقدر من الاخر واني اقسم بالله العظيم اني ارعى زمامك ولا اخون ك ومتى دخلت معي القلعة يتبين لك صدقي ولا سيما عندما اريك كتاب بختك والمال الذي جاءني منه لاجل هذه الغاية فقبحه الله من خبيث مخادع واذا كنت لا ترغب بترك النزال فاننا نعود اليه في كل صباح. وفي المساء نرجع الى المؤلفة الموافقة الى أن يظهر الفوز لواحد منا وكيف كان الحال فاني صديق لك على الدوام لا أرضى الا بالتقرب منك لانك من فرسان هذا الزمان ولم ترعبني ولا قاتلت فارسا مثلك قط فلما سمع الامير حمزة كلام معقل راه صادرا عن خلوص ومودة وما من ريب فيه فنظر الى عمر العيار كانه يستشيره في ذلك. فقال له ادخل مع معقل البهلوان الى قلعته ونم عنده فانه لا يخون وعندي انه خير لك من كل الاعجام نساء ورجالا فنزل الامير عن جواده. وسار مع معقل الى مكانه وكلاهما فرح بالاخر وعندما صار في الداخل نزع الامير سلاحه وهو بامان واطمئنان وقد احتفل بوصوله جماعة القلعة وقدموا له كل ما هو متوجب عليهم. ثم مد صفرة الطعام فاكلوا والامير مسرور سرورا عظيما مما رآه من معاملة اصحاب معقل واكرامه وبعد ذلك جاء معقل بكتاب بختك وترجمه له وشرح معناه وجاءه بالاموال والجواهر واراه اياها وقال له خذ كل هذه معك حتى تصير لك حجة تقمع بها هذا الوزير الخبيث فقال اني لا أحب ان أظهر ما اريد اضماره ولا ازال اراعي الفرس واتجنب كل أمر يلقي العداوة بيني وبينهم وذلك حفظا لشعائر بنت الملك واكراما لخاطر بزرجمهر الوزير غير اني أعرف حق المعرفة انه لا بد ان تفرغ جعبة صبري فاسير على الفرس حربا هائلة تنقرض بها دولتهم لعلمي أنهم يبعدون عن الامانة والوفاء ما زال فيهم بختك هذا الخبيث المخادع المحتال والآن فلا اريد أن ادخل المدائن الا وافيا بقولي قائما بقسمي قال انه يخطر لي ان أسلمك.

بنفسي وأسير بين يديك الى ديوان كسرى على الذل والطاعة فتكون قد وفيت وصدقت قال وهذا ايضا لا أريده لاني ماجئت الا لمحاربتك نعم انه قد ارتفع بيننا كل دم وعداوة وصار من المؤكد ان لا احد منا يرغب في أذية الاخر لكن لا بد من مداومة البراز ببذل الجد والمجهود فاذا قهرتني كان رجوعي عن غايتي بحق وصدق والا فاكون ما أطلبه قد نلته باستحقاق وعدل فلا أغش كسرى والعالم وأغش نفسي ونفسك فتعجب معقل من حسن أطوار الامير حمزة واستقامته وعرف انه صادق فيما يقول وانه كريم الطباع مستقيم الاطوار قال ونام الامير حمزة تلك الليلة في القلعة الى أن اشرقت شمس نهاية اليوم التالي فركب معقل البهلوان وركب الامير وعادا الى الحرب والكفاح والى ما كان عليه في اليوم السابق كأنهما عدوان لا صديقان. واجهد كل واحد نفسه وأبدى كل ماعنده ودام الطعن والضرب مختلفا بين الاثنين الى ان توارت الشمس عن العيون فعندها تركا القتال وعادا الى القلعة وكل منهما يعجب من بسالة الاخر وحسن اسلوبه بالقتال. ثم وضعا الطعام فاكلا وقاما عن صفوة الطعام وجلسا للمحادثة الى ان جاء وقت المنام فناما الى اليوم الثالث فتبارزا الى مساءه وعادا على حسب العادة والحاصل ان الامير حمزة ومعقل البهلوان داما على مثل تلك الحال وهما بحرب ونزال مدة خمسة عشر يوما دون ان ينال أحدهما من الاخر مرادا أو يقع له وجه الفوز عليه وكان قتالهما سلمي لا يقصد احدهما فيه قتل الاخر وبسبب ذلك ضاق صدر الامير حمزة وعيل صبره واحتار في أمره وخاف ان يطول غيابه فيجعل العرب والفرس يقطعون الرجاء منه وربما وقع من الفرس بحق العرب أمر مكدر بسبب ذلك وأصبح في شاغل عظيم وندم على مسالمة معقل البهلوان. وقال في نفسه لو كنت عدوه لربما كنت قتلته وعجلت وقت الرجوع ولما دخل القلعة اكل الطعام مع معقل البهلوان واقام واياه نحو ساعة. ثم طلب المنام ودخل في غرفته ونزل في فراشه وهو على تلك الحالة وما لبث ان طرق في ذهنه جيش الغرام واخذ بكل افكاره الى جهة حبيبته مهردكار فتذكرها أشوق تذكار وطار قلبه اليها ولا بد أن تكون قد فعلت به هذه الذكرى أشد فعل وغيبته عن هداه ولا سيما عند ما خطر له ان تكون لمدة غيابه قد شغل بالها وحسبت الف حساب كيف لا وهي معلقة كبير الامل به ومنتظرة عودته لتكون بقربه وزوجة له تتنعم بوصاله وتصرف العمر معه على الحب والمودة التي قادها اليه وارغاها على تلقي بكل اتكالها عليه. فكان كلما فكر بمثل هذه الافكار تعظم عليه الاهوال وتصغر الدنيا في عينيه الى أن فاضت دموعه على خدوده وتنهد من شدة الشوق والوجد فانشد

أخا الريم ماهذه العيون القواتل　　بقيت لتفنينا وهذي الشمائل
فتاة حياة ماتحوز مراشف　　وروضة حسن ماتضم الغلائل

وتخجل أغصان الربى اذا تمايلت ... قضيب لجين بين برديك مائل
ولو ان فى بدر الدجى منك لمحة ... لما شابه نقص ولا قيل قائل
يروح بك الالباب تهى كانها ... قبائل تسبيها ببدر قبائل
كثير من الارواح أنت حياتها ... وان هى راحت فى هواك قلائل
أبيت بحال ليس يعلمها سوى ... فؤاد شجى للنجوم بسائل
يجرد لى من جفنه الليل صارما ... أسميه صبحا وهو بالبين قاتل
وأكتم سرى عن هواه مهابة ... والمس رأسى وهو بالفكر حائل
وجسمى لضيقان السقام موائد ... ودمعى لزوار الغرام مناهل
ولست على رسم الطلول بنادب ... ولا سائل عن ذاهب هو سائل
ولكننى أبكى الحبيب وبعده ثم ... ذا الذى أهوى وهذا المنازل

وصرف الامير حمزة تلك الليلة على مثل ما تقدم لا يميل بافكاره عن مهردكار وعن قصرها وما فيه قائمة امام عينيه تشكو اليه البعد تارة وتبتسم اخرى وتبكى طورا ولا زال الى الصباح دون أن يأخذه النوم وما صدق ان رأى شمس النهار حتى نهض الى جواده الاصفران فوجد عمر العيار قد أسرجه فركبه وهو متقلد بسلاحه كانه قلة من القلل أو قطعة من جبل ولما وصل الى محل البراز وجد معقلا وقد وصل اليه فحياه ثم قال له اعلم ان هذا اليوم هو اليوم الاخير ولا بد لى من انهاء الامر والا ضربت بنا هذه الحالة ولم تكن الا دقائق قليلة حتى اشتبك الاثنان. وقام بينهما سوق الحرب والطعان وهاج نفساهما الى الفوز أى هيجان. وكل منهما يعرف الجد والاجتهاد الى نوال الغاية والمراد. وداما فى أشد قتال وأعظم نزال. لا يأخذهما فتور ولا اهمال كانهما اسادد حال اولبوتان فقدتا الاشبال. حتى تحطمت بايديهما الرماح فعمدا الى البيض الصفاح. وقد ثار الحنق فى صدريهما من كل ناح الى أن كان العصر. وهما على ذلك الامر والامير حمزة يزيد فى قتاله الدرهم قنطار. على أمل ان لا يفوت النهار الا وهو على غاية من الفوز والانتصار. واذا به قد وقعت منه ضربة حسام على طارقة معقل البهلوان فانجابت عن الطارقة ووقعت على رقبة الجواد فبرتها كما يبرى الكاتب القلم ووقع معقل الى الارض ولما رأى الامير حمزة ذلك تأخر الى الوراء وصاح به قم ايها الفارس الامجد واركب لك جوادا اخر ولا تضيع فرصة باقية لنا من هذا النهار فقال له معقل معاذ الله يا أخى ان أشهر بوجهك حسام او عدت أقف بوجهك مرة ثانية لانك والحق يقال أبسل رجل فى هذا الزمان واشد من يدعى الحرب والطعان ولست انا من رجالك واعترف انك قد ذللتنى وقهرتنى وانزلت بى العبر. وان شئت تقتلنى فلك الحياة وان شئت تربطنى بالحبال وتسحبنى الى ديوان كسرى ذليلا فلك الحق بذلك لانى أسيرك واذا أردت ان تكرمنى وتتخذنى لك

صديقا امينا على طول الزمان اقاتل بين يديك واخدمك بجهدى ولا ابخل بروحى عليك . وسوف نظهر لك الايام مايكون منى . فلما رأى الامير حمزة حال معقل البهلوان وذله لم يهن عليه فنزل عن جواده وقبله بين عينيه وقال له حاشاك من الاهانة والذل فانت الاخى ورفيقى على طول الزمان لا أفارقك مازلت فى قيد الحياة لانى عرفت مقدار اقدامك وشجاعتك ولولا قتل جوادك لما حل بك ما حل

ثم انهما تصافيا وتحابيا والقيا السلاح الى الارض وحلف كل منهما يمينا على الاخاء ودوام المحبة والصحبة وهذا معقل البهلوان يكون اول رفيق للامير حمزة وافضل صديق له يقاتل معه فى كل غزواته بخلوص وامانة وفرح جميع رجال القلعة بهذا العمل وما منهم الا من تقدم من الامير وقبل يديه وقدم له طاعته وشكره على قبول رئيسه وكانوا باجمعهم قد أحبوا الامير وتمنوا ان يكونوا من رجاله وابطاله يقاتلون بين يديه ويموتون فى خدمته وتحت طاعته ومن ثم رجعوا الى القلعة جميعا وهم على الفرح والمسرة ولاسيما الامير عمر فانه كان يصفق من الفرح ويقول لاخيه اليوم قد فزت الفوز العظيم لانك صحبت من يقارنك بطشا واقداما ولما دخلا القلعة نزعا الدروع ولبسا الملابس الناعمة ووضعا صفرة المدام والطعام وصرفا تلك الليلة على الحظ والاستبشار وعند الصباح نهض الامير حمزة وقال لمعقل البهلوان اطلب منك يا أخى ان تكون على أهبة السفر لانى لا أريد ان ابقى هنا اكثر مما بقيت خوفا على قومى وعلى ضياع الوقت فاقع بالندامة بعد ذلك . فقال له اليك ما طلبت فانى لا اخالف امرا ثم انه امر رجاله ان تجمع امواله والتحف التى داخل القلعة من كل ما هو ثمين وخفيف وترفعه على ظهور الجمال وان يركب كل واحد جواده وامر ان تحمل المؤن والمأكل اللازمة مدة الطريق فاخذ الجميع فى تدبير امورهم الى ان انتهى كل شىء وحينئذ ركب الامير حمزة الاصفر ان وركب معقل البهلوان جواده وفعل مثله باقى الرجال ولم يكن الا القليل حتى بارحوا القلعة سائرين فى طريق المدائن . والامير لا يصدق ان يصل اليها ويشاهد قومه ويرى محبوبته وهو يجد المسير وقد بعث باخيه عمر امامه يكتشف له الاخبار ويعود اليه بعلم اليقين اذا كان وقع عليهم امر واذا كانوا على ما تركهم يبشرهم بقدومه . ودام على المسير من بعد مسيره مدة ايام الى ان قرب من المكان القائم فيه قومه

قال وكانت العرب باقية فى الخيام والملك النعمان قد انقطع عن ديوان كسرى خوفا من الاهانة والرجوع الى ما كان عليه العجم من قديم الزمان واقاموا ينتظرون رجوع اميرهم وفارسهم الى ان طال عليهم المطال فارتبكوا واضطربوا واجتمعوا الى الملك النعمان وقالوا له نخاف ان يكون قد وقع امر مكدر على اميرنا ومرادنا نسير فى اثره فقال لهم هذا ليس بصواب لانى اعلم ان الاعجام يرقبون امرنا وينظرون الخبر عن الامير حمزة حتى اذا تبينوا وسمعوا

خبرا مكدرا عنه او وقعوا بنا فاذا راونا قد سرنا في طريق قلعة تيزان يثبت عندهم ان حمزة بضيق او اصيب بسوء فيعثوا خلفنا بالعساكر ومن الرأي السديد ان لا نظهر علينا امرا يتوهمون فيه نوال غايتهم وعندي اننا نرسل عيارا من جماعة الامير عمر يكشف لنا الخبر ويعرف ماذا حصل على الأمير واخيه . فقال اصفران الدربندي اني اسير انا بذاتي وافدي الامير بنفسي

وبينما العرب على مثل هذه الحالة واذا بعمر العيار قد اقبل ودخل الصيوان وهو قاطب الوجه عابسه فتلقاه النعمان بلهفة وقال له اخبرنا عن الامير فلم يبد كلمة ولا أجاب بل بقى على حاله فقد اقلق الجميع وقال له اصفران الدربندي وكان يعرف غايته اخبرنا بالخبر اليقين والبك مني خمسمائة دينار فقال النعمان وانا ازيدك مثلها فعجل الخبر ولا تتأخر . فقال اعطوني اولا الدنانير . وخذوا مني التباشير . فنقدوه المال واذ ذاك قال لهم ابشروا ايها العرب بقدوم فارسكم الاوحد وسيدكم الامجد فقد اسر معقل البهلوان ثم اصطحب معه وجاء الاثنان وباقرب وقت يكونان في هذا المكان . فلما سمع الملك النعمان هذا الكلام فرح غاية الفرح وصاح بالعرب ان تركب عن بكرة أبيها الى ملاقاة الامير وبوقت قريب ركب الجميع وساروا من تلك الارض وقد ارتفع لهم اصوات عالية وصياح ارتجت منه تلك النواحي واضطربت المدائن وسكانها وهم لا يعلمون ما السبب وسارت العرب عدة ساعات الى ان التقوا بالامير حمزة ومعه معقل البهلوان وجماعته فنزل الجميع عن خيولهم وتقدموا الى بعضهم البعض وسلموا على الامير وسلم عليهم وكان لهم ساعة عظيمة وبعد ذلك ركبوا وعادوا راجعين الى الخيام ولما وصلوا حولوا عن خيولهم وأقاموا الافراح ودارت بينهم المسرات والولائم . ثم كتب الامير حمزة كتابا دفعه الى اخيه عمر العيار وقال له خذه الى الملك كسرى وبلغه خبر وصولي فاجابه بالسمع والطاعة وسار بالكتاب على عجل

قال وكان الملك كسرى بعد غياب حمزة ومسيره الى قتال معقل البهلوان يجتمع كل يوم ببختك ويتحدث معه بامرها فيقول له كن باطمئنان فما من أمل برجوع حمزة الينا سالما لاننا نؤكد غاية التاكيد ان معقل البهلوان يعدمه الحياة فكم وكم قد أمات مثله من الفرسان وكسرى يتردد في هذا الامر ويقول له ان موت حمزة لم يكن بخاطري لانه فارس صنديد وبطل مجيد وقد عمل معنا معروفا وليس من العدل أن نقابله بمثل هذه الاعمال ولو لم يطالب بنتي زوجة له لما سلمت بهلاكه وبعده غير اني أرى أن شريعة النار لا تؤذن باختلاطنا باجلاف العرب عبادين الله والا فالامير حمزة كفؤ لها وبه اللياقة من كل وجه غير انه عربي وهذا عار به عندنا هذا وبختك يزيد له فوق ذلك فلا يتركه في كل مرة حتى يوغر صدره حنقا على الامير حمزه ويقنعه بان في موته راحة له الى ان كان ذاك اليوم وهو في ديوانه مع رجال دولته واذا به سمع صياح العرب بالافراح فبعث من يسأل له عن الخبر فعاد الرسول وأخبره بوصول الامير حمزة

سالما ومعه معقل البهلوان . فوقع هذا الكلام على رأس بختك كالصاعقة الا انه أظهر الجلد وتعجب غاية العجب وقال للرسول هل رأيت معقل البهلوان مقيدا أو مطلقا قال رأيته راكبا على جواده الى جانب الامير . فقال كسرى لبختك ان قلت لى الامير حمزة لا يعود سالما من قتال معقل فها قد عاد ولا ريب انه اسره ثم أطلقه واصطحب معه فكنا بواحد صرنا باثنين قال لا اظن ذلك واكثر ظني ان معقل البهلوان هو الذى اسر الامير حمزة وأطلقه وجاء واياه الى حضرتك ليقدم طاعته اليك ويسألك فيه والا لو كان حمزة أسر البهلوان لما أطلقه الا فى ديوانك لانه أقسم أن يدخله ذليلا مقيدا بين يديك وفيما هما على مثل ذلك واذا بعمر العيار قد دخل من باب الايوان وهو يقلب بالهواء كانه الدولب السريع . الدوران ويصفق من الفرح حتى وقف أمام الملك كسرى وهـو يضحك من أعماله وقد سر منه سرورا عظيما . واذ دفع اليه الكتاب فأخذه منه واعطاه الى الوزير بزرجمهر ليقرأه ويترجم له معناه ففضه واذا به

من حمزة العرب وبهلوان تخت الملك كسرى الى عمه الملك

اعلم ياسيدى انى سرت من حضرتك وانا أتمنى أن أصل الى معقل البهلوان لاذله وأعيده الى الطاعة لانه يصعب على أن أكون صهرك وبهلوان تختك وصفيك واسمع أن احدا من الناس يعصاك ولما وصلت الى قلعة تيزان وبعد قتال عدة أيام أسرته وتملكت القلعة وأنا اذ ذاك وحدى ليس معى الا رفيقى عمر العيار والحق يقال انه فارس من الفرسان اشداء لا أظن أن أرى له ثانيا فى هذه البلاد وقد استجار بى فاجرته وجئت به وهو الآن فى قبضتى وقد بعثت لابشرك بذلك وأطلب اليك أن ترسل لى قفصا مع الامير عمر لاحبسه فيه وأدخله اليك مقيدا فى هذا القفص ليعرف عظمتك وانك قادر على نوال مرادك وكيد أعدائك . ولا أريد منك عوضا عن ذلك الا رضاك عنى وتركك كلام المبغضين الذين يقصدون الضرر لك ولدولتك والسلام

فلما قرأ بزرجمهر هذا الكتاب وفسره للملك قال له اعلم ياسيدى ان الامير حمزة هو نادرة هذا الزمان وفارس لا نظير له فيه وقد سبق صيته فعله وماجاء الا رحمة لبلاد الفرس وعندى ان تتخذه سندا لك وتصفو له نيتك فمن كان مثله لا يترك ولا يهان ولو كان عند غيرك من الملوك لرفع منزلته ومقامه وحاربك به وانتصر على بلادك ونزع منك ملكك فاكرمه ففى اكرامه نفع لنا ولا ترض بغير ما أقوله الان فكان بختك يسمع وقلبه يتقطع ولعظم ماجرى عليه خرج من الديوان . وأما كسرى فانه أنعم على الامير عمر بالف دينار وامر ان يعطى قفصا من الحديد ليوضع فيه معقل البهلوان فاخذ عمر المال وخرج مسرورا والقفص محمولا امامه ولما قرب من الايوان نظر الى قصر مهردكار فوجدها هناك فاشار اليها مبشرا ان اخاه

قدجاء فلعظم ما لحق بها من شدة الفرح وقعت الى الارض مغمى عليها فاسرعت اليها القهرمانة وسكبت ماء الزهر على وجهها واحرقت فى انفها خرقة حتى وعيت فسألتها عن السبب فقالت انى فرحت اليوم بما نالنى من السعادة والاقبال واليوم هو العيد العظيم الذى به نلت الشفاء والعفاء حيث قد عاد الامير حمزة سالما من سفره منصورا وبعد قليل اراه واشاهد بدر جماله واسر من كماله واتمتع برؤياه وهو يشير الى اشارة السلام اللطيفة التى طالما سر منها فؤادى وفرح بها قلبى . فقالت لها بلغك الله مناك واعطاك مشتهاك

فهذا ما كان منها واما ما كان من الامير عمر فانه سار بالقفص حتى وصل الى اخيه حمزه فسلمه اياه وقال له اعلم يا أخى ان الملك قد سر من هذه البشارة سرورا عظيما ولعظم مسرته قد دفع الى الف دينار وأعطانى هذا القفص حسب طلبك . فقال له انى اعرف انه يسر منى غير ان بختك الوزير لا يتركه على ارادته بل يغير له فكره ويقلبه ولا بد لى من قتل هذا الوزير ولولا على بان قتله يغيظ الملك كسرى لسرت الان اليه فى بيته وقتلته شر قتلة غير ان ذلك يكدر العجم باجمعهم ويكون اكبر وسيلة لحرمانى من مهردكار وزواجها زواجا شريفا ثم انه قال لمعقل البهلوان اعلم يا اخى انى اقسمت بالله العظيم ان اقدمك الى ديوان كسرى مقيدا ذليلا ويصعب على جدا ان تدخل الا مكرما معزوزا غير انى أحب أن أفى بقسمى فاريد ان تدخل القفص ليذهب بك الى الديوان وهناك أطلق سبيلك . قال انى لا أحرمك من حاجة بنفسك غير ان كسرى يتمنى جدا ان يرانى على هذه الحالة ذليلا ولو كلفه ذلك فوات ملكه وانى أعرف ايضا ان الملك يأمر بقتلى حالا اذا تذكر ما فعلته معه فى مدة زمانى فاذا كنت محبوسا فى القفص لا اقدر ان ادافع عن نفسى . فقال له الامير انه يصعب على جدا اذلالك وتمكن الاعداء منك واشفاؤها باسرك الا انى مضطر اليه اما من جهة قتلك فلا يقدرون عليه لانه اذا صدر منهم ادنى اشارة من ذلك او حكى واحد من رجال كسرى فى هذا الامر ونوى الملك عليه كان سبب خراب هذه المملكة لانك وان كنت مقيدا فانى مطلق واقدر ان افك قيودك واكسر القفص واعيد اليك الحرية حالا وسوف ارسلك فى صباح الغد قبلى بدقائق قليلة لا اعلم ماذا يقال عنى وماذا يكون من امر بختك ومن الذى يختار لك الخير ومن يقصد لك الشر . فاجاب معقل البهلوان طلب الامير وصبروا الى صباح اليوم الثانى وفى المساء تفرق كل الى صيوانه فذهب الامير الى صيوانه فوجد خادم مهردكار بانتظاره فبلغه سلامها ودفع اليه كتابها وقدم ما جاء به من الطعام فاكل حتى اكتفى ثم فض الكتاب وقراه واذا مكتوب به

من مهردكار الى حبيبها الامير حمزة العرب سيد الفرسان وقمر هذا الزمان تركتنى أتقلب

على جمر الغضا من حر نار البعاد لا أعرف ما أصل اليه زمانى فخى يزيد بفيضان البحار مع تمادى الدقائق ويترا كم بترا كمها فى حجر الايام وأنا لا أريد من زمانى الا أن أكون قد رافقتك فى مثل هذه السفرة وأى شيء الذ على قلب مغرمة امتلا حنجور فؤادها من معاطر هو حبيب حسن المعانى باهى الجمال كريم الطباع صافى المودة رائق البال عظيم البسالة نادر المثال فى هذا الزمان نعم بقربك ينتعش فؤادى وتتروض أفكارى ويطفح السرور على قلبي وارى الدنيا تبسم فى وجهى كيف ملت ونظرت وببعدك اصادف عكس ما قلت فالزمان ضنين ولا بد من أن تقلب الاحوال وأنال المنال واحظى بما أريد. صرفت مدة غيابك على البكاء منفطرة الفؤاد من كيد الاوغاد الذين يريدون لك الشر ويطلبون هلاكك فاشكر الله على سلامتك حيث عدت منصورا ظافرا حاملا الراية المجد وبيدك سيف العز الذى تشبق به افئدة باغضيك فاهلا ومرحبا لقد أبيض وجه المدائن الان وانتشر فوقها رواتق البهاء وحق لمحبوبة حمزة الجمال أن تبرز بثوبها الابيض علامة على نزعها البكاء ودخولها فى عالم المسرات فاطلب اليك يا حبيبي أن لا تتهامل فى أمر الحصول علي والوصول الي وانك ترانى فى كل يوم فى شباك قصرى أنتظر مرورك وأتمنى أن أراك فلا تنقطع يوما واحدا عن الزيارة الى أبي فامن وسيلة لامتلاك قلبي وحمله على الصبر ولا تظن ان دهرى مهما كان ظالما ينفخ فى أنفى فيمنعنى عن الوصول اليك والتقرب منك فانت سعدى وأنت غايتى

لا ورأى جمالك المسعود	ماسقى ماء العز بعدك عودى
وحق الهوى وطاقة جفنى	لولى الدموع والتسهيد
لماح مهجتى لغيرك فامحوا	بنهار الوصال ليل الصدود
ان يوما تراك فيه عيونى	هو عيد أجل من كل عيد
لست ارضى مولى سواك وعزى	ان تسمينى بيا اقل العبيد
لم اهبك الفؤاد غصبا ولكن	عن طواعيه وبر وجود
أنت اشهى من المنام لعينى	ومن الامن للفؤاد العميد
كل يوم يجد فيه غرامى	وبح قلبى من الغرام الجديد
مدمع سائل ووجد مذيب	وفؤادى يقول هل من مزيد
مات نومى وماش حى سهادى	عظم الله أجركم فى الهجود
وبرانى الضنا فكدت أوارى	عن شهود ولم أقل بوجود
أن سود العيون أوقعن قلبي	فى مهاو أضللن كل رشيد

وهذا بعض ما أشرحه اليك الان طالبة منه تعالى أن يجعل اجتماعنا قريب الميعاد بعيد الموانع والسلام

وكان الامير حمزة يقرأوهو مسرور من كتابة مهردكار ورقة شعائرها وحسن مودتها وكان يخفق قلبه فرحا ومسرة عند قراءته الالفاظ شكواها وطلبها منه أن يسعى في ما فيه قربهما ورأى من الواجب اجابتها على كتابتها فكتب لها

« من حمزة العرب وبهلوان العجم الى حبيبته مهردكار »

أنت تعلمين ان كل ما أنا فيه هو لاجل المحافظة على حبك واستجماع هنانا مقرونا برضا أبيك ولو لي اقصد ان أتخذك كسبية لقتلت أبيك ونلت المراد فهذا يبرهن لك أن الحب الخالص والمودة الكاملة في قلب محبك تزيد كلما ازدادت عداوة بختك لي وبغضه فسرت من هنا الى حصن تيزاز وشخص جمالك يرافقني على الدوام فهو كان أنيسي ورفيقي يسليني في يقظاتي وغفلاتي في النهار نصب عيني وفي الليل ضيف اجفاني فوصلت الى معقل البهلوان فاذا هو من الذين يعبدون الله تعالى يحب أبناء دينه فنازلته اياما وانا في ضيافته وقد عرض على خدمته دون قتال فاقنعت ارضاء لخاطر ابيك واخير اعترف وهو في القتال بقصوره ومقدرتي فاصطحبت معه وجئت به لاقدمه عن طوع منه أسيرا الى أبيك فهكذا تكون شيم الـدرام والا فلا. وفي صباح الغد تريني ملتفتا الى شبا كك على امل ان تراك أعيني واقفة به وهذا هو موضوع أفكاري أي اني على الدوام أوجه بافكاري الى هذا الشباك الذي أراك على الدوام واقفة فيه فهو لا يبعد رسمه عن فكري ويتخيل في ذهني اشراق وجهك منه وظهورك فيه كظهور البدر في خرق من الغيم الكثيف

جلا الحسن عن بدر التمام اجتلاؤه	وحاشاه من عين الحسود اعتلاؤه
وابرزه في داره الحسن والبهاء	قران سعود لا يجاب انقضاؤه
له الله من بدر أضل بنوره	محبا تساوى صبحه ومساؤه
أنيس عيون الهائمين لانه	اذا جنهم ليل جلاه اجتلاؤه
لئن سعدت عيني برؤية نوره	لحق لقلبي في هواء شقاؤه
وان كان كتم الحب للقلب داؤه	فافشاء سر الحب فيه دواؤه
تراءى فاحيى سعده شهداؤه	ومن لي ببدر اسعدت شهداؤه
وتم فصاحته الغزالة في الضحى	فغشى سناه الازهرى بسناؤه
وكيف يفوق الشمس حسنا ونوره	لطلعته الغراء يعزى ضياؤه

فانت مليكتي وبك سعادتي واليك منتهاي ويحق لك أن تكوني كذلك فلولا مع صباح جبينك الوضاح مترفع في سماء الافكار جل أن يكون له مثيل في هذا الزمان ولاجله اتحمل كل عذاب وتعب فلو سرت الى اقاصي الارض وطرقت أبعد البلدان على أمل ان أرضي بذلك اباك فيسمح لفعلت. أليس الانسان عرضة لنوال غاياته

ومليكة صانت شقائق خدها من ناظرى بناظر وبحاجب
حزمت بكسر حشاشتى وتعجبت عن عين ناظرها رفع الحاجب
واستاصلت طير الفؤاد وقد رمت بسهام لحظ عن قسى حواجب
ناديتها كفى فنادى لحظها أوليس قلبك من طيور الحاجب

ثم ان الامير حمزة طوى الكتاب وسلمه الى الرسول وأوصاه ان يهدى السلام لمولاته وان تحافظ على المكتوب فلا يقع بيد أحد فاخذه وسار اليها فاعطاها الكتاب ففضته وقرأته وهى طائرة الفؤاد بفروغ صبر تنتظر اتيان النهار لتقيم فى شباكها وترى غزالها تحته وتبل أشواقها من النظر اليه

وأما الامير فانه نام تلك الليلة مطمان الخاطر ينتظر الصباح ليسير الى ديوان كسرى وبعد نومه سار الامير عمر العيار الى أصحابه فسلم عليهم وقال لهم هلموا لادفع اليكم ماوصل الى من الاموال فاجتمعوا حواليه كالزنابير واحتاطوا به كالاولاد حول الام وأخذ ينثر عليهم الذهب وهم يلتقطونه من كل ناحية وهو يضحك من عملهم حتى فرغ كل ماكان قد اخذه واتاه من انعام كسرى والنعمان وماوصلت اليه يده فتكدر من فراغ المال ورجع حزينا الى أخيه متمنيا لو كان حصل على مال أكثر وبقى فى حراسة الصيوان الى الصباح . فنهض الامير حمزه من رقاده وجاء الى صيوان الملك النعمان ومااستقر حتى اخذت الامراء تلقى واحدا بعد واحد واخير جاء معقل البهلوان فسلم على الجميع واخذ قيدا فقيد نفسه به ودخل من تلقاء نفسه الى قفص الحديد وسأل الامير حمزه ان يقفل عليه ويرسله الى الملك كسرى فتعجب الجميع من كرامته وتقدم الامير فاقفل باب القفص وأمر اربعة رجال من العرباز ان يحملوه ويسيروا امامه الى الديوان ففعلوا وبعد ذلك ركب الامير حمزه ظهر جواده الاصفران وسار نحو المدائن والى جانبه الملك النعمان وباقى امراء العربان ولما قرب من باب الديوان نظر الى فوق فوجد مهردكار جالسة فى الشباك تنتظر قدومه وهى بالملابس البيضاء الحريرية وعليها من الجواهر مايتكسر نوره بما ماثل نور الشمس وعلى رأسها اكليل من الماس محتاطا بباقات من الزهور البيضاء والحمراء ولما رأته تبسمت واضعة يدها على قلبها وأشارت اليه برأسها مسلمة فاجابها على ذلك فتدحرجت من عينها دمعة وقعت على صدرها وشكرت الله على رجوعه سالما وكيف سمح لها أن تراه كما فارقته

فهذا ما كان من الامير وأما ما كان من الرجال الذين اخذوا معقل البهلوان فانهم ساروا به محمولا على أكتافهم حتى دخلوا صيوان كسرى فوضعوه أمامه وقالوا له هذا ياسيدى معقل الذى طلبت من سيدنا حمزه اذلاله فها قد أوصلناه اليك على حسب ماتشتهى وبعد دقائق قليلة يكون سيدنا الامير حمزه عندك فهو ات وراءنا مع الامراء والملك النعمان . فلما

ورأى كسرى وباقى الاعجام الى معقل وهو مقيد تعجبوا من عظم جثته وكبر هامته وهو كالفيل وأكثر عجبهم كان كيف ان الامير حمزه قدر على اسره وادخاله فى هذا القفص مع ماهو عليه من البطش والاقدام وعلو المنزلة فى القتال وبعد الصيت فى عالم هذا الزمان

وأما كسرى سر باسر معقل البهلوان قال له كيف ترى نفسك الان أيها المتكبر المتعدى أنظن أنى أعجز عنك ولا أقدر على اسرك وقتلك وقد بعثت اليك برجل واحد فاتى بك على هذه الحالة . فقال معقل انك لو بعثت الى برجال العالم اجمعها وانا فى حصنى لما حسبت لهم حسابا ولا قدرت أن ترانى فى مثل هذه الحالة غير ان الامير حمزة غش بك وتوهم انكم على صفاء الباطن والنية فسعى فى انفاذ مآربكم فقال بختك لكسرى اعلم ياسيدى ان قتل معقل فى الحال كثير الفائدة . واريد منك أن تامر بقتله ونريح منه لانه وهو فى الاسر يتطاول ويأنف الذل واذا تذكرنا السالفة نرى أن كل عمل يحتاج من اجله ان يحرق بالنار . فقال معقل أن قتلى صعب عليكم جدا وليس فى وسع احد منكم أن يمد الى يدا الا الذى أسرنى فهو وحده له حق التسلط على والتصرف بى فان عفى كان كرما منه والا فله الحق بقتلى وما أنتم فانكم بعيدون عن نوال هذا المثال وتعجزون عن الدنو منى وأنا مقيد الايدى والارجل فاياكم من المخاطرة بانفسكم فاغتاظ كسرى من كلام معقل البهلوان وكاد يختنق فادرك ذلك بختك فاغتنم الفرصة للانتقام من معقل البهلوان وقتله خوفا من أن يظهر الكتابة التى بعثها اليه بقتل الامير حمزه ، فى الحال أمر الحجاب ان تحمل القفص بما فيه وتلقيه فى النار ليحرق فهجم الحجاب افواجا وفى نيتهم ان يحملوا القفص وينفذوا أمر بختك واذا بالامير حمزه قد وصل الى الايوان بجماعته ورأى قبل دخوله مهردكار على ماتقدم فى شباك قصرها واقفة كالعادة وعند دخوله رأى الحجاب قد احتاطوا بالقفص ليحملوه فادرك سر المسألة ولاسيما عندما شاهد معقلا وهو يصيح بهم ليبعدوا عنه . فصاح وهجم عليهم غير ملتفت الى كسرى وقومه وقد جرد السيف بيده حتى ارعب الجميع وخافه كل من كان حاضرا فى المكان من أكابر واعيان ولاسيما الوزير بختك فانه وقع الرعب فى قلبه وعلم ان حمزة اذا قتل احد يكون هو فى الاول ولذلك اضطرب وخاف ومثله الملك وقد قال لوزيره بزرجمهر ارجع حمزة عن غايته ودعه يغمد سيفه ومهما طلب اعطيناه ونحن لانعرف ان معقلا فى زمامه فامر بزرجمهر الحجاب ان يتفرقوا عن القفص وتقدم من الامير حمزة وقبله وقال له اغمد سيفك ياولدى فامن لزوم لمثل هذا الامر فاستحى حمزة من بزرجمهر واطاعه لانه كان يحبه جدا ويعتبره لعلمه انه من كرماء الناس وعقلائها وانه يحبه عن خلوص ومودة محبة الاب لولده فاغمد سيفه وقال له اعلم يا ابتاه ان معقل البهلوان اصبح صديقى ومن اتباعى وعاهدته على الوفاء وان تعلم ان من يريد ان يضر باحد أتباعى اهلكته لامحالة فكيف يمكن ان اترك عدوه يفعل به مايشاء

دون معرفتي واطلاعي فامره بزرجمهر ان يتقدم من كسرى ويقدم له واجبات الاحترام فتقدم من عرش الملك وقبل يديه فوقف له وقبله وشكره وبعد ذلك سلم حمزة على بختك وباقي الاعيان وجلس في مكانه الى جانب كسرى وسيفه على ركبه . وبعد ان استقر به الجلوس وهدأ روعه قدم له الشراب فشرب وسأل كسرى ان يامر باطلاق سبيل معقل . وقال اعلم ياسيدي اني لا اسلم بقتل هذا الفارس العظيم والبطل الكريم وفي بقائه نفع لنا وقد صحبته وعاهدته ان يكون باقي عمره في خدمتي وبين اتباعه ولذلك اريد مراعاته منكم ما زلتم تراعونني فامر كسرى بخروجه من القفص فنهض حمزة الى معقل البهلوان واخرجه من القفص وفك قيوده وهناه بالسلامة وامره ان يتقدم من كسرى ويقبل يديه ويظهر له طاعته ففعل كما امره حمزة واظهر خضوعه للملك فامر له بخلعه واجاره جائزة عظيمة وفرح به مزيد الفرح

وكان قد راق خاطر كسرى من جهة الامير حمزة وصفا باطنه وفكر انه فارس لا مثيل له في زمانه وانه اذا صاهره يفتخر به ويسود على كل فرسان ذاك الزمان وملوكها ويمتلك الدنيا بامرها ويدوخ بلاد الرومان ويهدم تخت قيصر ولا سيما وقد صار عنده مثل معقل البهلوان واصفران الدربندي وغيرهما من الرجال . ومن ثم قدموا الطعام فاكلت الاعجام والعرب معا ونهضوا عن الطعام وجلسوا الى المساء وفي المساء ودع حمزة الملك وخرج من الديوان وركب جواده واشار الى مهردكار وهي بالشباك مودعا فاجابته بمثل اشارته وقد بعثت في اثره نظرها تحدق به وهو سائر وقلبها يرف طائرا من حواليه ليحرسه ويحفظه من رواشق حب سواها وليبقى على الدوام مطمئنا عليها ولما بعدوا عن الايوان قال حمزة للامير معقل لقد صعب على ما جرى في هذا النهار واني اشكر الله على سلامتك . قال ما انا الا عبدك وفي يدك واني لم اكن اظن قبلا ان كسرى يجيب سؤالك اذا سالته لعفو عني او يراعي خاطرك الى هذا الحد حتى اني ما كنت اظن ان ابقى حيا وقد سلمت بنفسي اليك وانا على يقين من هلاكي غير اني كنت ارضى بالموت وافضله على مخالفتك حتى شاهدت بعيني نفوذ كلمتك في كسرى وعليه قال اني اقسمت لك بابر الاقسام ان احافظ على حياتك فكيف ادع احدا يقرب منك باذى ولو لم يجب الملك في الحال والا كنت قتلت كل من في الديوان وفككت قيودك بالقوة واوقعت في اهل المدينة وتخلصت من الاعجام وغدرهم ولما دخلوا الخيام تفرق كل الى مكانه وكان معقل البهلوان قد ضرب خيامه مع قومه الى جهة ملاصقة للعرب وما استقر الامير في صيوانه حتى جاءه رسول مهردكار بالطعام حسب العادة فاكل واكتفى وارسل سلامه الى خطيبته وبات تلك الليلة وهو يفكر انه عند الصباح يسال كسرى في زواج بنته ويطلب اليه تعجيل العرس . ونام على تلك الليلة يتردد في اجابة كسرى هل انه يوافق على طلبه او يمتنع ويختلق له حيلة ثانية يبعده فيها عن دياره

قال فهذا ما كان من الامير واما ما كان من كسرى انوشروان فانه ذهب من ديوانه الى قصر بنته فلما اجتمع بها قبلت يديه فقبلها بين عينيها فقال لها اعلمي يا عزيزتي ان الامير حمزة هو وحيد في هذا الزمان ولا بد من اتمام زواجك به وقد وعدته وعدا صادقا ولا اريد ان ارجع بقولي ولولا بختك لما بعثته الى قلعة تيزان وقد عاد منصور ومعه معقل البهلوان مساعدا ومعينا فكان ذلك موافقا له ونافعا لخيره ونجاحه حيث صار من خدامه واتباعه فقالت له اليس انت والدي ومدبر امري فاذا يكون بيدي فاذا القيتني بالنار كان ذلك الحق واذا وضعتني باعلى جنان كان ذلك من حبك الابوي وحنوك فقبلها ثانيا ثم سار الى قصره وذا ببختك الوزير ينتظره فحياه وجلس وبعد ان استقر قال بختك اني لما كنت اعرف يا سيدي انه لا بد في الغد ان يطلب اليك الامير حمزة زواج بنتك ابقاء للوعد قصدت ان اجتمع بك في هذه الليلة لتدبير طريقة تحفظ بنتك من عدوك وعدوها. قال اني ارى من نفسي وجوب اجابتي الى سؤاله ولا ارى مانعا يمنع من قيام زفاف بنتي عليه غير انت. قال نعم في المانع لاني مسئول بحفظ شرفك وشرف الفرس اجمع ولا اريد ان تسود العرب علينا ويرتفع مقامهم ويظنوا اننا نخافهم ولذلك اريد ان نتخلص من زنخة البدو ونعيدهم الى بلادهم ويرجع حمزة الى مكة لرعي المواشي فاين من هو ليطمع بزواج بنت اكبر ملوك الدنيا واعظمهم قدرا وارفعهم شانا من الشرق الى الغرب فعد الى نفسك واعرف قدرك وارجع الى الصواب فخير الملك ان يفقد ولعرشك ان يهدم من ان يلحق بشرفك مقدر ويقال في تاريخ الازمان ان بعض البدو تزوج ببنتك فيسود تاريخ الاكاسرة قال الملك هذا اعرفه غير اني ارى ان من كان كالامير حمزة يكرم ويرفع قدره ويعظم شانه قال ماذا يهمك ذلك خذ مني تدبير الامر ولا تترك العدو يسود فما العرب الا كالعبيد عندنا قال ما عولت قال عزمت ان ابعثك على ان ترسله الى سرنديب الهند لمحاربة اندهوق وهذا من الفرسان العظام وعندي انه يهلك حمزة بيده وترتاح من شره قال وباي طريقة ترسله الى هنا قال عند ما يجتمع العرب عندك ويجلس حمزة في مقامه بش في وجهه وقربه منك جدا وقل له اني افرح بك جدا وصار من اللازم ان اتخذك عونا لي لكيد الاعداء وقد خطر لي كما انك احضرت لي معقل البهلوان تاتيني باندهوق صاحب سرنديب لانه فارس عظيم ودائما يطمع نفسك بالاستيلاء على تختي فاما تقتله او تاتيني به اسيرا فيرتاح بالي فانام امنا ولا يبقى من يخاصمني بعد ذلك ولا عدو يعاديني وانا ازيده من الكلام ولا ريب انه يقبل منا ذلك وبعدنا بالمسير الى سرنديب ومتى سار فلا يعود يرجع وهذا مؤكد عندنا فنرتاح منه ويسلم شرفك وتصان بنتك شمس الدنيا من تعرض اجلاف العرب فانطلى الملك بكلام بختك وقال له تولى انت هذا الامر. ثم ان بختك ذهب الى قصره وبات الملك ينتظر الصباح وقد تغير كل فكره على حمزة وتكدر قلبه وخاطره عليه من كلام بختك

وبقى الامير حمزه نائما الى الصباح فخرج حسب عادته واجتمع بقومه فى صيوان الملك النعمان وسار الجميع من هناك يقصدون الايوان وفى فكر الامير حمزة ان يجيب طلبه فى ذلك النهار او يحاول الى غير ذلك ولما صار عند باب الايوان نظر الى فوق فراى مهردكار جالسة فى الشباك كانها ملاك من النور البهى البهيج ضياها وحيته وقد ابتسمت عن ثغر انق من الماس وقلبها مملوء بالفرح ومبشر الما سمعته من ابيها فى اليوم الماضى ولم يكن عندها علم بخبر بختك وهى تسال الله ان لا يقف مانع فى سبيل نيل المراد ولما دخل الامير بجماعته ترحب به الملك واجلسه الى جانبه بعد ان قبله مرارا وامر ان تقدم لهم الاشربه والاطعمة حسب العادة ودار فيما بينهم الحديث واذا بالملك قال لبزرجمهر ان يبلغ حمزه مايقوله فاجابه فقال الملك لعظم فرحى لم انم فى الليلة الماضية بل صرفت ليلى افكر باقدام صهرى وبسالته وبطشه وقلت ان النار اوصلته الى من رضاها على وسعادتى لكى يذل اخصام دولتى ويعز ملكى فقد اذل كل خصم وجعل من كان يعصانى يجلس فى ديوانى بين رجالى كاصفران الدربندى ومعقل البهلوان ولم يبق من يشغل لى فكرى الا فارس واحد فى العالم ولابد بعد زواج صهرى حمزة ببنتى مهردكار ارسله اليه ليذله او يقتله فاجاب حمزة انى اريد منك ان تخبرنى من يكون هذا الفارس وفى اى البلاد لاذلمع لك اثاره واخرب دياره واجىء به ذليلا حقيرا قال انى لا اريد ان اخبرك باسمه واذا اخبرتك اخاف من ان تحدثك نفسك بالمسير اليه قبل الزفاف فقال بختك ان مسيره اليه قبل الزواج واجب جد الاسباب ولا اظن ان نخونه مروته وتطيما نه على الصبر الى بعد الزفاف ولاسيما اذا علم ان عمه متكدر ولا يطيب عيشه ومن المعلوم ان الافراح لا تطيب الا بعد ازالة المكدرات ومحو الاتراح واى شيء احب على قلبه من ان يكون اخذ مهردكار باستحقاق اى انه منع كل تعد عن بلاد ابيها واصلح شؤون الرعايا واذل كل رجل يطمع بالبلاد وبهذا العمل يقال ان الملك كسرى قد زوج بنته بفارس فعل ماهو كذا وكذا فقتل فلانا واهلك فلانا وفتح الحصون والقلاع فحق له ان يكون بعلا لفتاة ضربت بها الامثال فى سائر المجال وحازت من العقل والادب مالا يوجد باعظم الرجال فضلا من حسنها الباهر وجمالها الذى ندرت به والحق يقال انها ماخلقت الا له وماخلق الا لها فقال الملك انى أرغب بزواج ابنتى قبل مسيره الى سرنديب لانى احب صهرى واحب ان يكون مسرورا نعم انى اكون مضطرب الافكار خائفا على بلادى فلا يطيب عيشى ولا يروق بالى الا بموت عدوى لكنى احب ان يرتاح ضمير صهرى فيعلم خلوصى له . فلما سمع الامير حمزه كلام عمه وبختك لعبت براسه النخوة العربية وحركه داع البسالة والاقدام الى الفوز واشهار اسمه ليكون قد تزوج بمهردكار عن استحقاق واكتسب مدح الناس وخافه البعيد والقريب ولذلك نهض فى الديوان وقال . انتم تعلمون انكم عند ماطلبتم منى معقل البهلوان اقسمت بالاتيان به باقرب آن ومن فضله تعالى وفيت بوعدى

وقسمي وكان ذلك عائداً الخيري ونفعي لاني اخذته صديقاً أقدر به ان افتح الارض بالطول والعرض والان اقسم نفس ذاك القسم واعاهد عمي الملك ان لا اتزوج بينته قط ولا ادخل ديوانه هذا الا ومعه اندهوق صاحب سرنديب ذليلا مهانا مقيدا ليعرف عمي اني صادق بخدمته وان غيري يغشه ولا يرضى النفع لدولته وسيكشف المستقبل على سرائر كل من يتظاهر لديه بالخلوص . فقال الملك اني لا اريد يا ولدي ان تخاطر بنفسك لاجلي وتلاقي هناك الاتعاب والاوصاب فانا ابغضك وخير لي ان ارى بلادي خرابا من ان اراك متضجرا مني والناس تنسبب الى عدم الوفاء والامانة وكان كسرى يعلم صدق حمزة وانه اذا عزم على شيء لا يرجع عنه مطلقا وعرف ايضا انه بالذهاب الى سرنديب الهند ولا بد له من الرجوع ولذلك قصد ان يمكنه من الثبات على كلامه واذ يظهر له انه يحبه ولا يرغب في عذابه . وقد ادرك بزرجمهر ان هذا الكلام هو مصنع بن بختك والملك غير انه راى نفسه انه مضطر الى السكوت ومجاراة سيده وقد قال في نفسه لا بد من نجاح الامير حمزه كيف كان الحال وان العناية تساعده كيف سار ولا بد ان تكون هذه السفرة محمودة العواقب حميدة الجدوى

وبعد ذلك نهض الامير حمزة وجماعته فودعوا الملك وأعيانه وخرجوا من الديوان وما منهم الا من ينتفض من الغضب والغيظ ولا سيما معقل البهلوان فانه قال للامير ان الاذلال للاعجام ضرب من الجنون فانهم ينوون لك شرا ومن الصواب ان نوقع بهم ونقيمك ملكا مكان كسرى فتتزوج مهردكار ولا نحتمل اثقال خباثتهم وحيلهم فيظنون ان المحال يطلوا علينا واننا نصدق كلامهم ونأخذه على محل الصدق فيستصغرون عقولنا ويضحكون من غباوتنا فلما سمع الامير حمزة كلام معقل تنهد وأرسل الدموع على خدوده وقد تذكر حب مهردكار وقال له يا اخي لا تلمني على انقيادي لكسرى الا تعلم اني احببتها هي بنته ومن الواجب على الانسان اذا احب فتاة جميلة وفريدة عليه ان يطيع ويكرم اقرب الناس اليها ليتوصل الى غايته بسهولة وصفاء عيش نعم اني اعرف اذا جردت سيفي نلت غايتي اقرب من لمح البصر لكن كيف يطيب عيشي مع زوجة قتلت اباها واخاها . فأرى من واجبات الحب ان اصبر الى ان تفرغ جعبة صبري واجتهد في مرضاة الى محبوبتي وابذل الجهد وما في امكاني ولا بد ان الله سبحانه وتعالى يجعل حدا لكل هذه الامور ومما اعرفه ايضا اني سأرجع فائزا ومنصورا في هذه المرة واتأكد ان كسرى وبختك سيختلفان عذرا اخر ومانعا اعظم فيطلبان مني ازالته . فقال عمر العيار سر يا اخي على توفيق الله فاني ارى من نفسي ان هذه السفرة تعود علينا بالنفع العظيم ويحصل لنا الخير العميم واما مهردكار فانها باقية لك ولا يمكن لاحد غيرك ان ينال منها مرادا ان يتوصل اليها على سبيل الزواج ما زلت انت في قيد الحياة . وداموا في مسيرهم الى ان وصلوا الخيام فتفرق كل الى صيوانه بعد ان سألوا الامير انهم يسيرون في ركابه فاجابهم الى طلبهم

لعلمه ان بلاد الهند بعيدة وانه يحتاج الى مساعدين ورفقاء

قال وكان الامير عند خروجه من الايوان مال بانظاره حسب العادة الى الشباك فراى مهردكار واقفة به تنتظر وهي تنتظر ان تقرا في وجهه معاني اسطر الحديث الذي كان بينه وبين ابيها لتعلم هل هو في فرح او في كدر فراته قد بسم عن شنب ينطوي تحته الغيظ والحنق فتسقط قلبها من مكانه وتأكدت ان الامر خطر والوقت حرج وانه لم يكن راضيا من ابيها وطار فؤادها الى معرفة الحقيقة فدعت في الحال خادمها وامرته ان يكشف لها امر الامير ويسأله عما كان من امر ابيها ودفعت اليه الطعام ايضا ان يقدمه اليه فاخذه وسار الى ان جاء صيوان الامير فدخل عليه وقبل يديه وقدم له الطعام الذي جاء به وقال له اعلم ياسيدي ان سيدتي باضطراب عظيم من جرى ما راته على وجهك في هذا اليوم من وسام عدم الرضا فالقاها في الياس وهي تجهل ما كان واقعا بينك وبين ابيها وقد اوصتني ان اسالك الخبر واستفسره منك ليطمئن بالها فحكى له الامير حمزة كل ما جرى بينه وبين ابيها وقال له اخبر مولاتك اني صادق المودة وارعى حرمة ابيها اكراما لها فلو كلفني ان القي بنفسي في اتون من النار وكان ذلك لاجل خاطرها ورضاها لما تاخرت دقيقة حيث يبقى لي بقية امل ان انجو من النار فاعود اليه مسترضيا طامعا بان يكون قلبه قد تغير وانقلبت تلك الاسباب العدوانية وعرف الحقيقة فامات قول الحواسد واحيي امال صفيه ومخلصه . ثم ان الخادم رجع الى مولاته وشرح لها كل ما سمعه وكانت بالانتظار على مقالي النار تتلقى وتنشوى لاتعرف مايكون الجواب الى ان سمعت ما سمعت فشعرت بانفطار كبدها وكادت تقع الى الارض واسودت الدنيا في عينيها وجعلت دموعها تتدحرج على خدودها ونظرت الى الارض ضائعة العقل حائرة القوى مشتتة الافكار لاتعرف اتندم حظها او تذم الزمان او تذم ابيها وتشتد عليها الغيظ عند ما طرق ذهنها ان كل تلك الاعمال لا بد ان تكون بتدبير الوزير بختك ومسعاه فهو عدو للامير ولها ما دامت على البكاء والشكوى على حالتها ولم يكن لها سلوة قط حيث ثبت بفكرها ان طريق الهند بعيدة وان المقصد موت من احبته وغاية ما يرجوا ابوها هلاكه واعدامه والتخلص منه وكل ذلك مما جعلها ان تقطع الرجاء لولا تعلقها ومعرفتها ان الزمان كريم الفعال بقدر ما هو لئيمها يجود ويبخل وياخذ ويعطي ويضحك ويبكي وان لا بد من نوال المراد اذا ثبت مع حبيبها على المودة لكن يلزم ان يكون موفقا من الله ليعود سالما واشفعت بكاها بنظم الاشعار فقالت

طرب الفؤاد وعاودت أحزانه وتشعبت بشعابه أشجانه

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى برق تائق موهنا لمعانه

يبدوا كحاشية الرداء ودونه صعب الذرى متمنعا أركانه

فبـدا لينظر أين لاح فلم يطق نظرا اليـه وحده سـبحانه
فالنار ما اشـتملت عليه ضلوعه والمـاء ما سمحت به أجفـانه
واقنـع بما قسم الاله فأمره ما لا يزال على الفـتى أتيـانه
والبؤس ماض لا يدوم كما مضى عصر النعـيم وزال عنه أوانه

وبقيت هذه الحالة حالتها كل مدة غياب الامير فهذا ما كان منها وأما ما كان من حمزه فانه نام تلك الليلة على نية السفر فى الصباح وعندما أشرقت شمس اليوم الثانى وتكسرت اشعتها على البسيطة وهب نسيم الشرق باردا نهض الامير حمزه كالاسد الى جواده فركبه وامر ان تركب العرب حالا ليسير عن تلك الجهة فلا يبقى لهم أثر فيهم فركب الجميع من الصغير الى الكبير وانتشرت راية العرب فوق رأس الملك النعمان وهو راكب الى جانب حمزه والى جانب اصفران الدربندي ومعقل البهلوان والامير عقيل وعمر العيار يسير أمام الجميع بجماعته العيارين وهو يجرى باسرع من لمعان البرق وباعجل من طيران الطير وما تعالت شمس ذلك النهار الا كانت العرب قد بعدت عن المدائن وتوغلت فى الطرقات واستلموا طريق سرنديب الهند لا يعلمون ما يكون لهم هناك وحمزه يتمنى سرعة الوصول اليها لينهى الامر الذى جاء بطلبه ويعود حالا الى كسرى وليطمئن بال حبيبته من قبله لانه يعلم انها تبقى كل مدة غيابه مضطربة الافكار ضائعة العقل لا تعلم ما يجرى عليها وما من أحد يوصل أخباره اليها لاسيما وهو سائر الى محاربة رجل اشتهر بين العالم بالبطش والاقدام والبسالة وان أباها ارسله الى هناك لاجل التخلص منه واهلاكه فى تلك النواحى ودام العرب على مسيرهم مدة ايام وليال يسيرون اكثر الليل وقسم من النهار وعند اشتداد الحر ينزلون ويقيمون فى الخيام الى ان وصلوا

وكان بختك لما راى العرب قد اقامت عن تلك الديار فرح فرحا عظيما وسر سرورا لا مزيد عليه واجتمع بالملك كسرى وقال له انظر كيف اننا براحة من زنخة اولئك الاوباش فاقد خلت الديار ولم يبق لهم فيها اثار وصرنا نقدر ان نعى على انفسنا ونلتفت الى ذواتنا وندبر امر ملكنا فالعرب الانقمة لنا حلوا علينا بكل اثقالهم وغلاظتهم فاذا ابقيناهم على مسراهم تعبنا منهم جدا

فقال له كسرى انى اشعر الان براحة من قبلهم وما كنت اكرمهم الا كراما لخاطر الامير حمزه لانه فارس صنديد وامين على خدمة حكومتنا . قال اننا لا نحتاج الى امانته وخدمته وعندى ان نفس حمزه تطمع عينه ذات يوم الى الجلوس على كرسيك ولبس تاجك وذلك بعد ان يتزوج بينتك مهردكار ويظن فى نفسه انه صالح لذلك وتقع الحروب بين العرب والعجم ونكون نحن السبب فى خراب دولتنا وانت تعلم ان العرب يربون على الغزوات والغارات لا يتعلمون ولا يتهذبون فينشئون على اقبح طريقة واسوا حال ولذلك لا يعرفون قدر الملوك وتعمهم

ودام بختك في مثل هذا الحديث الى ان امتلا صدر الملك كسرى حنقا على الامير حمزة والعرب وصار يطلب هلاكهم ويتمنى كل التمني ان لا يعودون من هذه السفرة ولا يرجعون اليه غيرا مرفي ديوانه مرة ثانية وبعد ذلك طلب بختك من كسرى ان يسمح له بجاتم وقال له مرادي انا اكتب كتابا الى اندهوق صاحب سرنديب اطلعه على باطن المسألة وظاهرها واشرح له كل ما توقع لنا واساله اخبرا هلاك العرب وتبديد شملهم واذا فعل ذلك كان له منا الخير العظيم فوافقه كسرى على ذلك فكتب بختك

من كسرى ملك العجم والعرب وحاكم الارض بالطول والعرض الى اندهوق صاحب سرنديب الهند فارس فرسان هذا الزمان وفخر ابطالها الشجعان

اعلم ايها الصديق الودود انه خرج من العرب فارس صنديد اسمه حمزة العرب من برية الحجاز وجاء بلادنا ونحن بضيق عظيم مع خارتين فقتله وأعاد البلاد الينا فاكرمته على ذلك وأنعمت عليه وقدمته من ديواني حيث رايت من قواعد الانسانية أن يكرم من هو مثله فلما رأى مني هذا الاكرام الزائد حدثته نفسه بان يتخذ بنتي زوجة له فعاظني منه ذلك وتكدرت منه مزيد الكدر ان اكون كسرى أنوشرواز ويطمع بزواج بنتي أحد العرباز وعند ذلك اردت أن امنعه وابعده فارسلته الى رجل عاص يقال له معقل البهلوان في حصن تبزان على أمل ان يهلكه وارتاح من شره فسار اليه ولحسن ظنه تغلب عليه وقاده ذليلا الى ديواني ثم اصطحب معه وصار له صديقا صدوقا وهذا عاد ثانيا الى طلب زواج بنتي كما كان قبلا وسألني ان ازفه عليها واسلمه اياها فكان من وزيري بختك انه قال له اننا لا يمكن ان نزفها عليك ما لم يصف بالنا ويطيب عيشنا الان اندهوق صاحب سرنديب عدونا ويريد ان يزحف على بلادنا فلسخافة عقله صدق ذلك وفي الحال وعدانه يسير اليك ويقبض عليك ويأتي بك مقيدا اسيرا الى ديواني وانت على الذل والاهانة وكان بفكر وزيري انك فارس صنديد لا يوجد لك ثان في هذا الزمان فتهلكه وتعدمه الحياة وتريحنا منه ونعطيك عوضا عن ذلك حكومة العرب او غيرها والآن اخبرك ان الامير حمزة وجماعته قد ساروا الى بلادك على امل ان ينفذوا غاية الامير حمزة فدبر انت امره واذا تم لي مطلوبي اي اذا اهلكته وفعلت بما اريد اعطيك كل ما تطلبه والسلام

ثم ان الوزير بعد ان ختم الكتاب بختام الملك طواه وسلمه الى الرسول واوصاه بالسرعة وان يسبق العرب الى سرنديب ويعطى الكتاب الى اندهوق ودفع اليه هدية فاخرة من الجواهر والاموال يقدمها له ويخبره ان هذا جزاء من كرامة الملك له فاخذ الرسول الكتاب وسار على غير الطريق الذي سارت فيه العرب حتى وصل الى سرنديب فدخل على اندهوق وناوله الكتاب وبلغه رسالة كسرى وبعد ان قرأ الكتاب صبر الى حين وصول العرب واستنتج مآل التحرير ان كسرى يريد ان يظلم الامير حمزة ويعامله بغير ما استحقه وحيث انه خاص له

بلاده فيريد ان يهلكه ويعدمه الحياة غير انه كتم ذلك الى وقته

ولا زال الامير حمزة وباقي العرب سائرون من مكان الى مكان عدة أسابيع الى ان اقبلوا على وادي يقال له وادي سرنديب وهو يبعد عن بلاد اندهوق مدة عشرة ايام فرات العرب فى ذلك الوادي كثرة الاشجار وينابيع المياه وحسن الهواء فنزلت فيه وهي منتعشة الارواح من جرى الروائح الزكية المنبعثة من الزهور العطرية ولاح لحمزة ان يقيم فى ذلك الوادي ثلاثة ايام ليرتاح من معه من التعب الذى لحق بهم مدة السفر الطويل فضربوا خيامهم وشدوا أطنابهم وسرحوا خيولهم مسرورين بقيامهم بذلك الوادي طول ذلك النهار وفى اليوم الثانى ركب الامير حمزة وقصد أن يوسع فى البر أولا ليصطاد من وحش ذلك لوادي وثانيا ليتفرج عليه فسار عن المعسكر مقدار ساعتين ثم استلم طريق الآكام والجبال وجعل يسير فيها وهو لا يرى وحشا ولا ما يصطاده فتعجب كيف أن ذلك المكان خال من الوحوش والارانب الا انه داوم المسير وتقدم شيئا فشيئا الى ان اشتد الحر وحمي الهجير فاشتاق الى شرب الماء وكان قد وصل الى نصف الجبل فلم ير هناك ولا عين ماء فعرف ان الماء كله فى الاسفل غير انه أمل ربما يلاقى بعد قليل عين ماء فجعل يتقدم وكلما تقدم يشتد عليه الحر ويظمىء حتى ضاقت منه الانفاس

وبينما هو على مثل ذلك واذ لاحت منه التفاتة الى راس الجبل فتبين هناك صومعة عالية ففرح وقال لا بد ان يكون فى هذه الصومعة اناس يسكنونها فيوجد عندهم الماء فاطلق لجواده الاصفر ان العنان وسار يتقدم بسرعة حتى وصل الى اعالى الجبل ودنا من الصومعة وطرق بابها ففتح له فدخل واذا به يرى اربعين شيخا يسكنون فيها وكلهم بذقون بيضاء وثياب بيضاء قائمين على الصلاة والعبادة فحياهم وقال لهم هل تسمحون لى بشربة ماء فلما سمعوا كلامه وشاهدوه تقدموا منه وقالوا له على الرحب والكرامة يا حمزة وجاءوه حالا بالماء فتعجب كيف انهم عرفوه فى الحال ولم يروه قبل ذلك اليوم وبعد ان شرب قال لهم اريد ان اسالكم من اين عرفتمونى فناديتم باسمي ومن الذى أخبركم عنه . قالوا ان الخضر عليه السلام من زمان طويل حضر علينا فى هذه الصومعة واخبرنا ان سيأتينا فى زماننا الامير حمزة العرب من برية الحجاز من أشرف مكان فى العالم أي من مكة المطهرة فيزوركم وهو عطشان ومن ذلك اليوم الى يومنا هذا لم يحضر الينا أحد سوى الكغريب ونحن على الدوام نصلى لله وقد خصصنا نفسنا لعبادته آناء الليل واطراف النهار واننا نبشرك اذ لك عندنا امانة توصينا من سيدنا الخضر عليه السلام ان نسلمك اياها . ثم جاؤه برمح طويل مكعب يلتوى كالافعى له سنان حاد مسقي بالسم اذا مر على الجسم قتل ودفعوا اليه ايضا ثوبا ثمينا مدبجا بالزخارف وفيه اللؤلؤ والياقوت والجواهر مما ياخذ بالابصار فتعجب منها واندهشت

ابصاره واخذ الرمح وقد فرح به فرحا لا يوصف وشكر رجال الله وودعهم ورجع من حيث اتى وهو طائر الفؤاد وقد لبس الثوب على جسمه وتقلد بالرمح ودام فى رجوعه الى ان بقى بينه وبين المعسكر نحو ساعة واذا باخيه عمر قد خرج لانه استبطاه وانشغل باله عليه حيث قد ذهب ولم يخبره ولا اخذه معه فلما رآه مال اليه وسلم عليه واندهش مما راى من ثيابه والرمح الذى معه وقال له من اين لك هذا كله ومن اين جئت به . قال نصيب كان لى فى مكان فدفعه الى ثم اخبره بخبره وما كان من امر الشيوخ الذين فى الصومعة فقال له انك لا ترغب فى ربحى لان لابد ان يكون لى نصيب فى ذاك المكان ولو اخذتنى معك لكنت حصلت على ما حصلت عليه انت نسر الى المعسكر وانا لا ارجع مالم أزور الصومعة واطلب من الشيوخ نصيبى

ثم ترك الامير وقفز كالغزال وانطلق كالبرق يسير بسرعة كلية وبمدة قصيرة وصل الى تحت تلك الصومعة فرآى بابا مقفلا فطرقه واذا به قد فتح فدخل وشاهد الشيوخ فسلم عليهم فترحبوا به وقالوا أهلا وسهلا بالامير عمر العيار فتعجب من امرهم وقال لهم كيف عرفتم بى وان إسمى عمر قالوا ان ذلك نعرفه من زمان قال انى اسالكم هل من نصيب لى عندكم كنصيب الامير . فقالوا الا بل نصيبك عندنا افضل من نصيب الامير ونحن بانتظارك تاتى من تلقاء نفسك . ثم ذهب احد الشيوخ وجاء بسيف صقيل مجوهر لا يوجد مثله فى ذاك الزمان وقال له هذا لك يا عمر وانى كنت وكيلا عليه لاسلمه اليك واسمه ذو الشطلين . فاخذه وقد فرح به كثير ثم قال وهل باقى لى نصيب عندكم فاعطونى اياه ولا تحرمونى منه . فقام شيخ اخر وجاء بخنجر احسن من السيف قبضته من الماس وهو مصفح بالذهب محلى به وقال لعمر خذ هذا فلا نظير له فى هذا الزمان واسمه خنجر اسماعيل وهو محفوظ لك من زمن اسماعيل فانبهر منه عند ما اخرجه من جرابه ثم انه التفت الى شيخ ثالث وقال له وانت ما عندك لى فذهب وجاء بجراب من الجلد طوله ذراع وعرضه ذراع فدفعها اليه وقال له هذا يا ابو عمر اسمه جراب اسماعيل مهما وضعت فيه لا يمتلىء يعنى لو ادخلت فيه هذه الصومعة ونحن كلنا لما بنا فيه فاعجبه ذلك اكثر من الجميع . ثم قال الرابع وانت هل سلم اليك لى شىء فادفعه حالا لان الله يسالك عنه فى اليوم الاخير . فقام الشيخ وجاءه بطاقات من الجلد وقال له اذا لبست هذه فى رجليك ومشيت الدهر بطوله لا تشعر بتعب ولا ملل ولا وجع حتى لو طفت الارض بطولها لامكنك ذلك بسهولة . ثم قام الخامس والسادس فجاءه الاول بمراة والاخر بمكحلة وقال له هذه المكحلة اذا تكحلت منها وضربت على المراة بقضيب وقلت بحق ما كتب عليك من الاسماء اصير مثل فلان تصير فى الحال مثله وبها يمكنك ان تكون مثل من شئت واذا اردت ان تقصد مكانا او محلا تضع المراة

لجهة القبلة فاذكر اسم المكان الذي تكون قاصده يظهر لك في الحال بطرفة وكل جهاته فطار قلبه من هذه البشارة وفرح فرحا عظيما وسر سرورا لا مزيد عليه . ثم سال الباقين اذا كان عندهم شيء فقالوا اليس لك عندنا الا الدعاء . فودعهم وخرج من عندهم وهو فرح بالذخائر وكلها نافعة ضرورية له وقد تأكد انه ملك الدنيا باسرها وبقي سائرا الى جهة المعسكر حتى كاد يقرب منه فلم يرد ان يظهر نفسه لقومه او يخبرهم بما ينال بل قصد ان يجرب المكحلة والمراة وكان الوقت اذ ذاك بعد نصف الليل فذهب الى ناحية صيوان الملك النعمان ودخل عليه من وراء وهو نائم ورفعه الى الخارج ووضعه في صيوان بعيد عن صيوانه ورجع الى فراشه وانتظر الى قبل الصباح فاخذ المكحلة وتكحل بها ومسك المرآة ينظر فيها وهو يقول بحق ما كتب عليكما من الاسماء العظام اني اريد ان أصير مثل الملك النعمان هيئة وجسما ثم لبس ملابس النعمان فرأى نفسه كانه هو وقد تغيرت حالته وأصبح من يراه ويرى الملك النعمان لا يعلم أيهما الصحيح

وبعد ذلك جلس على كرسي الملك وأقام ينتظر العرب وهي تاتي اميرا بعد أمير وكل واحد يصل ويسلم على عمر وهو يظنه الملك النعمان ويجلس موضعه حتى كملت العرب ودار بينهم الحديث حسب عادتهم ولم يخطر في بالهم شيء مما تقدم وفيما هم على ذلك اذ تقدم النعمان ودخل الصيوان وهو مندهش لانه كان قد استيقظ فوجد نفسه في غير صيوانه فتكدر جدا وما عرف من عمل معه ذلك وبقي اكثر من ساعة مضطربا محتارا في أمره الى ان هدأ باله وراق ضميره واستكن ولم ير من خوف عليه فقام وجاء الى المكان المضروب فيه صيوانه ودخل على العرب فوجد عمرا جالسا في مكانه فتعجب مزيد العجب ولم يعد يتمالك نفسه من الغيظ وصاح على غير وعي من أنت أيها الساحر المتعدي الغاش فنظرت اليه العرب فرأته انه الملك النعمان ثم نظروا الى عمر فوجدوا أنه النعمان ايضا فانبهروا وحاروا في أمرهم ينظرون من الواحد الى الاخر لا يعلمون ايهما النعمان هذا والنعمان يصيح عن غضب وقد قال لجماعته ويلكم انا ملككم كيف تقبلون بهذا الرجل الساحر الذي يريد ان يغشكم ويجعل نفسه ملكا عليكم فلم يجب احد منهم بكلمة لما لحق بينهم من الحيرة ولا سيما الامير الا انه نهض مغتاظا وجاء الى النعمان وقال له اين كنت ومن أين اتيت فاخبرنا جلية امرك لنفحص الامر لان الجالس على الكرسي هو ملكنا وهذا صيوانه وقد وجد فيه منذ الصباح وهذه الملابس ملابسه قال اني نمت في هذا الصيوان امس وفي هذا الصباح وجدت نفسي في غيره ولا أعرف من نقلني الى هناك ولا ريب ان هذا الساحر عمل هذا العمل

ولما رأى عمر العيار ان النعمان بغيظ عظيم وكدر جسيم نهض عن الكرسي وقال لا تؤاخذني يا عميلي فما انا النعمان بل انا عمر العيار فتعجب الجميع من عمله وبهتوا فيه فحكى لهم كل ما كان

من امرد فى الصومعة وما ناله من الذخائر والتحف التى سمح له بها شيوخ القلعة فلما سمع العرب كلامه تعجبوا منه وقالوا له لقد أعطيت ياعمر ما يطيب به قلبك ويسر به خاطرك ويعود علينا بالنفع العظيم فاذاك الا من تدبير الله تعالى ثم قال لهم وما عملت هذا العمل الا لاجرب امر المكحلة هل هو كما قيل لى فوجدتها كذلك لانها اعظم الاشياء لنا نقدر ان ندرك فيها الغاية فى كل زمان ومكان فقال النعمان وهل اردت ان تجرب الا بى حتى اغظتنى وكدت تضيع منى عقلى. قال انى اعرف ان ذلك جسارة عظيمة لكن اردت ان اكون ملكا لا اعرف هل ان العرب يعرفون ملكهم حيث كلهم ينظرون دائما اليه ولا بد لى ان افعل ذلك ذات يوم مع الاعداء. ثم اعتذر اليه وقبل يديه وترضاه فرضى عنه وشكره على عمله وانعم عليه بالف دينار فاخذها وسار الى جماعته حالا ففرقها عليهم ونثرها فوق رؤسهم وهم يلتقطونها وبعد ذلك قامت العرب مدة ثلاثة أيام فى هذا الوادى وعند صباح اليوم الرابع ركبوا باجمعهم وساروا عن تلك النواحى يقصدون بلاد اندهوق وفى نية حمزة ان يدوخ البلاد ويأتى به ذليلا حقيرا كما وعد الملك كسرى وقد تذكر محبة حبيبته مهردكار وما هى عليه من الجمال والمودة والبهاء وما يعامله ابوها من الاحتقار وعدم المراعاة ونكرانه الجميل فعظم عليه الحال وضاق صدره من اجل ذلك وفكر ان الزمان لا يريد ان يعامله على الصفاء والمودة بل يقصد له التشتيت والبعد عمن يحب فيخلصه من جهة ويذهب به الى جهة ثانية ومهردكار من اجله على مقالى النار تتحسر وتتحرق ولا تقدر ان تأتى بعمل ولذلك باح بما فى ضميره وأنشد وقال

يافقر جهدك فانسع بجهاتك ... فتبين عزمى ناهيا فلواتك
مهما اتسعت فانى ذو همة ... تبغى الوصول لمنتهى جنباتك
ارض الحجاز وطيب تربك اننى ... متشوق لك فارسلى نسماتك
ريح الحجاز عن الاحبة فاخبرى ... نحو اطرى تهفو الى خطراتك
وتحملى عنهم لذيذ حديثهم ... وزكى طيبهم على صفحاتك
وتشرفى من أرض مكة دائما ... فترابها مسك يعطر ذاتك
يادار كسرى ان قلبى هائم ... وحنينه ابدا الى عرصاتك
لى بالمدائن غادة عجمية ... ماضى لواحظها بقلبى فاتك
هيفاء ناعمة الخدود جميلة ... ياقلب باهى فى جمال فتاتك
هى بنت سعد والكمال لها أب ... يابدر فافخر فهى من اخواتك
راقت محاسنها ولاح جبينها ... كم اشرقت ياقصر فى طاقاتك
نظرت لنحوى نظرة فتمكنت بها ... بحشاشة اواه من نظراتك

يابنت كسرى قد جبرت لكسر قلبي عندما احببتني بحسناتك
جار العداة عليَّ يااخت المهى لكنني سابيدهم وحياتك
سابيدهم طمعا بانهم اذا هلكوا قطفت الورد من وجناتك

وكان الامير حمزة ينشد وزفراته تتصاعد واعينه تدمع وكان سائرا الى جانب الامير معقل فعذره وقال لابد ان الدهر يعترف بفضلك فيخدمك وتحيط السعادة بك من كل الجهات وتنقضي هذه المصاعب فاصبر لنوال مرادك كيف لا وسيفك ثقيل وباعك طويل وانت قادر على نوال كل أمر مهما كان صعبا وبين يديك فرسان وابطال لو حملت بهم على الجبال لدكوها أو البحار لغوروها قال اني أعرف اني بقوة يفي انال مرادي لكني لا أقدر أن أجرد هذا السيف لمثل هذه الغاية ولا أنال المراد الا بالصبر الى ان تفرغ جعبة صبري والا فلا زلت اري نفسي قادر على الصبر فاتحمل كل عذاب بشكر ورضا

ولا زالت العرب سائرة على ما تقدم الى ان قربوا من سرنديب الهند ولم يبق بينهم وبينها الامسافة نصف يوم وكان الامير حمزة ومعقل البهلوان يسيران فى المقدمة لوحدهما وبين يديهما عمر العيار وفيما هما سائران اذ نظر عن بعد فارسا بعيد عنهما وبين يديه رجل يسير بسير الجواد فقال حمزة لعمر اذهب انظر هذا الفارس وأتنا بالخبر اليقين فانطلق عمر باسرع من البرق وكان ذاك الفارس هو اندهوق بن سعدون صاحب سرنديب الذى جاء حمزة من أجله وقد خرج مع عياره شيحان للصيد على حسب عادته وفيما هو سائر فى البرية رأى الامير حمزة ورفيقه فقال لعياره انى مشتبه فى حال هذين الفارسين فانى أراهما منفردين ومعهما رجل يسعى باخف من الطير وهم يقصدون المدينة وأريد منك ان تذهب حالا اليهم وتستطلع على أحوالهم حتى اذا كانوا من الاعداء بادرت اليهم وأهلكتهم الكبير والصغير وفيما هما على مثل ذلك انفرد عمر العيار عن اخيه معقل فقال اندهوق لا ريب انهم غرباء يجهلون امرى ولذلك بعثوا بعيارهم نحوي فسر اليه واخبره بحالي وامره ان يتقدم مني ويعرفني بصاحبيه ويشرح لى حالهما ومن أي البلاد هما فانطلق شيحان الى ان التقى بعمر العيار فصاح به وقد استصغره بعينه عندما رآه اسود وتركيب جسمه اعجوبة فقال له ويلك يا ابن الزنا أخبرني من انت ومن معك من اوباش الناس فعجل بالجواب قبل ان يصل اليك قضاء الله المنزل وغضبه المبرم من اندهوق بن سعدون فتعود بالندم . فلم يجبه الامير عمر بشيء بل رفسه برجله فالقاه الى الارض ولف يده الواحدة على عنقه والثانية فى اعالى رجليه ورفعه الى فوق رأسه وعاد يعدو كالغزال حتى وصل بين يدي اخيه حمزة فالقى شيحان وقال له هاك يا اخي عيارا اندهوق الذى اتينا بطلبه فاسأله ما شئت وما فعلت معه ذلك الا لما أغاظ بالكلام فهو يستحق القتل . فقال له الامير حمزة من الذى بعثك ومن هذا الفارس الذى كنت بين يديه قال هذا سيدي اندهوق بن

سعدون صاحب سرنديب وقد خرج للصيد وفى أثناء ذلك بعثنى لاكشف له خبركم لانه تعجب من وجودكم وحدكم وعليكم أدلة تدل بأنكم غرباء ولما وصلت الى عياركم فعل له ما فعل وما حسب حساب سيدى صاحب البلاد وفارس ميدان الطراد . فقال له حمزة لولم تطل عليه الكلام لما فعل معك ما فعل والان عد لمولاك فاننا لا نتعرض لك بأذى وأخبره اننى انا الامير حمزة لعرب بهلوان تخت كسرى انوشروان وقد جئت بجماعة العرب من قبل الملك كسرى لاقبض عليه واخذه اسيرا الى المدائن وأخبره ان لابد له من ذلك ومن الموافق له ان يسلم الى لاقتال ولا نزال وينزع سلاحه فيرى منى خيرا وبعد ان اقدمه الى كسرى أطلقه واتخذه صديقا لى وصاحبا فعاد العيار شيحان وهو لا يصدق بالخلاص من يدى عمر العيار وبقى سائرا حتى وصل الى بين يدى مولاه وشرح له كل ما تقدم وقال له اعلم ياسيدى ان هذا الامير هو فارس برية الحجاز وللشجاعة عليه دلائل وعلائم غير انه مفتخرا بنفسه متعاظم وقد قال لى ان ابلغك أن تسلم اليه أسيرا ليأخذك الى بلاد كسرى مقيدا وهو لا يعلم من انت ويجهل مقدار بسالتك فلما سمع اندهوق كلام عياره ولا يهتم به وكانت قد وصلت اليه كتابة الوزير وعرف معنى اتيان الامير حمزة ولذلك قال لعياره عدبنا الان الى المدينة فما من رغبة لى بقتال حمزة لانه رجل عاشق رماه العشق بسهام صائبة فرمى بنفسه فى المصاعب لنوال مراده ولا بد من صرف الجهد قبل كل شيء الى مسالمته لانه يعبد الله عز وجل وما من عداوة بيننا

ثم انه رجع أندهوق الى المدينة ودخلها ونام تلك الليلة الى الصباح وكان الامير حمزة قد اجتمع بجماعة العرب فجاء بهم وضربوا خيامهم من المدينة وانتظروا الى الصباح وفى الصباح كتب اندهوق كتابا الى الامير حمزة يقول له فيه

اعلم أيها الامير انك سلكت فى الاعجام مسلك التطرف بالطاعة وحفظت لهم المودة والذمام مع انك تعلم انهم من الكفرة يعبدون النار ويتركون الله الواحد الجبار وتعلم أيضا انهم أعداء يقصدون لك الهلاك والوبال فابعثوا بك الى الا انتقاما منك وخباثة منهم ليرموا العداوة بين عبدة الله سبحانه وتعالى ولذلك لا أريد أن يقع تكدر بينى وبينك لاخوفا من حسامك والسنان لانى أعرف مقدرتى وإنى فى كل ساعة أقدر أن أقبض عليك ولكن لما لم يكن بينى وبينك عداوة سابقة وكان كسرى ووزيره عاملان على هلاكك وظلمك قصدت أن أبين الصواب من عدمه وأحذرك ان لا تخاطر بنفسك بل تأتى الى وتتفق معى عليه فانى اسير واياك الى المدائن ونخرب بلاد كسرى وازوجك بينته رغما عنه وعن رجاله والا فانك نادم فيما بعد وهذا اعرضه من باب النصيحة والسلام

فاخذ شيحان الكتاب وسار به الى الامير حمزة ولما فتحه وقراه وعرف ما به تأكد حسن طوية اندهوق ودخل فى ذهنه ان لابد للوزير بختك ان يكون قد كتب له

كتابا يخبره بواقعة الحال ويطلب اليه هلاكه الا انه وجد نفسه مضطرا الى قتال اندهوق واسره فى ساحة الميدان وفاء لوعده فى ديوان كسرى ولقسمه بانه يأتى به اسيرا ذليلا ولذلك كتب له الجواب كما يأتى

من الامير حمزة فارس برية الحجاز الى اندهوق بن سعدون صاحب سرنديب انى اعرف جيدا ان غاية الفرس وخيمة واعمالهم خبيثة وانهم يكرهون رجال الله وعباده واعرف ايضا ان كسرى ما بعثنى اليك الا على أمل ان يهلكنى فى هذه البلاد غير انى اريد ان أبين له الصحيح من الباطل واظهر له انه لو بعثنى الى اقاصى الارض لعدت منصورا ظافرا ولذلك ترانى اطلب اليك عن غير ارادة منى ان تلاقينى فى الغد الى الميدان فيفصل بيننا عود الزان ولا اخفاك انى اقسمت بالله فى ديوان كسرى ان ادخلك عليه مقيدا ذليلا وهذا لا بد منه فاذا شئت ان تسلم الى سلاحك وتعترف بشجاعتى وتعدنى انك حال وصولك الى المدائن تسلمنى نفسك فاقبض عليك وادخلك على الحالة التى وعدت بها ومن ثم اطلقك واجعلك من رجالى وابطالى والا فما من وسيلة الا بالحرب والنزال والسلام

وبعد ان فرغ حمزة من الكتاب دفعه الى شيحان ليوصله الى سيده فاخذه ولما اوصله اليه وقراه وعرف ان الامر لا يفصل الا بالميدان وان حمزة عاشق لا يرضى الا ما فى عقله ولذلك جمع بعض رجاله وخرج بهم الى ساحة القتال وهو على فيل ابيض من فيلة الهند وبيده عمد طويل كان يقاتل به وهو من الحديد يبلغ ثقله قنطارا واسمه الكاوس ولما صاروا بالقرب من العرب ضربوا خيامهم تجاههم وعاد اندهوق الى مراجعة الامير ثانيا ليرجعه عن عزمه فلم يقبل معه فى تواعده واعتمدا على البراز فى اليوم القادم . وكان قد طلب معقل البهلوان من الامير حمزة ان يسمح له بقتال اندهوق فقال هذا لا يمكن ابدا لانى اريد ان اقضى امرى بيدى ولا اريد احدا منكم يسحب سيفا ما زلت قادرا على البراز والنزال فالامر لا يحتاج اليكم والقتال يحضر بينى وبين خصمى لا غير

قال ولما اشرقت شمس اليوم التالى وانقشعت الظلمة عن وجه البسيطة وهب الامير حمزة من رقاده فعمد الى الماء فغسل وجهه وصلى لله ثم جاء سلاحه فافرغه عليه كاملا وخرج من صيوانه فوجد اخاه عمرا قد احضر الجواد الاصفران وقدمه ليركبه فركب وتقدم الى ساحة النزال وكذلك ركب الملك النعمان وامراء العربان وتقدموا من الساحة ليروا ويتفرجوا ما يكون بين حمزة وخصمه وفى ظنهم انه سيقع بين الاثنين حرب هائلة عظيمة وفعل اندهوق بن سعدون مثلما فعل الامير حمزة وتقدم من الساحة لملاقاة خصمه ومن خلفه رجاله وقد أوصاهم ان لا يبدى احد منهم أمرا بل

يقفون للفرجة اذ ليس القصد القتال بين عبدة الرحمن وفناء رجال الله بل وعدو عدو الامير حمزة واقسم لاجله فيريد ان ينفذه وانه هو لا يسلم نفسه الا اذا كان مغلوبا وفي تلك الاثناء برز الامير حمزة الى الوسط فصال وجال ولعب على أربعة اركان المجال حتى حارت به عقول الرجال . ثم وقف في المنتصف وصاح طالبا براز ابن سعدون فما انتهى من صياحه حتى برز اليه وهو فوق فيله الابيض على عاتقه عمده الكاؤس وعند وصوله الى أمامه حمل عليه بقلب أشد من الصوان فالتقاه بشدة عزم وقوة جنان كما تلتقي الارض الجافة وابل الفيضان واختلف بينهما الضراب والطعان وانبعث منهم زئير كزئير اسود جفان وشخصت لنحوهما الابطال والفرسان منتظرة مايكون من امرهما وماينتهي اليه القتال . وداما على تلك الحال وهما على مثل تلك الاحوال حتى حجبهما الغبار . عن النواظر والابصار . وبالحقيقة انهما كانا فارسين عظيمين وبطلين جسيمين يندر وجود مثلهما في تلك الازمان بين ابطاله والفرسان . وبقيا على مثل هذا الشان الى ان اقبل الظلام بسواده وولى النهار بجيوشه واجناده فعند ذلك انفصلا دون ان يبلغ احدهما من الا خر مراده او ينال ما يتمناه وكان الاندهوق قبل ان يجرب نفسه مع الامير يظن انه لا يثبت امامه باقي النهار حتى بارزه فعرف انه بحر ماله قرار وقبان ماله عيار قليل الامثال بين الابطال وتأكد انه لابد أن يقع في يده وينفذ غايته فيه ويأخذه اسيرا ويقوده الى امام كسرى حقيرا واما الامير حمزة فانه مال الى محبة اندهوق عندما تبين له انه بطل صنديد قد تقلب على بساط البسالة فحفظ فروعها واصولها وعول ان يأسره ويتخذه صديقا له فيفتخر به على ملوك الزمان ويقدر ان يملك الدنيا برمتها اذا كان عنده مثل هؤلاء الفرسان

ولما وصل كل واحد الى اصحابه تلقوه بالاحضان وهنؤه بالعود سالما وسار الاندهوق الى صيوانه فنزع عنه آلة الجلاد وقد اجتمع عنده جماعته فقال لهم انى اقول لكم والحق يقال ان الامير حمزة فارس صنديد وبطل مجيد وقد تبين لي في هذا اليوم انه اسد كرار يزيد في الدرهم قنطار ولذلك اوصيكم انه اذا قتلني ان تنضموا اليه وتدخلوا في حمايته وتتخذوه سيدا لكم لانه يقدر ان يحفظكم من عبدة النار ومن غيره هذا اذا قدر الحال غير اني اعرف انه لا يقصد قتلي وجل غايته اسرى والمسير بي الى المدائن وهذا على اصعب من القتل من ان يراني ملك الفرس مقيدا بين يديه ذليلا فقال له قومه دعنا نحمل نحن باجمعنا فينتشب القتال ولابد اذ ذاك من وقوع طعن وضرب فنحنط كلنا على الامير ولابد انه يغلب بالكثرة فقال لهم انكم بذلك تلافوزون بالمطلوب على ان غاية كل واحد منا حجب ادمية عباد الله وستر مايكون في الغد وأمر الله لا بد منه فهذا ما كان منه وأما ما كان من الامير حمزه وقومه فانهم في المساء جاؤا اليه وقال له الملك النعمان كنا قبل اذ بارزت بن سعدون نخاف عليك منه الا

ان ظهر لنا انكما كفتاميزان غير ان الانسان لا يعرف ما يكون له من حوادث الزمان فدفعا للخطر وحفظا لراحتك نطلب اليك ان تدع معقل البهلوان يقاتل اندهوق في اليوم الاتي وكن انت مرتاحا وبذلك يامن عليك قال هذا الاريدوا بدا نعم اني اعرف ان خصمي هذا بطل صنديد وفارس شديد لا يوجد له ثان في هذه الايام الا اني اعرف اني لا اكون مغلوبا معه ولا بدلي من اسره كيف كان الحال واما قولك اني اسمح لمعقل بقتاله فذلك غير المقصود لاني جئت لاجله ولهذا السبب لا يكون غيري من الفائزين ويقول كسرى انك انت ما أسرته الا بعد ان استعنت عليه بجماعتك

قال وفي اليوم التالي خرج الامير من صيوانه وركب على جواده وخرج الى ساحة القتال كاليوم الاول فوجد ان اندهوق قد ركب ايضا وجاء بجماعته الى الساحة وهو قائم على الانتظار وحالما وقعت العين على العين اشتبك القتال بين الاثنين فصاحا وهجما وتضاربا والتطما وهمهما ودمدما. وابديا من فنون القتال ما تعجز عنه صناديد الابطال وتشيب لهوله الاطفال وهما تارة يفترقان وطورا يجتمعان الى ان قرب الزوال فافترقا على امان ورجع كل انسان الى خيامه ونام تلك الليلة وفي اليوم الثالث عاد الى الساحة قال صاحب الحديث واتصلت الحرب بين الامير حمزة وخصمه اندهوق مدة ثلاثين يوما على التمام دون ان يبلغ احدهما من الاخر مرادا او ينال مراما فضجرت لذلك روح حمزة ورأى ان الوقت قد طال عليه وهو يحاول اسر خصمه دون الوصول الى نتيجة او جدوى ولذلك قال لجماعته في اليوم الاخير اني في هذا اليوم لا بدلي من فصل الحال على اي منوال كان لان كسرى يظن اننا هلكنا وانقرضنا ويزين له بختك طريق المحال فيزوج بنته ويعود الامر علينا بالوبال ومثل ذلك قال اندهوق لرجاله لقد سئمت نفسي من قتال الامير حمزة واريد ان اجعل هذا اليوم هو الاخير بيني وبين خصمي فلا ارجع عن القتال الا بعد نهاية العمل واسلم اليه واتخلص من عذاب القتال وبعد ذلك برز الاثنين الى ساحة الميدان والتقيا كانهما فرخا جان او عفريتان من عفاريت السيد سليمان وقد اشهر كل منهما الحسام والحط على خصمه انحطاط الصواعق واخذ في العراك والصدام . والافتراق والالتحام والمحاولة والاهتمام تارة يكونان باليمين وطورا باليسار . لا ياخذهما هدو ولا اصطبار ولا يقر لهما قرار وقد ارتفع فوقهما الغبار ودارت به الارياح كالتيار . فتكاثف فوق رؤسهما حتى احتجبا عن الابصار وغابا عن الانظار وكشفا القتال من الاسرار وازاحا عن وجه النزال الاستار فتقدمت رجالهما الى امامهما ودارت من حواليهما كل منهم يريد ان يعرف ما يحل على فارسه وما يكون من امره وهما على اشد حرب وقتال واعظم ضرب ونزال حتى فقد منهما الصبر واخذهما الملل وضاقت ارواحهما من ذلك العمل وكل واحد يضايق الاخر اشد مضايقة ويلاصقه اشد ملاصقة وعند ذلك صاح اندهوق مهلا يا فارس هذا الزمان فاني ارى ان

الحرب بيننا على ظهر الخيول مدتها تطول فهل لك ان نقاتل على وجه الارض لانها اثبت تحت ارجلنا ويتمكن الفارس منا من الاخر اذا كان قريبا منه فاليوم يوم الانفصال فاجاب الامير حمزه افعل ما بدا لك فانى عزمت فى هذا اليوم ان لا اعود الا وانت معى

ثم ان اندهوق قفز عن ظهر الفيل الى وجه الارض ففعل الامير كعمله واخذ فى القتال والمناضلة والجدال كانهما اسود الدحال مقدار ساعات من الزمان حتى كاد يقرب الزوال واذ ذاك رمى كل واحد سيفه وطارقته الى ناحية وهجما الى بعضهما بالايدى ولم يعد يأخذهما صبر ولا توان فتصارعا وحاول كل منهما ان يرمى خصمه الى الارض فكانا كجبلين راسيين مدة نصف ساعة حتى تمكن اندهوق من وسط الامير حمزه فظن انه ينال منه المراد فصاح صيحة عظيمة وانتشل الامير الى جهة صدره وعمد ان يقيمه الى فوق راسه فوجده لا يتحرك وقد ثبت رجليه بالارض كانهما قطعة كبيرة من الحديد لا تتحرك فتكدر حمزه من عمله هذا واحمرت عيناه وغاب وعيه وقد ضرب بيده فوقعت على درع اندهوق فقبض عليه وشده اليه بكل ما اعطاه الله من العزم والقوى فوقع الاثنان الى الارض والامير من فوق الاندهوق فتحاول واياه وهو قابض عليه لا يتركه حتى زهقت روحه ورأى من نفسه العجز وشاهد ان يد الامير قوية لا تدفع فترك نفسه وصاح الامان يا سيد الابطال والفرسان فانى عتيق سيفك على طول الزمان وأشهد انك اوحد العصر والاوان وها انا قد سلمت نفسى اليك والقيت بكل رجائى عليك فان ابقيتنى فلك الخيار وان تركتنى فانت المالك المتصرف وقد دخلت منذ هذه الساعة فى جملة رجالك فلما سمع الامير حمزه كلامه تركه الى ان استوى واقفا فدنا منه وقبله بين عينيه وقال له مثلك لا يذل ولا يهان ولكننى الوم الايام والازمان والعن بختك وكسرى أنوشروان حيث اخبرانى بكلامهما على القسم والحلفان فانت من هذه الساعة اخى واعاهدك على الاخاء والمروءة والوفاء فقبله اندهوق وقد امتلا قلبه فرحا بمحبة الامير وصحبته وسر سرورا عظيما وصافحه

قال ومنذ ذاك الوقت اصبح اندهوق ابن سعدون صاحب سرنديب صديقا صادقا فى خدمة الامير حمزة ومحبته ويبقى معه امدا طويلا واما الملك النعمان وجماعته وجماعة الامير فانهم اختلطوا ببعضهم البعض وصافح كل منهم الاخر وسلموا على الامير حمزة وساروا الى خيام الملك النعمان فاقاموا ريثما استراحوا وهم مسرورون بهذه المصالحة وقد تاكدوا ان العداوة قد مضت وقربت مدة رجوعهم الى الاندهوق ومن ثم احضر الطعام فاكل الاندهوق وجماعته على مائدة النعمان وثبتت بينهما المودة كثيرا فاكثر وبعد ان انقضت السهرة نهض اندهوق واستاذن بالذهاب وطلب الى الامير حمزه وجماعته ان يكونوا فى ضيافته مدة اقامتهم فى المدينة وان يدخلوا فى الغد اليها فاجابه الامير الى طلبه ووعده انه يقيم فى المدينة مدة ثلاثة

ايام حيث يرغب فى سرعة العوده واكثر من هذه المدة لا يقدر ان يتعوق

ثم ان اندهوق سار من عند العرب الى المدينة فوجد اهلها قد اقفلوا الابواب واقاموا على الاسوار يهيئون انفسهم ويستعدون للقتال فصاح بهم وطلب اليهم ان يفتحوا الابواب ففتحوا له ودخلوا مع جماعته الذين كانوا معه فقال لهم لما هذا العمل وكيف اقفلتم الابواب قالوا عرفنا مؤكدا انك وقعت فى قبضة الامير حمزة فثبت عندنا انه بعد ذلك لا بد ان يتقدم من المدينة ليدخلها ويمتلكها فعزمنا على الدفاع والقتال فنحاصر ولا نسلم خوفا من العرب فقال لهم لا حاجة الى ذلك ولان العرب ما جاءوا هذه البلاد الا من اجلى فقط وقد وقعت بايديهم وما من حاجة لهم بالمدينة ثم عاد عليهم ما هو واقع بين الامير حمزة والملك كسرى وما هو السبب الذى دعاه للاتيان وقال لهم خيرا ان العرب اصحاب مروءه ومودة يكرهون الغدر ويسلكون مسالك الاداب فلا على احد منكم وانا اخبركم انى منذ الان انا من رجال الامير حمزة لا أرغب ان افارقه حتى الممات فمن كان مثل هذا الامير يحب ويكرم ويخدم على الرأس قبل العيون قالوا انا انا نسير اينما سرت ولا نخالف لك امرا ولا نطيق فراقك قال من كان منكم من اصحاب البيوت والعيال فيبقى فى المدينة وأقيم حاكما عليكم منكم واخذ الامير منذ تلك الساعة بتدبير امره ليقوم بضيافة العرب واكرامهم

وفى صباح اليوم الثانى نهض الامير حمزة واختار سادات قومه وساروا جميعا الى جهة المدينة لزيارة اندهوق فوجده قد خرج بقومه لملتقاهم وهو ينتظرهم خارج الابواب فترحب به وسلم اهل سرنديب على الامير وسادات قومه وادخلوهم المدينة باحتفال وتبجيل وعملوا لهم الولائم والدعوات وزادوا باكرامهم ووقع الحب والوفاق بين حمزة واندهوق وتعاهدوا على الاخاء وان يكون كل واحد منهما سندا للاخر ولا يفترقان حتى الممات وجاء اندهوق بكتابة كسرى فسلمها الى الامير وقال له ان هذه وصلتنى مع رسول مخصوص من بختك بن قرقيش وانى اخبرك انه ما زال هذا الرجل الخبيث حيا لا يمكن ان تتزوج ببنت كسرى او تصل اليها فانه يختلق الموانع من تحت المجذاف وكسرى يطيعه على ارادته ويكرمه ويراعى جانبه قال انى اعرف ذلك وان كل عذابى هو من بختك الخبيث المحتال غير انى ارى ان الوقت لم يحن بعد لهلاكه ولا اعرف ما يكون من امرى وامر الاعجام فانى ارى ان نفسى وعقلى متفقان على قيام الحرب معهم والايقاع بهم واخذهم بحد الصارم البتار غير ان قلبى ممانع ويدافع ويخاف على قلب مهردكار ويسوداويلحق به كدر بسببى ومن الواجب على ان اتربص الى ان يأتى الزمان الموافق واتوقع الفرص المناسبه والان اريد منك ان تكون حاضر النسير بعد يومين قال انى اهيء عساكرى ورجالى فى هذين اليومين وترانى انتظر امرك على الدوام ولا زال الامير عند اندهوق على الاكرام الى ان انقضت المدة وبعد ذلك امر الامير سادات العرب

ان تذهب الى رجالها فتأمرها بالركوب وركب هو على جواده الاصفران وركب معقل البهلوان واصفران الدربندي والامير عقيل وركب اندهوق برجاله وعظماء قومه وعساكره وخدمه وكل ما يحتاجون من المؤن والذخاير والامتعة واقلعوا عن تلك البلاد وكذلك العرب اقلعت ورفعت خيامها واحمالها على ظهور الجمال وساروا عن تلك الارض بجيش عظيم المقدار قد ملا البراري والقفار يبلغ عدده مائتا الف فارس وبطل تحت راية الامير حمزه البهلوان وبين يديه من الابطال الجبابرة ما يندر وجود مثلهم في ذاك الزمان حتى اصبح كاكبر الملوك عظمة وافتخارا وشانا واجنادا واعوانا وهو مسرور بنفسه وبرجوعه الى المدائن على امل انه بعد ايام قليلة سيصادف الملك كسرى ويشاهد حبيبته ولاريب انها تطير فرحا اذا بلغها انه عاد بهذا الموكب العظيم وقد اسر اندهوق وجاء به وافيا وعده لابيها ولا ازلوا سائرين مدة ايام حتى وصلوا الى الوادي الذين كانوا به قبلا فنزلوا فيه للراحة وضربوا الخيام وأقاموا هناك مدة ثلاثة أيام وقد زار الامير رجال الصومعة وسلم عليهم وطلب دعاهم وبعد ذلك سار من هناك قاصدا المدائن وملاقاة كسرى انوشروان

قال فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من كسرى فانه قام في بلاده على حسب عادته وفي كل يوم يجتمع بوزيره بختك ويتحادث واياه بخصوص العرب فيقول له بختك ان هذه المرة هي الاخيرة وقد انتهت ايام حمزة ومضى ما كنا نخشاه واني أضمن لك هذه الامر ان اندهوق بن سعدون لا يبقى احدا من العربان ولا بد من قتل الامير حمزة كيف كان الحال ولما طالت المدة قال له الم أقل لك ان مدة العرب قد فرغت من بلادنا وارتحنا من أمرهم وصار من اللازم ان نهتم بامر بنتك فنزوجها الامير من عائلتك يليق بها قال اني لا افعل هذا الا بعد أن اتأكد حق التأكيد موت حمزة والا ما زال موجودا الا افعله لانه فارس صنديد فاجر على بلادي ويلا عظيما وبلاء جسيما وأرمى حمزة العرب بين العرب والعجم فمن الصواب أن نصبر مدة سنة فاذا لم يظهر عنه تأكدنا موته او جاءنا أحد فاخبرنا به وكان كسرى لحظ من بنته ميلها الى حمزة ومحبتها له فكتم ذلك ولم يهن عليه أنه رأى ان معاملتها باللين والرفق والتغاضي عن معرفته بحبها اوفق له نظر الحبه لها وقال في نفسه متى عرفت بموت حمزة لا تعود تفكر به او تميل اليه وما مالت اليه الا على السماع لانها لم تره ولا اجتمعت به. واقام يترقب الاخبار من جهة الامير عسى ان يخبره الى ان كان ذات يوم وهو جالس في ديوانه الى جانبه الايمن الوزير بختك بن قرقيش والى جانبه اليسار بزرجمهر ومن ثم رجال ديوانه من امراء الفرس وأعيانها والناس تاتي لقضاء مصالحها اذ قد لاحت منه التفاتة الى جهة باب الايوان فرأى رجلا يقلب بالهواء كالدولاب وهو يصفق بيديه ويغني بلسانه حتى اذا وصل الى باب الديوان صاح بصوت رقيق أكذا أيها الملك العظيم اني اخو حمزة البهلوان فارس برية الحجاز ومبيد الطغاة في يوم البراز

من خدمة السعادة والاقبال. وانقادت اليه الكرامة بيد العزيز المتعال قد عاد فائزا منصورا محمودا مشكورا. بعد أن بلغ الامال وتوفق بعنايته تعالى على أتم منوال وبين يديه نحو مائتي الف فارس مختلفي الاجناس من عرب وهنود وغير ذلك وقد عاد معه اندهوق بن سعدون بعد ان اخذه اسيرا في ساحة الميدان ليقدمه اليك على ما وعد وينال منك الوفاء وما أمل فادفع الى بشارتي لارجع بالحال ثم تقدم من كسرى وناوله كتابا من اخيه حمزة وكان هذا الرجل هو عمر العيار وقد بعثه حمزة بكتاب ليعلم الملك كسرى بقدومه قبل وصوله كيد الاعدائه اللئام قال وكان عمر يتكلم والملك وجميع الحاضرين سكوت لا لاحد منهم يبدي حركة اوصوتا وقد وقعت الخلة والخوف على بختك وانفطرت مرارته وضاع عقله وغاب وعيه وكاد يقع على الارض من عظم ما لحق به فتمسك بالكرسي الجالس عليه وقد لحظ منه ذلك كل الحاضرين ومضى عليه نحو ربع ساعة على مثل ذلك الى ان قدر أن يسكن روعه ويتجلد ويظهر خلاف ما اضمر ولهذا السبب ناول كسرى الكتاب الى بزرجمهر ليقرأه ففضه وقرأه بصوت عال فصيح وهو يقصد قهر عدو حمزة وكيده واذابه

من الامير حمزة بهلوان تخت فارس وفارس بلاد العرب ومبيد اهل الكفر والكبر الى عمه كسرى أنوشروان سلطان الاعجام والعربان

طرقت سرنديب وانا احمل راية أعطيت لي من الله وهي راية النصر والتوفيق فلا اخاف عدوا ولا أخشى ضرا وراعي كل صديق صدوق واحفظ مودة من يودني كما اني لا اترك مجازاة من يرغب في ضرري ويقصد لي الشر والعذاب. ولما حاربت سرنديب وجدته بالحقيقة فارسا نادر المثال. لا مثيل له بين الرجال والابطال فنازلته ونازلني عدة ايام الى ان ذل أخيرا بين يدي وعلم من نفسه انه مغلوب فسلم الى نفسه اسير الاقدام وفاء بوعدي بعد ان طلب الى ان يكون في خدمتي وبين رجالي ويقاتل بين يدي كل عمره وقد ترك بلاده وملكه وجاء برجاله وفرسانه الاخصاء منضما الى العرب وبعد قليل تراه في ديوانك يؤدي لك فروض الخدمة والطاعة وعلى هذا أرى ان من سعادتي وحسن حظي مسيري الى سرنديب فكان نافعا لي لا مضرا كافكر اخصامي واعدائي فجاء الامر على خلاف ما اضمروا فاشكر الله ربي والهي الذي لا يتركني لاقيم دينه باسنة السيوف الحداد واطلب اليك ان تكون حكيما عارفا الاحبائك من اعدائك وعالما بمتملقيك من نصحائك واكد اني احافظ طاعتك الى الحد الاخير على امل ان تعي الى صدق خدمتي فتعرف ما انا عليه من الرغبة في التقرب منك والسلام ففعل هذا المكتوب في قلب بختك اشد من فعل خبر الامير عمر وتمزقت احشاءه الا انه تجلد وقال الحمد لله الذي رجع حمزة ونال السعادة والتوفيق واني مسرور الان باتيانه حيث قد أخلصت له الود وعرفت عن يقين انه موفق وانه يستحق ان يكون بهلوان تخت بلاد فارس وحاكم على كل

البلاد وسوف يكون من امره عجيبا ثم ان كسرى امران يدفع الى عمر الف دينار جزاء له على بشارته اياه غير انه كان متكدرا فى قلبه حزينا عارفا ان حمزة لا بد له من ان يأخذ بنته و يختلك مصرا على عداوته ويرى نفسه مضطرا الى مجازاة الاثنين لا يقدر على منع احدمنهما و لا يقدر على مصالحتهما والوفاق بينهما

قال وانتشر الخبر بمجيء الامير حمزة فوصل الى مهردكار فسرت سرورا عظيما ووقفت فى الشباك الى ان نظرت الامير عمر العيار خارجا من الديوان فتاكدت الخبر وأشار لها بالسلام وان اخاه جاء مكللا بالظفر والنجاح فزادها سرورا وابتهاجا واصبحت لا تدرى ما تقول وعرفت ان الله لا يرضى بدوام عذابها وعذاب الامير حمزة بل يراعى جانبه ويعمل على توفيقه فاذا اشغله بحاجة كانت لخير لا لشر فتعود عليه بالنفع والسعاده واقامت فرحة في قلبها ونفسها بقرب النظر الى محبوبها الذى كان بعد عنها مدة غير قليلة وهو فى مقاساة سفار ومشقات وهى قلقة الافكار من اجله مشغلة البال تنام على البكا والنوح تندب الاشعار وتذم الادهار وتجلس فى الصباح تسأل الارياح وتستخبر منها بالافصاح ولما اطمأنت بالها انشدت

اهلا بمعتل النسيم ومرحبا ومذكرى عهد الصبابة والصبا
حمل التحية من اهيل المنحنى وابان عنهم بالمقال واعربا
فعرفت عرفهم به لكننى انكرت صبرا عن عودى نكبا
ياعاذلى كن عاذرى فى حبهم لم الق للسلوان عنهم مذهبا
لا تلح فيهم بعدما الف الضنا يجد الغرام بهم لذيذا طيبا
غبتم وانتم حاضرون بمهجتى فبمهجتى افدى الحضور الغيبا

وأنشدت ايضا

يازائرا جعل الدجنة مركبا اهلا على رغم الوشاة ومرحبا
أمطالثام القد بردك يتضح وجه وعطف كالصباح وكالصبا
وافتر مبتسما فدمعى ضامن ان لا يكون بريق ثغرك خلبا
فادر على شبيه ثغرك رقة تهدى الى شذا كعرفك طيبا
صهباء كم نهبت نهى وصبابة منا واعطت صبوة وتطربا

ودامت فى مدحها مدة ساعات تدور فى قصرها وتصفق من فرحها وتبشر جدران قصرها بقدوم حبيبها وترجع الى الشباك فتنظر فيه برهة متاملة الطريق التى يأتى منها ومطرقة الى الارض التى كان يمشى عليها حين اتيانه الى أبيها والتى سيدوسها قريبا فكان لسان حالها يقول كان يقول له بشرى لك ايها التراب فانك عرضة لموطىء اقدام احسن الناس عندى

واحبهم الي فاني احسدك على ذلك غير ان مهردكار بينما هي على مثل هذه الافراح والمسرات طرق ذهنها ان اباها و بختك لا بد ان يتفقا مرة ثانية على هلاك حمزه فيرسلانه الى مهلك عظيم و بلاد ابعد من بلاد سرنديب فلا يكون قد تقرب منها و نالت مرادها وهذا الخاطر اشغلها واقلق فكرها و بدل تلك الافراح بالاضطراب فكان قلبها اخبرها بوقوع حادث جديد لا بد منه وسيكون سفره طويلا وعذابه اطول ولا تعرف ايتخاص منه ام لا فارسلت دموعها على خدودها وهي محيرة الافكار لا تعرف اتفرح لقرب نظرها لحبيبها او تبكى احتراسا من وقوع امر اعظم من سفر سرنديب غير انها استجمعت كل قواها وقالت فى نفسها مالك يا مهردكار لا تقدرين على معاندة الزمان فتسلمين بنفسك الى اهواء الحوادث والافكار فتتلاعب بك من يد الى اخرى وانت غير قادرة على الدفاع نعم انى غير قادرة على الدفاع من نفسي بنفسي لكنى اعرف كيف يجب ان يكون ثابت الجأش الذى يقف فى وجه الحوادث ولذلك سادعو الى حبيبي حمزة هذه المرة وادعه ان يتسبب بالوصول الى مرة ثانية فاجتمع به واخابره فى شان حياتنا واذا كان الاعداء يضمرون له شرا فهو قادر على التخلص منهم وموتهم وقلع اثارهم من هذه الدنيا وبعد ذلك يعيش طيب البال ويصفو الى وبه الزمان ولما قوى فى رأسها هذا الخاطر وطدت العزم عليه وتوثت انه اذا اجاب ابوها طلب حمزه فى هذه المدة واهتم بامر الزفاف كان خيرا والا سأأت حمزه ان يقتل بختك ويذل ابيها ويأخذها بالرغم عن كل عدو وكان الحب العجيب والغرام القتال الذى كانت عليه يزين لها ان الموت والعذاب والاهانة والذل لا تحسب بشيء بالنسبة الى تلك السعادة التى تعد نفسها فيها على الدوام وتطلبها من الله سبحانه وتعالى وكان حالها من هذا الوجه كحال كل فتاة احبت حبا عظيما ثابتا وتاملت املا وطيدا بانها ستكون زوجة لمن احبته وتصرف ايامها معه على الهناء ولذة المعيشة غير ان هذا الامل لا تلبس ان تظهر نتيجته اما تحق امالها فتصادف ما كانت ترجو ويطيب لها معاشرة ذاك الزوج ودوام القرب منه وتزداد المحبة من جرى حلاوة تلك المعيشة وأما بعكس ذلك أي انه تخيب تلك الامال وتصادف الفتاة عذاب المعيشة وكدر المعاملة ويضعف ذاك الحب تدريجا الى ان يصير بغضا

فهذا ما كان من مهردكار وأما ما كان من الامير حمزه فانه لما قرب الى المدائن بعثه بكتاب الى الملك كسرى مع عياره عمر كما تقدم الكلام فلما رجع اليه اخبره بما كان وما سمع وبقى سائرا حتى وصل الى المكان الذى كان العرب به قبلا فامر جيوشه ان تضرب خيامها كل فئة فى جهة على حده فانتشروا فى تلك النواحى انتشار النجوم فى السماء وضربوا خيامهم ونزلوا فيها وسرحوا خيولهم وكان الاعجام قد خرج منهم كثير نساء ورجالا للفرجة عليهم وقد تعجبوا منهم ومن انتظامهم وادابهم

وترتيبهم ونظروا الى اندهوق وهو على فيله الابيض كأنه الاسد الضرغام وصرفوا ذاك النهار فى الخيام للراحة والمنام وفى صباح اليوم الثانى دعا الامير حمزه اليه اندهوق ابن سعدون وقال له انت تعلم انى يا أخى ماسرت الى بلادك الا لاجل غاية واحده وهى الاتيان بك الى ديوان كسرى والان قد وصلنا الى المدائن ومرادنا فى هذا اليوم ان ندخل على الديوان وحيث قد سبق منى يمينا أريد منك أن تسلم الى نفسك فاقيدك وأذهب بك فقط الى كسرى ومن ثم أطلقك . قال انى أسلم اليك نفسى عن رضا وان كان يصعب على أن أكون مقيدا فى محفل كديوان الملك كسرى مع أنى لم أذل زمانى قط ولا أرضى أن أكون مقهور امع غيرك فامر الامير حمزة أخاه عمرا ان يربط يدى الاندهوق ويقيده كما لو كان أسيرا عنده وعدوا عاملا على عناده ففعل عمر حالا وربط اندهوق وركب الامير حمزة على أصفرانه وسار مع الملك النعمان ومعقل البهلوان وباقى الابطال والفرسان وقد سحب عمر من خلفه أندهوق ماشيا وقاد الفيل الذى يركب عليه الى جانبه لعله فى حال رجوعه سيكون عظيما مكرما لا أسيرا ذليلا كما أدخل وداموا فى مسيرهم الى ان دخلوا باب المدينة والناس عليها افواجا افواجا يزدحمون للفرجة على الامير واسيره ومن معه وكانوا يطلبون ان يروا أندهوق حيث كان يسمعون بصيته وحديثه وشدة بسالته واقدامه ولما وصل الامير تحت قصر مهردكار أرسل نظره الى فوق فوجد محبوبته قد برزت فى شباكها كانها البدر المضى وقد تزينت بافخر زينتها وتحلت بابدع حلاها ولبست تاجا كسرويا من الجواهر والياقوت وحلة مزركشة من الديباج الاحمر اللازوردى مما زادها حسنا وجمالا وأصبحت كما قيل فيها

تمسك انف وجنتها فالرغم انف عذالى
وماس قضيب قامتها فغرد طير بلبالى
فرمت تمسكا منه فقالت بل باذيالى
تأبد امر حاجبها بماضى الفعال فى الحال
وعامل قدها يسطو بصارم ناظر والى
تقول لمن يشبه بالهلال جبينها العالى
اسأت وما استحيت وهل يساوى نصف خلخالى

او كما يأتى

اجاد الصدغ فوق الخد ليله وجر على محيا الشمس ذيله
ومنيلت المحاسن غصن بان يميل به الحشى فالذ ميله
وامر قيصر لالحاظ قلبى وقد سل الظبى وأجال خيله
وهب هوى الوداج فسال دمعى وانعم فى مجارى الخد سيله

فلما رآها الامير حمزة على تلك الحالة كاد يطير عقله ولم يع على من معه ومن حواليه فاطلق لجواده العنان فى ذاك الميدان ولعب على جواده الاصفران على الاربعة اركان ثم اشار اليها

بالسلام والناس تنظر وترى حتى ظهر الامر وباز وعرف الجميع ان بينهما مودة وصحبة قلوب وائتلاف خواطر ولاسيما عند ما اجابته على سلامه باشارة ظاهرة وهى مدلاة من الشباك منعطفة القلب والعقل انظارها لا تفارقها كيفما سار وكيف مال كانها لا ترى احدا غيره فى تلك الناحية ومن ثم نزل الامير غائر القلب والفؤاد وفى عهده انه ملك الدنيا باسرها طولا وعرضا حيث راى من هى عنده اغلى من الدنيا واحب لديه مما فيها وكان ديوان كسرى مزدحما بالاعيان والامراء فلما وصل الامير وقف له الجميع وكان عمر قد وصل باندهوق ودخل به امام اخيه وهو مجلل بقيوده كانه الاسد الكاسر ودنا حمزة اولا من كسرى وسلم عليه وقبل يديه وقالوا له بواسطة الترجمان قد عدت ياسيدى منصورا بسيفك غالبا بجاهك وصيتك وها ان الرجل الذى بعثتنى اليه لاحضره اليك قد حضر على الحالة التى اقسمت ان احضره بين يديك فيها ولاسيما محبة بزرجمهر فانه قبل يديه واستمد رضاه فدعا له وسلم ايضا على بختك حياء من الحضور . وتادبا منه وبعد ان استقر به المقام قال بختك لكسرى ها انا ياسيدى قد حضرت عدوك صاحب سرنديب الذى طالما تعنيت وقوعه فى يديك ومن الواجب ان تنتقم منه غير انى ارى من الصواب ان تشمله بعفوك اكراما لخاطره وخاطر الامير حمزه فقال كسرى ليس هو بعدونا غير ان بعض المفسدين اخبرنا ان عينه طفحت الى التعدى على ملكنا وما ذلك الا من طريق الكذب والافساد والان امره يعود الى خاطر الامير فماذا يريد ان يفعل به فليفعل لانه اسيره ثم ان الملك سال حمزة عن اندهوق وقال له ماذا ترغب ان يكون امره قال انه اصبح من رجالنا وابطالنا خدمة للدولة الكسروية فصار من اللازم مراعاته والاهتمام بامره والاعتناء به فاريد منك ان تامر باطلاقه وتنعم عليه بخلعة سنية فاخرة تليق بشانه كونه من الملوك العظام والفرسان الكرام اصحاب البطش والاقدام الذين يندر وجودهم فى مثل هذه الايام . وبعد ذلك نهض الامير حمزة الى اندهوق فحل وثاقه وقبله بين عينيه وفى عارضيه فقال له لا كان يوما اراك فيه مهانا فقد انقضى الامر وتم لوفاء فقبله اندهوق فقال له انى ارى الذل عزا اذا كان منك وبامرك فالموت الا سعادة كبرى اذا كنت انت مصدره

ولما انطلق اندهوق تقدم من كسرى وقبل يديه وقدم له طاعته فشكره وامره ان يخلع عليه خلعة كسروية من الديباج والاطلس مرصعة باللؤلؤ تلبسها الملوك فى وقت اعيادها وعين له كرسيا فى ديوانه بجانب الامير حمزة ومن ثم امر ان يقدم لهم الشراب حسب العادة وان تدار عليهم فناجين القهوة وبعد ان انتهوا طلب كسرى من الامير اذ يشرح له مالاقى فى سفرته من حين عودته فحكى له كل ما وقع له من النجاح والتوفيق كيف حارب اندهوق ونال الفوز فى الميدان وكيف تصالحا وتعاهدا على المودة طول العمر فعلم كسرى ان حمزة رجل مسعود وان شانه سيتعالى يوما بعد يوم ولذلك قال له انى ارى الايام مقبلة لنحوك

والسعادة توافيك شيئا فشيئا . كنت فى الاصل وحيدا و الان اصبحت كالملك العظيم لديك من الفرسان والابطال والجيوش مالا يوجد الا عند الملوك الكبار . فقال بختك ان سبب فوز الامير حمزة نحن ومن الواجب عليه ان يعرف ويعترف اننا مخلصون له اوفاء فى صالحه ارسلناه الى قلعة تيز ان فتوافق مع معقل البهلوان واتخذه له ساعدا وصار من رجاله وانضم الى العرب مع قومه فكان ذلك من الخير له ولنا حيث قد صار من اهل ديواننا بعد ان كان عاص علينا ومثل ذلك وقع له فى سرنديب مع اندهوق بن سعدون ولا ريب انه بواسطتنا واهتمامنا سيجتمع بكثير من الناس فيكون له بينهم شان عظيم وانى اطلب من النار ان تساعده ليصير احب مانشتهى ونريد

قال وبعد ان صرف الامير وجماعته باقى النهار فى خدمة الملك كسرى وفى ضيافته ودعه وخرج بجماعته من الديوان وركب الاندهوق على فيله والناس تتفرج عليه ويتعجبون من شجاعة الامير حمزة كيف قدر أن يذل مثل هذا البطل العظيم واما الامير فانه نظر الى مهردكار كعادته مودعا اياها الى الصباح وبقى سائرا الى الخيام وقلبه مملوء من الفرح حيث قد نظر الى محبوبته فوجدها على ماهى عليه من ازدياد الحب والشغف ولما انتهى الى صيوانه اجتمع باخيه عمر فقال له مارايت كلام الوزير بختك وعلى ظنى انه يسعى بتدبير طريقة اخرى يرسلنا اليها على زعم انه يقصد بذلك صالحنا ونفعنا والخير لنا مع انه يريد هلاكنا ويرغب فيه ويتمنى لايرانا فيما بعد . قال عمر انى كنت عزمت على ان ارسل الى صدره نبلة فاقتله وماذا يا ترى ان يجرى اذا فعلت ذلك غير ان كسرى يغضب ثم يعود فيرضى قال لو فعلت ذلك لكنت اغضبتنى لانى اعرف ان هذا العمل يفصل حبل المودة بين العرب والعجم ونلتزم أن نحاربهم لان بختك مرفوع المقام بين الفرس معدود الخاطر لا يوجد له ثان عندهم فمن بعد كسرى هو بالمنزلة الاولى نعم انى أعرف أن لا بد من قتل بختك ومحاربة الاعجام غير أنى أرى أن الزمان الموافق لهذا العمل أن يحن بعد فانى أرى نفسى محتاجا لان اكون مسالما لهما الى أن أعرف ماذا يكون من امر زواجى بمهردكار نعم انى أرى من نفسى غلطا عظيما بتعليق قلبى ببنت عدوى الا أنى لم اكن أعرف ان كسرى سيوافق بختك على ويقصد ضررى متى سئمت نفسى منه ولولا وعدى الى بنته وميلى الى الاقتران بها لكنت ترانى الان أفتك فى جيوش الفرس وربما كنت متسلطا على اكثر بلادهم ومن كان لا يعبد الله منهم أنزلت به العبر غير ان هذا سيكون بعد مدة ان شاء الله تعالى فان قلبى غير صاف عليهم ولا أرض منهم . وبينما كان الامير مع عمر بمثل هذا الحديث واذا برسول مهردكار وقد وصل بالطعام فدفعه اليه وأعطاه كتابا منها ففضه وقراه واذا به

من مهردكار صفية الود وفية الوعد الى حبيبها الامير حمزة البهلوان

انى صرفت الوقت بعد رحيلك عن المدائن حزينة باكية أندب فراقك ولا ألوم الزمان على بعادك وأنا أتقلب بين اليأس والرجاء لا أعرف الى أين ينتهى بك المسير ولا الى أين يقف بك الزمان الذى عمل على عنادنا وكان حظى منه انه علمنى ان أقول فى كل ليلة

اضرم القلب فى الحشاشة نارا حين قالوا شط الحبيب وسارا
سارعتنى ولم اجد لى صبرا كيف حالى ولم اجد لى اصطبارا
طير العقل ثم قص جناحى وقصتى منزلا وشط مزارا
ويح قلب وويح كل محب فقد العين فاقتفى الاثارا
يرقب النجم فى الظلام ومهما لمع البرق فى الغمام استطارا

كما علمنى ان اهفو اذا سمعت خفيف مرور النسيم على الشجر او تغريد صوت الهزار على الاغصان او نوح الحمام على فقد الالف والخلان واعاتب الطيف اذا زار على بعد المزار

واذا ناح فى الغصون حمام مزق القلب ثم شق الازارا
واذا زاره للاحبة طيف نكس الراس ذلة وصغارا
لازم السهد والاسى فلهذا علم النوح والبكا الاطيارا
فقد الصبر والسلو واضحى يظهر الحب لوعة واستعارا
وكسا جسمه السقام فامسى سهد عينيه للجفون شعارا
يالقومى اما معين معين غير دمع افاض منه البحارا
اشفيق يرق لى او رفيق يحفظ الجار او يراعى الجوارا
او سمير تصغى لشرح حديثى فحديثى يطرب السمارا
اه من حرقة وفرط جفون صير الطرف والفؤاد حيارى
من نصيرى وليس غير فؤادى مات شوقا وما درى الانتصارا
ويح اهل الهوى يروى سكارى يهواهم وما هم بسكارى

وكان الوهم كان يخالج قلبى فيتلاعب به بين الصدق والكذب أو بالحرى بين السعد والنحس فارى الحقيقة وهما والوهم حقيقة وانا ضائعة العقل فاقدة القوى اردد قول القائل

ياقساة القلوب رفقا بقلبى لم يكن قط يالف الاحجارا
قد نسيتم عهودنا وفؤادى لم يزده البعاد الا ادكارا
كل يوم يسومنى الدهر حتف بنوای حب فى الاضالع نارا
واذا بالظلام جن وما بى لهم وجد يهيج الافكارا
طال ليلى ولم يلح وجه صبحى ياترى هل ارى الظلام يوارى
لو يكون الصباح حيا يرجى لم نر الزهر فى السماء حيارى

وبقت هذه الحالة حالتي وبيت قلبي منهدم الجوانب وينبوع اماله جف منقطع الى ان بنيت قصر رجائي وانبعث ميازيب افراحي واحييت مني القوى وارجعت لي السكينة والهدو وصرت على امل قريب من السعادة والاقبال . فاسمح لي ان اراك عندي في قصري بضع ساعات لاتمتع من النظر الى وجهك الكريم البهج المشرق بانواع الكمال واللطف ولاعرض عليك بعض قضايا هي وان كانت باقية في حد التصور ولم تخرج الى ريقة التصديق غير ان القياس علمنا ان نعرف كيف تكون النتيجة فاجب طلبي ولا تحرمني من لذة هذا الاجتماع ويمكنك ان تأتي قصري مطمئنا كالمرة الاولى دون ان تصادف ما نعافان كل من في القصر يعرف حبي لك وهم باجمعهم يخلصون الخدمة لي في نهاية الكتاب ما ياتي

قم بنا فقد ساعدنا القدر ... وجاء طيب عيشنا على قدر
فكم علا الامر امره وما قدر ... فارضع نبادر الهنا ان تلقدر
فالشهم من حاز السرور ان قدر

وقد صفا الزمان والامان ... واسعد المكان والامكان
والجد الاخوان والاعوان ... وقد وفت بعهدها الازمان
والدهر تاب من خطاه واعتذر

ياحامل الاثقال والاهوال ... ومتلف الاعداء والاموال
وصادق الوعود والاقوال ... ابديت في شدائد الاحوال
صبرا فكان الصبر عقباه الظفر

انلت باغي الجود فوق ما بغي ... وعجلت كفاك حتف من بغي
فقد شموت في الندى وفي ... الوغى حتى اذا ماردت ملكا نزغا
اخذته أخذ عزيز مقتدر

فلم يقوى الامير حمزة على تتمة قراءة هذا الكتاب دون ان تنفطر مرارته وقد انقطع عن تلاوته مرارا بقصد تكفكف الدموع التي كانت تسكب منه عند وقوع لديذ عبارتها في موضع قلبه فكان نذيرا من فؤاده كان ينذره بانها اشد منه حبا واكثر ميلا لان قلبها رقيق جدا خلق للحب وحده لا لشيء اخر بخلاف قلبه الذي خلق قاسيا لاحتمال المكاره والمصاعب والتجلد عليها والميل الى الانتقام من الاعداء وازاقة الدماء وبهذا يرى ان شعائر النساء هي ارق جدا من شعائر الرجال وقلوبهن أكثر تعلقا وحفظا للمودة منهم وعقولهن اقرب التصديق والدليل ان الله قد خلق كل ما هو بهن لطيفا ورقيقا فاذا رغبت المرأة بالامانة واعتمدت على الوفاء واخلصت الحب قدرت تلك الامانة حقها ووفت وفاء لا يوجد بواحد من الرجال مهما كان حفيظا على الولاء واحبت حبا صحيحا ثابتا تحمد وتشكر عليه مع انها تصبح مالكة حبة

ومملوكة ادباو دينا الا ان التفاوت العظيم الذي يقع بين الاشخاص من جرى المعاملات السيئة اوردائة الاخلاق او ماجابه ذلك لا يبنى عليه القيام العام . وهكذا كان يدرك حمزة خلوص مهردكار العظيم وصدق حبها حتى اصبحت تخاطر بالنفس والنفس من أجله وبعد الامعان والافتكار اخذ فكتب لها

« من الامير حمزه بن ابراهيم الى مهردكار سيدة اللطف والوقار »

اخذت كتابك ياشمسى وياقمرى ووعيت الى رقيق معانيك ودقيق الفاظك فسكرت من نشوة الطافك وصرفت هنيهة ويدى الواحدة على قلبى والثانية اعترف بها من فيضان دمعى فكانى عرضه لتذاكرات معانى كمالك وخلوصك وانى الان أشكر الله على عودى اليك سالما اطمئنانا لقلبك وارتياحا لخاطرك واكدى انى لم انسك طول مدة غيابى الاوقت السلم ولا عند اشتباك القنابل

ولقد ذكرتك والجماجم وقع تحت السنابك والاكف تطير
والهام فى أفق العجاجة حوم فكانها فوق النسور نسور
فاعتادنى طيب ذكرك نشوة بدت على بشاشة وسرور
فظننت انى فى مجالس لذتى والراح تجلى والكؤس تدور

ولم اذكرك الاوسرى الى مسام جسدى مجار من العافية وشعرت بلذة عجيبة لا اعرف كيف اقدر ان اعبر عنها لكنى اعرف انك تدركينها عند ذكرك أياى وبمجرد ذكرك هذا كانت تقوى بى دواعى الحماسة فاندفع الى الفوز تصورا منى انك ناظرة الى ترفقين اعمالى وتنقدين قصورى لا ريب ان اباك لا يقدر فى حق قدرى ولا بدمن ان يميل بكل رغبته وميأله الى اقوال واعمال بختك فالتزم ان أصبر الى مصيبة اخرى فى طريق جديد لا اعرف مايكون وماوراءه الا انى اعتبارا لك اعتبر اوامر ابيك وارى نفسى مضطرا الى انفاذ غاياته والتظاهر بصدق كلامه وابين له اعتبارى بخلوصه واعتقادى بصفاء باطنه ونيته غير ان لا بد لهذه البداية من نهاية مجهول منا الان إما لخيرنا وراحتنا واما لتقرير عذابنا وحصر المصائب فينا فنموت دون بلوغ المراد فسامح الله الحب فهو وحده الذى ارغمنى الى الانقياد وجبرنى على الطاعة وجعلنى ان اصبر على مر الاعداء وكيدهم . والحاصل فانا ممن يتكل على الله وعلى دوام حبك وثباتك فى مضمار الغرام حتى تكونى عله لاحتمالى ماسيقع على من العذاب بالصبر الجميل واعدك اذا اتخذت زوجة غيرك تكونين انت الاولى بينهن والمقدمة عليهم وسيدة تباهين وتفخرين ويكن لك كعبدات . وقد طابت حضورى اليك فسوف اتسبب الى ذلك فاذا كانت نية أبيك فى هذه المرة طيبة وأجاب طلبى وزواجى بك أرى ان من الضروره تأخير اجتماعنا الى ذاك اليوم المنتظر واذا كان الامر بالعكس سعيت اليك ونظرت ماذا يكون وماذا

يجب ان نعمل فى امر حياتنا فاقبلى منى ثمره هدية الحب تبرهن لك عن خلوصى لدى الحياة ولك التحيات والا كرام ثم كتب باخر الكتاب

فضحت بدور التم اذ فقتها حسنا   واخجلتها اذ كنت من نورها اسنى
ولما رجونا من محاسنك الحسنى   بعثت لنا من سحر مقلتك الوسنى
سهادا يزور النوم ان يالف الجفنا

وخلت بانى عن مغانيك مراحل   وربع ضميرى من ودادك راحل
فاسهر طرفى ناظر منك كاحل   وابصر جسمى ان خصرك ناحل
فحاكاه لكن زاد فى دقه المعنى

حويت جمالا قد خلقت برسمه   فخلنا بدر التم اذ كنت كاسمه
فقد صار منك الحسن قسما كقسمه   حكيت اخاك البدر فى حال تمه
سنا وسناء اذ تشابهنا سنا

سجنت فؤادى حين حرمت زورتى   واطلقت دمعى لوطفى حر زفرتى
فقلت وقد ابدى الغرام سريرتى   اهيفاء ان أطلقت بالبعد عبرتى
فان لقلبى من تباريحه سجنا

حرمت الرضا ان لم ازرك على النوى   واجهد اثقال الصبابة والجوى
فليس لداء القلب غيرك من دوا   فان تحجبى بالبيض والسمر فالهوى
يهون عند العاشق الضرب والطعنا

سائى حدود المشرفيه والقنا   واسعى الى مغناك ان شطاودنا
والقى المنايا كى انال بها المنى   وما الشوق الا ان ازرك معلنا
ولو منعت اسد الشرى ذلك المغنى

اعيدوا الناطيب الوصال الذى مضى   فقد ضاق بى من بعد بعدكم الفضا
ولا يهجروا بالعمر قد فات وانقضى   ومانلت من مأمول وصلكم رضى
ولا ذقت من روعات هجركم امنا

ثم انه طوى الكتاب ودفعه الى الرسول ودفع اليه اوعية الطعام وأوصاه بان يبلغ مولاته التحيات فاخذ الكتاب وسار فدفعه الى مهردكار وكان عندها الذيذاشهبا وتنهدت لا تعرف هل ان الزمان يطول على مثل هذه الحالة وينتهى اليها معيدا كل عذاب وعناد بالوفق والراحة او يعود الى اجرائه ويمشى على محوره وجعلت شغلها الدعاء الى الله سبحانه وتعالى ان يقرب منها السعادة ويقربها من الامير حمزة لتكون زوجة له وتسأله تعالى ان يميت بختك لتموت معه المصائب اللاحقة بها وبمن احبته.

قال وبعد ان ذهب رسول مهردكار من عند الامير حمزة صرف ليله بين نوم وهدس الى ان أشرق الصباح ولاح بنوره وأخذت الاعين الراقدة فى ان تستيقظ والعقول تدب فى رؤس أصحابها تخرج بهم وتدبرهم فى دولاب مصالحهم فنهض من نومه ولبس أفخر ثيابه وخرج الى جواده فركبه وتوجه الى صيوان الملك النعمان فوجده على انتظاره فدخل عليه وأقام عنده وطلب منه ان يسير معه فى ذاك النهار الى ديوان كسرى ليسأله زواج بنته ويراه فى هذه المرة هل على الوفاء او انه اختلق بابا جديدا او فتح له طريقا اخر. فقال النعمان على ما أظن ان كسرى باق على حاله ولا بد ان يكون قد اتفق مع بختك على حيلة ربما كانت اصعب جدا مما سبق وعلى هذه فانى ارى الامور صعبة جدا امامنا ولا بد من وقوع حروب بيننا وبين الفرس . قال انى أعرف ذلك وينبهنى اليه قلبي غير انى جاهد نفسى ما زلت مؤملا بالزفاف وان لا أدع طريقا من طرق السلامة الا سلكته ولو تحملت اعظم الاثقال واشد الاتعاب . وفى تلك الساعة حضر اصفران الدربندى واندهوق بن سعدون وباقى الابطال والفرسان من سادات العرب فاذ ذاك ركب الجميع وساروا الى جهة المدينة حتى وصلوا الايوان فدخلوه ودخل الامير حمزة بعد ان حيى مهردكار فلاقاه كسرى بالبشاشة واجلسه فى مكانه وأخذ كل من العرب مقامه وما استقر بهم الجلوس حتى دار بينهم الحديث والتهى كل واحد بالاخر وكسرى يقضى مصالح الدول والعمال مدة ساعات

ولما فرغ من الشغل وراق للجلوس الوقت سأل الامير بزرجمهر ان يطلب الى كسرى الوفاء بزواج بنته اذ ما من وسيلة ولا عذر يؤخر ان ذلك اذا احب ان يفى وكان يريد اتمام وعده فبلغ بزرجمهر كسرى ذلك وقال له لما كانت اقوالكم أقوال حق وكلامكم كلام صدق تجاسر ولدكم حمزة ان يذكركم بالوعد الذى وعدته به وهو ان تزفوا كريمتكم مهردكار عليه وتشملوه بانظاركم وهو يقدم لكم عوضا عن ذلك سيفه ونفسه فيخدم بلادكم وعظمتكم ولا خفى ان عدل الملوك بالصدق وان الوفاء منهم يزين فى شرفهم ويزيد فى حسن ميل الرعايا اليهم ولا سيما من كان كعظمتكم جبلتم على الكرامة فتقدرون الرعايا حق قدرهم وترفعون شان المستحق فيهم ويذكرون ان آباكم وأجدادكم واصول هذه العائلة الكريمة كانت بالعدل قدوة للعالم فضربت بها الامثال وروى عنها المأرخون يكاد يذهل منها العقل ولا يصدقها لولا التأكيد بصدقها وصحتها وانى أخسر الاذان اعرض لديكم وجوب اجابة طلب حمزة اذ انه يحق اذا تذكرتم ما كان منه وما أبداه من الخدمة فى صالح بلاد الاعجام والا لولاه الان لكانت البلاد فى ضيق عظيم من خارجين ولربما كانت الحرب لا تزال قائمة بيننا وبينه كيف لا نعرف المصير ولمن ينتهى النصر الاخير طردنا من المدائن وفى نيته ان يكون الملك على هذه البلاد وكان العود

اليه فلما نفوز به ونعلق الامل بالنجاح ولولا حمزة لما حفظت الدولة الكسروية والراية الفارسية وقهر العدو به وقع الخوف فى قلب كل عما الناحتى من كان منهم عاصيا او يفكر بالخروج رجع وطاع عليه فهو ينظر الجواب بالايجاب من عظمتكم فاراد كسرى ان يجيب عن ذلك ويوافق بزرجمهر على طلبه حالا حيث وجد من الصواب الوفاء والصدق والامانة فسبق بختك وقال اعلم ايها الوزير العاقل الخبير والحكيم الفاضل الكريم ان سيدى الملك طالما بان لى خلوصه من هذا الوجه حتى انى فى ليلة امس كنت مجتمعا معه فتكلمنا عن ذلك واتفقنا على مباشرة الافراح وفكرنا ان نجعل للامير حمزة ولمهردكار زفافا لم يسبق الى ان وقع مثله لابناء الملوك والامراء تتحدث به الناس جيلا بعد جيل اولا حبا بهما وثانيا افتخار العظمة الملك لان من الواجب على الملوك عند زواج أولادهم ان يجمعوا العمال ويبذلوا الاموال وينحروا النحور ويسكبوا الخمور ويعطوا ويهبوا ويجودوا ويزينوا البلاد وذلك يحتاج الى وقت ومصاريف وقد سألنى سيدى الملك ان انظر فى ذلك وارى له بابا وانظر فى الخزائن وهل ما بها كاف للقيام بمثل هذا العمل واذا كان غير كاف اسعى بجمعه . فليكن الامير حمزة براحة تامة ولا بد من زواجه بمهردكار كيف كان الحال ويستعد لقيام الافراح والحمد لله قد انقضى الامر ولم يعد ما يقف فى طريقه او يمنع سيدى الملك من اجابته . فاعاد بزرجمهر ذلك على الامير حمزة فلم يره صادرا عن خلوص لكنه صبر ليعلم ان كان هذا الكلام اكيدا او غير اكيد واظهر فرحه من كلام الوزير وطلب الى بزرجمهر ان يشكره ويثنى عليه واما الملك فانه بقى صامتا متعجبا من كلام الوزير وهو لا يعرف ما ينطوى تحته وما قصد بذلك مع علمه انه يكره حمزة ويداخل فى سبيل نجاحه ولا يقبل قط بزواج مهردكار به

وأقام العرب فى ديوان كسرى الى المساء وعند المساء خرجوا راجعين الى أماكنهم فى كل نجاح ويكون للامير زفافا يسبق له نظير فى العالم قاطبة الا هو فانه كان غير متقن فى كلام بختك عندما تسمعه يقول ان الملك أعهد اليه تدبير هذا الامر وان ينظر فى امر قيام الافراح وفى ظنهم ان امر الامير قد أنقضى وان الزفاف سيكون بعد أيام قليلة فتقام الافراح ولوازمها ولما أنفرد باخيه عمر قال له ان فى الظاهر وبحسب ما نحن عليه الان كل شىء قد أنقضى غير انى لا أعرف ما فى سر المسألة وما ذا يدبر الوزير بختك وقيل ان حبك عدوك فيكون عن جنون والرجل عاقل من أمر يدل على جنونه قال كل آت قريب فاذا كانوا يقصدون لك ضرا او يدبرون حيلة أخرى لا تلبث أن تظهر فترى فى تدبير نفسك اذ ذاك وتعرف كيف تتصرف معهم وأنى أنصحك ان تسلك مع كسرى وبختك مسلك الكبر والعناد وترغم انفسهما باخذ مهردكار رغما وجبرا عنهما وعن عموم رجال الاعاجم كبيرهم والصغير . قال انى لا أسير الا على مسرى الاحوال فان وجدت بابا للنزاع لا أتأخر بشرط ان لا أكون قد احنثت بوعدى وسلكت بخلاف قصدى فانى أريد

ان أطيل صبري الى ان يفرغ ومع ذلك فقد يفعل الله ما يشاء واذ ذاك جاء خادم مهردكار بالطعام فأكل الامير وعياره وبعد ذلك سأله الخادم عما كان من امر الملك فاطلعه على ماجرى وقال له ان أباها قد وعد بالاهتمام الزفاف ومامن مانع بظاهر الحال يحول دون تأخير الزفاف الا ان يكون اضمر خلاف ما وعد فرجع الخادم الى مولاته واطلعها على ما سمعه من الامير وكيف ان أباها وعده بالزفاف بوقت قريب ففرحت فرحا لا يوصف وأملت نوال المراد ونهاية عذاب من احبته وهو الامير حمزة الذي وان كان يحبها حبا خارقا للعادة ويتمنى زواجها ويحتمل كل عذاب لاجلها الا ان حبه لم يكن يعادل جزءا من حبها له فانها كانت مغرمة به غراما لم يسبق ان سمع به وسلمت بكل قلبها الى ايدي هواه فلم تبق لها ولا درهما واحدا تعيش به على الصبر والسلوى وهذا امر بديهي فان المرأة ولا سيما من هي كمهردكار فانها خلقت للحب ولم يكن لها شاغل آخر يشغلها عنه فبعثت بكل اميالها وأفكارها اليه بخلاف الامير فانه كان قد أرسل بقسم من أمياله الى التعلق بالحب وحفظ الباقي لملاقاة الاهوال والاخطار ومنازلة الابطال والفرسان والتدرج في سبل المعالي وما اشبه ذلك مما يحتاج الى أوقات واهتمام وتعقل ولهذا كان لها وقت فرح ومسرة لا يوصف وقد غمرت خادمها بالعطايا ووهبته الاموال الغزيرة وأحضرت سفره المدام وما تحتاج اليه من النقل والمشموم وصرفت ليلتها على الحظ والهناء تطرب وتشرب وتشخص بفكرها حالتها مع حبيبها وكيف ستكون عنده بعد أيام وما يكون لها منه وما يكون له منها وكيف ان الايام قربتها مما تريده ومع انها كانت من أعقل نساء عصرها لم تحسب لصروف الايام حسابا وفكرت ان أباها قد أجاب عن طيبة حيث وعد من قبل وقرب منها عظيم هواها القاتل نيل المراد فاصبحت تلقاه باميال خالصة من الارتياب حيث كانت تنتظره قبل ذلك على الابواب وتعد نفسها به في المساء والصباح واتجهت بكل افكارها الى تدبير شأنها وما تحتاجه في هذا الوقت ما يكون لها فيه وفي أي حلة تبرز يوم زفافها المجيد

واما الملك كسرى فانه اجتمع في ليل ذاك اليوم مع وزيره بختك وقال له على ماذا عولت وما الذي دبرت فقد سمعت منك اليوم ما لم اصدقه قط فهل تكلمت عن يقين وقصدت وقوع زفاف مهردكار على حمزة او فعلت ذلك وتكلمت خلاف ما اضمرت قال كيف اخون سيدي الملك والتي بنته شمس الدنيا وزينة بلاد العجم الى أيدي هذا الكافر بدين النار المتعود على الهمجية ومن الغريب ان تعيش الحضرية مع البدوي لاختلاف المشرب وفرق الطباع والعادة والاختلاف بين المدنية والجاهلية لكني نظرت موضع النظر حيث قد عرفت ان ليس من اللياقة ان نصد الامير في الحال ونظهر له بابا آخر فيضجر وتقع بينه وبيننا الحروب وقد صار عنده جيش كاف لقتالنا وفرسان لا يوجد عندنا نظيرهم وقد دبرت امرا خطيرا أظهره عند الاقتضاء فيصرف به الامير ويسير عناية مع العرب ونرتاح من أمرهم

فاطرق الملك الى الارض ثم رفع رأسه وقال لوزيره انك لو فتشت قلبي لوجدتني اميل الى حمزة عن صفاء باطن واريد ان يكون زوجا لبنتي لو لم يكن من عبادته لله مع كل ذلك فاني ارى من الضرورة التغلب على ارادتي وميلي حباً بصالح البلاد والمملكة واجهد النفس في ابعاد العرب فنرتاح منهم وعليه فاريدك ان ترى في عين المطلوب لا كما فعلت قبل الان فانك دبرت في امر تكثير العرب ونجاح اميرهم فاجتمع عنده هذا الجيش وهؤلاء الفرسان العظام مع انه كان في الاصل وحيدا فريدا مع شرذمة من عرب الضعفاء فعلى ما عولت. قال فكرت ان اعرض لديك ذات يوم بحضور جماعة العرب ان الخزائن فارغة من المال ليس فيها ما يسد مسد العرس ويقوم بالمصاريف اللازمة في مثل هذا الفرح وذلك لان العمال منذ سبع سنوات لم يبعثوا بالاخرجة المضروبة عليهم ولاسيما منذ اتيان خارتين الى البلاد وتحركه الى المسير لجمع الاخرجة والاموال المضروبة على العمال فيسيرون عنا واذا أرادوا ان يطوفوا بلادنا فلا يرجعون منها باقل من سبع سنوات فضلا ان عمالنا تقف في وجوههم وتحاربهم فيفنون بالتدريج فيئة بعد فيئة اي اذا حاربتهم عساكر البلدان السائرين اليها اي كل ملك اجروا فيها وقعه الى ان يذلوها ويأخذوا منها الاخرجه لا بد في تلك الواقعة ان يقتل منهم قسم فلا يبقى احد. قال وماذا تقول عن عمال البلاد مع ان لا باره الفرد لنا في ذمة واحد منهم وكل سنة يرسلون ما هو عليهم من الاموال وغيرها قال كن براحة من هذا القبيل اني دبرت هذا الشان وهو اذا أكتب الكتب وارسلها مع الرسل واخبرهم بها عن واقعة الحال والمقصد الذي بعثنا به حمزة لاجله واني سأبعث بكتاب الى القسطنطينية الى الملك اسطفانوس صاحبها ان يحتال عليه فيميته مع قومه ومثل ذلك الى قيصرية واخبر صاحبها بقتاله وقبله ولا بد ان الصدف تساعدنا في هذه المرة فيميته فاستحسن كسرى هذا الرأى فقال له يظهر لي في هذه المرة النجاح وعسى ان الدهر يجود لنا بالمطلوب ويحصل لنا ما نريده

قال وفي اليوم التالي جاءت العرب الى الديوان ودخل حمزة على كسرى حسب عادته فلاقاه بكل بشاشة وأكرام واحسن ملتقاه وبش في وجهه حتى سر منه حمزة مزيد السرور وكذلك جماعة العرب الا بزرجمهر فانه أدرك معنى ذلك وعرف ان عمل كسرى هو تصنيع يقصد به اطمئنان الامير وغشه وأصبح يتوقع ما يكون منه لا يقدر أن يأتي بحركة وهو عارف ان الزمان الموافق لاظهار نفسه في حب الامير والمحاماة عنه لم يات بعد. وصرف العرب باقي النهار ورجعوا في المساء وعند صباح اليوم عادوا الى الديوان وداموا على مثل ذلك حتى مضى عليهم مقدار شهر يذهبون في الصباح ويرجعون في المساء والامير حمزة يشاهد حبيبته مهردكار في الذهاب وعند الاياب وكل يوم يظن ان الملك يظهر له اهتمامه بالزفاف فلم ير شيئا من ذلك ولعب به الغضب والحنق وفي اليوم الاخير من الشهر بينما كان في الديوان وجماعته العرب

حر اليه وجماعة كسرى محتبكون فى سلك الاجتماع وقف الامير حمزة بين يدى كسرى وقال له ان صدق الوعد بالانجاز وقد وعدتنى ان تهتم بعمل الافراح وتقيم الزفاف بوقت قريب فصبرت حتى اليوم وانا أترقب اتمام الوعد فلم ار اهتمامكم به والا التمس من عظمتكم ان تعينوا يوما يكون الانجاز وينهى كل عمل وازف على كريمتك التى خطبتها منى وصارت خصيصة بى على حسب وعدك

قال انى اعرف ذلك وقد عهدت به الى وزيرى بختك والظاهر ان مانعا عظيما حال دون العجلة فى هذا المعنى فاكمل بختك الحديث وقال للامير حمزة اننا لانزال على الاهتمام غير ان مثل هذا الزفاف يحتاج الى مصاريف باهظة وأموال غزيرة تصرف فيه كون من الواجب على ملك ملوك هذا الزمان سيدى كسرى انوشروان ان يدعو اليه كل عماله وامراء بلاده وملوكها وعظمائها وأعيانها من أقاصى البلاد الى ادانيها وقد اعرضت احتياجنا الاموال لحضرته فامرنى ان اكتب الى العمال اطلب اليهم ارسال الاخرجة المضروبة عليهم حيث قد مضى اكثر من سبع سنوات وهم ممتنعون عن اداء المطلوب واقنا على الانتظار فلم يأتنا جواب من احد فكان اولئك الامراء والعمال قد عملوا على الخروج ونزلت من قلوبهم هيبة ملكهم من يوم جاء خارتين وطرده من المدائن ويظهر انهم طمعوا فيه وقد اعرضت عليه ان يرسلك اليوم لتجىء منهم اموال السنين السبع ومن كان عاصيا انزعته او رغمته الى الطاعة فلم يقبل منى هذا واراد كتمه عنك ليرى وسيلة اخرى وعندى انه اذا كان لا يستدرك الامر ويرسلك خرجت البلاد من يده وربما اتفق عليه الجميع فتكون المصيبة الاخيرة اشر من الاولى والآن اطلبه اليك بلسان الملك فاقسم عليك بحياة مهردكار وحرمة البيت الحرام ان تحفظ مملكة عمك فلا تكون اخذت بنته وتخليت عنه فاجمع له الاموال واطفى غليله من كل عاص مات يكون لك عنده رفيع مقاما اكثر مما كنت

فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام سقط على رأسه اثقل من الجبال وأطرق الى الارض برهة ونار الغيظ تشعل فى فؤاده وكذلك سكت كل من كان فى ذاك المجلس يتعجبون من احتيال بختك وينظرون جواب الامير وكان بعضهم كالوزير بزرجمهر والملك النعمان يظنون أنه لا يمتنع عما طلب بختك لعلمهم بحسن طويته وبعضهم كاصفران الدربندى ومعقل البهلوان يظنون ان الامير يعمد الى سيفه لعلمهم انه يقدر على نوال مراده بقوة سيفه وتوهمهم انه فقد صبره ويئست حياته من الحيل والخداع غير ان جميعهم كانوا يسالون الله أن يمتنع ويطلب اخذ خطيبته اما بالرضا وأما بالغصب شفقة منهم عليه حيث كان الجميع يعرفون شدة حبه وقوة غرامه بمهردكار الا انه رفع رأسه بعد برهة وقال ملتفتا الى جهة الملك اعلم ياسيدى انى خلقت لهذه الدولة وارى نفسى ملزوما به وعليه فانى نويت كل النية ان اقصد جميع البلاد من هنا الى

اقاصي حكمك وما جاوره فاجمع الاموال واجيء بالاخرجه من عصاني انزلت به العبر وبعد فراغي أعود اليك والا اذا فضى على أكون قد ذهبت بيومي فقط أريد منك ان تصحبني بامر عام فاكون مفوضا بكل ما اريده وارغب ان أجربه ليكون لي الحق ان انوب بطلب الاخرجة عن الدولة الكسروية وتكون هذه الكتابة موقعة بختمك الخصوصي وتذكر بها انك خترت صهرك لجيء الاموال فيعرف الناس مركزي عندك واعتبارك عندي وسوف ترى مني مايسرك ويرضيك

فلما سمع العرب كلام الامير حمزة ايقنوا بسفر طويل وعذاب أطول تأكدوا انهم يطوفون الارض شرقا وغربا شمالا وجنوبا لان بلاد كسرى كثيرة واسعة تحتاج الى عدة سنوات اذا أرادوا الدوران فيها والطواف من مكان الى مكان وأما كسرى وبختك فقد فرح غاية الفرح وايقنا ان مدة العرب قد انتهت وانقرضت وسوف يذهبون عن البلاد ولا يرجعون اليها مرة ثانية ولذلك اسرع بختك الى الجواب فاجاب أن سيدي الملك لا يبخل بان يعطيك خطه وختمه ويفوضك بامر بلاده وعماله فما انت الا كواحد من عائلته او بالحرى كاحد أولاده ويعرف اكيدا انك أمينا على البلاد فلا تجور ولا تظلم ولا تجمع غير المطلوب فقط على كل مدينة وبلد وباذن سيدي الملك اكتب لك الان ما اشرت اليه ثم اخذ بختك فكتب امرا عاما لكل بلاد العجم وعمالها وملحقاتها بانه قد اعهد من قبل الملك الى الامير حمزة التصرف بجمع الاخرجة والاموال المضروبة على كل بلد وناحية فتسلم اليه ليعود بها الى المداين لانه صهر الملك كسرى وامينه ثم وقع الملك على الكتابة وختمها بختمه الخاص ودفعها الى الامير حمزة وقال له لم يهن علي قط ان ابعدك الان عن المداين وانقلك مثل هذه النقلة بعد ان كنت نويت على زفافك في هذه الايام وكان ظني ان الامر قد انقضى وامرت بتهيئة امر بنتي ولكن اعدك الان بعد رجوعك ووصولك بالاموال سيكون لك به زفافا عظيما جدا فتعرف البلاد ان قدرك عظيم عندي ومقامك أعظم وما من مانع الان الا وجود اموال في الخزينة تكفي لمثل هذا الامر وأزيدك وعدا بحضور هؤلاء السادات الموجودين الان في ديواني ان بنتي هي لك مهما طال الزمان وحالت الموانع فلا مطمع لغيرك بها فنم امينا وعد نفسك بان ستصبح بدرجة الملوك ذات يوم ولا يبقى في بلاد فارس من هو اعلى مقاما عندي منك فاظهر حمزة شكر الملك كسرى وفي قلبه نار تلتهب منه لتأكده ان تلك حيلة قد عملت عليه وان كلامه هو مكر وخداع يقصد به اطمئنانه ويريد ان لا يتكدر منه ويبقى على طاعته

وبعد ان انتهى كل عمل نهض الامير حمزة وودع الملك كسرى وقال له اكد يا سيدي اني سأعود اليك بعد شهر او سنين باعظم مما ذهبت عنك الان ويكون لي مقام بمساعدته تعالى لم يكن لغيري وذلك انشئه بقوة زندي واتكالي على المولى والهي الذي اعبده وكان الاسفار

التي اخترتها لي منذ الاول كانت بخلاف ما تقصدون وتضمرون لي حيث جاءت نافعة لي مفيدة واصبحت كمثلكم لدي من الفرسان العظام والابطال الاشداء ما يشتد به ساعدي وتقوى كرامتي وسوف تكشف لك الايام ويعلم اعدائي اي منقلب ينقلبون وبعد هذا خرج الامير وجماعته وعندما صار خارج الابواب ركب جواده الاصفر ان ومال بانظاره الى جهة مهردكار فوجدها بانتظار خروجه الدقيقة وراء الدقيقة فاشار اليها مودعا دون ان يبدي اشارة تبسم وقرأت على وجهه اسطر الكآبة فتأكدت وقوع حادث جديد مكدر وثبت لديها ان امالها لا تنتهي بزواج الامير واردت ان تعرف السبب ولما نظر اليها تلك النظرة وهو مغضب على خلاف ما كانت تنتظر ولم يخطر لها قط الا ان غضبه من ابيها وانه قد وضع في طريقه ما نعا يمنعه من نوال مراده وفي الحال دعت بخادمها وقالت سر الى الامير واساله عن حاله واطلب اليه ان يزورني في هذه الليلة بعد الساعة الرابعة من الليل بحيث اراه وأعرف ماهو السبب الذي وقع له فسار الخادم لاتمام امر مولاته واما الامير فانه بقي سائرا دون ان يبدي كلمة الى ان وصل مع العرب الى صيوان الملك النعمان وهناك سأله جماعته عن اجابته وقال له النعمان لقد رميت بنفسك الى سفر طويل ولم تنتظر ما فيه من الاهوال على ان كسرى لم يقصد لك الخير وما اختار لك هذا الامر الا ليبعدك عنه ويبعدنا نحن ايضا عن بلاده ويهلكنا واني أعرف اكيدا ان لا بارة له عند عماله الا السنة الحالية التي لم تفرغ بعد ومن المقرر ان العمال عند رأس السنة يرسلون كل ما هو مطلوب منهم الى المدائن والان على ماذا عولت هل تبقى مصرا على السفر او تسمح لنا وتدعنا ندخل المدينة جبرا ونأخذ مهردكار بالقوة وتشعل الحرب بيننا وبين الفرس ومهما قدره الله كان مفعولا فقال لهم اعلموا يا سادات العرب اني نظرت موضع النظر وما فكرت الا بإصلاحنا ونجاحنا ولا يخفاكم ان الاعجام كثيرون ودولة كسرى اعظم الدول مسموعة الكلمة فاذا فتحنا حربا نحتاج الى معاناة اثقال واهوال لاني لا ارغب في ان اغدر به بل اريد ان احاربه حربا قانونية واني وان كنت أعرف ان فرساني اشداء واننا نفوز على الفرس مهما كان عددهم غير اني اعرف ان هذا الفوز يكلفنا خسران بعض رجال من رجالنا ونلتزم به الى مصاريف واموال باهظة ولا بارة بايدينا الان ولهذا السبب خطر ان اجمع اموال كسرى التي انا سائر بطلبها عن سبع سنين اذ كان له اولم يكن اليس بيدي خطه وختمه وبعد ان اجمع الاموال ابقيها في يدي فلا ادفعها له الا اذا أجاب طلبي وزوجني بمهردكار وان امتنع حاربناه من ماله ورجاله ونكون اصبحنا اغنى منه بكثير فضلا عن ان سائر بلاد الفرس من أعجام وغيرهم يعرفون مقدرتنا اذا اتينا بلادهم فلا يجسرون على الانضمام الى كسرى لحربنا وغير ذلك فاني ايضا ان اريد ان أشهر أعمال كسرى انوشروان في كل بلاده وأميل الناس لي وابعدهم عنه ولا يكون الاما يوافقنا ان شاء الله وأما انتم فمن شاء

منكم ان يسير معى فاهلا والا فليرجع الى بلاد العرب الى حين عودتى وكفانى ان أسير برجالى الاخصاء. فقال له الجميع اننا لا نفارقك فاين سرت سرنا فى ركابك وتحت امرك ونقاتل بين يديك واننا نعرف ان هذا الامر نافع لنا غير ان خوفنا من التطويل لان جباية الاموال من بلاد كبلاد كسرى تحتاج الى سنين غير قليلة فتخرج مهردكار من يدك قال انى أصبر على طول المدة فالف سنة عند الله مثل يوم واحد وهو يفعل ما يشاء واما فوات مهردكار من يدى نعم انه يغيظنى ويلقينى فى اليأس غير انه لا يبعدنى عن رغبتى فى نيل المعالى ومن المعلوم انى ما احببتها الا كونها احبتنى وتستحق المحبة وكونها ايضا تعبد الله وترغب فى دينه والا كنت لا اريد ان أتزوج ببنت رجل كذاب عامل على الخداع والغش ولولا صدق مودتى وتأكدى انها ذات شمائر حميدة عربية لكانت أعمال ابيها قلت من حبى اياها فاتخذت غيرها زوجة الا ان صفاتها الحسنة تدعونى الى ان اجهد النفس فانتشلها من بين الفرس كونها لا يستحقونها

وبعد ذلك ذهب حمزة الى صيوانه ومعه عمر العيار فلما وصل اليه وجد عنده خادم مهردكار خياه وسأله عن مولاته فاخبره بحالها وقال له انها تدعوك لتحضر عندها وتسألك عن السبب الذى اوجب كدرك وتراك وقد اعدت كل شىء لحضورك وصرفت الخدم من عندها فلم يبق الا انا والبواب كلانا مخلص لمولاتنا ولك نرغب فى خدمتك وخدمتها فخطر للامير اذ يذهب الى مهردكار مرة ثانية ويصرف قسما من الليل عندها حيث ان امامه سفر طويل فيتودع منها وداعا كافيا ويجعلها ان تصبر على فراقه الى حين رجوعه وعليه قال للخادم سر الى مولاتك فاخبرها انى بعد الساعة الرابعة من هذا الليل اكون عندها فابقى الى حين اقبال الفجر فرجع مسرورا بنجاح مأموريته ولما وصل الى قصر مهردكار وجدها بانتظاره لتعلم هل ان الامير يزورها ام لا. فلما اخبرها باتيانه فرحت فرحا لا يوصف وعدت نفسها بالخير العظيم والراحة ساعات معه فنهضت ولبست افخر ما عندها من الثياب وفرغت عليها حلاها وتكللت باكليل من الذهب الوهاج فوق رأسها المستدير اللطيف الحجم كونها كانت سلطانة الجمال وكان من حقها ان تبرز على الدوام باكليل الظفر على ربات الخدور والفوز على كل ناظر ذكرا كان او انثى

وبعد ان فرغت من تهيئة نفسها امرت ان تمد سفرة الطعام وسفرة المدام كل واحدة فى غرفة ويوضع كل شىء ما هو شهى ولذيذ واهتمت بذلك بنفسها وتفكرت فى كل ما هو عزيز عندها لتقدمه الى حبيبها حين زيارته لها وعند حلول الوقت شعرت فى داخلها وارتعاش بخفقان كأنها عرفت بدخول الامير الى المدينة وقربه من قصرها لانه كان قد لبس ثيابا اعجمية ونزل الى المدينة متقلدا بسيفه ومعه اخوه عمر العيار فدخل من باب المدينة دون معترض ولا

مانع وسار الى جهة مهردكار فوجد البواب قائما على انتظاره وحالما راه قبل يديه وسار امامه الى ان صار فى الداخل واذا بمهردكار قد لاقته فى نصف السلم فترحبت به وسلمت عليه واخذته من ابطه ومشيت به الى قاعة الجلوس تدخل وجلس على كرسى من الذهب الوهاج اللامع مقعدها من المخمل محشو بريش الناعم وبعد ان قدم له الشراب الممزوج بالسكر والماء الزهر قالت له لقد حللت حلول البدر فى الافق فانرت المكان واحييت السكان اى شيء افضل عندى من ان اراك قريبا منى اشاهد جمالك وانظر اليك واسمع عذوبة الفاظك انت من الدنيا حبيبي وساعة من ساعات قربك تكفيني أن أقول انى سعيدة الزمان بطوله فقد حصلت اولا وثانيا على ما أنا طالبته . فانف عنك كل هم وكدر وانظر الى فى أمرى ودبرنى بمعرفتك ولا تتهامل بامر فيه الخير والنجاح لك . أبى وعدانه يزفك على ويزفنى عليك وكنت أراك على الدوام مسرورا الى ان رأيتك فى هذا اليوم مكدر تخفق قلبي وتقطعت آمالى وأيقنت بحلول مصاب جديد يؤذن بفراقنا وعذابنا وبعدنا عن بعضنا بعد ان كنا على أمل التقريب قال ان أباك لا يصدق فى وعده مازال عنده بختك الوزير فانه يتلاعب به فيغير أفكاره على ويظن بانى أهلك فيختلق لى المخاطر ويرمى بى الى حفر الهلاك غير انى قد عدت منتفعا منها وفيها فائزا على غاياته ومقاصده فلله دره من مخادع مخاتل ونافع لى على غير ارادة منه . لقد اختلق لى فى هذه المرة سفرا طويلا ظنا منه انه يكون على وعلى العرب شرا ووبالا والحال انه سوف يكون وسيلة كبرى لتنشر اخبارى فى بلاده جميعا وبه اقدر أن احصل عليك باقرب وقت وهو انه يدعى بان لا مال فى خزينته لعمل افراح الفرس ولذلك طلب الى أن أجمع له الاخرجة من كل بلاده من المشرق الى المغرب ومن الشمال الى الجنوب زاعما أن له نحو سبع سنين لم ترد اليه الاخرجة والرسوم من العمال كانهم عاصون عليه غير مطيعين لامره فهذا دليل كبير على كذبه وخداعه وأعدك انى سأجمع الاموال بسهولة من كل بلاده لكن لا ادفعها له قط الا اذا زفنى عليك

فلما سمعت مهردكار هذا الكلام نزل على رأسها نزول الصاعقة وكادت تقع الى الارض لو لم تمسك نفسها بذراع الامير وترمى بنفسها على عنقه واذرفت دموعها فحن لها وقال لا تخافى وتصبرى فامن وسيلة للرجوع عن ذلك فكونى براحة ولا بد لى من اخذك والزواج بك لو كان الف مانع يحول بيننا غير ان من تأنى نال ما تمنى فاصبرى على امرك . قالت انى اطلب اليك الان بحرمة ابيك وبحيات حبك لى ان تاخذنى فى هذه الساعة معك وتذهب عن بلاد الفرس الى بلاد العرب ودع ابى يفعل ما يشاء فكفاك ان تلاقى اهوالا وشدائد بسببى فاذا كنت وسلمت امرى اليك خفت عنك كل هذه المصائب اذ ترى نفسك غير محتاج الى احتمال مثل هذا العذاب قال لو كنت ارضى بذلك لفعلته منذ الاول لانى اريد ان اتزوج بك زواجا

شريفا ويكون لك عرسا عظيما لم يسبق ان يسمع بمثله فارغم بذلك انوف اعدائى واقهر اخصامى ولا يقال عنى وانا فارس برية الحجاز وبهلوان تخت كسرى انوشروان قد سبيت بنته واتخذتها زوجة بالرغم عنه وعنها ولا سيما ان الناس لا يعرفون ثقل ظلم ابيك فيظنون بك السوء ويتكلمون بحقك حيث قد تركت اباك وعلقت نفسك بى قالت انى عرفت ذلك حق المعرفة انما الحياة عزيزة فاخاف عليك جدا وافضل ان يقال عنى انى ارتكبت امرا او بالاخرى افضل الموت من ان اسمع انك عملت ثقيل بسببى او لحق بك اذى الست انت هو الرجل الوحيد الذى عليه متكلى واليه اسلم بكل امرى فهل من امن امل بالحياة لى اذا بلغنى وقوع امر مكدر عليك فارحمنى وارجع عن سفرك وانظر فى امرك ودع عنك ماوعدت أبى به وارجع الى اجباره على زفافى فتى اراك مصرا على العناد وانك لا تقبل الا بالزفاف اجاب فى الحال وانتهى ماوعد به وخالف بختك دفعا للشر بينك وبينه فهو يميل اليك ولولا وزيره الخبيث لاجابك منذ الاول قال لا اقدر عن الرجوع عن وعد صدر منى الا تعلمين ان العرب رجال وفاء وصدق وامانة يخاطرون بالنفوس والنفائس من اجل حماية جار او ثبات وعد ونفاذ كلمة فكيف اكون الامير حمزه وارجع عن كلامى على انى لو رجعت لاغاظك ذلك ونسبتى لى قلة الوفاء كما تنسبين ذلك الى ابيك قالت انه يسرنى منك الصدق فهو مزية حسنة رئيسية بالانسان فتى كملت صفاته كان صادقا امينا على وعده وعليه فانى اسلم بامرى وامرك اليه تعالى فهو يدبرنا بعنايته كيف شاء ولاريب انه يقصد بذلك امرا صعبا للوجود فالنصيب عنده محفوظ اما للخير واما للشر .

ثم انها طلبت اليه أن يذهب معها الى غرفة الطعام حيث كانت بانتظاره ليتناولا معا فاجابها وذهب الى المائدة وجعل كل منهما يناول الاخر وهما على أهنى مايكون من حسن العيشة واللذة الى أن فرغا الطعام فاخذته من يده الى غرفة المدام واذا بسفرة ممدودة عليها القنانى قد صفت بترتيب والى جانبها الاقداح الذهبية المرصعة وعلى دائرها صحون من الذهب المنقوش من عمل الا كاسرة فيها كلها النقولات اللذيذة الشهية والزهور الزكية العطرية فكان مجلسا انيقا أنيسا لسان حاله يقول

تب الى اللذات فالعمر قصير وحياة المرء فى الدنيا غرور
فاسرع الخطو فعندى شادن وفتاة وخمور وزهور
وسقاة وحداة وغنى وجنوك وطبول وزمور
كل ما درنا رأينا بيننا شادنا يشدوا وكاسات تدور

وأيضا

أفديه ظبيا بالشراب مولعا وترشف الاقداح وهو الا كيس

فكانه البدر المنير اذا بدا من نور طلعته أضاء المجلس

وعند المائدة كرسيان من العاج عليهما وشاحامن الحرير الاحمر اللامع فجلس كل منهما على كرسي وحينئذ اخذت مهردكار كاسا ملأته خمرا وشربت منه قليلا وسقته الى الامير حمزه من يدها فنزل على قلبه نزول العافية على جسم العليل الميؤس من الراحة والحياة فقصد ان يقبلها بالمثل فاخذ قدحا وفعل مثل ما فعلت وانشدها

قالت كحلت الجفون بالوسن قلت ارتقابا لطيفك الحسن
قالت تسليت بعد فرقتنا فقلت عن مسكني وعن سكني
قالت تشاغلت عن محبتنا فقلت بفرط البكا والحزن
قالت تناسيت قلت عافيتي قالت تناءيت قلت عن وطني
قالت تخليت قلت عن جلدي قالت تغيرت قلت في بدني
قالت تخصصت دون صحبتنا فقلت بالغبن فيك والغبن
قالت أزعت الاسرار قلت لها صير سري هواك كالعلن
قالت سررت الاعداء قلت لها ذلك شيء لو شئت لم يكن
قالت فماذا تروم قلت لها ساعة سعد بالوصل تسعدني
قالت فعين الرقيب تنظرنا قلت فاني للعين لم ابن
أنحلتني بالصدود منك فلو ترصدتني المنون لم ترني

وكان ينشد ذلك بصوت رقيق ناعم واطئ وكان صوته جميلا فطربت مهردكار وسكرت من حسن انشاده وملاحة صوته وطيب صفاته وقد ذاب وعيها وضاع عقلها وملأت قدحا اخر وشربته وسكبت اخر وسقته وانشدته برخيم صوتها

قد ذبت من ألم الجوى فاستبق بعضك يافؤاد
واعلم بانك لا ترد اذا فنيت ولا تعاد
يخلو بطيف لو به سمحوا لما سمح السهاد
ويمنع مما ينيه يكاد يغضبه الوداد
اقسمت لو سمع الجماد حديثه رقص الجماد
حبه أزل بي جنوني الحب فارتحل الرشاد
مولاي برح بي الجفا والصد عني والبعاد
فالدمع وردي دائما والجمر لي أبدا مهاد
من لي بصبر والتصبر عنك ما لا يستفاد

وانصرفت بقية تلك الليلة على تلك الحالة وهما يتناشدان الاشعار ويتعاطيان الخمور

ويتعانقان عناق العفاف والطهارة الى ان اذن الوقت بالارتحال فنهض الامير حمزة وطلب الانصراف وقال لها قد ان اوان الوداع ولا بد بعنايته تعالى الملتقى فى هذا القصر مرة ثانية فشعرت مهردكار بخوار قواها وانفضت عنها كل تلك المسرات التى لاقتها فى تلك السهرة بدقيقة واحدة سمعت بها من الامير كلمة الفراق ولم تقو على القيام فتمسكت به فرفعها وودعها وهو متأثر من حالتها وسار عنها مشتت الافكار يلعن اباها وبختك حيث انهما كانا علة الفراق وسبب هذه الاحزان وبقت مهردكار بعد ذلك ساعات لا تعى على احد وقد حضرت قهرمانتها وخادمها فرفعاها المو ائد وغسلا الارض وحملاها الى سريرها على حالتها

ولما وصل الامير الى صيوانه دخل الى سريره فنام قليلا الى ان اشرقت شمس النهار جيدا فايقظ عمر العيار وحينئذ خرج من سريره وتقلد بسلاحه وركب جواده الاصفران وسار الى صيوان الملك النعمان وسأله الرحيل والسفر عن تلك الارض لاتمام ماوعد به فاجابه لانه كان قد هيأ نفسه ودبر امر عساكره وكذلك اندهوق بن سعدون ومعقل البهلوان واذ ذاك اصدر الامير حمزه امره بالركوب فركب كل فارس وبطل وركب مع الامير جماعته الثمانمائة الذين ولدوا يوم ولادته وانتقلوا عن تلك الارض واخلوها حتى بعد ساعات قليلة اصبحت خاوية خالية وكان كسرى يشاهد رحيلهم وقد سره كثيرا فقال له بختك بشراك ياسيدى فان العرب قد رحلت عنا وبعدت عن ديارنا ورحيلهم هذا سيكون الى عدة سنوات هذا اذا لم ينقرضوا ويهلكوا وأريد منك الان أن تأذن لى أن أبعث بالرسائل الى كل العمال والملوك التابعين لمملكة الفرس والمخالفين لها أن يصرفوا الجهد الى اهلاكهم وفنائهم ومن انقرضوا على يده كان له عندنا الخير العظيم والجزاء والمعروف والمكافاة بتوسيع ملكه

قال افعل ماتريد فان ذلك عائد بالنفع لبلاد فارس فيتخلصون من العرب . وعلى ذلك كتب بختك الكتب وبعثها مع الرسل عن لسان الملك كسرى الى كل من الولاة والامراء والملوك يخبرهم بخبر الامير حمزه وجماعته وماهو السبب الذى أوجبه لارساله اليهم ويسألهم أخيرا أن يسعوا فى موته ومن فعل ذلك كافاه المكافاة الجزيلة وأقام بعد ذلك ينتظر مايسمع من أخبارهم وفى ظنه انه جنى ثمرة شره وخبثه وفعل أفعالا عادت على بلاده بالخير واغتر بنفسه مفكرا أنه فاز على عدوه

فهذا ما كان منه وأما ما كان من الامير حمزة فانه دام على مسيره وهو يخترق الفيافى والقفار بذلك الموكب العظيم الذى لاينقص عن مائتى الف فارس من فرسان العرب المشهورين الى أن وصلوا الى مدينة حلب وكان دليلهم عمر العيار حيث كان معه الذخيرة التى يهتدى بها الى سائر الاماكن كما تقدم معنا ولما وصلوا عند ضواحى المدينة نزلوا هناك وأمروا أن تضرب الخيام وتسرح الخيول وترتاح الرجال مدة أيام . وكان القائم على حلب ملك اسمه

نصير بعبد الله وهو عاقل يتبصر باحوال مستقبل حياته ويعرف ما يكون منها وعند ما وصلت اليه كتابة كسرى وعرف ما بها افتكر فى نفسه وقال لو لم يكن الامير حمزه ممن يرهب جانبه لما خافه الملك الا كبر وابعده عنه وقصد هلاكه بالحيلة على غير يده ولو لم يكن فيه الكفاءة بان يزعزع ملكه لما تجاسر وطلب بنت كسرى زوجة له ولو لم يعلم ابوها انه بطل شجاع لما أجابه ووعده انه يزوجه بها واخذ يحتال عليه ويسلك مسالك الغش والخداع لينتقم منه فمن الواجب ان أشترى نفسى بالتى هى أحسن وأجعل بينى وبينه مودة وصداقة الى ان أرى ما يكون من غيرى من العمال وبهذا ادفع شره عن بلادى وادعوه يرحل الى غيرها ولما وصل الامير حمزه الى تلك الارض واستقر فيها كتب كتابا الى الامير نصير المذكور يعرض عليه أمر كسرى الذى بعثه لاجله ويطلب اليه دفع الاخرجة عن سبع سنوات ماضية فقرا الكتاب وفى الحال جمع رجال دولته واعيان بلاده وعرض عليهم كتابة كسرى وكتابة الامير واخبرهم ما جال بفكره فاستحسنوا رايه وطلبوا ان يخرجوا الى ملاقاة الامير ويترحبوا به ويعرضوا عليه امرهم ويخبروه بكتابة كسرى وان لا بارة الفرد عليهم ومن ثم خرجوا الى خارج المدينة وجاؤا المكان المقيم فيه حمزه مع جماعته ودخلوا عليه فلاقاهم وترحب بهم وسلم عليهم ولما أستقر بهم الجلوس قال الامير لصاحب المدينة اعلم ايها الامير ان الملك كسرى قد بعثنى لاجمع له الاموال المتأخرة على البلاد فانه فى حاجة لها ولذلك أريد منكم ان تجمعوا ما هو عليكم من سبع سنوات وتسلمونى أياه حالا فانى أريد الرحيل ولا أرضى ان أقيم أكثر من مدة أقدر بها أن أقبض الاخرجة المطلوبة. فقال له اننا كلنا بين يديك وطوع أمرك وأننا نخالف كسرى من أجلك غير أن لا نخفاك انه أراد بذلك أبعادك وهلاكك لان لا بارة واحدة فى ذمتنا له فاذا أخذت منا شيئا تكون قد كلفتنا وحاشاك من ذلك قال أنى أعرف أنه أستوفى منكم مطلوبه غير أنى جئت لهذه الغاية فلا أريد ان أرجع كى لا يبقى له حجة يحتج بها نعم أنه لا يمكنكم ان تدفعوا عن سبع سنين ماضية مرتين غير انى أريد ان تدفعوا الى عن سبع سنين اتية سلفا وأعطيكم بها وصلا وقعا منى بحسب تفويضى من الملك كسرى ومنذ هذه السنة الى مدة سبع سنوات أخرى لا تدفعون بارة الى أحد وغير ذلك لا يمكننى أن اقبل. فقال الامير نصير ان كان لا بد من ذلك فاصبر على مقدار عشرين يوما ريثما اقدر ان اجمع الاموال المطلوبة من النواحى والقرى قال أنى أجيبك الى ذلك وأكراما لك أقيم على الانتظار وسوف ترى ان شاء الله ما يسرك فى ما يأتى من الزمان فتخلص من دفع الاموال والاخرجة لعبدة النار والكفره وبعد ان صرف أهل المدينة قسما من النهار عند الامير حمزه ودعوه ونزلوا المدينة واخذوا فى جمع الاموال المطلوبة وقد عملوا العرب وليمة عظيمة لها قدر وقيمة وأختلطوا ببعضهم البعض وأصبحوا كانهم قبيلة واحده وبقوا مدة عشرين يوما وفى اليوم الحادى والعشرين خرج الامير نصير والاموال بين يديه وقد سدد

الفضاء من كل محاصيل حلب عدا عن الذهب والفضه فقدمها الى حمزة وأخذ منه بها وصولات موقعة منه وبعد ان قبض الاموال قال له انى اخبرك لا عدت تدفع منذ اليوم الى كسرى ولا بارة الفرد وأنى أعفيك من هذا الخراج واذا عاد فطلب منك أموالا زعزعت الايوان على رأسه وضربت بلاده لانى فى هذه المرة ساعود اليه بصفة محارب لا مسالم وسوف تصل اليك الاخبار ثم ان الامير نصير دفع اليه كتابة كسرى المرسلة اليه فاخذها منه وسلمها للملك النعمان وقال له احفظ هذه عندك الى حين الحاجة وبعد ذلك ودع الامير نصير ووعده بالعود اليه مرة ثانية فى اثناء مروره من تلك الجهه. ومن ثم امر رجاله ان تقلع عن تلك الارض وتسير فى طريق اخر الى غير جهة فركب الجميع وسالوا عمر العيار الى أين يريدان يسير بهم فقال نسير من هنا على طريق ديار بكر واورفه والموصل ومن ثم الى القسطنطينيه ومن بعد ان تفرغ من كل هذه البلاد تعود الى حلب ونسير فى طريق اخر

ثم انه سار امامهم على الطريق الذى اشار اليه وسر الجميع فى أسره وبقوا مدة ايام الى ان وصلوا الى ديار بكر فجمع المال من صاحبها دون ان يكون منه معارض او ممانع وبعد ان قبض الامير الخراج واعطى بها وصولا عن سبع سنوات سلفا رحل الى اورفه ففعل كما فعل بغيرها وقبض الاموال واعطى بها وصولات واخذ مكاتيب كسرى المرسلة اليهم بخصوص هلاكه ودام الامير حمزه وجماعة العرب يسيرون من ولاية الى ولاية ومن عاصمة لى عاصمة يجمعون الخراج ويرفعون الاحمال على ظهور الجمال وكل واحد يقتدى بجاره فلا يمتنع ولا يعتذر عن الدفع بل كان الجميع يسرون من معاملة الامير ويحبونه الحب العظيم ولا سيما عندما يثبت لهم ان هذا هو الخراج الاخير الذى يدفعونه وان بعد ذلك لا يدفعون قط لاحد وكل منهم يكون حرا فقط يلتزم ان يبقى على صداقته ومودته فيساعده المساعده الواجبة ويدافع عن بلاده

ولا زال سائرا الى ان قرب من القسطنطينيه وكان الحاكم عليها ملك عالى الشان رفيع المقام كامل حكيم خبير باحوال السياسه والفنون والمعارف والطب والهيئه اسمه اسطفانوس فلما سمع بوصول العرب اليه فرح جدا لانه كان يعرف ان رجلا من العرب يخرج على بلاد العجم فيقلب تخت كسرى ويضعف شوكة العجم ويذلهم الى ان تهدم من بعده العابد النار باذن العزيز الجبار ولذلك لبس افخر ملابسه ووضع التاج على رأسه وخرج بموكب عظيم الى ملاقاه حمزه والذين معه ولما وصل الى معسكر العرب عرف بقدومه الملك النعمان فخرج الى ملتقاه وسال حمزه ان يخرج وقال له ان هذا الملك هو افضل من كسرى شانا وادبا ولذلك من الواجب ان نسعى فى خدمته ولما وصل اليهم ترجل وترجلوا وسلم كل منهم على الاخر وعادوا الى صيوان الملك النعمان فدخلوه وجلست اعيان القسطنطينيه حول سيدهم وترحبوا بقدوم

العرب اليهم وقال الملك اسطفانوس اعلموا ايها السادات الكرام اننا نعرف ان العرب قوم اعتادوا على المروءة والوفاء وحفظ الناموس يبذلون نفوسهم في شرف ناموسهم وان كانوا يسكنون البادية وهم على غير شيء من العلوم والمعارف ويعرفون الشعر فيتغزلون ويتحمسون دابهم السلب والنهب والغارات على بعضهم بعضا لكن مزية تامين الجار واغاثة الملهوف لا تقاس بها فضيلة فهم على هذا أفضل من غيرهم بكثير يحق لهم ان يباهوا اعلى الا كاسرة وكل طوائف ولذلك اخبركم الان انه وصلت الى كتابة كسرى مع رسوله وعرض على عنادكم واخبرني بكل ما كان من الامير حمزة فتعجبت منه ومن حمله ونكثه للمعروف ونكرانه للجميل وكيف يسعى في هلاك فتى تربى على ماله وفي عهدته واخيرا اخلص له بلاده من عدوه خارتين وارجعه الى ملكه بعدان كان قادرا ان يتولاها هو ويجعلها عاصمة الممالك العربيه وتسود به العرب على كل قبائل الدنيا وعرفت من هنا ان كسرى ظالم مخاتل وان حمزة مظلوم معه وقد فتشت في الكتب فوجدت انه هو الذي دلت عليه الدلائل فيذل الاعجام ويثل عرش كسرى ويكون له شان عظيم ويقع بينه وبين كسرى حروب هائلة عظيمه يحتاج بها الى مسعفين ومساعدين فتاقت نفسي الى مصاحبتكم لا كون معه واخدمه على سعادته واقباله لاني عارف عهنه الطلب معرفة تكفل لكم شفاء كل جريح بطلب وقت الحرب نعم ان كسرى بعثكم الى مع علمه باني لست من عماله لكن ترجاني ان اقتل الامير حمزة وأحارب العرب ظانا اني اوافقه على جهله وأجعل نفسي آلة بيده لانفاذ غاياته بل سوف يراني عدوله لدودا وذلك من اجلكم وحبا بكم فان حمزتكم موفق وسوف تصل به السعادة الى على درجات المجد وينال ماينالة غيره لا من الامراء ولا من الملوك والابطال

فلما سمع العرب كلامه مدحوه عليه وشكروه وتعجبوا من كرامته وقال له الملك النعمان لاريب ان دين النصرانية هو الذي حملك على كرامة الاخلاق والتعقل والتبصر بعواقب الامور وقال نعم ان الدين بالله تعالى والتسليم باقواله ومحبة انبيائه علة كبرى لتهذيب الاخلاق وتحسين المزايا في كل نفس بشرية غير ان للحق سلطان سائد في الناس يعرفه كل فرد من افراد البشر فتدوسه صاحب الاخلاق السيئة مع اعترافه به في داخله ويكرمه سليم الطباع تادبا منه وما أريده الان هو حق وواجب فقال الامير حمزة اننا في حاجة لمثلك في سفرنا هذا وفي كل حياتنا فاهلا بك ومرحبا فستكون من كبار رجالنا وسادات قومنا غير ان لا اخفاك اني اتيت بطلب الاخرجة عن سبع سنوات فاريد منك قبل كل شيء ان تدفعها الى فاعطيك بها وصلا وما ذلك الا حفظا للحساب كي لا اغلط مع كسرى اذا قبل وسلمني بنته زوجة عن طيب خاطر ورضا ولا يكون له على من حجة فيقول لي ما تممت الوعد ولا جئت بالرسم المضروب على القسطنطينيه وان كانت مستقلة لكن عاهدته ان أسير اليها والى كل البلاد التي أشار لي عنها انها بحوزته

وأمتنعت عن دفع الجزية قال سأقدم الجزية اكراما لك لا له وأزيدك فوقها انى اخذ معي كل ماهو عزيز وثمين ليكون فى خدمتك وتحت أمرك فلا يعود لكسرى من حجة عليك وبعد ان أقام الملك أسطفانوس نحو ثلاث ساعات عند العرب ودعهم ونزل الى البلد وقد دعاهم فى اليوم الثانى الى وليمة ليكونوا كل مدة أقامتهم القليلة فى ضيافته فاجابوه الى ذلك وأقاموا بعد رحيله يتحدثون بشانه وقد قال الملك النعمان ان السعادة برافقتنا اينما حللنا فاذا كان الملك اسطفانوس معنا انتفعنا به كثيرا لانه رجل عاقل طبيب ماهر خبير باحوال البلدان وصفات اهلها وعوائدهم نير الفكرة متوقدها فلما يخطئ رأيه عن الاصابة فقال الامير حمزة ان قلبي قد مال اليه كثيرا واحببته حبا خارقا للعادة ولم يمل قلبي الى رجل قط مثله الا البزرجمهر الوزير وانى اشكر الله على هذا التوفيق لاننا بوقت قريب وصلنا الى هذه الجهات دون ان يشهر احد بوجهنا حساما بخلاف المظنون وما من ملك او عامل قصد عنادنا وسعى فى هلاكنا وانى اطلب منه تعالى ان تكون بقية اسفارنا فى هذه المرة مثل ما مضى فقال اندهوق لابد لنا فى سفرنا هذا من ملاقاة اهوال وصعوبات كما نلاقى توفيقا فسبحان الحي القيوم الذى قدر علينا ما لا نعلمه

قال وصرفوا باقى ذلك النهار وتلك الليلة فى المعسكر والامير حمزة يتمنى ان يشرق اليوم الثانى لينزل الى المدينة ويشاهد اسطفانوس ويتفرج على ماحوته القسطنطنية من الزخارف والتحف وعند الصباح ركب الملك النعمان وركب الامير حمزه واندهوق ومعقل البهلوان واصفران الدربندى والامير عقيل وباقى الامراء من العرب ومن جاراهم وكلهم بشوق زائد الى الفرجة على تلك المدينة العظيمة

وعندما قربوا من ابوابها وجدوا اسطفانوس قد جاء لملاقاتهم فترجلوا وتقدموا اليه وسلموا عليه ومشوا فى أسواقها وتركوا خيولهم فى الخارج لان اسواق المدينة كانت مبلط بالرخام الابيض المشغول بالنقش الرومانى بعروق سوداء مصنوعة على نسق جميل مما يدهش العقول وكذلك جدران الاسواق واغطيتها كانت مغطاة بالواح من خشب الجوز المدهون وبين كل لوح ولوح خط اصفر ذهبي يلمع كالذهب فداموا المسير وكلما مشوا فى سوق يروا شيئا جديدا الى ان وصلوا الى سراية الاحكام فوجدوا بابها من الرخام واعلاه من النحاس الاصفر المنقوش وعليه رسوم وتماثيل عجيبة تاخذ الابصار لم ير النعمان ولا غيره مثلها وعند جانبي الباب اسدان من النحاس الاصفر كل واحد منهما بقدر الاسد الكبير واعينهما متجهة على الدوام الى كل من ينظر اليهما وبعد ان دخلوا باب السراية نظروا هناك العجائب من كثرة التحف والتماثيل المصنوعة من عمل قدماء اليونان المجلوبة وبالاختصار بعد ان صرف العرب أكثر من نصف النهار بالفرجة على دار الحكومة عاد بهم اسطفانوس الى قصره الخاص

المطل على البحر فدخله الامير حمزة وجماعته وقد اندهشوا من حسن صناعته اكثر مما اندهشوا من عجائب صناعه السراية وجلسوا على كراسى من الذهب اعدت لهم واحضرت مائدة الطعام فاكلوا من ذلك الطعام الشهى الذى لا يوجد الذ منه ولا اتقن من صنعته .

و بعد ان فرغوا من الطعام جاءهم بقناني المدام وطاسات من ذهب الخاص فوضعت بين ايديهم فشربوا من صافي المدام واكلوا من نقل القسطنطينية وفاكهتها وصرفوا النهار الى المساء وعند المساء عادوا الى المعسكر واهل المدينة رجالا ونساء تزدحم حولهم يتفرجون على الامير حمزة و يشاهدون معنى جماله ليروه هل هو كما شائع عنه فوجدوا عليه من الهيبة والوقار ودلائل الاقدام والبسالة ما اعجبهم وذموا كسرى كيف امتنع عنه ولم يزوجه بينته ومارأته بنت الا وتمنت ان تكون زوجة له ويكون بملاها . ودام الى ان دخل المعسكر وهو مسرور مما شاهد فى نهاره ومما وقع له من الاعتبار والتعظيم فى قلوب اهل القسطنطينية واعظم سروره من اسطفانوس الملك ورقة معانية وكرامة اخلاقه وكان يتمنى ان تكون مهر دكار معه وتقاسمه تلك التهانى والاحتفالات وتتفرج على بلد هى اعظم من بلاد ابيها بالوف مراتب وقد وضعت تحت سلطنته وارادته وعزم ملكها على تركها رغبة فى خدمته وان يكون بين يديه مدة حياته كل ذلك مما يجعله ان يكون مفتخرا على الفرس وملكهم ونام تلك الليلة فى سريره وهو على مثل هذه الافكار والهواجس مسرور افى مجيئه الى تلك النواحى ليلاقى فيها محبته وتتعرف بها اهلها . ولما كان الصباح ركبوا ايضا ونزلوا المدينة فصادفوا الامير اسطفانوس بانتظارهم فاخذهم وانزلهم فى قوارب مختصة به من عمل اليونان وطاف بهم البحر وسواحل المدينة كلها وانزلهم فى شاطئ عند الجهة الشمالية كان قد اعد لهم الطعام به فاكلوا هناك واقاموا ساعات ثم عادوا الى الطواف بالبحر ورجعوا بعد ذلك الى الوزراء وهم باندهال وحيرة وعندما صاروا على البرودعهم الملك اسطفانوس وعول على الرجوع .

فقال له الامير حمزة اعلم أيها الملك العظيم انى لا احب ان ابقى فى هذه المدينة اكثر من يوم واحد ومن ثم اريد المسير والعود الى بلاد غير هذه واريد منك ان تكون على اهبة السفر وتامر باحضار كل شيء وتاتى بالاموال المعينة لاضمها الى الاموال التى جمعت من غير هذه المدينة . قال انه كان احب عندي ان تبقى كل عمرك فى هذه المدينة فاخدمك انا ورجالى وتقدم لك كل ما عزوهان غير انى لما كنت عالما ان لا بد من الرجوع الى المدائن كان بعد طوافك فى البلاد لى من أصغى اليك وانى ساكون بعد غد على حالة السفر فامن عاقة منى قط . فشكره حمزه على كلامه وعاد الى المعسكر وفى اليوم الثالث جاء رسول اسطفانوس وطلب من الامير

حمزه ان ياذن الجميع رجال العرب كبيرا وصغيرا ان يدخلوا المدينة ويتفرجوا عليها اذ لم يكن باق لهم في تلك الارض غير ذاك اليوم ويكونوا كل النهار بضيافة اهل المدينة فاعجب هذا الامر الامير حمزه وشكر من اسطفانوس وسمح لرجاله باجمعهم ان يدخلوا المدينة ويتفرجوا عليها وأوصاهم بان يحفظوا الاداب ويسلكوا مسلك الحشمة وعند المساء يعودون الى مراكزهم فكادوا يطيرون من الفرح واندفعوا افواجا الى ابواب المدينة . وكان الملك اسطفانوس قد حضر الى باب المدينة ومعه جماعته من القواد والاعيان فقسم عليهم رجال العرب واوصاهم ان يطوفوا بهم في ازقة المدينة ومنتزهاتها وان يطعموهم ويضيفوهم ويجروا معهم كل اكرام وتبجيل ولا يقللوا من ضيافتهم واخذ هو الامير حمزه وجماعته وذهب بهم الى ضواحي المدينة واقاموا بحيث كان قد اعد لهم وليمة هناك فخرجوا امامه وطافوا في تلك النواحي توغل الامير حمزه في البراري فاصطاد شيئا كثيرا من الوحوش والارانب وجاء بها للطعام وصرفوا ذلك النهار من احسن الايام التي مرت على الامير حمزه والعرب وعند المساء عادوا الى المعسكر فرأوا رجالهم قد لفوا وعادوا من المدينة بعد ان لاقوا فيها ما ادهشهم وحيرهم

ونام العرب في تلك الليلة وفي نية الامير حمزه انهم في اليوم التالي يستعدون للسفر ويقبضون الاموال من الملك اسطفانوس ملك البلد ويسيرون به الى حيث يقصدون ولما كان الصباح نهض الامير من فراشه واذا به يرى الاحمال خارجة من ابواب المدينة على ظهور الرجال وقد اتوا بها الى بين يديه وصرفوا قسما كبيرا من النهار على مثل هذا العمل حتى انبهر من كثرة الاموال ومن عظم ما شاهد فكان اسطفانوس قد اختار ان يأخذ معه كل ما في المدينة من التحف والذخائر والذهب والجواهر ليجعلها في خدمة الامير حمزه يستعين بها على حياته واحتياجه هذه فضلا عن الاموال المضروبة عليه اى التي فرضها عليه الامير ليضمها الى الاخرجة التي يجمعها عن سبع سنوات تحت اسم الملك كسرى

وبعد ان فرغ اسطفانوس من ذلك واقام حاكما على المدينة من قبله كان يعتقد به اللياقة والاداب واوصاه ان يكون على العدل والحلم وان لا يراعي جانب احد بل يقصد مراداة الله سبحانه وتعالى وحقوق الرعية وبالاختصار انه خرج من المدينة وخرج لوداعه اهل مملكته برمتهم وهم يتاسفون على فراقه ويبكون لبعاده لانه كان محبوبا عندهم جدا ومن ثم أقلعت العرب عن تلك الارض وانعكفت راجعة الى الوراء وقد تبع اسطفانوس قوم كثير من رجاله واعيانه وقسم كبير من عساكره حتى كاد يضيق بهم الفضاء وبقوا في مسيرهم مدة أيام حتى عادوا الى حلب فتلقاهم الامير نصير وأضافهم مدة ثلاثة ايام وقد تعجب من حسن حظ الامير حمزه وسعادته ومن كثرة الاموال التي جاء بها . وبعد ذلك رحلت العرب من هناك طالبة بلاد

اليونان لانها من جملة البلدان التي عدها كسرى له وكان في المقدمة عمر العيار وهو سائر امام الجميع يأخذ بهم اقرب الطرقات وما برحوا على مثل هذا السير حتى قاربوا بلاد اليونان وكان الحاكم على تلك البلاد ملك اسمه اسطون اليوناني فلما سمع بقدوم العرب اليه وكان قد وصلت اليه كتابة الملك كسرى وجرى على قلبه ما جرى على غيره من محبة الامير حمزه قبل ان يراه ولذلك بعث بوزيره ان يلاقيا العرب على بعد من المدينة وان يدعيا الامير حمزه ورجاله الاخصاء الى ضيافته داخل المدينة لانه افرغ القصور واعدها لمنامتهم كل مدة قيامهم في تلك المدينة فسار الوزيرين حتى اقبلا على الامير حمزه وهو سائر في المقدمة خلف اخيه عمر فترجلا وحياه باحسن التحيات وبلغاه سلام الملك اسطون ودعونه وانه ارسلهما اليه ليخدماه الى حين دخوله المدينة فلما عرف منهما وزيران عند الملك اليوناني وانهما جاء على ماتقدم وفي نيته سيدهما ان يكون صديقا له ولا يشهر سلاحا في وجهه فرح غاية الفرح وسر مزيد السرور واجاب دعوة الوزيرين وامرهما بالركوب بعد ان اثنى عليهم مزيد الثناء ودام على سيره الى ان بانت المدينة وظهرت لهم فاراد الامير أن يامر عساكره بالنزول واذا بموكب قد خرج من ابواب البلد بالموسيقات والزين الفاخره وعرف الامير انه هذا هو الملك اسطون وقد جاء لملاقاته فتقدم الى قرب منه وعرف كل واحد منهما الاخر حق المعرفة فترجلا وسلما على بعضهما سلام المودة ومن ثم سلم الملك اسطفانوس والنعمان واندهوق وباقي الاعيان

وبعد الفراغ من السلام طلب اسطون من حمزه ان يزوره في المدينة ويقيم عنده في قصره وكذلك باقي السادات فيقيمون في ضيافته ليلا ونهارا مدة وجودهم عنده فسر الامير من عمله وكان قلبه قد مال اليه كل الميل فعلم انه حسن الطوية صادق القول فركن له كل الركون وسار الى المدينة بعد ان امر الامير عقيل ان يبقى مع المعسكر ويرعاه ويلاحظ احواله ويبقى سائرا في الاول الى اذ وصل الى باب المدينة فوجد نساء تزدحم عندهم افواجا افواجا وكلهم بالملابس الفاخرة على النسق اليوناني وفوق رؤسهم قبعات من القش والمخمل وغيره على اختلاف المشارب ورأى النساء سافرات الوجوه مثل الرجال فعلم ان تلك عادة مالوفة لعدم وجود الغش والخداع بينهم وان كل واحد منهم يركن للاخر حق الركون يطلق لزوجته ونساءه الحرية ليقامحنه في حقوق الراحة وان المرأة الغير مستقيمة لا تستقيم الا اذا حجبت ومنعت عن مراى الناس بل ربما تصورت ان مرأى الناس يبيح لها المنكرات فحجبت عنه وبالاعكس المرأة المستقيمة لا تتهور اذا اسفرت غير ان الاختلاط في العوائد لا يحط من قدر اهلها عند ذوي العقول العاقله ولذلك لم ير للامير ان ذلك من قبيح العوائد بل صار متمضا بطرفه من النساء اللاتي هن اشبه بالبدر جمالا وبهاء ولازال الى ان وصل الى القصر الذي اعد لضيافته فدخل من خلفه الامراء والاعيان من اهل المدينة من

جماعة الامير واحضر لهم الشراب من اخر ما يعمل بالسكر والليمون وماء الزهر وبعد ذلك قدم الطعام وصفت الصحون من سائر الالوان ودعى الامير وجماعته للاكل فنهضوا وجاء المائدة وجلسوا وجلس الامير ثم حضرت زوجة الملك اسطون وبنته وسلم على الامير حمزه وجلستا على مائدة الطعام وصادف جلوس بنت اسطون تجاه الامير حمزة فنظر اليها نظرة على غير قصد فرآها من اجمل النساء وجهاوابهاهن منظرا معتدلة القامة مستديرة الوجه متلونة بلون البياض والاحمرار ناعمة الاطراف ورأى عليها من الجواهر ما يزيد فى حسنها ورآها ايضا تنظر اليه باستمرار كأنها مغرمة به فاعرض عنها وفى قصده ان يشغل فكره فلا يعود الى النظر مرة ثانية فى وجهها خوفا من ان تطمع بحبه واختشاه من أن تسلب لبه وقلبه لان جمالها كاف لانه يأخذ بعقل اشد الناس ورعا وتقاوة ويأتى باكبر الشيوخ فى حجر الغرام فيتجدد به زمن الصبا غير ان عمل الامير لم يكن كاف لان ينسخ صورتها من ذهنه ويمسح ذاك الرسم الذى طبع من نظرة واحدة فعاق فى ذهنه وخاطره كما يعلق رسم المصور باله وتغرافى ببرهة لا تزيد عن ثوان قليلة وفوق ذلك ان الرسم المذكور اخذ فى ان يرسخ شيئا فشيئا على غير قصد من الامير حمزه حتى انه لولا تعلقه وشدة صبره لصاح وخرج من تلك المائدة بعيدا عن ذلك القصر ليتخلص من نتيجة تلك النظرة ولم تخف حالته على بنت الملك اسطون فسرت بداخلها وتعجبت كيف ان اصابه الهيام الذى اصابها غير انها كانت تنظر اليه بجرأة غير ملتفتة الى من حواليها اذ ان لها الحق فى ان تكون فائدة لنفسها على الطرق الحميد

وبعد ان فرغا من الطعام تقدمت بنت اسطون الملك من الامير حمزة وسلمت عليه بلسان عربى فصيح مع تعليم فى لسانها اليونانى فزاد هيامه على رغم انفه وتكدر من نفسه وزيد التكدر ولولا حياؤه من ابيها الاعرض عنها لا كرها فيها بل تخلص من حبها كونه كان قد سبق فربط قلبه بمحبة مهردكار ووعدها ان تكون زوجة له وسيدة نفسه الا انه اجابها على كلامها بالاختصار وطلب من الملك اسطون ان يذهب به فى اسواق المدينة ليتفرج عليها وقد قصد بذلك البعاد عنها عساه يضيع رسمها من ذهنه وهواها من قلبه العامل على الخفقان المستمر من حين نظر اليها فاجابه الملك اسطون الى سؤاله ومشى امامه الى المدينة وبعد ان دوره هو وقومه فى شوارعها ومناصفها ومرايضها ويخبره عن كل محل ومن اى زمن بنى والامير يسمع وهو مشغل الفكر ضائع العقل وصرف باقى النهار وفى المساء ذهب به الملك اسطون الى قصر ملاصق قصره الخاص فادخله اليه وقال له هذا قصر منامتك ما زلت عندنا وفى بلادنا واعد ايضا لكل ملك وامير من العرب مكانا لمنامتهم وتركهم تلك الليلة ينامون براحة لعلمه انه من جرى السفر فى مشاق طويل ولما دخل الامير حمزة واختلى بنفسه جعل يفكر فيما

جرى له فكاد يضيع صوابه وقال فى ذاته كيف يمكننى ان أسلم قلبى لفتاة ثانية غير مهردكار فمن اين جاءت هذه الصبية ولما أحبها قلبى وشغل بها ضميرى واضحت موضوعا للنظر عندى مع انى اكره وقوعى بحب غير من أحببتها الا كون امينا على الوفاء معها نعم انى اعرف انها هى تكون على الدوام فى الدرجة الاولى عندى وان اكن قد أحببت سواها لكن ماهو السبب الذى يضطرنى الى ركوب مثل هذا الامر الغير المحمود . وقصد الامير حمزة مرارا ان ينام فلم يقدر بل كان يقوى عليه هوى بنت الملك حتى رأى ان لامندوحة له من حبها ولا بد من ان تكون موضوع الافكاره وان هذا الحب وقع عليه بيد القضاء والقدر رغما عنه وان الله بذلك قصد لا بد من انفاذه فسلم امره لله تعالى وترك بافكاره واميالة الى تلك الفتاة اليونانية فغاصت نفسه فى معنى جمالها وتاقت الى التقرب منها وزادت فى عينه بهاء وحسن وكبر حبه حتى ملا قلبه ولبه ولذلك انشد

تراءت لعين وهى بالشعر تحجب — تخلت شعاع الشمس بعلوه غيهب
ولم تحتجب بعد الظهور وانما — بتنزيهها من ذاك طرفى يكذب
وماهى الا شمس فى الافق اشرقت — بدور سناها بعد ما كان يغلب
مهاة رعت حب القلوب فما لها — تروع نفارا وهى للانس تنسب
وكلت الاحشاء بعوسى لحظها — فاصبحت منها خائفا اترقب
وعذب قلبى دلها بنعيمه — ولم ادر انى بالنعيم أعذب
وابدلت مزن الدمع فى الخد — جوهر الم ترباهدب فدماه يثقب
حكى حسنها بدر الدجى متكلفا — وراح بها تيك الحكاية يغرب
وسل ثغرها المعسول من لمس به — والاعين الصهباء بالمسك يرسب
فوجنتها والثغر تسار وكوكب — وطلعتها والشعر صبح وغيهب
وقامتها والردف غصن وبانه — ومقلتها والصدغ سيس وعقرب
جنتنى اللمى فاعتضت عنه مدامة — وجمر اللمى عندى الذ واعذب

فلنترك الامير حمزة على فراشه يختبط بين ديجور افكاره وغرامه وصبح جمال بنت اسطون حبيبته الحديدة التى ارغم الى هواها على غير ارادة منه ويتمنى ان يتخلص منه اذا امكن ولنرجع الى بنت الملك وكان اسمها زهربان وقد أحبت الامير وتعشقته تعشقا عظيما قويا فلم تقدر على كتمان هواها بل تقدمت من أمها وقالت لها اعلمى يا أماه ان هذا الامير ظريف الطلعة جميل الوجه محبوب جدا ولذلك ترينى قد أحببته حبا خارقا للعادة حتى لم أعد اقدر على فراقه ولا أعرف كيف السبيل للوصول اليه . فقالت لها أمها انى أعذرك يابنتى على محبته فانى رأيته وعلمت انه فوق ماتقولين ولو كان من جنسنا يونانيا او بالحرى رومانيا لامكننا ان

نسعى بزواجك به لكن لما كان غريب الجنس وعربى الاصل نخاف ان لا يرضى مخالطة غير ابناء جنسه واذا كان يرضى الا انه على ما عرفت مولع بحب بنت الملك كسرى ملك الاعجام ولاجلها جاء هذه الديار وطرق البلدان وهذا الذى يدعونا ان لا نعلق الامل بزواجك به والا لو انه مال اليك كاملت اليه لكان تقرب منك واظهر لك حبه وميله وسأل فيك اباك وبهذه الطريقة كنت امينة على غايتك ومع كل ذلك فالاوفق ان تصبرى الى ان يتيسر لنا بابا نتوصل منه الى مفاتحة الامير بمثل هذا الشان وانا فى مساء الغد سافاتح اباك بهذا المعنى واتساعد واياه على نوال غايتك فارتاح فكر الفتاة من ذلك وذهبت الى غرفتها لتنام فلم يأخذها نوم ولعب برأسها الهوى واشغلها الحب وذهب بها الى ان باحت بما فى ضميرها واصفة عشيقها بقصيد غراء وهى

يابدر هندى لحظك الحد   جاوز فى الحد غاية الحد
وعنبر الخال صان حسنه   بنرجس اللحظ بانة القد
وصارم اللحظ ظل يحمحم   بقرب الصدغ وردة الخد
ياخذ بدر وقد غصن   وثغر در وجيد اغيد
قدطلق النوم فيك عينى   فهى له بالسواد تعتد
يالذوى الحسن هام قلبى   بشادن لحظه تأسد
اذا تثنى اوبدا شهدنا   هلال تم يهز املد
كليل جفن حديد طرف   كحيل عين مورد خد
شنيب ثغر شهى ريق   رقيق خصر مهفهف القد
هاروت عينيه قام يدعو   بسمر طرف له مهند
لما تجلى لعاشقيه   خروا له ركعا وسجد
أرسل فرعا فلاح فرق   حسبته فى الظلام فرقد
صان به ردفه ولم لا   يحجب ماصان وهو آسود
مبلبل الصدغ كسروى   الجفون فانى والخال اوحد
مضفر الشعر طاهرى   السنان دزيز البهاء مؤيد
روى لوردى وجنتيه   حديث نبت العذار مسند
وثغره الجوهرى لما   انبانا بالصحاح اسند
وقده العادلى يروى   عن كعب ثدى له تنهد
وحسنه اليوسفى لما   اطلق معنى الجمال جيد
مزرد العارضين احوى   يامن رأى الشادن المزرد

قد صار تفاح وجنتيه مخضبا بالدما معهد
وعاذ لى فيه لو راه سلم طوعا وما تردد
وظل يدعو الى هواه من لم يكن بالهوى تعود
يلومنى فى الغرام كفرا ولو بدا حسنه تشهد
ألم تر الخلق كيف ضلوا فى حسن معنى به تفرد
ويدعى بالشبيه جهلا اما هداه الجمال الاوحد
من اين للبدر لين قد مهما ثناه يكاد يعقد
اوكيف للغصن ورد خد اذا جرى ماؤه توقد
ام اين للظبي وجه صبح وفرع ليل وفرق فرقد
يفتر عن جوهر نضد ماأحسن الجوهر المنضد
من لى به جوهرى ثغر قد نضد الدر فوق عسجد
توجه الحسن اذ كساه حلة نور طرازها الند
مهفهف قلت اذ تثنى ياجامع الحسن انت مفرد
اولج فيه الحسود حسبي ان جميع الملاح تحسد

وكانت تنشد وزفراتها تتصاعد كأنها قريحة من جرى العشق الذى فعل بقلبها منذ ساعات قليلة فعلا لم يفعله بغيرها منذ أشهر واعوام وبقيت تفكر فى معنى حالتها وما اصابها وقد لاح فى ذهنها كلام امها مع انه ربما كان لا يرغب فيها ولا يرضاها مع أنها شاهدت ارتباكا وضياعا وحدثها قلبها أنه لا ريب هام بها ولهذا خطر لها ان تذهب اليه فى نفس تلك الليلة وتعرض حالها عليه وتعرف منه هل يحبها ويرضاها او يتركها ويعرض عنها وقالت فى نفسها ماذا يا ترى يصير لى ويجرى اذا ذهبت اليه ودخلت عليه وعرضت بذاتى بين يديه ألست جميلة وجمالى كاف لان يرضيه او ليس هو من النوع الانسانى الذى خلق طبعا باميال تمتاز عن سواه من الخليقة فيرغب فى كل شيء حسن ويحب كل جميل نعم انه دون شك يميل الى ويرضى بالاقتران مني ولا الام على ذلك فانى اسعى فى صالح نفسى واحك جسمي بظفرى كيف اتأخر عن ذلك وهو مقيم فى قصرى وبالقرب مني وبينى وبينه اذرع قليلة فيا لسعادتى اذا وافق طلبي ووعدنى بالحب ومارأيته منه فى هذا النهار يجعلنى ان اعدنفسي بالسعادة ولما استحسنت هذا الامر ورأيت ان لابد من المسير الى مكان الامير والدخول عليه فى غرفته نهضت الى ثيابها فلبستها وتزينت باحسن زينة وتطيبت بالطيوب الزكية وخرجت من غرفتها ومشت فى سلم طويل انتهت منه الى دهليز يتوصل منه الى ساحة الدار المقيم فيها الامير ولما انتهت الى نصف الدار رأت شخصا يمشي فارتاعت واجفلت وعولت على الرجوع وقد خافت كل الخوف ولم تكن تعرف من ذاك

الشخص وكان الامير عمر واقفا لانه كان لا ينام الليل بل يصرف الظلام ساهرا على الامير خوفا من الغدر به ومن ان يكون له عدو يفاجئه على حين غفلة فلما رأى زهرباني ولم يكن يعرفها ولا عرف من هي بل رآها آتية من الدهليز الى جهة الدار صبر عليها ولم يبد حركة الى ان صارت في ساحة القصر فجاء الى جهتها ولما راها قد خافت وارتاعت وتأكد انها امرأة قال لها من انت وماذا تريدين فابدي غايتك ولا تخافي بؤسا فاني وحياة الامير حمزه اساعدك عليها اذا كانت حميدة فقالت من أنت فاخبرني عن نفسك او لا فاخبرك بامري قال لها انا عمر العيار اخو الامير حمزة واني ساهر عليه الان حتى لا يقدر احد أن يدنو منه بغدر قالت معاذ الله فاني وقيعة بك ايها الامير فاجبر كسري يسهل لي طريقا لنجاتي من عذاب الهوى . فقال لها من تهوين ومن هو الذي اساعدك عليه قالت رأيت أخاك حمزه فعشقته وهويته ولم يكن من سبيل للوصول اليه فخاطرت بنفسي ورماني حبي الى التطرف بالاعمال فاتيت التي نفسي بين يديه واسأله ان يرضاني خادمة له وقرينة فابقى كل العمر عنده وبين يديه ولحسن الحظ قد صادفتك الان فاجب سؤالي وارحم ذلي قال لها ابشري بالخير فان هذا الذي أريده أنا ولا يمكن لاخي حمزه ان يخالفني به ثم انه جاء الى جهة غرفته وطرق الباب فصاح به وكان او انئذ كما تقدم الكلام يتقلب على فرش الاوهام وافكاره وقلبه يتلاعبان بين أيدي الغرام والهيام . فقال له عمر افتح فلدي بشارة اريد ان ابشرك بها فانهض اليه وفتح الباب وقال له ما هذه البشارة في مثل هذا الوقت فقال له ان فتاة جميلة بديعة عجيبتني جدا تريد أن تدخل عليك وتعرض نفسها بين يديك وهي بنت الملك اسطون فشعر حمزه بخفقان في قلبه وارتعاش في جسمه وقال لعمر ما لنا ولها فلا اريد ان أقابلها بمثل هذا الليل فان ذلك معيب وعار علي قال ليس بذلك شيء من العار لانها تقصد ان تكلمك بعض كلام فقط ولا تقصد غير ذلك فضلا عن انه لا يعلم احد انها جاءت الى هنا غيرنا ولا بد انك تتزوج بها وتترك عنك مهردكار قال ويلك اتظن اني اذا تزوجت بها اقلل من محبة مهردكار هذا لا يمكن ابدا

ثم انه امره ان يدخلها عليه فدخلت زهرباني تتجلى كانها العروس وقد عبقت روائحها الزكية في انف الامير فانتعش به صدره وطاب خاطره فنهض اليها ولاقاها ببشاشة وترحاب واجلسها الى جانبه فارتاح بالها نوعا وسكن جاشها الا انها كانت بارتياب من جهة مواجهته لا تعرف ما يكون من امرها وامره هل انه يستحسن عملها او يستقبح وظنت مثل هذا الظن لعلمها ان العوائد العربية ترى ان من الواجب تأدب النساء في اجراءاتهن تاديبا كاملا فلا يسعين خلف من احببنه ولو كان يونانيا لكانت مطمئنة الخاطر ناعمة البال تدخل بجراءة واقدام عالمة انه لا يستقبح مثل هذا العمل وبعد ان حيته وسلمت عليه أخذت تحدق بوجهه ثم قالت له اني أحبك وحبي الذي حملني ان أزورك في مثل هذا الوقت لاعرض نفسي عليك ان أكون

عندك وأرضي من نفسي كل الرضا أن أوافقك أينما سرت وفي أي مكان سكنت . قال اني عرفت محبتك منذ رأيتك في النهار ولحق بك وقد حاولت أن أبعد عني أمر حبك كوني مرتبط بالمودة مع سوالك أي مع مهردكار بنت كسرى ولذلك أجهدت نفسي كثيرا لامنع حبك عني وأبعد غرامك عن قلبي فلم أقدر وقبل ان وصلت الى كنت مشتت الافكار ضائع العقل لا أعرف ماذا أعمل والى من اشكو هذا الاضطراب قالت اشكيه لي فاني أساعدك عليه وارفع عنك أثقاله انت تحبني وأنا احبك وهذه المحبه واقعة بالرغم عنا على غير قصد منا فكان الله سبحانه وتعالى تريد ان يكون ذلك لغاية حميدة يقصد بها ازدواجنا . واني أرى ان ما من مانع يحول بيننا فمنذ اول مرة طلبت الى ابي ان يقربك بي ويسمح بزواجي لاجاب في الحال وسعى باتمام العمل وهذا لا يكون من كسرى قط . قال اني اعرف ان اباك ارق طبعا من كسرى واوسع عقلا وحشمة غير اني سلمت قلبي الى بنته طوعا واختيارا هي دون شك تستحق ان تاخذ بقلبي وكل حواسي لانها ودودة كريمة الصفات يندر وجود مثلها بين ربات الخدور وعليه فاني اسالك المعذرة عن ذلك فالحب كامن لا يتغير وقد سبقتك واخذت المقام الاول فاذا شئت ان تكوني عندي فسيكون بك بعدها المقام الثاني وهذا الشرط الذي شرطته عليك فقالت اني راضية بكل ما تشرطه لعلمي انك تعاملني برقة قلبك وطيب سريرتك فاذا كنت خادمة عندك كنت في مقام السيدة عند غيرك . فاعجبه كلامها وقال لها ماذا تريدين الان وكيف افعل قالت اريدك في الغد ان تطلبني من ابي وتساله ان يزفني عليك وهو لا ريب في انه يسالني فأخبره بحبي وحالا نقترب من بعضنا فوافق الامير على كلامها وطيب بخاطرها ووعدها انه في الصباح يخابر اباها بشانها ويساله عن زواجها . وبعد ذلك ودعته ورجعت الى مكانها مسرورة الخاطر مطمانة البال وقد ثبت عندها انها في اليوم الاتي او التي بعده ستكون بجانب من احبته ويكون لها راحة وهناء عظيمين ولهذا نامت غير قلقة وكذلك الامير حمزة فانه بعد ان كان مضطرب الخاطر يتقلب على سريره لا يزوره سلطان الكرى نام في الحال امينا على نية منه انه في الصباح يطلب الى ابيها ان يزوجه بها وهو مؤكد انه يتمنى ذلك ولا يكرهه وعلما منه ان من عوائد اليونان ان يعهد الاب الى ارادة بنته فتختار من تريد ومن اختارته يزوجها اذا كان موافق شرفه شرفها والا فعليه ان ينصحها فقط ويبين لها غلطها فاذا امتنعت كان خيرا والا فلا يزيد في ذلها وقهرها بل يكون قد تخلص من اثقال عذابها والقاه على عاتقها

ولما كان صباح اليوم الثاني نهض الامير حمزة من فراشه وغسل وجهه ولبس ثيابه وعزم على الخروج واذا بالملك أسطون قد جاء ودخل عليه لقدو قال له جئت لخدمتك في أول النهار لاسير بك وبقومك الاعيان الى جهات المدينة لتتفرج على المدينة وعلى ما أقيم بها من المصنوعات الغريبة من صنعة اليونان وفلاسفتها وترى المراصد والمراسخ والمعامل التي فيها

تشغيل كل أنواع الاقمشة مما لا يوجد فى بلاد الفرس ولا غيرها من البلاد فضلا عن انه يوجد عندنا ميدان ينصب لقتال الثيران على صفة غريبة لم يوجد عند غيرنا من الامم
قال انى أحب ان اتفرج على كل ذلك غير ان لدى شيئا عظيما اكثر اهمية من كل الاشياء أريد ان اعرضه عليك واسالك فيه قال مر بكل ما تريد فاقضى لك مطلوبك واسعى فى انجاز امرك قال انت تعلم انى احببت بنت الملك كسرى ووعدنى بزواجها وكان بنيته الوفاء غير ان عدوا الى حال بينى وبين غايتى فجعل يختلق لى الموانع ويبعدنى خوفا منى واملا بهلاكى وانا صابر وعليه حبا ان اكون قد تزوجت بنته برضاه لا بالرغم عنه لئلا يقال بانى تزوجتها سبية عند من لا يعرف غدر ابيها وظلمه ولهذا السبب أتيت الى هذه البلاد واما الان فانى قد رأيت بنتك زهربان ومال اليها قلبى ميلا غريبا مع انى كنت أظن ان القلب مقيد بهوى مهردكار فقط وأريد منك ان تسمح لى بها فاتخذها زوجة بسنة الله وتبقى عندى طول حياتها . فلما سمع الملك اسطون ذلك اظهر فرحه وسروره وقال له ان هذا مما أحسبه سعادة لبنتى ولى فانت ممن تقدم له الارواح ولا يبخل عليك بشىء الا انى أرجوك أن تسمح لى ان أذهب الى بنتى واعرض عليها هذا الامر لان من العادة عندنا أن ترضى البنت وتقبل بالزواج المتقدم لها واشرح لها عنك واذكر لها صفاتك وهى لاريب تلاقى ذلك بالقبول والرغبة لانها عاقلة مهذبة تعرف لغات العالم وتواريخها واحوالها . فقال له افعل ما يحلو لك وفى الحال ذهب الملك اسطون الى زوجته وأظهر لها فرحه وقال انى اعلمك ان الامير حمزة طلب الى ان ازفه على بنتى ولا اقدر أن اصف لك الفرح الذى لحق بى من جرى ذلك لانه وحيد فى زمانه ولا يوجد له ثان فى كل بلاد اليونان ولا فى غيرها حتى ان كسرى يخافه ويرهب سطوته وقد وعده بزواج بنته وأريد منك أن تدخلى على بنتك وتعلميها بذلك واذا امتنعت اقنعيها به واخبريها ان ذلك باب الفخر لنا ومن دواعى السعادة لها . قالت له الا تعلم ان القلب للقلب سبيل فكيف ان زهربان لا تقبل بزواجه وهى مغرمة به غراما قتالا حتى انها جاءتنى فى الامس وشكت الى حالها وانها علقت بمحبة الامير ولم يعد لها صبر على فراقه فصبرتها على ذلك وسألتها ان تسكت عليه الى ان اجتمع بك واخابرك فى هذا المعنى ومن ثم تسعى فى سبيل تقديمها له زوجة والحمد لله قد جرى ذلك منه بطريقة شريفة فارجع اليه واجبه بالايجاب وباشر بقيام الافراح وانا سأدخل على بنتى وابشرها بزواجها بالامير واصلح شانها وادبر امرها . ثم ان ام زهربان دخلت عليها وقالت لها ابشرك يا بنتى فقد جاء الامر على احب ما تشتهين . فانهضى الى الحمام واغتسلى وتهيئى وكونى على حذر لملاقاة الامير فيعقد زواجك عليه منذ الغد وتقام الافراح فى كل البلد وتكونين بالحقيقة سعيدة به فان كان زواجك هذا تغيبين عنا وتبعدين الى اقاصى الارض لكن تكونين براحة بال عنك حيث تكونين زوجة لامير هو اعظم من اكبر الملوك بكثير . ثم

اخبرتها بما سمعت من ابيها وقالت لها لقد جاء الامر على احب ما تشتهين وتريدين فاظهرت فرحها وقالت لامها لاريب انه احبني كما احببته ووقع في قلبه ما وقع في قلبي فما ذلك الا بعناية منه تعالى حيث يريد ان يجعلني سعيدة

قال ورجع الملك اسطون الى الامير حمزة واخبره برضا بنته وقبولها برغبة واخذ بتدبير امر الزفاف واعداد مهام العرس من كثير وقليل وشاع عند اهل المدينة هذا الخبر ففرحوا فرحا لا يوصف بقربهم من الامير الذى كانوا يحبونه محبة عظيمة ولم يكن فرحهم هذا باقل من فرح العرب جماعة الامير حمزه فانهم تيقنوا ان زواجه هذا من باب الخير له وانه لا بد ان يضعف حبه لمهردكار فيقل اعتباره لابيها ولا يعود الى اجابته مرة اخرى ويعرف ان غيره من الملوك يتمنى له الرضا وان يقبل بنته زوجة له وفي اليوم الثانى ابتدأ الملك اسطون بعمل الولائم وقيام الدعوات فزين المدينة من اربع جهاتها واشعل بها المصابيح وذبح الذبائح مدة ايام حتى ابتهج كل من حضر ذلك الزفاف وأخيرا جاءت القسوس والمطارنة فعقدت اكاليل زهربان على الامير وبارك له الجميع وفي اخر الليل دخل بها فوجدها كوكبا لامعا يضيء بانوار الـكمال وورات منه اسدا غضنفرا قوى العزيمة وصرفا وقت الهناء على احب ما يرام ومن زهربان هذه يلد ولدا اسمه عمر اليونانى فارس صنديد وبطل مجيد ويكون له شان فى هذه القصة ويفرج الكربات عن العربان فى الضيقات ولا سيما فى يوم حصارهم داخل حلب حيث يكون الامير حمزه مجروحا كما سياتى ان شاء الله

وبعد ان اكمل الامير أيام الهناء وصرف مدة أيام مع عروسه طلب الى الملك أسطون ان يسلمه الاموال التى ساله عنها ليضمها الى الاموال التى معه حيث من قصده السفر والمسير الى غير بلدان يطلب الاخرجة فاجابه ودفع له الاموال التى كان جمعها وأخذ منه وصولات بها كما فعل مع غيره ثم رفع الامير زوجته على هودج وركب على جواده الاصفران وامر جماعته بالركوب فركبوا اجمعا وودعوا الملك ورجال المدينة فخرجوا الوداعهم مدة أيام وعند رجوعه اوصى الامير ببنته وان لا يهينها ويتهامل عنها او يتركها بل يراعى جانبها ويتذكر انها غريبة محتاجة الى مساعدته فوعده بكل خير وان يكون لها أبا واما وزوجا وحنونا واخذت العرب تسير فى طريق مدينة قيصرية حسب ما هو مقرر لها فى امر كسرى وفى مقدمتهم عمر العيار حسب العادة يدلهم على الطريق الموصل الى بلاد قيصر وقد تعجب جميع من كان مع الامير حمزة من توفيقه ونجاحه مع انهم كانوا قد ظنوا اقبالا انه عند كل مدينة وبلد يحل بها ويطلب منها الرسوم والاخرجة يصادف ممانعة فيلتزم الى اجبارها بقوة السلاح وهكذا يصرف كل مدة السفر بالحروب والوقائع والتقل والضرب غير ان السعادة خدمته وصادف ما لم يصادف الملك كسرى نفسه لو كان جاء فى مثل هذه الخطة واما الامير فانه لم يكن ماخوذا بهذا الانتصار من جرى

السعادة والاقبال بل كان يرى من ذاته عدم توفيق ونجاح وكان قلبه مكودا على الدوام ويرى من نفسه انه قد ارتكب غلطا بزواجه بزهر بان لالكونه لا يحبها او ان محبته قلت من جهتها مع انه مغرم بها وغرامه كان يزيد يوما بعد يوم بل اكراما لخاطر مهردكار التي عند ما يبلغها خبر زواجه بغيرها تتكدر مزيد الكدر ويثبت عندها انه صار لها فيه شريك فتلعب بها الغيره مهما كانت ذات اطوار حميده وفاضلة فان للقلب في هذا المعنى شروط راهنة تحكم عليه وتجبره بالاحتدام والغيره ممن يزاحمه بحبه ويشاركه في محبته ويتعجب من ذاته كيف ان الدهر اوجبه بارادته تعالى الى ان يحب فتاه راها بالصدفة وتعشقها عشقا خارقا للعاده عظيما عن غير قصد منه وقد رغب في منع هذا العشق فلم يقدر واجهد ذاته في دفعه فلم يطيعه قلبه بل كان يظهر له انه باحتياج اليه وهذا كان همه وشغله وهو يكتمه ولا يريد ان يظهره بل كانت افكاره تتلاعب به ولا زال العرب في مسيرهم الى ان قربوا من بلاد الملك قيصر ملك الرومان وحاكم بلاد غسان ونحوها واذ ذاك قال للملك النعمان اني اسال الله تعالى ان يصادف في بلاد قيصر ما صادفناه في غيرها من البلاد والا اذا امتنع علينا هذا الملك العظيم الشان لاقينا في حربه الاهوال لانه يقارب كسرى عظمة وفخارا وكثرة اجناد ولا بد ان تكون قد وصلت اليه كتابة كسرى لحشد الجيوش وجمع الجنود وقصد عنادنا هذا اذا كان راغبا فيه والا اذا عرف الحقيقة كغيره ودعا لنفسه وتاكد ان كسرى قد ظلم الامير حمزه جازانا على مطلوبنا وانقاد الينا وفعل كل ما نريده منه فرحلنا عنه في الحال فقال الامير حمزه لا احد في الناس الا ويعرف الحق ومع ذلك فاذا اراد قيصر ان يحاربنا حاربناه وعندي اننا نفوز عليه وننال منه مرادنا وننزع بلاده منه

قال وكان الملك كسرى قد بعث برجاله الى الملك قيصر يعلمه بها بما كان من الامير حمزه واتيانه بجماعه العرب الى بلاده وان مراده ان يتزوج بابنته مهردكار فوعده انه راى ان شريعة البلاد لا توافق على غير ذلك وقاعدة الحضرية لا تسلم معه بتسليم بنته الى بدوي امتنع وقصد أبعاد الامير عنه فارسه في عدة مهالك فعاد منها منصورا واخيراً بعثه يجمع له المال من المدن والبلدان والملوك على أمل ان يصادف ويلاقي سفره هذا. ولذلك أريد منك أيها الملك العظيم ان لا تتكدر اذا رأيت معه أمري بالمسير منك واخذ الاخرجه منك فاني لا أقدر ان أهلكه هنا خوفا من الملامة والعتب فيقال انه اخلص بلاده من عدو وخارجين فاهلكه وهذا مما يجب طعن الناس بي غير انك انت اذا أردت هلاكه لا تلام عليه حيث يكون قد جاء بلادك بقصد التعدي عليك وأخذ أموالك فجازيته وجازيت جماعته بما أستحقوا وهذا فعله اكراما لي فيكون لك علي به الخير والمعروف والجميل الذي لا انكره الى الابد. فلما قرا قيصر كتابة كسرى أراد ان يعمل بحسب طلبه ويهلك له حمزة والذين معه واخذ في ان يقدح الفكرة في عمل

يبيدهم فيه دون ان يخسر من رجاله رجلا واحدا وقد قال في نفسه ان أنا تركت العرب يأتون بلادي وماحاربتهم لا وسيلة لهلاكهم الا بالحيلة والا ربما خسرت معهم لانهم افرس الابطال وقد ظهر لي من كتابة كسرى ان هذا الملك هو فارس صنديد يخشى باسه وترهب سطوته وعليه فاني أصبر عليهم الى أن يأتوا هذه البلاد ويصلوا الى المدينة وأسالمهم واعاملهم معاملة اللين والطاعة وأحتال على هلاك امرائهم ومن ثم أوقع بعساكرهم ولما فكر بهذا الفكر وتسهل له طريق النجاح صبر الى ان يرى او يسمع مايكون منهم وبقى صابرا الى ان عرف بانتقالهم من بلاد اليونان ومسيرهم الى بلاده فعرف ان الامر اصبح قريبا ولذلك جاء الى قرب نهر ماء جار في ضواحي المدينة اخال ماءه الى جهة ثانية وأمر ان يبنى هناك حمام على اسس من الملح على طريقة لاتظهر لاحد وامر البنائين ان لا يعلموا احدا بذلك وترك مجرى النهر بعيدا ليتمكن من أرجاعه على الحمام المذكور عند الحاجة

ومابرحت العرب سائرة حتى وصلت الى تجاه المدينة فضربت الخيام هناك وسرحت الاغنام والجمال منه وانزلت الاحمال عن ظهور البغال وعزم الامير حمزة ان يكتب كتابا الى الملك قيصر واذا به راه خارجا من المدينة بالملابس الفاخرة والزين فقال الملك النعمان يظهر ان الملك قيصر لا يرغب في القتال وقد جاء مسالما كغيره من الملوك فالحمد لله على ذلك ومن الواجب ان نخرج نحن فنلاقيه الى نصف الطريق فاجابه الجميع الى ذلك وساروا معه الى عمر العيار فانه قال لاخيه أني اخاف ياأخي أن تكون نية الملك قيصر خبيثة من جهتنا فان ضميري مرتاب من قبله. قال سوف نلاحظ عمله وكلامه فاذا كان يقصد لنا شرا بادبناه بالشر والا فاننا نتخذناه صديقا كغيره من الملوك ولما وصل القوم الى بعضهما البعض ابدى كل واحد للاخر تحياته وسلامه. وقال الملك قيصر للامير حمزة ان رسالة كسري قد جاءت الي واخبرني بانك سوف تاتي بلادي وقد طلب مني ان أسعى بهلاكك بعد ان حكى لي كل ما كان من امرك فعرفت يقينا انك مظلوم وأنه يريد ان يخدعك ويغشك وكدرني منه عمله كيف يريد ان يبرأ نفسه من هذا العمل وياتي غيره به لاسيما ان لاعداوة ولا سبب بيننا وبينكم فراده ان يلقي الخصام والعداوة والحرب وهو بعيد عنا فتكون الخسارة علينا نحن وقد نظرت موضع النظر فوجدت ان من الاصابة الاتفاق معكم ومجازاتكم على ما تطلبون. فقال له الامير حمزة اننا نشكرك على هذا العمل والرأي وسوف نخدمك في ماياتي من الايام ان شاء الله غير اني وعدت الملك كسرى أني اجمع له الاموال وأعود اليه في الحال لازف على بنته مهردكار التي خطبتها منه ونريد منك الآن ان تدفع لنا عشرة محاصيل بلادك عن سبع سنوات سلفا كما فعل غيرك فاذا فعلت ذلك نكون قد عرفنا يقينا انك تخلص الود معنا ونعطيك بذلك وصولات وتسلمنا ايضا رسالة كسرى التي بعثها اليك. قال ان كل ما تطلبونه اقدمه لكم غير ان لاخفاكم ان بلادي

كبيرة وواسعة جدا واحتاج الى وقت لجمع الاموال منها وأطلب اليكم انى تمهلونى الى أربعين يوما فاسلمكم كل ماتطلبونه وان شئتم سرت معكم برجالي وعساكري كما انا ولست بافضل من الملك اسطفانوس ملك القسطنطينية الذي رافقكم واختاركم على بلاده وكان الملك قيصر يتكلم بهيئة جدية حتى ظهر للعرب انه صافي السريره حسن الطويه لا يقصد شرا بل يريد ان يدفع الاموال كغيره من الملوك ولا شك جاء وابه بوزرائه واعيانه الى صيوان الملك النعمان واحتفلوا به احتفالا عظيما واكرموه غاية الاكرام وعند المساء نهض من عندهم وقصد الرجوع الى المدينه وقال للامير حمزه ولباقي قومه ان بلادي مفتوحه لكم على الدوام والمدينه مستعده لخدمتكم فادخلوها في كل يوم واحضروا في ديواني لتتفرجوا عليه وعلى مابه وعلى أحكام الرومان اذ لا يخطر لكم ان تعودوا الينا مرة ثانيه اذا لم تدعوكم الضروره الى ذلك فقال النعمان لا ريب اننا في كل يوم ندخل المدينة ونقدم فروض الشكر لك على ما أوليتنا من الجميل والاحسان. ثم انه ودعهم وذهب عنهم وفي قلبه الكيد والحقد وهو يتمنى ان يفوز بالمطلوب في عمله وينال النجاح التام

ومن ذلك اليوم صارت العرب تدخل المدينه في كل يوم والملك قيصر يولم لهم الولائم ويعمل الدعوات ويسير بهم من مكان الى مكان يفرجهم على أبنية بلاده وعمرانها والعجائب الموجوده بها الى ان مضى عليهم عشره أيام وهم مسرورون منه سرورا عظيما جدا وفرحون باعماله الا الامير عمر فانه في كل يوم يقول للامير اني لا أركن الى الملك قيصر وقلبي ينبهني انه يقصد لنا ضررا مع اني لا أرى منه الا كل خير واسأل الله ان يخلصنا من بلاده لنرحل عنها الى غيرها وفي اليوم الحادي عشر خرج الامير حمزه من عند زوجته زهرباز وركب جواده حسب العاده وجاء الى الملك النعمان فوجده بانتظاره مع باقي الجماعه فركبوا جميعا وساروا الى جهة المدينه وبقي الامير عمر في الصيوان عند زهرباز ولما دخلوا على الملك ترحب بهم كثيرا وقال لهم خطر في ذهني اليوم ان تذهبوا الى الحمام وتغتسلوا من أوساخ السفر ومن غبار الطرقات واقذارها لان الحمام ابنيته جديدا فهو نزهه للناظرين وقد عينت لكم عشرة انفار من خدمي يخدمونكم ويغسلون لكم اجسادكم فوافقوه على ذلك وقال له النعمان نعم ان الحمام هو نعيم هذه الدنيا وأني كنت عندما اتي المدائن أغتسل بها فاسر مزيد السرور فاجاب حمزة ذلك وأشتاق أن يغتسل بالحمام ليرى كيف يكون مع انه يسمع انه مكان لتنظيف الابدان نافع للاجسام غير انه لم يدخله قط بل كان يغتسل بالنهور بالماء البارد واذ ذاك امر قيصر بعض جماعته ان يسير بهم الى الحمام المقيم عند النهر الذي بناه جديدا وان يغسلوهم جيدا ويقدموا لهم كل حقوق المسرة ويكرموهم اكراما زائدا فساروا بهم وادخلوهم الحمام وبعد ان نزعوا ثيابهم دخلوا ليغسلوا ومعهم خدام قيصر

ودخلوا الحمام وهم امنون من حوادث الايام وطوارق الحدثان

وبعد ذهابهم نهض الملك قيصر فى الحال ودعا بقواد عساكره وقال لهم اريد منكم فى الحال ان تجمعوا الرجال والعساكر وترموا بقسيكم ونبالكم على العرب فلا ترجعوا عنهم حتى تهلكوهم عن اخرهم ويدون هجومكم من اربع جهات كى لايكون لهم مفرا يفرون منه او ينجو منهم احد فاجابوه الى طلبه وساروا فى الحال الى اتمام وعده وسار هو بنفسه واخذ بعضا من الفعلة الى جهة النهر وقصد ان يجريه على الحمام فيذوب الملح ويسقط الحمام على من فيه فيموت الجميع ويتخلص من شرهم وقد ثبت لديه انه نجح نجاحا عظيما وتيقن عنده الفوز بذلك عندما اطلق ماء النهر فى مجاريه القديمة

قال وكان للملك قيصر بنت بديعة الجمال كاملة الصفات حسنة الطوية لا ترغب فى ضرر احد من العباد تسعى فى عمل الخير وتجتهد فى مداراة الفقير ولذلك كانت على اختلاف مع ابيها كثر الاحيان لانه كان سىء الاخلاق يرضى بغير الاذى والظلم وقلة الانصاف عائش عيشة الخداع والخيانة ففى هذه المرة عرفت ان أباها قد نوى على الغدر بالعرب فتكدرت ولم يهن عليها ذلك لاسيما عندما عرفت قصة الامير حمزة مع الملك كسرى وكيف ان سبب ارساله فى جهات الممالك كان يستخلص منه ويمنع عنه بنته التى كان وعده بها فجاءت اليه وقالت له اعلم يا ابى ان العرب قوم اصفياء وامناء ولولا خيانة الملك كسرى ما جاؤا بلادك وطلبوا منك الاموال وليس من العدل الا اجابتهم الى طلبهم والمصافاة لهم فاتخذ حمزة لك صديقا وفيا فهو ينفعك لدى الشدات ولا بد من انه يقلب تخت الملك المالك على الاعجام فتستفيد من ذلك افادة عظيمة وتلاقى الخير الكثير وتتسع دوائر مملكتك والا فتندم فيما بعد غاية الندم فاراد خداع بنته فقال لها انى موافق على ذلك والحق بيدك ولا ريب ان الحق بذلك على الملك كسرى لا على العرب وقد اصبت بقولك فسكتت عند كلامه وهى تعرف باطنه وتاكدت انه ربما يكون قد أضمر خلاف ما اصدر وكان فكرها مرتكبا على الدوام بالسبب الذى اوجبه الى بناء الحمام جهة النهر على اسس من الملح ودعمه من الخارج من الخشب وقطع مسيل النهر من حوله وقالت لنفسها لابد لذلك من سبب امر خطير نواه وبقت صابرة الى ان كان اليوم الذى عزم به العرب الى الاغتسال بالحمام فادركت النتيجة ولذلك اسرعت الى جهة الحمام وهى غضبى من عمل ابيها تذمه وتذم اعماله وتامن الغدر ومرتكبيه الى ان وصلت الى خارج الحمام فامرت خادمها ان يضع لها سلما عليه بينما كان ابوها يشتغل بتتميم عمله وقد امر باطلاق النهر على الحمام واخذ الفعلة تشتغل بفتح اقنية بسرعة عجيبة قبل ان يخرج الامير حمزة وجماعته منه وصعدت السلم ووقفت فى نافذة صغيرة مطلة على فسحة الحمام الخارجية املامنها ان ترى احدا من سادات العرب فتطلعه على الدسيسة وبالقضاء والقدر كان الامير حمزة قد ضاق صدره من الداخل

نخرج يستنشق الهواء قليلا وينشرح صدره فرأته وهو على تلك الحالة ليس عليه الا المئزر فى وسطه وهو كالبدر فى تمامه فغرقت فى بحر هواه من اول نظرة رأته ولم تكن تعرفه فصاحت به ان ينظر اليها وقالت له من انت فاندهش من أعمالها ومن محاسنها وتعجب من وقوفها فى تلك النافذة والتفرج عليه وهو عريان وظن ان ذلك منها عن قلة تادب فقال لها انا حمزه بن ابراهيم امير العرب فمن انت وما تقصدينه فى وقوفك على هذه النافذه فقالت له انا مريم بنت الملك قيصر جئت لانقذك من خطر عظيم محيق بكم فاسرع الان الى خارج الحمام والاسقط عليكم وبعد نصف ساعة يتم ذلك وان ابى اقام هذا الحمام على اسس من الملح لهذه الغاية ولاجل ان يوقع بكم فيه وقد اخذ يشتغل باطلاق النهر عليه ليسقط وانتم داخله فاسرعوا حالا واخرجوا والا هلكتم وانى ارجوك واخبر ياسيدى ان لا تنسى وتذكر عملى معك

ثم انها نزلت عن السلم وراحت الى حال سبيلها فلما رأى الامير حمزه ما رأى طار صوابه فركض الى داخل الحمام وصاح برجاله الان فارجعوا والا هلكتم عن اخركم فان دسيسة عملت علينا ثم انعكف راجعا فركضو خلفه واخذ كل واحد ثيابه واسرع الى خارج الحمام وجعل يلبس وهو لا يعرف ما سبب تلك الدسيسة وما انتهوا من لبس ثيابهم حتى رأوا ماء النهر يتدفق الى مجراه القديم الى جهتهم فالوا بالسرعة الى جانب وللحال لطم الماء جدران الحمام واحاط به واخذ يجرى عليه وهم ينظرون الى ذلك ويتعجبون من هذا العمل الخبيث وفيما هم على ذلك واذا بهم يرون الحمام قد سقط دفعة واحدة وسمع لسقوطه صوت ودوى اضطربت منه المدينه فطار صواب الامير وعظم عليه الحال وعرف ان لولا تلك الصبية لكان هلك مع جماعة العرب وملوكها فاغتاظ جدا وجرد سيفه ونوى على الهجوم على الملك قيصر واذا به رآه مسرعا الى جهة الحمام ومعه رجاله الاعيان وفى كل نيته ان الحمام سقط على الامير حمزه فاهلكه مع رجاله وهو فرحان غاية الفرح بنجاح عمله واضطرب لما رأى ان الامير لا يزال سالما خارج الحمام وظن انه لم يعرف بدسيسته فاراد ان يتظاهر بالاعجاب ويسال الامير حمزه عما جرى فلم يمهله ولا يتركه بل انقض عليه والسيف بيده وصاح فيه قائلا ويلك ايها المخادع الغاش هل تظن ان العرب لا يعرفون بغدرك وخيانتك وقد هيات لنا هذه الدسيسة لتهلكنا الا تعلم ان الله معنا ولا يرضى بهلاكنا وقد جاء منه نذير واخبرنا بكل شىء عن عملك فاستعد للممات ثم ضربه بالسيف على ام رأسه فشقه الى وسطه فوقع الى الارض قتيلا ومال فى قومه قائلا ويلكم يا اوغاد غير اخيار لقد حل بكم الويل والبوار جزاء على فعل ملككم الخبيث وكذلك باقى العرب كاندهوق واصفران وغيرهما فانهم استلوا سيوفهم وهجموا هجمات الاسود ففر من امامهم جماعة قيصر يختبئون وقد ايقنوا بالفناء وشرب كاس الحمام فبينما الامير وقومه يطلبون اعيان قيصر اذ سمعوا الصياح والغوغاء من جهة معسكرهم

فقال هلك والله المعسكر ولا ريب أن قيصر قد دبر عليهم ايضاو نوى على هلاكنا وهلا كهم بوقت واحد ولذلك ركض الى خارج المدينة والسيف بيده ومن خلفه اسود القتال يزأرون ويطلبون الوصول الى ساحة المجال للافراج عن قومهم ورجالهم

لقد تقدم معنا ان قيصر كان قد أمر رجاله ان تغدر بعساكر العرب من اربع جهات بوقت واحد وذلك عند مايرون سقوط الحمام اى عند تأكيد هلاك الامير حمزه فسار معسكر المدينة واحتاطوا بالعرب وهم امنون طوارق الحدثان وفى كل نيتهم ان امرائهم عند الملك قيصر على التعظيم والاكرام وان لا سبب شر يقصدهم وكذلك كانوا على الدوام يسرحون ويمرحون ويلعبون وفيما هم على مثل ذلك غير حاسبين حسابا بالصروف الزمان وطوارق الحدثان واذا بسهام الاعداء قد وقعت عليهم كوقوع المطر الغزير عند اشتداد الرياح فاصابت مقاتلهم فارتاعوا واضطربوا واخذوا بغتة ولم يقدروا ان يعوا على انفسهم وجعل كل واحد يركض الى جهة وهم يقعون الى الارض ويتهومون ولا يرون سبيلا للخلاص لان كل الطرقات قد سدت بالرجال وصوبت منها الى نحوهم السهام فايقنوا بالهلاك والاعدام وشرب كاس الحمام وظن كل واحد منهم ان يوم الاخرة قد جاء وان هلاكهم فى تلك الارض لا محالة ولذلك جعل من يصادف الاخر يودعه ويصلى صلاة الممات واكثرهم يصيبهم السهام فتلقيهم الى الارض أما قتلا واما جرحا وفى تلك الساعة وصل سيد فرسان ذلك الزمان وغوث كل خائف وولهان الامير حمزه البهلوان وشاهد ما وقع على رجاله فطار صوابه وتدفقت الدموع من عينيه فصاح بمن معه ان ينقسموا الى اربعة اقسام ويتفرقوا الى اربع جهات فسار اندهوق البطل الموصوف الى جهة ومعه بعض السادات وكذلك اصفران الدربندى الى جهة اخرى والامير عقيل والملك النعمان ومعهم بعض الاعيان فى الجهة الرابعة بقى الامير حمزه وحده فصاح صياح الاسود وهجم هجمات الفهود وانحط على الرومان انحطاط الصواعق وجعل يضرب فيهم بسيفه البتار وينادى ويلكم ايها الاوغاد اخلوا عن العرباز ونجوا بانفسكم بامان فقد جاء الامير حمزه البهلوان ينتقم منكم ويلبسكم اثواب الذل والهوان . قال وبينما كان الرومان قد تاملوا بالنجاح والظفر وتاكد عندهم ان العرب ينقرضون من تلك الواقعة حيث ان فرسانهم هلكت فى الحمام خاب رجائهم وتقطعت امالهم عند ما سمعوا أصوات الامير حمزه وهو يصول ويجول ويلتهم الفرسان كانه الغول ومثله يفعل اندهوق بن سعدون وقد طير الرؤس واخمد النفوس وفرقها فى كل جهات وبينما كانت عساكر العرب قد وقعت بالارتباك وايقنت بالهلاك والمحاق اذ سمعت صوت الامير حمزه وهو يتخلل كثافة ذلك الغبار ويعلوا على تلك الغوغاء ورأوا ان الاعداء قد تاخروا الى الوراء فايقنوا بالنجاح وثبت عندهم ان

فرسانهم لايزالون احياء فاشتد ظهورهم وراو باب الفرج قد جاء فاسرعوا الانتقام لانفسهم فتناول كل واحد ما وقع بيده من السلاح بعد قطع الياس وهجم على اخصامه فكانت مصيبة كبرى على الرومان وايقنوا بالهلاك والقلعان فلم يروا وسيلة للفوز غير الهرب والفرار من وجوه العرب الاخيار فالوى كل واحد رأس جواده فطار فى الافاق وهو ينادى الامان الامان يافارس الزمان ياحمزة البهلوان فان لاذنب علينا نحن وكل الذنب على ملك الرومان هذا والعرب والامير حمزه يضربون باقفيتهم وقد اشفو منه الغليل واروا الـكبود وفرقوهم كل مفرق ومزقوهم كل ممزق ونثروهم على بساط البسيطه نثر الورق واخذ كل عاقل منهم يرمى بسلاحه ويسلم بنفسه اسيرا لخاطر العرب فيعفون عن نفسه وماجاء المساء الا والعرب قد فازوا الفوز العظيم ودخل الامير حمزه بعسكره المدينه ففرقهم واستلمها لنفسه وارهب كل من كان فيها ولما كان صباح اليوم الثانى امر ان تدفن جثث الموتى وتتوارى فى التراب وتغسل المدينة من الدماء التى لطخت بها من جرى غدر ملـكها ثم انه بعد ذلك دعا اليه أعيان المدينه وامرائها فوقفوا بين يديه اذلاء فقال لهم انتم تعلمون ان جل غايتى كانت ان اقبض الاموال التى جئت لاجلها بطلب الملك كسرى و من ثم اعود راجعا من حيث اتيت وقد وعدنى ملـكـكم بدفع كل ماهو مطلوب وطيب خاطرى قاصدا بذلك غشى وهلاكى وهلاك قومى غير ان الله سبحانه وتعالى محافظ على حياتى لايريد بهلاكى فارسل لى هلاكه بصفة احدى بناتـكم واطلعنى على دسيسته واخرجنى من الحمام حالا مع قومى وكان لى الحق اذذاك ان اقتله وانتقم لنفسي منه فقتلته وبعد ذلك وجدت أنه قد بعث بعساكره الى مفاجأة رجالى وقد داروا بهم وأخذوا فى أن يفنوهم ويهلكوهم فخلصتهم ولم أبق على ظالم قط وعليه فقد أحضرتـكم الان لاخبركم انى ما كنت ظالما عليكم ولا كنت أقصد شر الاحد من مدينتكم وما فعلته كان من قبيل لاخذ بالثار فاصغوا الى وأخلصوا الطاعة فابقى ملكـكم لـكم وارحل عنـكم بعد أن أقر رحال البلاد وأقيم عليها ملـكا تختارونه أنتم أما من سلالة ملـككم المقتول وإما رجلا اخر منكم يكون فيه اللياقة وتتفقون عليه جميعكم فقالوا له اننا نحن عبيد لـكم طائعون ليس لنا دخل قط بعمل الملك ولاعرفنا ماذا يقصد فلاجل هذا نريد منك الان أن تعفو عنا وتقبلنا وتدبر امرنا بحسب اختيارك وارادتك فطيب قلوبهم ووعدهم بكل جميل وخير وجعل يصلح شان المدينة ويغير فى حكامها وأعضاء محاكمها وقد أحبه الكبير والصغير وعرفوا بانه رجل عادل قد اعطى من الله معرفة وبسالة لم تعط قبل لغيره من ابناء الجبلة البشرية فسبحان من يختار من عباده من ينفذ غايته فهو الحكيم القدير (لا إله الا هو)

قال ولنرجع فى حديثنا الى مريم بنت الملك قيصر فانها بعد ان اخبرت الامير حمزة وهو فى

الحمام بعمل ابيها كما تقدم معنا رجعت الى قصرها وهى كائمة عملها وقد رسخ فى ذهنها رسم جماله وقامته وهيئته واخذ بمجامع قلبها وعلقت املا كبير ابه وقالت فى نفسها لا بد له من ان ينظر الى نظرة الحب ويتخذنى اليا زوجة وابقى عنده حيث قد وعدنى انه لا ينسانى وانه ينظر الى ولا ريب انه يفتكرنى ويتذكرنى فى كل دقيقة لانى كنت السبب فى حياته ونجاته من الموت ولولاى لكان هلك . وفيما هى جالسة فى بيتها وصل اليها الخبر بان الامير قد قتل اباها واقام القتل فى المدينة فتمكنت منها مفاعيل الحزن فبكت وناحت وندبت اباها وعرفت أنها كانت السبب فى موته وصرفت كل ذاك اليوم بالبكاء وقد حضر عندها النساء وعزينها بابيها وما منهن من ظنت انها هى التى اعلمت الامير حمزة فخلص من الموت وقتل اباها وكانت تارة تلوم نفسها على ما فعلت وطورا تمدح ذاتها من عملها حيث انها خلصت الامير من الموت وبسبب هذا الخلاص بنت لها برجا متينا فى مستقبل حياتها اذ كان ترجح عندها انه يكافئها على ذلك بما تريده منه وهى زواجه وكان يثبت عندها ذلك لاعتقادها أنه يندر وجود من هى أجمل منها فى عصرها وقد تربت على الترفه والدلال صارفة كل وقتها الى درس العلوم واللغات جاعلة حياتها فى الدرجة الاولى بين بنات مدينتها وما شا كلهم

واما تأسفها على أبيها فلم يطل كثيرا فى قلبها اولا لانها تعلم أنه مات من جرى ظلمه وخداعه ان جزاء الظلم والخداع الموت لا محالة فالله لا يمكن ان يبقى على الظالمين طويلا وثانيا لان محبة الامير كانت قد رسخت فى قلبها فنفت الحزن حالا وشغلتها عن التاثر من فراق ابيها وموته وبعد ثلاثة أيام لم يكن قد مات لها أب بل كان كل شاغل يشغلها ميلها الى الغرام الجديد الذى قد استولى عليها وهى تبعث برسلها لتعرف مايصنع الامير فتخبر أنه يفعل كذا وكذا فتقول فى نفسها انه اليوم لا يزال بشغله فى تدبير احوال المدينة ولا بد انه فى الغد يتذكرنى ويرسل فيدعونى اليه وانه يحضر عندى ويشكرنى على ما فعلته معه وحينئذ أطلب منه ما أريده وهو ياخذنى معه ويبقينى عنده وطال عليها المطال على هذا المنوال عدة ايام الى ان ثبت عندها ان الامير فرغ من كل عمل ولم يحضر اليها وتاكدت ايضا انه نسيها والسبب كثرة أشغاله ومهامه ولم تنسب تاخره عنها وتركه أياها الى قلة وفائه واما نتيه لعلمها انه لا بد ان يكون قداعطى الصفات الكاملة ونال الخصال الحميدة وصورت لها المحبة انه افضل رجل فى الدنيا ولذلك عمدت ان تذهب اليه ثانية وتذكره بنفسها وتعرض عليه محبتها وتطلب منه المكافاة على خلاصه من الموت وصبرت على ذلك الى ان كان مساء ذات يوم فلبست افخر ماعندها من الثياب الحدادية ووضعت على راسها نقابا من الحرير الاسود فاصبحت كانها النجمة اللامعة فى ليل حالك السواد ومشت تحت استار الاعتكار الى ان وصلت الى القصر القائم فيه فدخلته وهى مظهرة على نفسها الذل والكآبة وعندما وصلت الى نصف القصر اعترضها الامير عمر العيار حيث

كان قائما على حراسة الامير الليل بطوله من ان يغدر به احد فلما راها صاح بها وقال لها من انت وماذا تريدين فقالت له اخبرني انت اولا عن نفسك واطلعني على امرك حتى اذا رايت فيك الامانة وعرفت من انت اطلعتك على حقيقة امرى فقال لها انا عمر العيار اخو الامير حمزة ورفيقه فى كل حياته احرسه بالليل والنهار وامنع عنه طوارق الاشرار

فلما علمت انه عيار حبيبها اقدمت يدها اليه وقالت له اغثنى ايها الامير واشفق لحالى انا بنت قيصر الذى قتله اخوك وسبب قتله كنت انا حيث انى عرفت ان مراده يسلك سبيل الخداع والاحتيال ويهلك ضيوفه الذين ركنوا اليه كل الركون فاتخذوه صديقا وامنوه على انفسهم وقد نهيته عن ذلك وبينت له عاقبة الظلم فلم يرجع فاتيت الحمام واخبرت اخاك بدسيسة ابى واوصيته ان ينظر الى ولا ينسانى ومنذ ذلك الحين لم اعد اراه قط وقد نسيني كل النسيان لا لقلة امانة فيه او لسبب اخر كونى اعلم ان العرب اشد الناس امانة ووفاء يعرفون الجميل ويوفون المودة حقها ولا يضيع عندهم معروف قال نعم لقد اصبت ولكن سبب نسيانه كثرة اشغاله فى مهام الدولة وربما كان سبب امتناعه حياؤه منك حيث قتل اباك وهذا لابد ان يكون القاك بالكدر والبكاء لاجله قالت انى بكيت عليه كونه والدى وكونى احبه الحب العظيم غير انى لا اتكدر حيث انه ظالم وغادر ومخادع وجزاء من كان كذلك الموت لكن اريد منك الان تذكرنى عند اخيك الان كى لا اكون قد فقدت الاب والنصير بوقت واحد فاصادف منه اكراما ولك منى كل ما تطلبه من الاموال فادفعه لك لان عندي من الذهب كثيرا فقال لها اكراما لك افعل ما يرضيك فابقى هنا الى ان اعود اليك

ثم انه تركها هناك ودخل على اخيه وايقظه من النوم وقال له ما هذا النوم الكثير اهل فى نيتك أن تنسب الى العرب قلة الامانة وضعف الولاة وانت سيد العرب وأميرهم ألا تعلم ما عليك من الفروض الواجبة لمن بادرك بالجميل وسعوا فى نجاتك من الموت فاستيقظ الامير من كلامه مندهشا وقال له ماذا تقصد فى هذا وكيف تنسب لى قلة الامانة ومتى أنزلت من قدر العرب قال انك فعلت ذلك فى هذه الايام حيث قد نكرت جميل ومعروف من سعى فى خلاصك ونجاتك من الموت وانت فى الحمام انذكر أنك لو بقيت فى الداخل مقدار نصف ساعة ولم تات مريم بنت الملك قيصر لكان وقع الحمام عليك وعلى من معك . فاطرق الامير الى الارض برهة كانه انتبه الى نفسه ثم قال له واين تلك الصبية قال هى فى الخارج واقفة على انتظارك ان تاذن لها بالدخول عليك اذ قد قتلت لها أباها ولم يبق لها من ثم نصير سواك ومن حظك وتوفيقك ببنات الملوك اجعلها تاتى اليك بنفسها وتطلب منك زواجها وهى كالبدر اشراقا ونورا وبالحرى كمهردكار جمالا وادبا قال انى أمتنع من هذا الان كل بلد دخلتها اتزوج بها فتمضى الايام ولى كثير من الزوجات . قال وما المانع من ذلك اذا حكمت عليك الاحوال فربما هذه هى افضل

بالنساء من سواها ولاسيما أنك اذا قدرتها حق قدرها اتخذتها مولاة لك لانها اشترت حياتك ونجاة العرب اجمعين بدم أبيها ورجاله وبلاده . قال نعم انها قد استحقت أكثر من ذلك فادخلها الان لانظر فى أمرها وارى ماذا تريد . فرجع وهو يتمتم فى نفسه ويقول ما أكثر توفيقك بالغادات وأنت تمتنع عنهم وتتعلق ببنت كسرى ولما وصل اليها قال لها ان أخى بانتظارك الان فادخلى عليه وقد أخبرته بك وسالته ان يكون لك بملاو نصيرا فاجاب فلاتنسى ماوعدتينى به من المال . قالت وانى أزيدك فوق ذلك جارية من خواص جوارى اللاتى لانظير لهم فى جوارى العالم فشكرها وأخذ يترقب الوفاء ودخلت مريم على الامير فتلقاها بالترحاب والاكرام ورق لها عندماراها لابسة ثوب الحداد وهى منكسرة الخاطر ذليلة النفس واندهش من بهاء طلعتها وجمال وجهها ورقة واعتدال قدرها وقال لها لقد شرفتينا يابنت الملك على غير انتظاركم فلم يكن لدى مايقوم بواجب الزيارة فاعذرينى الان

قالت انى خادمتك . وما من حق الخادم ان يعتب على سيده وما القصد من زيارتى الان الاشيئا واحدا وهو ان أذكرك بى لانك نسيتنى على حين أنك وعدتنى بانك لاتنسانى . قال اننى لم انسك قط لكننى كنت اتردد فى هل أن ذاك الذى نادانى من نافذة الحمام هل بشر بالحقيقة او ملاك ارسل من الله تجسم بهيئة بشرية لان عقلى كان لا يصدق ان ذاك الجمال هو جمال فتاة فان انوار وجهك اللطيف المكلل بالهيبة والوقار انبعثت باشعة عجيبة على حين غفلة منى فانبهر لها نظرى ولم يغب ذاك الرسم عن ذهنى قط غير انه ثبت لدى الان انه وان كان ملاكا من الله غير انه بعث منذ القديم ليكون عندى انت ملاك النور والهة الحسن وربة اللطف فاعذرينى الان وارضى عن قصورى لانك صاحبة المعروف السابق معى . قالت ماعملت الا المتوجب على ولو كان ابى عادلا وعاقلا لما فعلت ذلك غير انى لما كنت كارهة الظلم والخداع نصحته وبينت له العاقبة فلم يرجع عن غيه والان حيث قتل ابى ولم اريد من مبارحة هذه الديار حيث ان ألقى برجائى عليك واتخذك لى عونا ونصيرا جئتك وقيعة لتقبلنى عندك اما زوجة واما خادمة قال لابد من ان اتخذك زوجة لانك احق بى من غيرى كون حياتى لك وعليك غير انى اريد ان اظهر لك امرا واحدا به تعرفين انى خاطب مهردكار بنت الملك كسرى ملك العجم ومن اجلها تحملت اثقالا كثيرة حتى توصلت اليكم فهى عندى بالدرجة الاولى حيث كانت السابقة عليكم ومن ثم اتخذت زوجة ثانية وهى زهربان بنت ملك اليونان حين كنت فى بلادها وأنت الان الثالثة فلا يغضبك ذلك فانه كان فى زمن سابق لهذا الزمان الذى تر ومين فيه أنت زواجى قالت أكد أن الغيرة لامحل لها عندى مطلقا وانى بعيدة عنها وجل قصدى أن أكون لك كون لا أحد فى الدنيا يستحقنى سواك فانظر الى كولى وكل امر تامرنى به فهو نافذ على رأسى وعينى

نعم انى أعرف أن النصارى لا يتزوجون باكثر من واحدة ولذلك يصعب على الرجل والزوجة ان يرى شريكا آخر فى من يتزوج لكنني لما كنت اعرف عوائد العرب وا تاكد ان الرجل يقدر ويسمح له ان يتزوج با كثر من زوجة واحدة اى ان تكون من الزوجات بقدر ما يشاء لا اتكدر اذا كان لك غيرى ولاسيما وعندنا نحن النصارى وجوب طاعة الرجل كونه المالك للزوجة وقد اوصانا المسيح ان تطيع الزوجة رجلها كما تطيع الكنيسة للمسيح راسها ومن الواجب على كل فروع الجسد ان تنقاد للراس كما ينقاد الجيش والرعية الى المتراس عليهما لاسيما وهى تابعة وعليها طاعة المتبوع فسر الامير حمزة من فصاحة لسانها وحسن اسلوبها ومعرفتها فى فن الدين والادب وقال فى نفسه بالحقيقة ان الزوجات المتهذبات المتعلمات هن علة راحة للرجل ووسيلة خير فى حياته اذ يعرفن المفروض عليهن ويحسن ادارة القيام بتدبير بيتهن وحياتهن على اتم ما يرام

ثم انه قال لها اذهبى الان الى قصرك وابقى فيه الى حين ان ارسل فادعوك الى يوم الزفاف وساهتم بذلك فى الغد وها قد عاهدتك على الحب والوفاء وصرت لى خطيبة وما من مانع الان يمنع زواجنا ان كان الله يقصد ازدواجنا وقربنا من بعضنا ففرحت بكلامه هذا وكاد يطير فؤادها وقامت اليه فودعته بكل ادب وحشمة وخرجت من عنده وهى مسرورة سرورا عظيما فالتقاها عمر العيار فى الخارج وقال لها لا تنسى ما وعدتنى به من المال : قالت انى اعطيك بقدر ما تطلب من الذهب فسار امامها الى ان وصلا الى باب قصرها وعاد الى اخيه فدخل عليه وهو لا يزال مستيقظا وقال له على ماذا عولت قال انها صاحبة فضل على فهى احق ان تكون زوجة لى من غيرها وقد سعت فى خلاصى ومع ذلك فهى كاملة الحسن والصفات عاقلة وقعت من قلبي موقعا حسنا وراقت فى عيني جدا . قال ومتى وعدتها ان يكون الزفاف قال انى وعدتها ان من الغد اباشر عمل الزفاف واقيم لها فرحا عظيما . قال ان ذلك منوط بى لا بك نعم انه لا بد لك من زواجها والاقتران منها لكن هذا يكون عند ما ابديه انا لك لان هذه الايام ايام شؤم ونحس ومن الصواب ان تصبر على ذلك عدة ايام أى الى حين أجىء اليك وأخبرك أن تباشر الزفاف. قال وأى متى كنت تعرف بالطالع وتميز بين النحس والسعد فهل تعلمت هذا العلم من أحد قال انى عرفته من رجال الصومعة وما عليك أن تخالفنى فاصبر الى أن أقول لك. فقال له اكراما لك لا أتزوج الا اذا أخبرتنى أن أتزوج وان كان غرضك الحصول على المال فانى أعطيك ما تطلب عوضا عن مريم فهى لا مال عندها وان كان عندها مال فستحمله الينا قال ان كل الذى عندك والذى جمعته فى أسفارك لا يكفينى ولا بد أن تصبر

قال وقام الامير حمزة صابرا وقد اشتد عليه هوى مريم وطلبت نفسه الحصول عليها وعمر

معرض ينتظر الوفاء منها وهى غير عالمة بقصده بل ذهبت الى قصرها واستعدت لنفسها وأقامت بكل عمل تحتاج اليه وفى ظنها ان الامير يسرع الى عمل الزفاف وينهيه بوقت قريب فمضت عليها الايام دون أن ترى اهتماما لذلك أو تسمع بان فى نية الامير حمزه الزفاف بها فانفطرت مرارتها وضجرت ضجرا عظيما وخافت ان يكون نسيها وانه أعرض عنها ورجع وتكدرت جدا من عدم أمانته وبقيت صابرة على نفسها الى إن فرغ صبرها وضجرت ضجرا عظيما وأرادت أن تعرف السبب وقالت فى نفسها من الواجب أن اسير فى هذه الليلة الى عمر واساله عن ذلك فهل يفيدنى عنه ويهديني اليه ثم انها بعد ان اعتمدت على ذلك صبرت الى ان اشتد ظلام الليل فسرت تحت ظلامه وانسحبت الى قصر الامير حمزه واذا بها قد نظرت الى عمر العيار عند فسحته ولما راها عارضها ومنعها من الدخول فقالت له اهل نسيت ياعمر وقد وعدتنى ان تكون لى سندا وتساعدنى على غايتى فان كان الامير قد شغل عنى ورجع عن وعده ولم يفكر بى الا انه كان من المقتضى ان تذكره وتذكرنى عنده فقال لها ان اخى لم ينساك قط وكان فى نيته ان يباشر زفافك ثانى يوم الذى كنت بها عندنا غير انى مانعته وراجعته عن ذلك قالت ولما اهل رجعت عن وعدك وندمت على الوفاء قال معاذ الله ان اقول ولا افعل ولا اخفاك ان الامير لا يباشر عملا الا بمعرفتى ورضاى وانت وعدتينى انك تعطينى كل ما اطلبه من الذهب وبعد ان قضيت مصلحتك واطمان بالك رجعت عن وعدك قالت لم ارجع قط غير انى أردت ان ابقى ذلك الى حينه اى الى مابعد الزفاف . قال انى لا احب المطل وعندى خير البر عاجله فانقدينى سلفا تنالين مطلوبك . قالت وماذا تريد قال عندى جراب صغير اطلب اليك ان تمليه لى ذهبا وتعطينى الجارية التى وعدتينى بها ليكون زفافى وزفاف اخى بيوم واحد قالت اتبعنى ومعك الجراب لاملئه لك فانى مخاطئة معك وكان من الواجب ان اعجل النقد فما صدق ان سمع هذه الكلمة حتى اجاب قولها وقال لها انى الغدا كون عندك فى قصرك ومعى الجراب وفى نفس الغد نباشر عمل الزفاف لتزفين حالا على اخى فسرت مريم وتأكدت انها ارضت عمرا ونالت غايتها من الامير وتزوجت به ولما صارت فى بيتها احضرت ماعندها من الذهب مما كانت تجمعه فى زمن ابيها عندها ماءلا صندوقا فقالت ان جزءا صغيرا منه يملىء الجراب والباقى يكون للامير اعانة له فى سفره وعلى جيوشه ودامت فى قصرها الى ان اشرقت شمس النهار واذا بعمر قد حضر اليها وفى يده الجراب المذكور وقال لها اوفى لى بوعدك وعجلى العطاء فستريننى فى هذا اليوم انجز وعدك فاخذته الى الصندوق فاندهش عمر وفتح بابه الجراب وقال افرغى فيه ما يملئه فاخذت تقبض من الصندوق وتفرغ فى الجراب حتى قبضت نحو مائة قبضة وهى ترى الجراب على حاله كانه فارغ فتعجبت وانبهرت الا انها صبرت عليه وداومت العمل حتى فرغ نصف الصندوق وهى تنظر الى الجراب كانه لم يكن به شيأ فزاد عجبها

وقالت لعمر ماهذا الجراب فاني اراه صغيراجدا لايساع اكثر من عشرة قبضات فوضعت فيه مئات وهو لايزال على حاله كانه فارغ فأين الذهب الذى اضعه فيه قال هو داخله واذا كنتى لاتصدقى نانظرى ثم افرغ مافى الجراب الى الصندوق فاعاد كما كان مملوء فجفلت وقالت له لاريب انه به شيطان يضيع الذهب ويخفيه قال من اين يأتى الشيطان غير ان جوفه من الداخل كبير او اذا كنت قد ندمت على الذهب فلاباس فأنا ايضا قد ندمت على الامير ولا يمكنني ان اتركه يتزوج بعد بن تقول ولا تفى

فقالت له انى غير نادمة على الذهب ثم عادت الى عملها الاول حتى فرغ الصندوق والجراب فارغ فكادت يذهب عقلها وصاحت مرتاعة . . شيطان . . شيطان وعمر يضحك من ذلك ثم دعت بخادم لها وقالت له اذهب الى الامير حمزه واسأله ان يأتى الى حالا لامر مهم فذهب الخادم وجاء بالامير حمزه فوجدها على تلك الحالة فترحبت به وسالها عن نفسها فقالت له ان عقلى ضاع من عمل هذا الجراب . ثم حكت له قصتها من الاول الى الاخر فظن الامير ان هذا الجراب هو جراب اسماعيل الذى اخذه من رجال الصومعة وقال لها لاتخافى فهذا اخذه من رجال الله وهو لو وضعت به المدينة باسرها لمابانت فيه وقد اخطئت بوعدك له ان تعليه له ثم قال لعمر كفاك ان تقاسمها على النصف فاجاب وافرغ لها النصف ثم قال لها واما الجارية فاصلحى شانها ودبرى امرها ليكون زفافى فى الغد مع اخى فوعدته واذ ذاك قال للامير اريد منك يااخى ان تتمم قولى وتزف على زوجتك هذه فانها كريمة وفاضلة وتقيمها ملكة على البلاد وايضا ارجع زهربان الى بلاد ابيها فان فى بقائها معنا صعوبة كثيرة حيث ان مرادنا نسير من هنا الى شواطىء بحر المحيط فندخل سوريا ونمر على طرابلس وبيروت وصيدا وصور وعكا ولا بد لنا من مقاساة حروب واهوال فى تلك البلاد لوجود الطغاة والبواسل فيها ومن ثم نسير الى مصر والى غيرها من البلدان ولا يناسب ان يكون معنا نساء بل كل زوجة تزوجت بها ابقها فى بلادها الى حين فراغنا من المصاعب والمشاق قال لقد اصبت فى ذلك وسوف ارجع زهربان الى بلاد اليونان

قال ومنذ ذاك الحين ازاع الامير حمزة خبر زفافه بالست مريم بنت الملك قيصر مجابرة لها وان هى ستكون الحاكمة والمالكة على البلد من قبله واخذ فى تدبير مهام العرس وجمع كل الكبراء والاعيان واعرض عليهم غايته فما فيهم الا من فرح وسر مزيد السرور وشكر من الامير والتفاته الى مريم لاعتقادهم انها ذات أطوار حميدة محبة للعدل والحق قد تربت على محبة الجنس البشرى من قبيل الشفقة على مستحقيها وزينت المدينة زينة كاملة واجتمع اليها الخاص والعام من عواصم البلدان والقرى للفرجة على زفاف بنت ملكهم وأما الامير عمر العيار فانه جمع رجاله العيارين وسار الى اكمة عالية خارج المدينة وقال لهم فى هذه الايام زفاف الامير

حمزة ولا بد انكم في احتياج الى الدراهم وقد سعيت الى ان جمعت لكم جانبا عظيما فهلموا التهبوها والتقطوها ولا ارى مامنكم يحصل على الكثير منها . ثم صعد على ظهر الاكمة ووضع المال الذي أخذه من مريم بين يديه وجعل يقبض منها قبضة بعد قبضة وينثر على رأس رجاله وهم يتسارعون الى التقاطها فيتزاحمون ويتضاربون عليها وكل منهم يطلب لنفسه اخذ الزيادة والامير في مكانه يضحك منهم ومن عملهم وهو مسرور جدا ولا زال في مسرته حتى فرغ المال من يده واذ ذاك قلبت تلك المسرة الى كدر وغضب من فراغ الدراهم وتمنى انها كانت ما فرغت على الدوام ومن ثم عاد بجماعته وهم فرحون بما وصل اليهم وهو حزين الى ان دخلوا المدينة

هذا والزفاف قائم على محوره البهج الى ان كان اليوم الذي عدله فلبست مريم أفخر ملابسها وتزينت بأبهى زينتها وافرغت عليها حلاها وجواهرها حتى أضحت تضيء كالكوكب اللامع في ديجور الليل الحالك واحتفت بالزهور الزكية والروائح على رأسها وتطيبت بالاطياب من أعلاها الى قدمها وجلست في دست قصرها واجتمع حواليها النساء من الاعيان والامراء وكلهن يسبحن الله سبحانه وتعالى على ما أعطيت مريم من الجمال الباهر الكامل الذي يندر في غيرها من بنات ذاك الزمان وكان اكثر البنات تحسدنها على ما اعطيت من السعادة وعلى ما هي عليه من اللطف والدلال كما أن الامراء وكل أعيان المدينة كانت تحسد الامير على حصوله على هذه الفتاة التي كانوا يعتبرونها بالمقام الاول في حديثهم وما من شاب الا وكان يطلب في نفسه الحصول عليها الا ان جاها من يستحقها ليتنعم بجمالها ووصالها والحاصل ان ذاك النهار كان نهارا أنيسا قامت له الافراح في كل ناحية الى أن قرب المساء وجاء الليل فحضر البطارقة والاساقفة الذين كانوا قد تجمعوا الى المدينة لاجراء احتفال الزواج على الطرق الدينية على المذهب المسيحي فتمموا الواجبات وعقدوا للامير على مريم ومن ثم اخذها من يدها ودخل بها الى قصره الخصوصي وتفرق عنه كل المدعويين وصرف ليلته معها على أتم ما يرام من الهناء والاقبال والتنعم والمسرة

مازلت اطوى الحى أسمع صوتهم	حتى وقفت على ربيعة هودج
ووضعت كفي عند مقطع خصرها	فتنفست صعداء أو لم تنهج
وتناولت رأسي لتعلم مسه	بمخضب الاطراف غير مشنج
قالت وعيش أبي وحرمة والدي	لانبهن الحى ان لم تخرج
فخرجت خيفة أهلها فتبسمت	فعلمت ان يمينها لم تحرج

وصرف كل ليلته على الهناء الى ان كان الصباح فخرج من غرفة منامته وجاء اليه الامراء والاعيان يهنئونه ويباركون له بعروسه هذه وما لاقى معها من الهناء وهي أي مريم تأتي من الامير حمزة بولد ذكر يدعى رستم يخرج صنديدا وجبارا عنيدا ويكون له امر عظيم في هذه

القصة فيساعدا بيه ويكشف الكروب من العرب كما يأتي في محله ان شاء الله

وفي نفس تلك الليلة التي زف فيها الامير على مريم دخل الامير عمر على الجارية التي وعدته بها كما تقدم معنا وصرف وقتا بالهناء والراحه ومعها يلاقي خير عيشة وكذلك الامير صرف اياما مع مريم بين الخمرة والكاس

وفي نفس ذاك الاسبوع دعى الامير حمزة اخاه عمرا وقال له حيث لم يبق لنا غنى عن المسير من هذه المدينة في طريقنا الى جهة سورية ومصر وما بعدها اريد منك ان تختار من جماعتك عشرة من العيارين ليسيروا مع زهربان الى بلاد ابيها فتبقى هناك الى حين رجوعنا الى بلاد العجم فنستدعيها الينا بحيث يكون الزمان قد طاب لنا وتمكننا من ان نعيش معها بهناء ثم احضرها اليه وعرض عليها ذلك فلم تسعها المخالفة فودعها وودعته واعطاها عضاة من الجوهر مكتوبا عليها اسمه تذكارا لتبقى معها وقال لها احفظي هذه عندك الى حين الحاجة فهي منقوش عليها اسمي . ثم ان زهربان بكت البكاء الكثير على فراق الامير وطلبت اليه ان لا ينساها فوعدها بكل جميل والتفات وذهبت الى بيت ابيها واقام الامير بالانتظار الى حين عودة العيارين وهو مع زوجته الجديدة في عيشة وهناء وبعد ذلك عزم على مبارحة المدينة فجمع الاعيان والوزراء من رجال قيصر واقام عليهم مريم ملكة وقال لهم هذه بنت ملككم فاقبلوها عليكم فهي تحكم باسمها واسمي وبعث بالكتب الى سائر العمال فورد الاعيان اليها واظهروا لها طاعتهم وفرحوا بها وهنوها بذلك وصرف نحو شهر بعد ذلك في المدينة حتى فرغ من كل شيء ورجع عياره وحينئذ جمع اليه الفرسان من العرب وقال لهم لقد طال قيامنا في هذه المدينة واريد منكم ان تستعدوا للمسير فقالوا اننا بانتظار امرك فامرهم ان يكونوا في صباح الغد على ظهور خيولهم ولما كان الصباح نهض من فراشه فودع زوجته ودفع لها عضاة كالعضاة التي دفعها الى زهربان واوصاها ان تحكم بالعدل والانصاف الى حين ارساله رسوله اليها بعد عودته الى بلاده وخرج الى قومه فركب وركبوا وساروا عن المدينة ولما ساروا في الطريق قال الامير لعمر اي بلاد امامنا الان قال امامنا مقاطعة بيروت على البحر المالح قال ومن على تلك البلاد قال عليها الملك كسروان وهو بطل من ابطال هذا الزمان نادر المثال بين الرجال ولا بد ان تلاقي في حربه صعوبة اذ لم يكن مثل غيره راغبا في مسالمتنا ومصاحبتنا قال انا موفقون منه تعالى فلا نخاف احدا فسيوفنا حداد وابطالنا شداد والسعادة لنا بالمرصاد

ولا زالا سائرين في تلك الطريق عدة ايام وليال الى ان وصلوا الى مدينة طرابلس فخرج اهلها ولاقوهم بالترحيب والاكرام وسألهم الامير عن ملكهم كسروان فقالوا له انه يقيم في هذه الايام في مدينة بيروت وبعض الاحيان في لبنان غير انه الازق

بيروت مع ولديه بشير ومباشر ونزل رجال الامير الى المدينة فابتاعوا كل مايحتاجونه منها وأراحوا هناك نحو يومين ومن ثم ركبوا وجاؤا نحو مدينة بيروت وقدمروا فى طريقهم على مكان يدعى نقار الملمتين فرؤا ان الطريق من هناك ضيق ولا يمكن السلوك منه الا بصعوبة فدخلوا فيه وفيما هم يقطعونه انحطت عليهم رجال الملك كسروان من أعالى المكان وفى مقدمتهم ولداه بشير ومباشر وهجموا على العرب وأقاموا ضرب السيف فيهم وهم على حين غفلة وقد أهلكوا منهم أكثر من الف فارس ولما رأى الامير هذا العمل تكدر جدا وأمر رجاله ان ترجع الى الوراء الى مكان متسع والا اذا بقوا يقطعون هذا الطريق يهلكون عن اخرهم فرجع القهقرى حتى امنوا على أنفسهم واظهر الامير كدره وغيظه ودعا اليه عمر العيار وعنفه على تقصيره وقال له كان من اللازم ان تسير على الدوام فى مقدمة الفرسان تكشف لنا الطرقات والاهالى كنا فى بلاد لا نعرفها. فقال انى أريد ان لا أفارقك على الدوام ولم يخطر فى ذهنى ان الملك كسروان سيأخذنا غدرا قال اريد منك أن تنظر لنا فى طريق نسير به لنصل الى بيروت اذ مامن وسيلة لمرور عساكرنا من هذا الطريق اذا بقى عليه جماعة كسروان. قال انى اظن انهم يرجعون فى هذه الليلة الى بيروت ولا يقيمون هنا وماجاؤا الا ليدهمونا مرة واحدة على حين بغتة ولحسن حظنا لم يتمكنوا امنا كما كانوا يرغبون فلابد ان الملك كسروان يكون على استعداد ينتظرنا للحرب وهو يتكل على نفسه كغيره من الابطال الشداد قال اذا فعل ذلك يكون قد اخطأ لانه اذا أراد الايقاع بنا يمكنه ان يقيم على هذا المضيق فلابد عنا عن منه ابدا. قال اذا بقى هو هنا سرنا فى غير طريق وان كان يبعد عدة أيام. ومن ثم أقام الامير مع قومه وهم متكدرون مما لحق بهم فى ذاك اليوم متأسفون على من فقدهم من الرجال فى المساء. ولما كان صباح اليوم التالى نهض الامير عمر العيار واخذ بعضا من جماعته العيارين وأوصاهم ان يتسلقوا القمم وينظروا فى مكان رجال بيروت وصعدوا على اعلى القمه فلم يروا أحدا فتأكدوا ان بشيرا ومباشرا قد رجعا بقومهما فعاد العيارون جميعا واخبر عمر اخاه ان القوم قد رجعوا الى المدينه فامر رجاله ان تسير فى ذاك المضيق خلف عمر العيار فقطعوا المضيق دون ان يصادفوا احدو ساروا من هناك الى ان تبينوا مدينه بيروت وهى زاهيه زاهرة

قال وكان الملك كسروان هذا الحاكم على بيروت وما يليها هو من عظماء الملوك وفطاحل الابطال وله ولدان وهما بشير ومباشر من الفرسان الشداد وقد وصلت اليه كتابة الملك كسرى كغيره من العمال فقرأها وعرف فحواها وعمد على هلاك الامير حمزه وجماعته وجعل يترقب قدمهم الى ان مضت الشهور والايام وهو عارف انهم لابد من أن يأتوا الى جهه لجمع الاخرجة بعد فراغهم من بلاد الرومان واليونان وغيرهما ولا زال بالانتظار الى ان وصلت اليه الاخبار بانهم وصلوا الى قرب مدينة طرابلس فدعا بولديه وقال لهما خذا معكما عشرة ألاف من العساكر

واكمنوا عند نقار المعاملتين ومتى رأيتم العرب وقد اجتاز وامنه فانحطوا عليهم وأرموهم بالويل والحرب ولابد ان تهلكوا منهم قسما كبيرا ومن ثم عودوا الى فاذا نجا الامير حمزة لابد ان يسير فى اخذ ثار من فقده فيطلب قتالنا فنقتله ونبدد الباقى ونكون قد عملنا غاية كسرى وماطلبه مناو ننال منه المكافاة مع المدح والثناء فاجاب ولداه امره وسارا بالعسا كروا كمنا عند نقار المعاملتين الى أن أخذ العرب بالمرور منه فجرى ماجرى وبعد ذلك تركا ذاك المكان ورجعا الى الوراء نحو المدينة حسب امر أبيهما ولما أنتهيا اليه أخبراه بما كان وقالا له ان العرب قوم بواسل فلم نتمكن منهم كما نقصد وفيهم فرسان وابطال يحمون العساكر كما تحمي اللبوة اشبالها. قال لابد لى من هلاكهم مهما كانوا وكثروا وأقام ينتظر وصولهم الى ان راهم وقد ضربوا خيامهم نحو المدينة وسرحوا اباغنامهم فى تلك الضواحى وهى بعدد رمل البحار فامر رجاله وعساكره ان تخرج أيضا الى الخارج وسار هو فى الاول وضرب خيامه اتجاه العرب على أمل ان فى الصباح يبا كرهم بالحرب والقتال وكان عدد عساكره يبلغ الخمسين الف فارس

ولما رأى الامير حمزة خروج الملك كسروان سر سرورا عظيما وقال ان القتال فى مثل هذا المكان خير من حصار المدينة والتطويل فى ذلك ولم يخطر لى قط ان كسروا ان يقاتلنا وجها لوجه. ثم انه اخذ قرطاسا وكتب كتابا قال له فيه

من الامير حمزة فارس برية الحجاز وبهلوان تخت فارس ومبيد الابطال فى ساحة المجال الى الملك كسروان حاكم مدينه بيروت

لاخفاك ايها الملك انى خرجت من بلاد كسرى لاجل جمع الاخرجه والمسير من سائر البلدان لادفعها الى الملك الاكبر كسرى انوشروان وازوج بابنته مهردكار وقد أتيت البلدان العظيمه والعواصم الكبيرة كالقسطنطينيه وبلاد اليونان وقيصريه وجبيت منها الاموال ولاقيت من ملوكها الاكرام والتبجيل وكان بعهدى ان تكون أنت حكيما فتسلك مسلك غيرك من الملوك الذين عرفوا باطن كسرى وقصده من جباية لاموال وأشتروا دفع الشر بدفع الاموال وا كتسبوا اصداقتى ودخلوا فى طاعتى وتحت حوزتى الى ان رأيت منك انك تقصد القتال والنزاع وتطلب الشر والعناد وقد بعثت بولديك ليغدرابنا وجرى منهما ماجرى والان انذرك ان كيدك سيقع فى نحرك وستلاقى من العرب رجالا بواسل تخدمهم السعادة ويطاعهم النصر وبذل لديهم كل جبار عنيد وفارس صنديد واذا بقيت مصرا على العناد قدت بلادك الى الخراب وأوقعت برجالك فى حفرة الدمار فانصحك ان تدفع لاخرجه المضروبه عليك عن سبع سنوات سلفا ولاتعد فيما بعد تدفع له مطلقا واخلع عنك طاعه كسرى وكن منذ الان حرا واياك من المخالفه وانى اسامحك على ماوقع منك ومن ولديك والسلام.

ثم سلم الكتاب الى عمر العيار وأوصاه ان ياتيه بالجواب حالا فاخذه الى الملك كسروان.

فدفعه اليه ففضه وقرأه وكان شديد المتكابرة يفتخر بنفسه كثيرا ويظن انه يقهر عشرين بطلا كالامير حمزة ولذلك لعب به الغضب جدا وتكدر الكدر الزائد ولعن العرب وامراءهم وقال أ كان من قدر رجل بدوي لا قدر له ولا مقام ان يتطاول على ملوك الزمان ويتهددها ويتوعدها وقد ظن اني كغيري من الذين راهم ومر عليهم الا يعلم اني لو حملت على جيوشه لطحنتهم وتركتهم ادق من الدقيق. ثم قال لعمرو قل لحمزة ان لا جواب له عندي سوى المبارزة الى ساحه النزال ليعرف الشجاع من الجبان فعاد الامير الى أخيه وأخبره بما كان من الملك كسروان ومكابرته فاغتاظ منه وحقد عليه انه يقتله اذا التقى به وقت القتال وأبارزة في الميدان وصبرت العرب الى ان كان صباح اليوم التالي فخرجت من مراقدها الى خيولها فاعتلتها وانتظرت اميرها واذا به قد خرج راكبا على جواده الاصفر ازمدجج بالسلاح الى حد الاسنان وعليه من المهابه والاجلال ما لا يوجد في غيره من الفرسان والابطال ولما وصل الى جماعته سار امامهم يطلب القتال وكان الملك كسروان قد ركب بجماعته البروتيين وعددهم نحو الخمسين الفا وولديه بشير ومباشر ولما صار في الميدان ووقعت العين على العين حمل كل من الطائفتين طالبا الايقاع بخصمه واعدام أمته وبوقت قريب راج سوق الحرب واشتد الطعن والضرب ولعبت السيوف الصقال والرماح الطوال في مقاتل الرجال فوقعت الى بساط الرمال معانقه بأيدي فراغ الاجال اجسام البلاء والوبال. ولله در العرب فانها قاتلت وما قصرت وفعل الامير حمزة افعالا تقصر منها مردة الجان وعفاريت السيد سليمان وكذلك اندهوق بن سعدون ومعقل البهلوان والامير عقيل والاصفران فقد اجهدوا النفوس وقطعوا من الفرسان الرؤوس. وحملوا رجالهم بكل جهدهم ولم يكن حمل الملك كسروان اقل شأنا من هؤلاء الفرسان فانه فعل في جيش العربان كما تفعل بالقش اليابس السنة النيران وقد قتل فيهم قتلا ذريعا وفعل فيهما فعلا شنيعا وترك رجالها تان من فعاله وهي ما بين طريح وجريح الى ان كان المساء فضربت طبول الانفصال ورجع الفريقين عن القتال لاشتداد ظلام الزوال وقد تكدر الامير حمزة لما رأى ان تسماغير قليل قد قتل من جماعته وقال لم يكن بعهدي ان يقع برجالي ما وقع اننا لم نقصر في هذا اليوم وكذلك كسروان فانه رأى رجاله قد فلوا الكثرة ما قتل منهم العربان فزاد به الحنق وتمنى ان يأتي اليوم الثاني ليرجع الى القتال وقال لولديه وقوادعساكره لا باس ان فقد كل رجالي فاني وحدي اقدر ان أفني العرب عن اخرهم ولم أقصر في هذا اليوم وفي الغدار حلهم عن هذه الديار وأشتتهم في البراري والقفار

وبات القومان يتحارسان الى ان أشرقت شمس اليوم الثاني فهبت الفرسان ساعية الى ساحة الميدان وتقدمت من كل جهة ومكان الى قبض نفوس بعضها البعض وأخذ الثار عما سلف منها من ابرام والنقض. وكان يفكر الامير حمزة ان يبارز الملك كسروان ويقصف عمره

ويتهى أمره فيرانه قبل ان يصل الى وسط الميدان كان الملك كسروان قد أمر رجاله ان تحمل على العرب دفعه واحدة فحملت وهو فى مقدمتها واذ ذاك أشتدت نار القتال. وزاد لهيبها بالاشتعال فاحرقت افئدة الرجال وذهبت بارواحها الى عالم الخال. وكان ذلك اليوم شديداً لم يسبق ان سمع باعظم منه منذ اجيال. وما عول النهار على الارتحال الا بعد ان وقع بالعرب الضعف والاخلال كما وقع بالبير وتبين الفناء والانحلال. وقد افترق القومان وهما لا يصدقان بالوصول سالمين الى الخيام. قال وكانت تلك الليلة على الامير حمزة من أشد الليالى لما رأى ان الوقت لم يمكنه ان يلتقى بالملك كسروان حتى فعل ما فعل برجاله ولذلك دعا باخيه عمرو وقال له اريد منك ان تنهض قبل ان تشرق شمس اليوم القادم فتسرج لى الاصفر ان قبل ان يصل الملك كسروان وان تمنع العرب من القتال فانى كلما حاولت التقى به وقت القتال غاب عن نظرى بين جموعنا لانه فارس شديد وشيطان مريد ينتقل من مكان الى مكان كانه البرق اللامع فى اللمعان ولذلك لا نثبت عساكرنا أمامه بل تتفرق من حواليه. فقال له انى أعرف وجوده على الدوام فاذا لم يكن فى الغد براز أوصلتك اليه فى الحال لاذ ليس من الصواب ان نتركه على غيه يهلك من قومنا ويقتل فيهم القتل الذريع هو وولداه

قال وبات الامير تلك الليلة وفى فجر اليوم التالى ايقظه عمر من رقاده فنهض الى جواده فركبه وتقلد بسلاحه وتقدم الى وسط الميدان أتيان الفريقان وكانت العرب قد عرفت ما فعل اميرها فاسرعت الى الساحه وأصطفت وهى تضرب بطبولها وتعزف بزمورها وعلى هذا نهض الملك كسروان قبل الاوان وتقدم بعساكره الى ساحة الميدان فوجد الامير حمزة فى الوسط وهو يصول ويجول ويطلب مبارزة الابطال والفرسان ففرح فى نفسه وقال لا بدلى فى هذا اليوم من براز العرب واهلاك قسم من فرسانهم الاشداء ثم اطلق لجواده العنان حتى التقى بالامير حمزة فحمل عليه حملة جبار عنيد فالتقاه بقلب اشد من الحديد واختلف بينهما الطعن والضرب ووقعا بالعناء والكرب ولا زالا فى أشد قتال واعظم نزال وهما تارة يفترقان وتارة يجتمعان كانهما اسدان ضرغامان او جبلان عظيمان

وقد حجبهما الغبار عن العيان ولم يكن يسمع منهما الا همهمه وبربرة ودمدمه حتى كان العصر فرأى الامير حمزة شدة الملك كسروان فتعجب منه وعلم انه من الفرسان العظام

وكذلك الملك فانه رأى من الامير فوق ما كان يظن وخاف زوال النهار ولا ينال منه المرام ولذلك صاح به واندفع عليه وبادره بضربة كان يظن انها تكون القاضية عليه فضيعها الامير بمعرفته وأرسل اليه ضربة منه أشد من ضربته وقد اخذ به الحنق كل ماخذ فوقعت الضربة على طارقة الملك كسروان وانقشعت عنها بشدة ارياح قوته فوقعت على رقبة الجواد فقطعتها ولما شعر كسروان بموت جواده قفز باسرع من لمح البصر عنه الى الارض ليدافع عن نفسه وقد

صمم ان لا يسلم ذاته وهو في قيد الحياة فاراد الامير ان ينحط عليه ليأخذه اسيرا واذا بولديه بشير ومباشر قد هجما على الامير وحملت من خلفهما العساكر فتبعها العرب وكانت موقعة عظيمة الى ان كان المساء فرجع القومان عن القتال . والامير يتحرق من فوات كسروان ونجاته من يده ذاك النهار ويطلب أن يأتي الغد ليقتله ويرتاح من شره ومن ثم لا يعود مانع يمنعه عن الاستيلاء على بيروت ونهاية الحرب فيها . وأما كسروان فانه بقي في غيظ وكدر الى ان دخل صيوانه فاجتمع اليه الرجال من أعيان المدينة وقالوا له ان القتال مبارزة مما يطيل علينا المطال وكنا نريد منك ان لا تبارز الا بعد ان تفنى رجالهم لان في مدة الايام الماضية كان الفوز لنا بخلاف هذا اليوم فقال لهم اني اعرف ذلك وكيف كان الحال لا بد من قتل هذا الامير واني أقر واعترف انه بطل من أبطال هذا الزمان يندر وجود مثله في بيروت ولبنان وفي كل مكان غير اني أريد منكم أن تبادروا الى الحرب في الغد كلكم لنفني قبلا جماعة الامير لاني اعرفه بالامتحان ان خمسين الفا من رجالي البنانيين يقاتلون الف الف من ابطال العرب وغيرهم والا اذا كنت أنا بينهم احميهم

وبات الفريقان ينتظران الصباح الى ان أتى بوجهه الوضاح فنهضت الفرسان تطلب الحرب والكفاح وكان يظن الامير ان الملك كسروان يطلب لنفسه الثار في ذاك النهار ويأتي لبرازه غير ان الامر جاء بالعكس لانه عندما التقى الفريقان في ساحة الميدان واصطف الصفان امر كسروان رجاله ان تحمل من كل مكان فحملت كأنها اسود خفان وكان قد اوصى ولديه بشير ومباشر ان ياخذا نصف العساكر ويتوغلا في الشعاب ويأتيا من خلف الاعداء وهم مشغولون بالقتال فيوقعوا بهم الخبال والنكال فادرك الامير حمزة لما رأى عساكر بيروت قليلة ان القصد مفاجاتهم بغتة وهم مشغولون بقتال الحاضرين ولذلك قال لاندهوق اريد منك ومن معقل البهلوان ان تاخرا عن القتال وتراقبا التلال والجبال فاذا رأيتما الفرسان خرجت منها فالتقياها واجمعاها الى بعضها فلا بد في هذا النهار من نهاية الحال . فاجابا طلبه واقاما مع نصف العساكر بالمرصاد

واما الامير فانه التقى العساكر كالليث الكاسر وانتشب القتال انتشاب الشظايا وقدمت النفوس لمذابح الفناء ضحايا وتقدمت الشجعان بقلوب قوية لا تخاف المنايا وفرت الجبناء تطلب لانفسها الاستتار في الخبايا وأما الامير حمزة فانه قال لاخيه عمر سر امامي الى الجهة التي يقاتل فيها كسروان فاني لا أرغب أن أدعه يتمكن من رجالنا فينزل بهم الويل والعبر واني اعرف متى قتلته تفرقت رجاله فاجاب طلبه واخذ يخترق به الصفوف ويطعن في الصدور المئات والالوف والرجال تنفر من بين ايديهما كما تنفر الاحجال من البواشق وفيما هم على ذلك وإذا ب... بن بشير ومباشر ظهرا من خلف الجبال وحملا على العرب وفي ظنهما انهما

بينا الان المقصود واذا بالامير اندهوق بن سعدون ومعقل البهلوان التقيا بهما واشتعلت نار القتال بين الفريقين وقام سوق الحرب والطعان فى كل ناحية ومكان وتدفقت الدماء كالغدران وفارقت الرؤس الابدان وداست الخيل فى اقحاف الفرسان فاتخذتها نعالا واغمدت السيوف فى صدور الاقران فقطعت منها الامال . وكان ذلك اليوم كثير الاهوال . عظيم الاخطار . شديد المصائب ولا زال الامير حمزة على ما تقدم يقاتل ويناضل الى ان التقى بالملك كسروان وهو يلتهم الابطال وينزل بها البلاء والنكال فصاح به وانحط عليه وهو لا يصدق ان يراه فالتقاه كسروان وأخذ معه فى الحرب والطعان مقدار ساعتين من الزمان الى ان اختلف بينهما ضربتان قاضيتان كانت ضربة الامير حمزة ارشق والى قبض الارواح اعجل واسبق فوقعت على صدر الملك كسروان القته قتيلا وفى دماه جديلا وعرف قومه ما حل به وانتشر خبر موته فى كل مكان حتى وقع الرعب فى قلوب الجميع فتأخروا الى الوراء وعند الظلام رجع الامير منصورا ظافرا الى الخيام ومن حواليه أخوه عمر والثمانمائة فارس الذين ولدوا معه وتربوا واياه فى زمن واحد يحتاطون به كالهالة فوجد ان الامير اندهوق قد انهى الامر وفض المشكل وبدد شمل رجال بشير ومباشر وهنؤا بعضهم البعض واجتمعوا الى صيوان الملك النعمان يتشاورون فى هذا الشان . فقال لهم الامير حمزة ان الامر قد انقضى وعندى ان الاميرين بشير ومباشر لا يطلبان بعد أبيهما القتال ولا يرغبان فى عنادنا بعد ان شاهدوا ما حل بابيهما . فقال اندهوق لا ريب انهما يدخلان المدينة ويقصدان الحصار فيها فنلتزم الى التطويل والمعاقة اجاب هذا لا يهمنا ابدا ولا بد لنا من الايقاع بكل من يعاندنا كما اننا نساعد ونغيث كل من يطلب مصاحبتنا وفى الصباح سابعث باخى عمر الى بشير ومباشر واطلب اليهما التسليم فاذا اجابا كان ذلك لخيرهما واذا امتنعا الحقهما بابيهما

فهذا ما كان من العرب واميرهم واما ما كان من بشير ومباشر فانهما تقهقرا الى الوراء ولاقيا الخيبة والفشل وحزنا على موت ابيهما كل الحزن فدخلا المدينة بمن تبقى من الرجال وقفلا الابواب من كل الجهات وجمعا مجلسا من أعيان البلاد وفرسانها فاجتمع عندهما الخاص والعام فقال مباشر انى دعوتكم الان لاعرف ماذا تعتمدون فى تدبير امور المدينة والقتال فقالوا له اننا نعرف ان مدينتنا منيعة الاسوار صعبة المأخذ لا تؤخذ بعام ولا بعامين غير اننا لا نرغب فى قتال العرب وعنادهم وقد اخطأ أبوك فى ذلك اذ ان القصد دفع الجزية لكسرى وقد عرض الامير علينا ذلك وعدنا بالخلاص من نير كسرى وثقل اخطاره وضرائبه وقصد كسرى هلاك الامير حمزة فاذا كان هو ملك ملوك هذا الزمان يعجز عن هلاكه فقصدا بعاده فماذا نفعل نحن امامه وعندنا ان نصالح الامير ونعرض حالنا عليه ونفعل كما فعل غيرنا من الملوك الكبار . فقال لهم انى عولت على مثل ذلك وفى صباح الغد ساخرج طائعا الى حضرته واسأله

المعمو عنا و عما سلف منا وما كان ذلك الا من أبي وفوق كل ذلك فاني سادخل في خدمته واسافر معه اينما سافر واقاتل بين يديه وتحت امره واقتدى بغيري من الملوك والامراء فقال اخوه وانا افعل كذلك فان في صحبة الامير حمزة الغاية وقد وقع له من قلبنا موقعا عظيما فاتفق الجميع على مثل ماتقدم وانتظر الجميع اتيان الصباح الى ان جاء مقبلا بصبوحه واذ ذاك نهض مباشر وبشير فلبسا ملابس السلام واخذ معهما مشايخ المدينة وأعيانها وخرجوا جميعا من المدينة الا أنهم ما بعدوا من أبوابها حتى لاقوا الامير عمر سائرا اليهم بامر اخيه ليعرض عليهم التسليم ففرحوا به وساروا معه الى ان وصلوا الى أمام الامير فلاقاهم وترحب بهم وزيد الترحاب وأكرمهم غاية الاكرام وقال لهم أنه يصعب على ان أكون قاتل الملك كسرى وان غير انه هو الذي تعدى على وقصد هلاكي وهلاك قومي ومن كان مثله يفدى بالارواح غير ان عمره قد فرغ وانقضى فاعزيكم به واطلب اليكم ان تختاروا غيره من ولديه بشير ومباشر فقال له بشير ومباشر ان ابانا قد قتل بالحرب اي في سبيل العداوة ومن يقتل في مثل هذا المركز لا يلام قاتله مع اننا نعلم انه هو المعتدى ولم ينظر في صالح نفسه ولا وعى ذاته بل قصد انفاذ غاية كسرى فلاقى مالاقى والآن قد جئنا نحن اليك طائعين راغبين في خدمتك كل العمر فاختر للمدينة حاكما غيرنا فاننا نحن مع ثلاثين الفا من قومنا نكون في ركابك على الدوام نعيش ونموت بين يديك . ففرح الامير حمزة بهذا الكلام وكاد يطير شعاعا لانه كان يحب ان يكون بين رجاله جماعة من أهل تلك البلاد لانهم فرسان بواسل كبار الاجسام شداد القلوب صبورين على الشدائد واحتمال الاهوال ولذلك قال لهم على الرحب والسعة فانكما تكونان متسلطين في قومي ويكون لكم المقام الاول كسادات العرب غير اني اريد منكما ان تجمعا الاخرجة عن سبع سنوات لاضمها الى قلم الاخرجة التي جمعتها من البلدان ومن ثم نسير عن هذه البلاد الى غيرها فاجاب الجميع طلبه ووعدوه انهم يجمعون الاموال باكثر من المطلوب ويدفعوه اليه باقرب وقت

وبعد أن صرفوا باقي النهار في صيوان الملك النعمان بين يدي الامير حمزة ركبوا عائدين الى المدينة وقد سألوه ان يقبل ضيافتهم مدة ثلاثة أيام مع قومه الاعيان فاجاب دعوتهم ووعدهم انه في الغد يسير اليهم وينزل ضيفا عليهم حبا بهم ففرحوا بذلك وودعوه وعادوا مسرورين بمصاحبة الامير فرحين بالاقوامنه ومامنهم الا من يطير قلبه شعاعا حبا به ورغبة في صحبته لانهم وجدوه انه على أعلى جانب من اللطف والبشر والانس رقيق الحاشية لطيف الجانب وحال وصولهم الى المدينة أخذ بشير ومباشر في تدبير امر الولائم بعد ان بعثا بالرسل الى سائر الملحقات ان تبعث بالاموال عن سبع سنين سلفا وان تستدين من الرعايا لجري ذلك

باقرب وقت وفى صباح اليوم الثانى نزل الامير حمزة الى المدينة مع قومه ودخلوا الى سرايا الحكومة وتفرجوا على البلد وتحصيناتها واسواقها ومدارسها العامرة الزاهرة وبعد ذلك دخلوا دار الضيافة وأكلوا من الولائم التى اعدها بشير ومباشر ووقعت الالفة بين العرب واهل المدينة وصرفوا مدة أيام على الهناء والراحة والسعه يسرحون ويمرحون ويلعبون الى أن وردت الاموال المطلوبة للامير فدفعت اليه على التمام فضمها الى غيرها من الاموال ومن ثم أخذ أهل المدينة يدبرون امر سفر عساكرهم وما يحتاجون اليه فى رحلتهم مع الامير من المؤن والعلوفات وصرفوا وقتا على أتم ما يرام واخير امر الامير عساكره ان تركب وتسير فى طريق صيدا وقد سأل من هو الملك على تلك المدينه فقيل له انه ملك عظيم الشان اسمه الدماس فقال وأى إله يعبد فقيل له يعبد الله سبحانه وتعالى ويكرم انبيائه . فقال لابد أن نصادف فى هذه المدينه نجاحا فلا نتاخر فيها لان الملك الدماس يكون قد بلغه ما حل بالملك كسروان فيختار السلام والامان على خسران رجاله ونفسه

وفى صباح ذات يوم نهض الامير الى جواده فركبه وسار بين يديه أخوه عمر العيار بجماعته العيارين وركب الى جانبه الملك النعمان ملك العربان واندهوق بن سعدون صاحب سرنديب الهند واصفران الدربندى ومعقل البهلوان صاحب حصن تيزان والامير عقيل امير الثمانمائه فارس ومباشر وبشير وسار الجميع يتقدمون من بيروت فى طريق صيدا وكان عددهم ٢٢٠٠٠٠ الفا تحت الراية العربيه وقد أقام حاكما على المدينة من أهلها واوصاه ان يبقى سبع سنوات لا يجمع أموالا او اعشارا من الاهالى وبعد السنين المذكوة يرسل بالاموال التى يجمعها الى مكة المطهرة الى أبيه ابراهيم وماساروا الاساعات قليلة عن بيروت حتى لاحت لهم اسوار صيدا وتبينوها تماما فامر الامير ان تضرب عساكره الخيام على بعد ساعه من المدينه وكان يظنه ان الملك لدماس يخرج لملاقاته فلم يرأحدا بل رأى أبواب المدينة مقفلة وما من رجل حولها قط فتعجب وقال لابد من هذا ان الملك يقصد الحصار على ان لا عساكر على الاسوار فقال له الامير عمرا كتب كتابا بالاخذ الى هذا الملك وانظر ما السبب الموجب لقيامه داخل البلد فاخذ حمزة قلما وقرطاسا وكتب كتابا يقول فيه

(من الامير حمزة بن ابراهيم فارس العرب ومبيد أهل الكفر الى الملك الدماس)

خرجت من بلاد كسرى لاجمع الاخرجة عن سبع سنين فاتيت حلب ولاقيته من صاحبها كل أنس فقبضت منه ما طلبت اليه دفعه وخرج عن طاعة كسرى ودخل فى طاعتى وسرت الى بلاد اليونان والرومان وانطاكيه وديار بكر وكل تلك المقاطعات

قصادفت خيرا ونجاحا وجمت الاموال عن سبع سنين سلفا وأدخلت البلاد فى حوزتى ثم اتيت سوريا ونزلت على الملك كسروان وسالته الطاعة فابى فكان ذلك شرا ووبالا عليه فخسر نفسه وقتل ولا بد ان تكون بلغتك أخبارنا والان اتينا مدينتك لنقبض منك الاموال عن سبع سنين وهذا لا بد منه ولا خلاص لك الا باجابة طلبنا وقبض المطلوب منك فتكون قد جاريت غيرك من الملوك ونظرت موضع النظر والا فاخرج لقتالنا ولا تختبي داخل المدينه فان مرادنا سرعة الرحيل عن هذه البلاد واموالنا وأما علينا والسلام

ولما انتهى من كتابة هذا الكتاب سلمه الى اخيه عمر وقال له خذه الى المدينة وارجع حالا بالجواب فاطلق ساقيه للهواء وبوقت قريب صار عند ابواب المدينة فطرق الباب وسال البواب ان يفتح له ليوصل التحرير الى سيدهم فلما رأه البواب وحده وشاهد ضعف جسمه فتح له الباب وبعد ان دخل قفل من خلفه فسار الى أن وقف امام الدعاس فدفع كتاب اخيه اليه ولما قرأه. قال له ارجع الى الامير حمزه واخبره انى لست بطائع ولا عاص ولا ادفع له الاموال ولا اجمع له الاخرجة ولا اخرج لقتاله ولا اجمع عساكرى لنزاله وحربه بل قفلت ابواب المدينة واقمت داخلها الا افعل امرا الى ان ارى من نفسي ما ينبغى ان اعمل وغير ذلك لا اجيب فارجع فى الحال فرجع عمر الى اخيه حمزه واخبره بجواب الدعاس فتكدر وقال هل هذا الرجل مختل الشعور فانى لا ارى انسانا يقاتلنا فى الدنيا مثله لا يكون عدوا ولا صديقا ونحن نطلب اليه اما يقاتلنا واما يدفع لنا الرسوم ويتركنا نقعد عنه فقال له مبا شر اذا شئت مرنا ان نحتاط بالمدينة فنفتحها رغما عنه لانه كما قال لا يريد ان يدافع عنها ولا يشهر سلاحا . أجاب ليس من العدل ان نقاتل من لا يرغب فى قتالنا وانى اصبر عليه الى سبعة ايام فاذا اجاب كان خيرا والا فعلنا ما اشرت اليه ونكون قد صبرنا عليه كفاية ورأينا ان الضرورة احوجتنا الى ذلك فاستحسن الجميع رأيه واقاموا خارج المدينة كل النهار الى المساء وفيه تفرق القوم الى الخيام واقام الخفر يحرسون العسكر الى ان كانت الساعة الرابعة من الليل وبينما كان الامير فى صيوانه ولم ينم بعد واذا به سمع الصياح والصراخ قد قام فى معسكره من كل جهة وناح فخرج منذهشا وقد أفرغ عليه سلاحه وركب جواده وتقدم الى جهة الصياح فرأى ان العساكر واقعة بالارتباك وهى تركض من جهة الى اخرى فسال عن السبب فقيل له ان فارسا واحدا انحط على المعسكر من جهة اخرى فشطره ولا يزال يقتل من يقف فى وجهه ولا احد قدر ان يمنع شره فسار الامير حمزة على امل ان يلتقى به فلم يتيسر له ذلك لانه سار باسرع من البرق فاختطف الارواح واخترق المعسكر وغاب عنهم ولم يعد يرى له اثرا فتكدر الامير من ذلك وعند الصباح وجدوا انه قتل نحو مائة وخمسين فارسا فازداد غيظ الامير وقال لا بد ان يكون

هذا الفارس من فرسان هذا الزمان العظام والا لما كان تجاسر ان يفعل معنا مثل هذه الافعال غير حاسب لاحد منا حسابا غير انه لم يقم طويلا فى قتالنا بل فعل هذه الفعال بوقت قريب وسار عنا ولا نعلم الى اين مسيره ولا اعلم ان كنت اصادفه مرة ثانية لاخذ منه بالثار واريه كيف يكون الغدر والاخذ بالغفلة واقام جماعة العرب بحيرة عظيمة كل تلك النهار وقد دخل فى عقلهم ان الفارس المذكور لا يعود ثانية اليهم بعد ان رأى كثرة جموعهم وتيقظهم غير انه ما اقبل الوقت المعين حتى انحذف عليهم انحذاف الصواعق واوقع فيهم ضرب السيف وهو يخترق الخيام ويعدد الفرسان على الارض قتلى وقد ارتجت من فعلة تلك السهول وارتفع الصياح من كل ناح فاسرع الامير الى جواده فركبه واسرع الى ملاقاته وبين يديه اخوه عمر فوجده قد ملا الارض من رجاله وهو يميل تارة الى اليمين وطورا الى جهة الشمال وسار فى اثره حتى وجده قد خرج من طرف المعسكر وسار فى البرا الاقفر مطلقا لجواده العنان فتتبع الامير اثره تحت ظلام الاعتكار حتى بعد عن تلك الناحيه نحو امي ساعتين وهناك غاب الفارس عن نظر الامير حمزه ولم يعد يرى له اثرا واذ ذاك قال لاخيه عمر قد ثبت ان طريقه من هذا المكان ولا بدله من العودة والمرور فى هذا الطريق ومن الصواب ان نقيم هناك بانتظاره الى ان يعود الينا ولا نده، يذهب الى المعسكر فارجع حالا واتينا بصيوان فننصبه فى هذا المكان الى ان يكون مساء الغد فالتقى به واذيقه شر عمله فاستحسن الامير عمر هذا الرأى ورجع فى الحال الى معسكر هم وجاء بصيوان وسرير لاخيه وببعض الاطعمه ما يكفيهما الى مدة ايام واوصى الفرسان ان تستكن فى اماكنها الى ان يعود اليهم اخوه واخبرهم ان مراده يربط الطريق على الفارس الذى يانيهم فى المساء ولا يدعه يصل اليهم واقام حمزه وعمر باقى تلك الليلة فى ذلك المكان وعند الصباح خرج من الصيوان ونظر الى فسيح ذلك البر من الجهة التى غاب فيها الفارس واذا به قد اقبل فوق جواده كانه الاسد الكاسر وهو يتقلب على عرش التفاخر والمباهاة معتزا بنفسه يلاعب حسامه على اربعة اركان ذلك السهل فسر الامير عند ما رآه واسرع فى الحال الى سلاحه فافرغه عليه واعتلى على ظهر جواده الاصفر ان كانه قطعة من اعالى جبال لبنان تنجلى للناظرين من كل مكان وهى ثابتة لا تتحرك قط ولا تزعزعها الصواعق ولا الزوابع ومن خلفه عمر وقد التصق بجواده ينطلق كانطلاقه ويسير كسيره

ولم يكن الا قليل من الوقت حتى وصل ذلك الفارس الى امام حمزه فتبينه واذا به مربوع التقاطيع عريض الاكتاف واسع الصدر ضارب على وجهه اللثام لا يظهر منه سوى عينيه وهو غاطس فى بحر من السلاح غريق به الى ما فوق رأسه ولما قرب منه قال له اهلا وسهلا بالامير حمزة فارس بريه الحجاز ومجبي الاموال من البلدان لقد وصلت الى محط رحالك وانتهيت الى

منتهى اجالك فاليوم تعرف مقدرة الفرسان وتفاوتها عن بعضها البعض وتعرف قدرك بين الفرسان وقد وقعت فى يدى ونويت ان لا ادعك تنجو الا اذا كنت تقدر على وتقتلنى وتاسرنى فقال له الامير حمزه سوف يظهر لك الحق من البطلان وتعرف ان الامير حمزه ليس كغيره من الذين لاقيت من الفرسان فاخبرنى اولا عن نفسك ومن تكون من الرجال والابطال فاجابه انا المعتدى صاحب الغارات المشهورة والافعال المذكوره والمحامد المأثوره من ذل لقائم سيفى كل جبار عنيد وبطل صنديد وذل بين يدى اساد الغاب حتى اصبحت عندى كالكلاب اذا سمعت ذكر اسمى اتجفت او رأت شخصى خافت وارتعدت لو كنت كما تقول لما سلكت سبيل الغدر واتيت معسكرنا على حين غفلة ونحن نيام بل كنت اتيت فى وسط النهار واظهرت شجاعتك على مرامى من الكبار والصغار . قال لم يكن من قصدى الافتخار ولا اريد ان اقاتلك امام الجميع بل على انفراد وكان قصدى ان اجرك من قومك الى قتالى

ثم ان المعتدى اشهر فى يده الحسام وانحط على الامير حمزه انحطاط اساد الاجام فالتقاه بقلب اشد من الحديد واقوى من صلابة الجلاميد واضطربت افئدتهما غيظا وحنقا وتسارعا الى الفوز جريا وسبقا وتضاربا بالسيوف وتطاعنا بالرماح وتصادما مصادمة اساد البطاح. وهما تارة يفترقان. وطورا يجتمعان حتى حجبهما الغبار عن الابصار واخفاهما فى ظلة ليقيهما من حرارة شمس النهار . فلم يكن يرى الالمعان سيوف تظهر من خلال ذاك الغبار وتتطاير شرارا كالشهب فى ظلام الاعتكار ولم يكن يسمع الا تنهدات. وتنفسات وتصعدات وهمهمة ودمدمة وبربرة وزمجرة وبالحقيقة انهما كانا بطلى ذاك الزمان. وميزان عزمهما الراجحان لا يوجد شبيه لهما لا بين الانس ولا بين الجان. فلله در المعتدى وما ابدى فى قتال الامير حمزه من الاجتهاد وما اظهر من فنون الحرب والطراد فانه لما رآه من الابطال الشداد وان بيته فى عالم القتال عالى العماد. بذل المجهود وقاتل قتال الاسود

وكذلك الامير حمزه فانه اظهر لخصمه شدة باسه وقوة مراسه واما الامير عمر فانه لما رأى شدة حرب فيضان المعتدى خاف على اخيه من سطوته وانه يصاب بنكبة من بسالته فاخذ فى ان يدور من حواليه كالدولاب ويضيع اكثر ضربات المعتدى بروره من بين الجوادين وانخطافه كالبرق من بين الاثنين ليشغل بذلك فكره ويضيع ذهنه به ويلتهى عن اخيه غير انه كان ثابت العزم قوى الجاش يقدر على قتال كثير من الابطال فى وقت واحد فلا يشغله شاغل ولا برح الاثنان فى ضراب وطعان وهما بلمعان سيوفهما يستضيئان وبانوار الشرار يستنيران الى ان غابت شمس النهار واقبل الليل بالاعتكار فصاح بهما الامير عمر دعا الحرب واستئنفاه للغد فكفا كما جرى فى هذا اليوم وللحال رجعا عن الحرب فسار المعتدى فى طريقه وعاد

الامير حمزه الى الصيوان وماصدق ان وصل اليه حتى نزل عن جواده ونزع سلاحه والقى بنفسه على سريره ليرتاح من شدة التعب فقال الامير عمر بالحقيقة انى اختبرت قتال خصمك واذا به بحر ماله قرار وميزان لا ينتهى بعيار ولذلك خفت عليك منه ولولا ان يقال انه اخذ بالغدر لغدرت به وخلصتك من شره فاجابه دعك منه فانى اتكدر منك اذا فعلت ذلك وخير عندي ان اموت وادفن تحت التراب من ان اغدر خصمي او اتقاعد عن انصافه ولاسيما مثل هذا الفارس المجيد واني اقر واعترف انه اشد مني باسا واثبت في ميدان الطراد وقد صدق من قال. مادامت النساء تحبل وتلد ما على وجه الارض مقدام واني اسال الله تعالى والخضر عليه السلام ان يعينانى على قتال هذا الليث الضرغام ثم ان عمر اجاء الى اخيه بالطعام فاكل ونام واقام هو على حراسته كل تلك الليله الى اذ كان الصباح فنهض مسرعا الى ساحة القتال فوجد المعتدي قد جاء وهو كانه الغول يصول ويجول لا يحسب حساب اشد الفحول فصاح به وهجم عليه فالتقاه بقلب اشد من الصوان ودار بينهما دولاب الطعان وكل منهم يتمنى ان ينال فى ذاك النهار مناه ويحصل من خصمه على مشتهاه اى انه يريد ان يقتله ويعدمه الحياة ليتخلص من ثقل حربه ومن اذاه

هذا والمعتدي يفيض فى حربه كما يفيض البحر عند اشتداد الارياح ويزأر كما تزأر اسود البطاح والامير حمزه يظهر فى حربه جهده ويبدى كل ما عنده وهو يتعجب من غزارة معرفته بفن الصدام وبما اعطاه الله من البسالة والاقدام واما عمر العيار فانه كان يدور كعادته من حولهما ويراقب احوال اخيه ويستعد لمنع كل ضربة قاطعة تقع من المعتدي فكان يحسب له حسابا ويشغل فكره به وهو يظن انه لولاه لنال من الامير مراده وما جاء اخر ذاك النهار وفيهما رمق فافترقا بسلام ورجع الامير حمزه الى صيوانه وسار المعتدي الى مكانه فتاثره عمر العيار واشار الى أخيه ان يبقى لوحده الى حين عودته ولا زال سائرا حتى بعد نحو ساعة من ذاك المكان فوصل الى قصره فى ناحية عن الطريق ولما نزل عن جواده خرجت من الباب فتاة كانها القمر فى تجليه وهى تمايل كالرمح فى اعتداله وقالت له أهل لم تقتل حمزة فى هذا النهار ويظهر لى انك عجزت عنه وضعفت شوكتك امامه فقال لها لا والله ياسلوى فانى كنت قادرا عليه فى كل ساعة لولا أخيه عمر العيار فانه كان علة خلاصه مني لانه ثعلب واحيل من ثعلب وكلما لاحت لى فرصة وأردت أن أغتنمها بان أسرع الى حمزه بضربة يضيع لى تلك الفرصة ويسد ذاك الباب بمثلثاته ودورانه فقبحه الله من حية رقطاء فقالت له انى فى الغد لا أدعك تبرز الى قتاله ولا تلتقيه فى مجاله بل مرادى أنا أبرز اليه وأنهى لك أمره وأقصف عمره فقال لها لا تصل المسألة الى هذا الحد يا أختاه وسوف ترين منى ما أفعله فى الغد ان شاء الله ثم دخلا وراقب عمر

أي مكان يدخلان فدخلا الى غرفة وجلسا بها يا كلاذ فنظر الى نافذة فى اعلا تلك الغرفة ويجاهها نافذة ثانية مطلة عليها فوثب اليها واقام بها يراقب عملها ويسمع كلامها وهما يتحادثان بامر الامير حمزه وقد قال المعتدى لاخته انى أقول لك الحق انه فارس صنديد وبطل مجيد لا يوجد مثله بين ابطال هذا الزمان شديد الحيل والقوى خبير بفن القتال وهو موفق بالعيار الذى معه ولا ريب انه من طوائف الجان لم ار كشكله من بنى الانسان فهو اصلع الجبهة اسمر الوجه مدور العينين كبير الوسط صغير القوائم رفيعها سريع الجرى خفيف الوثبات . فقالت له كن صبورا فلا بد من انا كفيك شره واما فوزك على الامير فلابد منه فى الغد وسانيك الان بما يقويك عليه ويزيد فى املك بالحصول على من ادركه منه فاثبت هناك الى ان اعود اليك فاحتار عمر العيار فى امرها وتعجب فى شانها واراد ان يعرف ماذا تريدان تعطيه ليفوز على اخيه ولما خرجت من الغرفة دخلت فى باب آخر وجاءت بسلم فاسندته الى الخ أطبتان ودون ان تسمع لها صوت او حركة رقربت من المكان المقيم به عمر وهو على حين غفلة ينظر الى المعتدى وصابر الى حين عودتها ليرى بما تاتيه فلم يشعر الا وقد قبضت عليه من اكتافه وقالت له ويلك ايها الشيطان اتريد ان تدخل قصرنا وتغافلنا وتفعل بنا غايتك بالحيلة بعد ان رايت عجز اخيك بالقتال فاراد عمر ان يتخلص منها فلم يقدر لانها كانت ذات حيل وقوى عظيمين ثم رفعته بين يديها ونزلت به السلم وجاءت الى اخيها وقالت له هاك عمر العيار قد وقع فى يدى وصار فى حوزتنا فاتنى بحبل لاربطه وصرت فى الغد تقدر ان تاتى بالامير حمزه او تقتله

ففرح المعتدى لذلك غاية الفرح واسرع الى حبل فجاء به وربط عمر وشد وثاقه وهو فرح جدا بما حصل وقال لاخته من اين لك ان عرفتى بوجوده قالت انى كنت اترقب اتيانه الى هذا القصر لعلمى ان العيارين لا يسكتون عن التسلل والخداع والاحتيال ولا بد له بعد ان يرى عجز اخيه ان ياتى لياخذك بالحيلة وفيما انا كلمك خطر لى هذا الخاطر وبالصدفة نظرت زجاجة نافذة هذه الغرفة من الجهة الثانية فوجدت ظله به فتاكدت ذلك واتيت به دون ان ادعه يشعر انى رايته وكانت تتكلم وعمر يتحرق وهو صابر على امره ويعرف انه لابد ان يتخلص عند اغتنام الفرصة ثم ان المعتدى قال لاخته ابقيه فى مكان منفرد الى الغد فاجىء بالامير حمزة او اقتله ومن ثم نذبح عمر فسارت به الى مطبخ القصر ووضعته به واقفلت الباب وكان لا نافذة به ولا ثقب فتكدر مزيد الكدر وتعجب من عمل سلوى وقال فى نفسه انها احيل منى واكثر خداعا مع ما هى عليه من البسالة والاقدام والجمال والحسن النادر فى غيرها من ربات الخدور وجعل ينظر فى امره كيف يقدر ان يتخلص وينجو من ذاك المكان فلم ير وسيلة لانه كما تقدم كان المطبخ مسدودا من كل جهة يصعب الخروج منه فصرف الفكرة الدقة والبحث فى ذلك الى ان لاح له وجه الامل وخطر له ان المعتدى لابد له من ان يذهب فى الغد الى قتال الامير حمزه

وان سلوى لا بد لها من ان تاتى المطبخ لساواة الطعام وتدنو من الموقدة لاشعال النار فاذا وضع لها البنج فى الموقدة تقع منه فى حال اشتعال النار ولما خطر له هذا الخاطر استنار وجهه فرحا وفى الحال ادار يده واسلتها من الحبال فخرجت بسهولة عظيمة لانه كان لين الايدى والارجل كالعجين يديرها كيف شاء ودنا من الموقدة ورمى البنج بها وعاد الى مكانه فارجع يده فى الوثاق واقام مظهرا حزنه على نفسه وغيظه من سلوى

قال واما المعتدى فانه نام مع اخته تلك الليلة وهو ببحر عظيم من السرور وترجح عنده انه فى الصباح يقدر على الفوز على حمزة وما صدق ان اشرق فجر اليوم التالى حتى نهض من منامه واعتد بعدته وودع اخته وخرج وهو يوعدها انه فى المساء او فى النهار يعود اليها وقد انهى عمله ونال مراده من خصمه ولا زال سائرا حتى وصل الى ساحة القتال فوجد الامير حمزة قد سبقه الى القتال وكان كل تلك الليلة لم ينم منتظر عودة اخيه ومالم يحضر تكدر كدرا عظيما وخاف ان يكون قد لحق به اذى او ناله امر اخر ولذلك يئس من الحياة وتمنى فى ذاك النهار اما يقتل المعتدى واما يقتل هو ولا يبرح احدهما لا بعد الانفصال التام ولما وصل المعتدى وقال له هذا اليوم الاخير ولا بد من هلاكك به لان اخاك عمر وقع اسيرا بيدنا ولا بد من قتله وموته بعد قتلك وموتك فتكدر الامير عند سماعه هذا الكلام وزاد غيظه من جرى غياب اخيه واراد ان ينتقم من خصمه ليسعى فى خلاص عمر واذ ذاك صاح به وهجم عليه فالتقاه كما تلتقى الارض الجافة وابل المطر واخذا فى الكر والفر والقرب والبعد والكد والجد والضرب والطعن والاستواء والتقلب الى ان مضى قسم من النهار والامير حمزه بانشغال افكار وارتباك من جهة اخيه عمر العيار وهو يتمنى ان يفوز على خصمه ليسعى فى خلاصه غير ان الامر كان على غير ما قصد لان المعتدى كان ثابت العزم متين الحيل لا تزيحه ألوف من الرجال ولا تروعه اسود الدحال ولذلك تعب فى قتاله الامير وانحلت مفاصله وايقن انه لا ينال منه المقصود وربما تغلب عليه ايضا

وفيما هو على مثل ذلك وقد مضى وقت ليس بقليل من النهار لاح من الامير حمزه التفاتة لجهة البر فوجد اخاه عمر ايغدوا كانه ريح الشمال وهو يتقدم لنحوهما بكل سرعة وينادى لقد خابت آمالك يا معتدى وسوف تلاقى جزاء ما وقع منك من الجور والتعدى ووقع صوته فى اذن المعتدى فاضطرب فى داخله ولاح له انه ما تخلص الا بعد ان اصاب سلوى امر من الامور وبهذا السبب وقع الحزن بغتة فى قلبه وضعفت قواه واراد ان يلتفت جهة الامير عمر فلحظ حمزه منه فصاح به وفاجاه مفاجاة الاسود وقد اشتد حيله عندما راى عمر وراى علائم الفوز فقبض على طوق خصمه وانتشله من على جواده فدافع عن نفسه بكل قواه فوقع الاثنان الى الارض وكان المعتدى من تحت الامير فاصاب جسمه الارض ورض وصاح الامان يا سيد

فرسان هذا الزمان فانى دخيل عليك ووقيع فقد هد حيلى وغاب وعى وكان الامير عمر قد اقبل ورأى مارأى فصاح باخيه ان يتركه فلا يستحق القتل بعد الاستئمان فنهض عنه وقال له نهض الى جوادك فلك الحرية ان تفعل مهما اردت قال انى اسيرك الان ولا يحق لى ان انقل سلاحا واركب جوادا الا باذنك فهاك سيفى بين يديك وانى اعترف انك سيدى ومالك امرى حيث قدرت وعفوت فمثلك تكون الفرسان والافلا . فقال حمزه معاذ الله ان أقبل منك ذلك وانى اعرف اكيدا انك ابسل منى واشجع وقد لاقيت منك ما أعجزنى ولولا القليل لكنت وقعت بيدك فالحقيقة انك نادر المثال وانى لست مثلك اذا اشتد القتال فانت أخى على كل حال قال انى سابقى بين يديك وفى خدمتك طول عمرى ولا أفارقك دقيقة واحدة انما أريد ان اعرف ماذا حل باختى سلوى فقد ضعف لاجلها حيلى وأخاف ان يكون عمر العيار قد قتلها او فعل بها أمرا منكرا ثم سأل عمر اعنها فقال له انك لما اسرتنى ووضعتنى فى المطبخ صرفت العناية الى التخلص من الكتاف الى ان تسهل لى مطلوبى وبعد ذلك اتيت الموقدة لعلمى ان اختك لابد ان تأتى فى الغد لمساواة الطعام وطبخه ووضعت فيها قليلا من البنج وارجعت يدى الى الوثاق وأقمت على ما انا عليه الى ان كان الصباح جاءتنى وبختنى كثيرا وانا صابر عليها لا أبدى كلمة قط حتى مضى ساعتان تقريبا فاتت واشعلت النار فى الموقدة وأنا بعيد الى زاوية المطبخ اراقب ما يكون من امرها وقد ترجح لدى الفوز وقد ثبت مؤملى حيث ما أشعلت النار الا ووقعت سلوى الى الارض نسارعت حالا ووضعت فى أنفها ضد البنج وأتيت اليها فرفعتها الى خارج المطبخ واوثقتها وحملتها فى جرابى وجئت على عجل خوفا من ان يقع على الامير حمزة منك الكدر لانشغال باله على فتعجب المعتدى من حيله ومكره وقال له والان أختى معك قال نعم هى موثوقة فقال واين تضعها قال فى هذا الجراب ثم اخرج جراب اسماعيل من وسطه وفك بابه ومد يده واخرج سلوى ووضعها امام اخيها فزاد تعجبه وكاد يضيع عقله وقال كيف هذا الجراب الصغير يسع اختى قال هذا يسع الدنيا باسرها ولا تبان فيه

ثم تقدم من سلوى وفك رباطها ولما وعت على نفسها تقدمت من اخيها فسلمت عليه فقال لها قربى من الامير حمزة وسلمى عليه فهو أصبح منذ الان مولانا وقد اسرنى ودخلت فى يده وحكى لها كل ما كان من امرها وامره كل هذا والامير حمزه ينظر اليها وهو باهت من حسنها واعتدال قوامها وقد وقعت من قلبه موقعا عظيما وحدثته نفسه ان يتزوج بها وكذلك سلوى فانها عندما راته من نفسها ورات على وجهه علائم الحب والهيام من جرى نظره اليها ففهمت المقصود ودنت منه وقالت له انى سررت جدا ياسيدى بان نكون فى خدمة شريف وبطل مجيد مثلك قد طار صيته فى الافاق وخدمته الملوك الكبار وتمنت بناتهم ان تكون تحت اجنحته وفى حماه فقال لها انى أفتخر بمصالحة من هو كاخيك لانه والحق يقال اقدر منى فى مواقفه

القتال وما اسرته الا وقد ساعدتني عليه العناية وخانته ظروف الاحوال ولا سيما انت فاني ارغب ان تكوني معي في سفرتي . فقال عمر اني اسألك ان تعتمد على الاميرة سلوى فانها وحيدة بين النساء فخذها لك زوجة فهي لا تليق لغيرك فاجاب اني على هذا اعتمدت ونويت . ثم اتفق كل من الامير والمعتدي واخته على ان تكون سلوة زوجة للامير غير انها طلبت منه ان تبقى في خدمته وتكون رفيقته وان لا يتزوج بها الا في المدائن عند زواجه بمهرد كار بنت كسرى . فاجاب طلبها ووعدها بان تكون معه على الدوام وتحضر القتال والنزال لانها كانت تقاتل بكل انواع السلاح وتطارد كاشد الابطال وبعد ذلك قال الامير ان مرادنا الان الرجوع الى المعسكر لان قومي بانتظاري ولا بد ان يكونوا قد شغلوا بسببي وفي الحال ركب الامير والمعتدي واخته وهم فرحون بهذا التصادف وهذه الموافاة والمسابة وانطلق بين ايديهم الامير عمر العيار كانه السهم اذا طار وبوقت قليل غاب عنهم ووصل الى الخيام ونادى باتيان اخيه وانه اسر المعتدي ثم اتفق معه وجاء الاثنان معا على الحب والولاء وبلغ الخبر الملك النعمان ففرح مزيد الفرح وخرج للملتقى فارسهم مع باقي الفرسان من الكبير الى الصغير وماساروا الا القليل حتى التقوا به عائدا مع رفيقه وعروسه فسلموا عليهم وهنؤهم بالسلامة ورجع الجميع الى الخيام ونزلوا في صيوان الملك النعمان فاقام لهم الاكرام والانعام نحو ساعتين من الزمان . وبعد ذلك قال الامير حمزة لقد انتهينا الان من امر المعتدي وصار من الواجب الان ان نفكر بامر الملك الدماس فانه محاصر الان داخل المدينة ومرادي الان اكتب له كتابا اطلب اليه التسليم ثانية واخبره بما كان من المعتدي . فقال المعتدي اني اذهب اليه وادعه يأتي الى خدمتكم لانه منذ الاول كان لا يرغب في القتال ولا يرضى معاندتكم غير اني منعته من التسليم واخذت على نفسي قتالكم وخرجت باختي الى القيام في البر عند قدومكم لان كتابة كسرى قد وصلتنا منذ زمان طويل والحمد لله الذي لم يقع بيننا مكدر ولا تركنا عباد النار ينفذون مآربهم منا ويحملوننا ان نهلك بعضنا بعضا وصرفوا باقي ذلك النهار وتلك الليلة فرحين بالمعتدي واخته وهم يقدمون لهما كل اكرام الى ان كان صباح اليوم التالي ركب المعتدي ودخل الى المدينة على الملك الدماس واطلعه على تصحبه للامير حمزة العرب وقال له يجب ان تخرج الان مع قومك الى امام الامير وتعرض عليه طاعتك وحبك وتعلمه بان ما كان امتناعك الا مني فهو حليم رفيق يعفو عنك ويصفح عن عصيانك ولا ريب انه يرحل عن المدينه بعد ان ياخذ منها الاموال المطلوبه وتبقى انت عليها حاكما كغيرك من الملوك ففرح الدماس بذلك وجمع اليه سادات قومه واطلعهم على ما كان من الامير والمعتدي وامرهم ان يركبوا جميعا الى العرب ففعلوا وخرجوا مع المعتدي وامرهم ان يركبوا جميعا الى ان وصلوا الى صيوان الملك النعمان فدخلوه ودنوا من الامير حمزة وسلموا عليه فاكرمهم وترحب بهم

وكذلك باقي سادات العرب ومن ثم اظهر الدماس طاعته وانه لم يقصد عنادا وانما خوفه كان من المعتدي حيث ان يقفل ابواب المدينة ويقيم داخلها الى ان ينهي الامر وحده ولما اطلعه على دخوله في رجال الامير رغب هو أيضا بالطاعة والتسليم فقال له حمزة اعلم اننا لا نقصد لاحد ضرا اوجل غايتنا ان نجمع الاموال عن سبع سنوات ونسير وهذا لا بد منه كيف كان الحال وحيث قد صار الامر على ما صار فاسالك الان ان تسرع في جمع الاخرجة عن السنين المذكورة سلفا لاني اعرف ان لا بارة عليكم في السنين الماضية واعطيك وصلا بذلك وسلم الى كتاب الملك كسرى لاضمه الى غيره من الكتب واوصيك من بعد ذلك ان لا تدفع للاعجام عبادين النار بارة واحدة بل ادفع ما يطلب منك الى الامير ابراهيم والدى صاحب مكة المطهرة فوعده الدماس بكل ما أمره به ودعاه ان ينزل معه المدينة ليحضر وليمته ويقيم في ضيافته مع سادات العرب فاجاب طلبه وساروا الى أن دخلوا المدينة وأقام الامير فيها نحوا من ثلاثة أيام وهو على اكرام واعتبار وبعد ذلك أخذ الاموال فاضافها الى التي معه من ذهب وفضة وخيول واغنام ونوق ونحو ذلك وأخيرا اخذ كتاب كسرى واعطاه الى الملك النعمان وقال له ابق هذا مع غيره الى حين الحاجة وأمر أخاه عمر ان يدور بين العساكر يامرها بالركوب والمسير عن صيدا فركب الجميع وركب الامير امامه والى جانبه الفرسان من الابطال المشهورين الذين تقدم ذكرهم وركبت الاميرة سلوى وقد افرغت عليها ملابس الرجال وتقلدت بالاسلحة وهي سائرة الى جانب الامير لا ترفع نظرها عن وجهه مسرورة به وبما أعطيت من التقرب منه وحسبت نفسها من أسعد النساء لانها سترافقه وتمتلي من النظر اليه وأخيرا عند عودته الى الديار يتزوج بها وتحظى بالسعادة التامة من بقائها في يده

قال ولما تحركت ركاب العرب عن صيدا الى جهة صور سال الامير أخاه عمرا عن حاكم مدينة صور وما يعبد من الاديان فقال له ان حاكم مدينة صور هو رجل كافر بدين الله يعبد الاوثان ويكرم التماثيل ويعظم قدرها واسمه الملك العابد أي عابد الاحجار فقال المعتدي لا ريب اننا سنلاقي من هذا الملك عنادا لانه يفتخر بمناعة مدينته حيث ان اسوارها منيعة صعبة الدخول لا يمكن الدخول منها ولا خرقها . فقال حمزة ان الله تعالى الذي أعاننا على غيرها يعيننا عليها فما من صعوبة لدينا . ولا زالوا سائرين الى ان قرب المساء فوصلوا الى ضواحي صور وضربوا خيامهم في تلك الارض . ومن ثم أخذ الامير حمزة فكتب الى العابد كتابا يامره به أن يخرج ويسلم امره اليه ويدفع ما هو مطلوب منه من الاموال الى سبع سنين والا يلاقي الشر والوبال ويترك عبادة الاوثان والاحجار ويعبد الله سبحانه وتعالى فينال السعادة منه والاقبال ولما وصل عمر اليه بالكتاب خرج في الحال الى أمام الامير حمزة وابدى له الطاعة وقال له اني سأجمع الاموال واقدمها اليك باقرب وقت ولا اعصى لك أمرا ولا أخالف قولا وأريد أن تقبل

ضيافتي في الغد وتدخل المدينه . فقال الامير عمر لا يمكن ان تقبل ضيافتك مازلت على دين الكفر فاترك ما أنت عليه واعبد الله سبحانه وتعالى وكسر الاصنام والحجارة وادع من كان من قومك على عباداتها ان يتركها ويتمسك بدينه تعالى . فقال العابد انى سافعل كل ماتامرونني به وتطلبونه الي وساذهب الان الى قومي واجبرهم الى طاعه الامير وعبادة الله فمن اطاع كان خيرا ومن عصاني كان جزاءه الموت والاعدام . ثم ودع سادات العرب ورجع الى قومه فدعاهم وقال اعلموا ان الملك كسرى قد بعث الينا بكتابه يوصينا بهلاك العرب والامير حمزة وانى لا أريد أخالف كسرى وقد فعلت ماعجز عن فعله غيرى من الملوك الكبار والفرسان العظام قالوا وكيف فكرت ان تفعل أجاب لا يخفى كم ان المدينة حصينة جدا ولا خوف عليها من العرب ولا من غيرهم من سكان الدنيا ورأيت من أصوب الامور أن أصبر على العرب أن يناموا ويامنوا غوائل الايام فاكبسهم بعساكرى واقتل منهم مقتلة عظيمة ومن ثم أعود الى المدينة واقفل أبوابها اذا بقى فيهم بقية رمق وادعهم يفعلون ما يريدون وكلما لاحت لى الفرصة انحط عليهم وارجح ذلك الفوز والنجاح فقالوا له افعل ما بدا لك فنحن مطيعين لك عاملين على كل ما تأمرنا به فاخذ في ان يجمع العساكر ويعددها ويرتبها الى ان كان الليل وكان عددها نحو عشرين الفا وعند منتصف الليل خرج بهم رويدا دون ان يشعر احد بهم وأخذ في ان يفرقهم من اليمين والشمال وأوصاهم ان يهجموا على العرب هجمه واحدة ولم يكن عند الامير حمزة وجماعته علم بمثل هذا الامر بل كانوا مطمئنين البال والخاطر متكنين بقول الملك العابد لا يخطر لهم قط غدره فما شعروا الا والصياح قد ارتفع من كل ناحيه وعمل السيف القرضاب في الصدور والرقاب وارتبك معسكر العرب اى ارتباك وظنوا ان رجال العالم قد حملت عليهم واضطربوا اضطرابا عظيما وبما مالوا كانوا يرون رجال المدينة وهم يقتلون ويفتكون وايقنوا بالهلاك والوبال وفروغ الاجال اذ لم يدركهم الامير حمزة بهمته ويفاجئ الاعداء بالفرسان من جماعته وكان نائما لا علم له حتى دخل عليه أخوه عمر وقال له انهض لقد هلكت رجالك وساءت أحوالك واذا بقيت نائما لحق بك الدور فقتلت وانت على سريرك فنهض مندهشا ولعن العابد وقومه وقال الان يصادف شر عمله ثم قام الى الاصفران فركبه وصاح فيه وخرج كالنجم الساقب وجعل يقتل كل من يصادفه من رجال المدينه وكذلك المعتدى فانه اسرع الى المحاماه عن العرب واندهوق وبشير ومباشر وباقى السادات ودار دولاب القتال كل باقى تلك الليله حتى تدفقت الادميه كالميازيب وتجدولت في اقنيه الارض كالانهور وداست الخيول في بطون القتلى وقتل من العرب مقتله ليست بقليله وكذلك من أهالى صور وقبل أن ينبثق فجر اليوم القادم رجع رجال الملك العابد وهم بحالة يرثى لها لانهم كانوا قلائل فلم يقدروا ان يفوزوا بالمطلوب ودخلوا المدينة مع ملكهم وقفلوا الابواب وامر الملك

ان لا أحد يدخل ولا أحد يخرج وقد خاف من العرب كل الخوف لما رأى نفسه مغلوبا معهم ولا يقدر على محاربتهم ورأى ان لا شيء ينجيه الا الحصار والقيام داخل المدينة الى ان تضجر العرب وترحل عن تلك الناحية اذ ما من وسيلة لها بفتح المدينة والتغلب على خرق تلك الاسوار والحصون المنيعة المحكمة

واما الامير حمزة بعد أشراق النهار نظر الى المفقودين من رجاله فوجد ما ينوف عن خمسة الاف فارس فتكدر مزيد الكدر وعظم عليه الامر ولم يعد يرى ما بين يديه وقال كان من الواجب ان لا نامن لرجل يعبد غير الله سبحانه وتعالى ولو كان على دين الحق لكان يسهل عليه ان يفي بوعده ويستقبح الغدر والخيانة وعلى كل فمن الواجب التحفظ والتحرس على رجالنا خوفا من ان يعود هذا الغادر الى مفاجاتنا مرة ثانية ثم امر ان ندفن جثث القتلى من رجاله ورجال صور فحفرت الحفر وسترت تلك الاجسام بالتراب لترجع الى اصلها الترابي وانقضى ذلك النهار وفي المساء جاء حمزة الى صيوان الملك النعمان وفرق العيارين في كل تلك الجهات واوصى أخاه عمر ان لا ينام ولا يتقاعد من مراقبة الاعداء فاجاب أمره وصرف تلك الليلة يتخاطف كالبرق اللامع من جهة الى ثانية خوفا من ياتي المعسكر الغريب ان يسمع صوتات او حركة المعسكر ومضى الليل ولم يات احد ولما كان الصباح نهض الجميع على حسب عادتهم دون ان يروا مقاتلا ومناضلا فامرهم الامير ان يزحفوا على أسوار المدينة زحفا ومن علو ارتفاعها لم يتمكنوا من الصعود عليها والتغلب ورجعوا عند المساء دون الحصول على نتيجة وفي اليوم الذي بعده كذلك حتى مضى خمسة أيام ولهذا السبب ضاقت نفس الامير وضجر الضجر العظيم ودعا اليه كل الامراء والاعيان وقال لهم لا خفاكم ان البلد منيعة اذا صرفنا العمر حولها لا تفتح الا اذا احتاج سكانها الى الطعام وهذا لا يمكن لان الطعام ياتيهم بالبحر على الدوام فانظروا النافع طريقة تقرب علينا افتتاح البلد واخذ الاخرحه منها والبعد عنها فجعل كل منهم يفكر ماذا يكون التدبير ولم يتوصلوا الى المطلوب واخيرا قال لهم الامير أصبروا على الى مدة ثلاثة أيام عسى ان التقادير تسهل لنا طريقه للوصول الى فتح البلد وسوف اتجسس المعابر وانظر في الحصون فلا بد من وجود مدخل نصل منه الى الداخل . فاستصوب الجميع رأيه وباتوا يأملون نجاحا على يد عمر وتفرق كل واحد الى صيوانه . ولما دخل حمزة الى الصيوان كان عمر احد العيارين بحراسته وسار من المعسكر يقصد الاسوار ليطوف حولها وفي نيته انه لا بد ان كلبا خارجا من المدينه أو هرا أو غير ذلك فيتوصل الى نافذة أو دهليز وفيما هو على مثل ذلك ينساب تحت ظلام الاعتكار كانه الافعى واذا به سمع حركة فاعار اذنه فسمع كلام اثنين يتكلمان وهما سائران الى جهة معسكر العرب فدنا منهما بكل خفه وسمع ما دار بينهما من الكلام وعرف ان أحدهما امرأة والثاني رجل وثبت عنده انهما يقصدان أخاه حيث سمعهما

يذكرنه فسار فى اثرهما الى ان دخلا بين المعسكر فاعترضهما فقال لهما من انتما ومن تقصد ان فقد يظهر لى انكما من أهل هذه المدينة فقالا له أننا نقصد أمير العرب وسيدهم وهو حمزة بن ابراهيم ومرادنا أن نعرض عليه أمرا به الخير والنجاح له فقال له سير امامى فانا عيار ه عمر فسارا الى أن وصل بهما الى امام الصيوان فابقاهما فى الخارج ودخل فايقظه فقال له ان رجلا وامراة من اهالى المدينة يقصدانك وقالا ان الخير بهما فامرهما ان يدخلا عليه فدخلا وبعد ان جلسا قال الامير ومن انتما وما مرادكما فقالت المراة اعلم ياسيدى اننا اتينا اليك لاجل امر به الخير لك والفلاح لنا فعدنا بانك تحررنا وتغيثنا اذا فتحنا لك المدينة وادخلناك مع قومك فى هذه الليلة قال لاريب انى اكافئكما بكل جميل واجرى لكما ما تريدان . فاعرضا على امركما فقال الرجل اعلم ياسيدى انى انا وزير الملك العابد وهذه زوجته ولما كنا على دين غير دينه كان يكرهنا ويتمنى لنا الهلاك حتى انه اخيرا اتهم زوجته بحبى واراد منها الانتقام فعذبها العذاب الشديد الى ان اخيرا افضى به الامر الى ان طردنى من الوزارة واقام غيرى من عبدة الاصنام وضيق على زوجته كل الضيق فالتزمت ان اصبر على امرى انتظر الفرج منه تعالى لعلمى ان الله لا يترك عبدته فى الضيق ولما كانت هذه الليلة قام الى زوجته فضربها الضرب الاليم وعذبها العذاب الشديد وقال لها ان العرب هم من دينك يعبدون ما لا يعرفون ولا بد من ان تكونى قد بعثت اليهم ان يعينوك فدعيهم يأتون الان وادعى الهك ان يخلصك من العذاب فلم تبدى جوابا بل بقيت صابرة الى ان نام فنهضت وسارت الى فاخبرتنى بكل ما جرى وطلبت منى ان اسير اليكم لحمايتها منه فقلت وكيف يمكن لنا الخروج من المدينة قالت لى ان مفاتيح الباب التى الى جهة البحر عند العابد فاتيت بها معى فيمكن ان نخرج من هناك ونركب زورقا ونسير الى البر ومن ثم نتقدم الى جهة معسكر العرب وهكذا فعلت وانا أتينا اليكم الان نبقى عندكم اما ان نموت واما ان نعيش واذا وجدتم أنه يمكنكم ان تدخلوا المدينة من جهة البحر فتحنا لكم الابواب وسرت انا معكم الى الباب البرى فتقتلون الحراس ويدخل المعسكر منه فى هذه الليلة فسر الامير سرورا لا مزيد عليه . وقال لاخيه عمر فى الحال اذهب وادع الى المعتدى واندهوق واصفران وباقى الفرسان مع الملك النعمان ويكون ذلك باعجل ان فاجاب عمر امره فاحضر له كل ما طلب ولما ساروا عنده . قال للملك النعمان اريد منك ان تيقظ العساكر وتسير الى جهة باب البلد ويكون ذلك باقل من ساعة ونصف وانا مرادى ان اخذ المعتدى واندهوق والاصفران وننزل من الزورق وندخل من باب البحر

ثم ان رجع الامير حمزه اخذ مفاتيح الباب من الوزير واخذ معه الفرسان الذين ذكرناهم وسار الى جهة البحر يدله الوزير على مكان الزورق حتى وصل الى البحر فركبه الجميع وساروا الى ان وصلوا الى الباب المذكور ففتحه الامير ودخل مع باقى الفرسان فامر الوزير ان يبقى

فى الزورق فكان ذلك بطلب عمر العيار خوفا من ان يكون قد نصب لهم مكيدة ساقهم بها الى داخل المدينة وقفل الباب من الداخل وساروا جميعا وراء عمر لانه كان يعرف باب البلد من اى جهة حيث قد جاء المدينة اولا عند اتيانه بكتاب اخيه ولازالوا حتى وصلوا الى الباب واذ ذاك هجم المعتدى على الحراس فقتلهم واخذ منهم المفاتيح وفتح الباب باعجل من لمح البصر واذا بالملك النعمان قد دخل من خلفه عساكر العرب وانقضوا على المدينة من كل ناح واشغلوا اضرب السيف بالاهالى فابلوهم بالذل والويل فقتلوا منهم مقتلة عظيمة فاضطربت المدينة اى اضطراب وقامت بهم القيامة من كل ناح حتى استيقظ العابد مرعوبا ومندهشا وسال ما الخبر فقالوا ان العرب قد دخلوا الى المدينة فارتاع وارتجف وايقن انه هالك لا محالة وان الامير حمزه لا يبقى عليه ولا بد ان يجازيه على غدره ولذلك اعتد بلامته وقصد الخروج وكان الوقت قد قارب الصباح لان الامير حمزه لا زال يقتل ويأمر ويعدد الرجال على الطرقات وفى الاسواق واخوه عمر يسير بين يديه ليدله على قصر العابد حتى وصل اليه فى الحال فترجل عن جواده وفرق العساكر المجتمعة من حواليه بضربات سيفه الباتر وهو يصيح فيهم ويلكم ايها الاقران ابعدوا عن هذا المكان وتخلوا عن ملككم الخادع القرنان فقد جاءكم الامير حمزه البهلوان بن الامير ابراهيم العالى القدر والشان وكان اخوه عمر يسير بين يديه وهو يخترق الصدور بضربات خنجره ويخطف النفوس باسرع من شدة سيره حتى التقى الامير بالعابد فضربه بسيفه الباتر ازاح رأسه عن جسده ورماه الى الارض قتيلا وبالاختصار انه قتل من سكان المدينة ليس بقليل وبعد ذلك امر الامير حمزة ان تكف الايدى عن الرعية واخبرهم بقتل ملكهم وهلاكه ودخل الى دار الاحكام وارسل خلف الوزير فحضر الى بين يديه فقال له الان قد انقضى الامر ولم يبق من سبب للخوف عليك وقد قتل عدوك وعدو الله ولاقى حتفه وقد نويت ان ازفك على زوجته واقيمك ملكا على هذه المدينة وتكون تحت امرى وطاعتى منذ الان. قال انى عبدك ولا أعصى لك امرا وانا لا أستحق هذه المكافاة وهذا الالتفات

وبعد ذلك دعا الامير رجال المدينة وامنهم على انفسهم وقال انى اقمت عليكم هذا الوزير ملكا واريد منكم ان تطيعوه وتفعلوا كل ما يامركم وتتركوا عبادة الاوثان وتعبدوا الله العزيز الجبار فهو وحده قادر ان يحييكم ويميتكم فقالوا له اننا نرغب فى ذلك واننا نشكر منك حيث قد خلصتنا من ظلم الملك العابد ومن شره فهو كافر عودنا على ما لا نريد ونحن عبيد للعرب نفعل ما يريدون فشكرهم وزوج الوزير بزوجة العابد وخطب له على المدينة فطلب اليه ان يجمع الاخرجة عن سبع سنوات فاجاب طلبه وما مضى ايام قلائل حتى استوفى كل المطلوب ومن ثم جمع جماعته واعرض عليهم غرضه بالرحيل فاجابوا طلبه وركبوا وساروا عن صور ولما

ساروا فى الخارج مال الامير اى مدينة يقصدون فقال له اعمر اننا نقصد عكاء وهى مدينة حصينة ذات اسوار منيعة . قال ومن عليها اجاب عليها ملك من عظام الملوك اسمه قاهر الخيل وهو من الفرسان الصناديد . والابطال الاماجيد . قال واى اله يعبد اجاب هو على الدين القويم يعبد الله سبحانه وتعالى ولا زالوا فى مسيرهم حتى قاربوا مدينة عكاء واكتشفوا على اسوارها عن عدو وأواحوا لها العساكر والابطال مثل قطع الغمام فعرفوا أن قاهر الخيل قد جمع الفرسان والابطال وفى نيته القتال وعدم التسليم وللحصار وامقابل المدينه امر الامير ان تنزل الفرسان وتنصب خيامها فى ذاك المكان ففعلت وانتشر العرب فى تلك الضواحى وسرحوا باغنامهم وجم لهم وخيولهم حتى انسد الفضاء من الشرق الى الغرب . وارتاحوا ذاك اليوم وفى اليوم التالى كتب الامير حمزه كتابا الى قاهر الخيل يقول له فيه

من الامير حمزه بن الامير ابراهيم فارس برية الحجاز الى قاهر الخيل صاحب مدينة عكاء ونواحيها

اعلم انى ما أتيت هذه البلاد لاخربها ولا لاقتلك ولكن القصد جمع أخرجه عن سبع سنوات الى الملك كسرى ولا بد ان يكون قد كتب اليك كما كتب لغيرك لتسعى فى هلاكنا وهذا بعيد منك فقد لاقى غيرك حتفه عنده اقصد لنا الاذى فارجع عن غيك ان كنت تقصد لنا شر ولا تظن انك تفوز بالمطلوب بل تقود بنفسك الى حفرة الهلاك والوبال فانظر موضع النظر واحضر الى وعدنى بجمع الاموال فاقبضها وأسير فى طريقى ولا تدع كسرى عابد النار والكافر بدين الله ان يفسد بالمؤمنين وينفذ فيهم غايته لينقضوا امواهم وانى ناصح لك والسلام

ولما انتهى حمزه من كتابة لتحرير بعث به مع أخيه الى قاهر الخيل فاخذه ولا زال سائرا حتى دخل عليه فسلمه اياه فقرأه وقال لعمر لا بد من الحرب فيما بيننا وبين العرب واذ كان كلا العسكرين يعبدون الله فانى ابارزكم بنفسى فاذا فزتم على كان لاذنب على قومى واذا فزت على فرسانكم وقهرت ابطالكم عفوت عن العساكر وارجعتهم الى بلادهم واكون قد نلت المطلوب واجريت امر كسرى صاحب البندر والعلم وسلطان العرب والعجم . ومالك رقاب الامم . فبلغ حمزه ذلك وليدع فرسانه وهو يبارزنى منذ الغد

فعاد عمر الى العرب واخبرهم بما سمع من قاهر الخيل فقال الامير لقد انصف وان الرجل معتز بنفسه ويظن انه يقدر على كبحنا ولا بد من ان نريه قيمة نفسه واذ ذاك تقدم اليه الاصفران وقال له اريد منك ياسيدى ان تسمح لى بقتاله قاهر الخيل فى الغد . قال اليك ما طلبت واحذر لنفسك منه فقد يظهر انه فارس صنديد وبطل مجيد غير انى اسمح لمن اراد قتاله فى الغد فقط وأما بعد الغد رصرفوا باقى ذاك اليوم وتلك الليلة الى ان كان صباح اليوم التالى نهض الامير من فراشه

وامر بضرب طبول الحرب فضربت ونشرت الرايات العربية فوق رأس الملك النعمان تقدم في وسط الرجال وفعلت كذلك عساكر عكاء واصطفت الصفان وترتب الفريقان وكل منهم ينتظر امر قائده وسيده وفي الحال بزر قاهر الخيل الى ساحه المجال كانه فيل من الافيال كبير الجثر عريض الاكتاف فصال وجال في الميدان على اربعة الاطراف ثم توسط الساحة وصالا طالبا براز الابطال وقال من عرفني فكفاه ومن لم يعرفني فلاخفاه انا الحية الرقطاء مسقى الاعداء كاسات الرداء قاهر الخيل صاحب عكاء فما تم كلامه حتى صار الاصفران امامه واخذ معه في الصدام والقتال والطعان والضراب وهما تارة يفترقان وتارة يجتمعان ولا ياخذهما فتور ولا يقع منهم قصور مدة ثلاث ساعات من النهار حتى وقع الضعف في مناكب الاصفران ورأى نفسه عاجزا عن قتال قاهر الخيل غير انه صبر على نفسه واختار المنية على الفرار امام خصمه واظهر العجز وطلب الاقالة فرأى منه قاهر الخيل ذلك فضايقه كل المضايقة ولاصقه كل الملاصقة وقبض عليه من جلباب درعه واخرجه من بحر سرجه وعاد به الى قومه فدفعه للوثاق وعاد مفتخرا بذاته يلاعب جواده في الهواء وطالبا ان تاتي اليه الفرسان مثنات مثنات وما انتهى من كلامه حتى صار الامير مباشر امامه وقال له انى ناصح لك ياقاهر الخيل ان تخلع عن القتال وتسرع الى خدمة الامير حمزة فهو حليم رفيق يقبلك وترى منه مايسرك ولا تفتخر بنفسك وتظن انك تفوز بالغاية فقد امتنع ابى في الاول فاصابه الموت من يديه وانت تعلم انه كان نادر المثال في زمانه وكذلك المعتدى حامي السواحل فانه وقع في يديه فامره ثم اطلقه وجاء به اسير في جملة رجاله ويسعى في انقاذ مطالبه. فقال له ابى لا أسلم الابعد ان ارى في عساكر العرب من يقدر على اسري واذلالى لانى لا أريد ان اغش ذاتي وابقى متحسرا فيما بعد ومهما جرى يجرى واعرف مقدرة نفسي وارجع انى اقدر على الامير وسوف تراه أسيرا بين يدي ذليلا حقيرا

ثم هجما الاثنان على بعضهما البعض كانهما جبلان رسيا في تلك الارض وارسليت ضربات السيوف فاصابت الطوارق. واندفعت اصوات الاثنين فقلدت الصواعق واشتعلت نار الحرب بينهما الى مابعد الظهر بساعتين واذ ذاك هجم قاهر الخيل هجوم ويلات الويل واخذ مباشرا أسيرا وسلمه الى قومه وعاد يطلب البراز وما وصل الى المكان المعهود حتى اقبل بشيرا قد أقبل يطلب خلاص أخيه من بد قانصه وحالما وصلا الى بعضهما تسارعا الى المضاربة والمطاعنة وتركا المعاتبة والمداهنه وصرفا باقي النهار على قتال احر من لهيب النار وعند الزوال اخذ قاهر الخيل بشير اسيرا وعاد الى قومه وضربت طبول الانفصال ورجعت العرب حزينة على فرسانها واجتمع الجميع في صيوان الملك النعمان وابدى الامير غيظه من

أمر رجاله فقال له الامير معقل في الغد ابرز اليه انا وأتى به اسيرا وافدى به رجالنا فقال ان ذلك لايمكن لانى لاارغب فى التطويل وفى الغد ساذيقه مرارة قتالى وانهى الامر معه فقد غاظنى منه مافعل فى هذا النهار. فلم يمكن لاحد ان يخالفه ومن ثم تفرق الجميع للمنام وكل ذهب الى صيوانه بانتظار الصباح الى ان اقبل بوجهه البسام وصافح وجه الارض مصافحة ملسوع الوجد والهيام عند اجتماعه بمحبوبته بعد مبارحته السنين والاعوام وحينئذ خرج حمزة من صيوانه وركب جواده وتقدم تقدم المشتاق الوهان الى ان توسط الميدان. فصال وجال ولعب على الاربعة الاركان ثم عاد الى الوسط وطلب قاهر الخيل ان يبرز اليه فما فرغ من كلامه حتى صار أمامه وقال له من انت من فرسان العرب وساداتها. اجاب انا سيد العرب وحاميها ومذل الجبابرة ومفنيها انا حمزتهم العادل وسندهم الكامل. وقد جئت لانهى الامر معك واخذه من وجه الاختصار خوفا من التطويل ومن ثم التقيا الى الساحل ودار بينهما الاخذ والرد وعملا على القرب والبعد وأبديا من فنون الحرب العجائب. ومن شدة البأس الغرائب حتى تسارعت لنحوهما الابصار وتسابقت للحكم بينهما الافكار وكان كل من القومين يطلب الفوز الى فارسه ويتمنى له النجاح والتوفيق والخلاص من شر ذاك البلاء والضيق وهما على ماهما عليه من قتال شديد وطعان يفك الزرد النضيد. وزئير يضيع عند زئير الاسود وهمهمة لاتسمع من تحتها أصوات اقوى الرعود والسيوف ترسل بلمعانها من خلال ذاك الغبار كان الافق يتمخض لا يلاد بواعث الامطار

هذا وعمر العيار بالقرب من اخيه حمزة قائما على الانتظار كانه العفريت الطيار ودام الامر على هذا الشان الى ان كانت تسود دخمة الليل نخاف الامير حمزة من أن يقضى عليه الظلام بترك خصمه ولذلك صاح بصوت ارتجت منه اسوار عكاء واهتزت اركان لبنان وانقض على قاهر الخيل والزبد يعلو على شدقيه كانه من فحول الجمال فوجده قد القى بالسيف الى الارض وسلمه نفسه وقال له مهلا يافارس فرسان الزمان وسيد أبطالها والاعيان فاعف عنى فانى اسيرك وقتل الاسير حرام فاقتلعه من بحر سرجه وسلمه الى أخيه عمر وقال له اوثقه الى أن نعود الى الخيام ونرى ماذا فعل بفرساننا

وبعد ذلك عاد الى معسكره فالتقاه جماعته بكل اعتبار واحترام وسار وأمامه الى صيوان الملك النعمان وجلس كل فى كرسيه وبعد ذلك امر بان يؤتى بقاهر الخيل فاحضر وهو موثوق فقال له كيف رأيت نفسك ومكابرتك تظن ان الامير حمزه كمن لاقيت من الفرسان فاقلع عن عزمك وعدنى الوعد الصادق انك تكون لى وفيا وتجمع لى الاخرجه المطلوبه فاعف عنك وأرد اليك حريتك والا فانى قادر على الانتقام منك وتعذيبك أشد العذاب فاجاب انى اعرفه

ذلك وكنت اردت ان ينحصر القتال بيني و بينك فقط ولا جرب ذاتي معك والان لم يعد لي غنى عن ملازمة خدمتك والمسير بين يديك اينما ذهبت وكيفما توجهت فالالتصاق بك خير من عكاء ومن الوف من المدن والعواصم فاقبلني كما قبلت غيري واشهد على هؤلاء السادات انى اكون امينا وفيا الا اخون لك قولا ولا اخالف امرا

فلما سمع حمزه كلامه تحركت له عواطفه لانه كان يعرف انه يعبد الله سبحانه وتعالى ولا يهون عليه ان يرى فارسا ذليلا كقاهر الخيل وفى الحال دنا منه وفك وثاقه وقال له اريد منك ان تذهب الان الى المدينة وتطلق لى رجالى أصفران ومباشر وبشير. قال انى اخطئت بحقهما وبالحقيقة انك أرق رجل فى الدنيا مع ما انت عليه من البسالة والاقدام وانى منذ الساعة سأسير الى المدينة واطلق الاسارى وابعث بجميع الاخرجة لكن اطلب اليك ياسيدى ان تشرفني فى الغد الى المدينة وتصرف فى الوقت فى ضيافتي ليعرف اهل المدينة انى صرت من رجالك وتحت طاعتك ولا بد من ان يسير كثير منهم فى رفقتى رغبة بخدمتك فوعده الامير بكل جميل ورد اليه سيفه واخبره انه فى الصباح يأتى البلد

ومن ثم سار قاهر الخيل حتى جاء المدينه تحت ظلام الاعتكار فوجد الابواب مقفلة والعساكر عاملة على الحصار لانهم لما شاهدوا ما حل بملكهم عادوا القهقرى ورجعوا الى الوراء ودخلوا المدينة وقفلوا ابوابها وعملوا على الحصار وفكروا انهم يقيمون على العناد الى حين يعلمون ما جرى على ملكهم وداموا على مثل ذلك الى ان سمعوا صوت قاهر الخيل تحت الاسوار يناديهم ان يفتحوا له فاسرعوا وفتحوا الباب وفرحوا بعودته وسلامته وسألوه عن سبب اطلاق سبيله فقال لهم اعلموا انى صرت حمزيا وسوف ابارح هذه المدينة وأسير فى خدمته كل العمر ومدى الايام اقاتل بين يديه وذلك من اسباب الفخر لى والمجد الذى سبقني اليه غيرى من الفرسان العظام والملوك الكبار اصحاب المجد والفخار كملك القسطنطينية والمعتدى حامى السواحل ونحوها

ثم دخل السرايا واحضر الاصفران ومباشر وبشير واطلقهم من الوثاق وقال لهم اريد منكم أن تعذرونى لانى قد اعتديت عليكم ولم اعرف مقدار قدر اميركم وسيد العرب حتى وقعت فى يده اسيرا فوجدته فارسا صنديدا وبطلا مجيدا ورجلا كريما ومولى عظيما عاملني بالرقة واللطف فقال له الاصفران لا لوم عليك لانك اسرتنا فى ساحة القتال ولم تغدر بنا بل اسرتنا بما اعطيت من البسالة والاقدام ثم انهم ودعوه وخرجوا من المدينة حتى جاؤا صيوان الملك النعمان وكانت العرب بانتظارهم ففرحوا بهم وسلموا عليهم وبعد ذلك تفرق كل الى صيوانه وناموا ودخل حمزه الى صيوانه ووضع رأسه على وسادته واخذت الافكار تتردد الى فكره من حين انشاؤه الى ان جاء بلاد كسرى ورأى مهردكار سيدة الجمال الباهر فكاد يغيب

عن وعيه ويضيق صدره كيف يكون ذن الامير حمزه موفق الاعمال طويل الباع كريم الاطباع ولا يقدر ان يصل الى فتاة احبها واحبته وصار الوقت بينهما صافيا واخذت من ثم تمر الى ذهنه أعمال مهرد كار ووفائها له وانها أشد منه خلوصا وظهر له غلطه بزواجه زهر بان ومريم بنت قيصر قبل ان يزف عليها حيث هى الفتاة الاولى التى احبها وسلمها قلبه وقال فى ذاته لا ريب انها تحسبنى قليل المودة الى حين ان اخترت عليها غيرها وفضلت الوصول الى من كان من اللازم ان تكون فى خدمتها ولما كان شخص مهردكار يلوح اليه ويظهر أمام عينيه وفى ذهنه انه يلومه ويعنفه على ما فعل وعلى رضائه طول البعاد مع انه كان قادرا أن يختار القرب على البعد فيتفق هو وإياها على ترك المدائن فيأخذها ويسير الى بلاد العرب ويقيم فى مكة مرتاحا معها ويدع كسرى وشانه واذا تبعه الى هناك أذاقه الويل والهلاك وأخذ فى أن يعتذر اليها ويطلب منها السماح ويرجو منها أن تنتظره الى ان يعود وان لا تعامله كاعامله لها أى ان لا تختار غيره زوجا والا اذا فعلت ذلك فيكون حق وعدل ولم يبعد هذا الفكر عنه فى اكثر ساعات تلك الليلة وهو يتقلب كالافعى على سريره من جهة الى ثانية يلوم الزمان ويذم الدهر الذى ترك بينه وبين من أحبها قلبه الوف من الاميال ومئات من البلدان والمدن والجبال العالية الشاهقة مع انه ملتزم ان يبعد ابعد من ذلك وان امامه بلدان وعواصم يرى نفسه مضطر الى المسير اليها وأخيرا وجد سلوى لنفسه بانه فكر ان لا بد لكل بداية نهاية وان الله اذا كان قسم له الوصول الى مهردكار لا بد من اتمام تلك القسمة مهما طالت الايام عن بعد الديار وفكر اخيرا ان ما وقع له من زواجه بزهر بان ومريم ربما كان بسماح من الله تعالى لمقاصد يجهلها وهذا لا بد ان يكون عذرا كافيا للحبيبة الجميلة اللطيفة وفى النهاية لاح له ان ينشد فراقها وما لقى من بعادها فانشد

جوانحه جمر ومدمعه سكب	ومطلبه صعب وايامه حرب
ولا دهره يرثى ولا الفه يفى	ولا دمعه يرقى ولا ناره تخبو
فمن لعليل جسمه وفؤاده	بحكم التجنى للضنا والاسى نهب
ومستعجم الالفاظ من خمرة اللما	على انها من دونها اللؤلؤ الرطب
أغنى اذا أملى الحديث ترى الذى	يحادثه من سكر الفاظه يكبو
له سيف طرف سحر ألحاظه له	فرند تكل المرهفات ولا يفبو
اذا عطفته رحمة لمحبة	ثنت قلبه عنه الملالة والعجب
يقوم وقد أفنى دمى بعد عبرتى	بكاى فلا شىء يجود به القرب
أما لك قلت يافتى فتذيبه	وتسفحه دمعا ليرضى به الحب
فليس بدين الحب ان يصحب الذى	تصاحبه الاشواق ولا لب
وما الحب الا أن تسيل مدامع تفيض	دما صرفا فتفتضح السحب

فقلت له تفديك نفسي من الردى وا ... يس من الانصاف ان يقتل الصب
لقد طالما اذ رأيت دمعي وطالما ... بكيت دما حتى ارتوى من دمي الترب
ولو كان قلبي باقيا لاذبته ... ولكنه أروى به الشوق والكرب
فمن لي بقلب يشتفي بعذابه ... معذبة منه وان لم يكن ذنب
تداويت مما بي بكل مجرب ... صحيح افادته الاطباء والكتب
فما ازددت الا علة وصبابة ... ولم تنقض البلوى ولا نفع الطب
فايقنت ان الحب ليس له دوا ... على انه قد ينفع المدنف القرب

فاذا كانت هذه حالة الامير حمزه وهو ينتقل من بلد الى بلد يشتغل بالحروب وبملاقاة الابطال وماشا كل ذلك ولا سيما انه تزوج بفتاتين مال قلبه الى كل منهما ميلا دعاه ان يرضى بقربهما وتكونا خصيصتين به تحت ظله والثالثة ترافقه وتصرف وقتها على مؤانسته وتسليته فكيف بالحري تكون حالة تلك المسكينة مهردكار التي لم يكن لها شغل يشغلها عن حبه ولا تجد سلوى من باب ولا تريد هي نفسها أن تنتهي أو تفكر بغير حبه اذ لا تجد لذة الا عندما تفكر بان الامير حمزة هو حبيبها وانه سيكون زوجها وتكون امرأته وانه يقاسي عذاب الحروب والاهوال من اجل غاية واحدة وهي رضا أبيها والحصول عليها وفوق كل ذلك فانها كانت حزينة على الدوام متكدرة الخاطر منفطرة الفؤاد لسبب غياب الامير وانقطاع أخباره لانها كانت لا تعرف ماصار عليه وماذا جرى له في اسفاره هل هو بخير موفق الاعمال المسعى ناجح وانه يعود اليها أو انه أسير يلاقي عذاب الاسر والوثاق أو انه جريح يئن من ألم جرحه أو هل هو قتيل قد انقضى عمره ومضى حيث لا يعود وهذا الذي يجعلها على الدوام تذرف دمعا مدرارا وتطلب الخلوات والانفراد حتى عرف الكبير والصغير ماهي عليه وشاع صيتها بين نساء العجم ورجالهم وأصبح حديثها في المحافل والسهرات. وهي لم تريد من ذلك وتظن بنفسها أن لا احد يعرف امرها حيث لا ترى خلفها ولا أمامها الا الحب والغرام فلا تريد ان ترى احدا ولا ان يراها احدا اختشاء من ان تضيع وقتا عن التفكر بامير العرب ومن ترداد اسمه حتى ان في نفس تلك الليلة التي كان الامير موجها بافكاره اليها وينظم باشعاره يشتكي من شدة البعد ومن الم الحب كانت هي ملقاة على سريرها تنوح نوح الثكلى وتندب حظها وما لقيت في تلك المدة وقد حدثت نفسها قائلة الى متى يا ترى يكون غياب حبيبي ومنتهى املي لقد مضت على الايام والشهور وستمضي السنين والامير لا يرجع من سفره سيدور الدنيا باسرها وتبقى افكاري وقلبي وكلي في اسره ومن لي بان يخبرني عن حاله الان وما هو عليه ويأخذ مني كل ما في يدي ماذا كان يضر على الله تعالى لو كان قبل سفر حبيبي بايام انزل بغضبه على راس الوزير بختك فاماته وبقيت انا وصاحبي على الهناء والراحة والحب والشكوى نجني ثمار الهوى ونقطف عن يانعه ناضج

نتاجه واحسرناه من أين أرى ذلك والموانع عظيمة ولا بد ان يكون بيني الان و بين حمزه جبال ووديان لا يعلم مقدار بعدها الشاسع الا الله سبحانه وتعالى وماذا يا ترى يضر على الزمان لو انه اوجدني بنتا لاحد اعوام الناس و بقي محافظا على الحب بيننا لكان سهل عليه الحصول على والوصول الى وكنت الان على خدمته مخففة عنه كل تلك الاثقال والشدائد فماذا يا ترى يمكن الان أن أعمل وماذا يا ترى اقدر ان افعل لا كون مرتاحا لا شيء اقرب من الحبيب وحبيبه بعيد جدا فاذا لا راحة ولا هناء فالعذاب العذاب مستمر لي انا المسكينة. ثم زادت في نوحها وبكت عندما انشدت

تباعدت عن الفي فيا حر اشجاني ... وافردت من صحبي فيا طول احزاني
الفت البكا والحزن بعد فراقه ... فلو مر بي ذكر السرور لابكاني
يعز على نفسي فراقك سيدي ... فانك روحي وارتياحي وريحاني
يعز على نفسي فراق حياتها ... فان فراق الالف والموت سيان
عجبت وقد فارقته كيف لم امت ... لما بي من الاشواق من منذ زمان
ويارب ليلا زار فيه مسهدا ... يراقب وسنانا باجفان سهران
يرى مجبا لوم المحبين في الهوى ... كان لم يمر الغمض يوما باجفان
ابى جفنه التهويم حتى كانه ... لقاء لئيم او عطية منان
ودارت كؤس العتب بيني وبينه ... فقلت الا ترثى لميت وهجراني
مضى عنفوان العمر في القرب النوى ... فلا القرب ابراني ولا البعد اسلاني
تضاعف اشجاني اذا الصبح لاح لي ... وتشتد الامي اذا الليل اضواني
براني الضنا حتى خفيت عن الردى ... وعني وما ابلى صباي الجديدان
وغبت عن الابصار حتى كانني ... تردن وهم جال في وهم حيران
فانهلي كاس اعتذاري عن الجفا ... فدبت دبيب الروح في بيت جثماني
تنصل عن ذنب الصدود بمنطق ... الذ واشهى من سلاف ومن حان
وساقط درا من برود معطر ... به الشهد والراح الرحيق مشوبان
وعانقت منه لين العطف مثلما ... تعانق في مر النسائم خوطان
وابصرته عضلا مفضض جيده ... لحليته من دمع عيني بعقبان
وظل يناجيني باجفان ساحر ... حري بتنبيه الصبابة وسنان
اذا شاء سل الروح مني بوحيها ... فاقضي ولا ادري وان شاء احياني
وبات الهوى والشوق يغري بلثمه ... وحكم التقى والصون عن ذاك ينهان
ولم يزل الواشون في الحب يأثموا ... ضلالا ويرموني بزور وبهتاني

الى ان اشاعوا انني قد سلوته والبعد من اشراكه في سلواني
فلو لم اخف شرع الهوى حين اغرقوا لاغرقتهم من فيض دمعي بطوفان
ارقت لبرق بات يشتم تارة ويعرق اخرى لا كليل ولا واني
تضيء له الافلاك حتى كأنها ضمير اخي شرك به بعض ايماني
فلوا كشفوا عني الرداء لابصروا صفير رياح في عظام فتى فاني

ومع ان هـذه الابيات تشق قلب الصخر اذا كان يتعذب على جمرات من الهيام الا انها زادت قلب مهردكار حرقة وشدة هيام ووجدا وغيبتها عن هداها وذهب بها ضعف القوى الى ثبات نوم طويل ادركها بالرغم عنها ليحفظ فيها بقية حياة الى حين عودة الامير حمزة

قال والنرجع في كلامنا الى معسكر العرب فانهم بعد ان صرفوا مدة أيام عند قاهر الخيل في مدينة عكاء وهم بين المسرة والبسط حتى اجتمع عنده كل المال المطلوب فدفعه الى الامير حمزة ودفع اليه كتاب الملك كسرى الذي جاءه باهلاكه وبعد ذلك ركب قاهر الخيل في خدمة الامير وركب معه نحو ثلاثين الفا من رجاله وعساكر مدينته وحمل كل ما يلزمه من المؤن والذخائر وركب الامير حمزة وسادات العرب وعساكرهم ورحلوا عن تلك الارض وخرج الى وداعهم حاكم المدينة الذي أقامه حمزة عليها وأوصاه ان يكون منذ تلك الساعة في حكم مكة المطهرة وأن يرسل الاخرجة من بعد سبع سنوات الى أبيه ابراهيم ولما بعدوا عن تلك الديار سال الامير أخاه عمر اي البلاد نقصد قال له اننا قد انتهينا من عواصم سوريا وسندخل على مصر وناتي عاصمتها وعليها ملكان عظيمان وهما اخان احدهما سكاما والاخر ورقا وفي مصر عساكر كثيرة وأبطال عظيمة وهي مع انها حارة هواؤها جيد الصحة قال وأي اله يعبدون . قال هم مختلفوا المذاهب فبعضهم يعبدون الاصنام وبعضهم النار والبعض الاخر العجل الى مثل ذلك ويوجد بينهم افراد يعبدون الله ويكرمون أنبيائه غير انهم لا يقدرون على التظاهر لقلتهم . قال لا بد ان أجعل هذه البلاد كغيرها من البلاد التي اتيتها فادخلها في طاعتي وأجعل أهلها على دينه تعالى وأسأله ان يسهل الامر هناك حتى انتهي من بلاد مصر حالا وأرى الى ما يكون بعدها

ثم انهم بقوا سائرين على طريق مصر يقطعون البراري والسهول والاوعار ويمرون في طريقهم على المدن الصغيرة والقرى ولا يضرون منها ولا واحدة بل يصرفون من امورهم حتى خرجوا من الاراضي المقدسة ودخلوا في حدود مصر فجفلت منهم سكان تلك الاراضي من كل الجهات فالبعض استقر في مكانه والبعض رحل يطلب القاهرة عاصمة البلاد لينضم الى سكاما وورقا حاكمي مصر ودامت العرب في مسيرها مسرعة في الجري تحت راية الامير حمزة

العرب حتى اكتشفوا القاهرة وبانت لهم وهى مزدحمة البنيان عامرة الاسوار مشيدتها من كل مكان وحينئذ امر الامير رجاله ان تنصب الخيام فى مكان مقابل للمدينة وان تترك الخيول والاغنام والجمال خلفها فى مراعى مصر على شطوط النيل ويقام عليها الحراس من كل الجهات خوفا من ضياعها فى تلك السهول الواسعة وبعد ذلك اخذ الامير قلماً وقرطاسا وكتب الى سكاما وورقا كتابا يقول لهما فيه

من فارس برية الحجاز ومبلى الاعداء بالويل والهلاك حمزة العرب وحاميهم الى سكاما وورقا ملكة مصر

لقد بنيت لى فى ذروة المجد مكانا وجعلت مقامى فوق كل مقام وساعدتنى العناية الالهية حتى أصبحت نافذ الكلمة معزوز المكان ولدى من الابطال والفرسان ما يعجز عن قتالهم أبطال الانس ومردة الجان وسار فى خدمتى كثير من ملوك هذا الزمان وسادتها الاعيان. حتى وصلت الى هذه البلاد ولا بد ان تكون قد وصلت اليكما كتابة كسرى وشرح لكما ما شرحه لغيركما من الملوك الذين عرفوا الحق فتبعوه ورأوا الباطل فخالفوه ولاجله أنى أطلب منكما الان ان تأتينا الى صاغرين وتظهرو لى انكما على طاعتى ومخالفة الملك كسرى فتنالا بذلك خيرا وترفعان عن بلادكما شر الحروب وثقلها فتدفعان لى الاموال المطلوبة عن سبع سنوات ومن ثم لا تعودان الى دفع بارة واحدة لكسرى وهذا ما اخبركم به والسلام

وبعد ان اكتب هذا الكتاب سلمه الى اخيه عمر العيار واوصاه بان يأتى بالجواب من عند سكاما وورقا ويعرف هل هما عاصيان او على الطاعة والتسليم. فسار الى ان دخل أبواب المدينه فاستدل على دار الاحكام فدخل اليها وكان سكاما وورقا بانتظار كتاب من الامير حمزه لانهما عرفا من حين دخوله باراضى مصر باتيانه مع ان كتابة كسرى كانت قد سبقت فتحذرا واقاما على ما يحتاجانه ودبر ذلك ولما أطلعا على كتابة الامير قال لعمر معاذ الله اننا نخالف العرب او تفعل غير ما يرضى اميرهم حمزه ونحن لا نقبل قط ان نحاربه او نخالفه بل نريد ان نخلص من شره وندفع له الاموال والاخرجه فسر اليه الان واخبره اننا عن قريب نكون عنده مع السادات والاعيان فعاد عمر الى الاوقف فى صيوان الملك النعمان واعاد على العرب ما سمعه من سكاما وورقا وقال ان ظاهرهما يدل على حسن طوية وصفاء باطن غير انى ما اظن انهما يكمنان خلاف ما يظهران. وما لبث نحو ساعة من الزمان حتى جاء سكاما وورقه وسادات مصر فدخلوا جميعا على صيوان الملك النعمان وسلموا على العرب وترحبوا بهم غايه الترحيب واظهرا انهم يريدون مصاحبتهم والوفاق معهم ولا يريدون المخالفه قط فطمنهم الامير ووعدهم بكل خير ونجاح وانه سيرفع عنهم كل ثقلة ومن ثم اقاموا هناك مدة من

النهار وبعد ذلك قصدوا الرجوع الى البلد فطلبوا من الامير ان ينزل في الغد اليهم مع سادات قومه حيث انهم قد اعدوا لهم ماديه فاخره ولا بد من نزول الاعيان الى المدينه لاجل الفرجة عليها وعلى كل جهاتها حيث ان فيها من التحف ما لا يوجد عند الملوك الكبار اصحاب العواصم المشهورة والممالك العظيمه فوعدهم الامير حمزه بذلك وصبر الى اليوم الثاني وفي الصباح طلب من الامراء ان ينزلوا معه المدينه فقالوا اننا لا نقدر على رفقتك فقد حذر ناعمر من ذلك ورأينا تحذيره مكانه اذ اننا نخاف ان يكون قصد ناسكاما وورقا الغدر بنا. قال لا اظن ذلك ولا يقدران عليه واذا كان يقصدان لنا شرا فان الله سبحانه وتعالى يقينا منهما فنهلكهما ونبيدهما وقالوا لا يمكننا ان ندخل المدينة الا بعد الاستيلاء عليها. قال لا بد لنا من الدخول لاننا وعدناهما وعدا صادقا بقبول ضيافتهما وليس من شيمة العرب الرجوع عن وعدهم كيف كان الحال قالوا أنك تطلب ما لا يمكن وقوعه منا فاذهب انت ونبقى نحن هنا الى حين عودتك والا فليس من العدل أن نترك الجيش عرضة للمصائب والاهوال وما من موجب لذهابنا نحن فنلتمس اليك ان تسمح لنا بالبقاء هنا والقيام على المراقبة لنرى ما يكون لنا من سكاما وورقا فقال لكم الخيار وأما انا فاني لا بد من أن أذهب الى ضيافة سكاما وورقا لانهما دعياني فقبلت ووعدت بالمسير اليهما ثم انه أمر اخاه عمر ان يأتي اليه بالجواد فجاءه به فركبه وساله ان يسير معه فقال له اني اشار طك من هنا ان أسير معك واعود حالما تدخل السرايا وعندما أعرف ان الوقت قد حان لرجوعك اعود بالجواد لآتي بك ولا اسلم نفسي الى أيادي سكاما وورقا لاني انا الذي حذرت امراء العربان منهم فكيف ارمي نفسي في حفرة ابعدت غيري عنها قال افعل ما بدا لك واذ ذاك تقدم معقل البهلوان وقال للامير حمزة اني اسير معك ولا افارقك ومهما جرى عليك يجري علي وركبا في الحال وسارا وبين ايديهما عمر العيار حتى دخلوا من أبواب المدينه وجاءوا قصر الاحكام فنزل الامير عن الجواد ومعقل ورجع عمر بالجوادين الى معسكر العرب

فلما دخل حمزة على سكاما وورقا رحبا به غاية الترحيب وسالاه عن باقي فرسانه فقال لهما انهم في المعسكر ولا يقدرون على ترك رجالهم ومحافظة الجيش ولاسيما فهم يرغبون في دفع الثقله عنكم فقالوا اما من ثقلة في ذلك وقد اعددنا وليمة كافية لكل العرب ولا بد من حضورهم وانا سنذهب اليهم ثانية وندعوهم للحضور في وليمتنا ولا بد من ذلك قال لا يمكن حضورهم ولا ياتون قط. فسكت الاثنان وفي قلبهما نار الاحتراق كيف ان الفرسان لم تاته مع الامير لتنفذ غاياتهم في الجميع. واقاما على خدمة الامير ومعقل البهلوان ولم يظهرا على ذاتهما الا الحب والموده واللطف كل ذاك اليوم وفي المساء الى اليوم الثاني وفيه تقدم سكاما وقال لحمزة حيث قد جئت الى بلادنا فاني اطلب اليك اذا شئت ان تاتي القصور والقلاع

ومحلات النزهات لتراها وتتفرج عليها وتنظر هل ما رأيته في غير بلادي يذكر بشيء بالنسبه الى بلادنا اجاب أحسنت

فاني ارغب في الفرجه والنظر في عجائب مصر وآثارها ومتانة الابنية فيها ونهض في الحال ونهض معه معقل البهلوان وسار معهما سكاما وورقا فذهبوا أولا الى جهة النيل فطافوا في اكثر انحائه ودخلوا الحياض والرياض المحيطه به والتي تسقى منه ثم جاؤ القصور واحدا واحد والامير حمزة يتعجب مما راى ويشاهد من متانه تلك العواميد الرخاميه وطولها وضخامتها وهي مع كبرها العجيب قطعه واحدة ومن النقش والحفر والنتو وكل صنعه عجيبه حتى كاد يؤخذ عقله واخيرا اجاؤ قلعة في جهة اواخر المدينة وهي من الحجر الاحمر الناعم وبابها من الحديد السميك المصقول فدخل الامير وجعل يتفرج على جدرانها ولم يكن بها قط نافذة الا في أعاليها على بعد نحو عشرين ذراعا من الارض من جهة الداخل فرأى الامير حمزة في تلك القلعة من الاتساع وكثرة الغرف والدهاليز ما حير فكره وانشغل بالفرجة حتى اغتنم سكاما وورقا تلك الفرصة فجاءا الى جهة الباب واسرعا في الخروج واقفلاه فسمع لصوت اقفاله قرقعة عظيمة انتبه اليها الامير والتفتا الى سكاما وورقا فلم يرهما فقال لمعقل البهلوان حيلة عظيمة ومصيبة كبيرة فاسرع بنا في اثر الخائنين ثم ركضا الى جهة الباب فوجداه مقفلا وسمعا صوتهما في الخارج فصاح بهما الامير حمزه وقال ماذا تقصدون بهذا العمل وما من داع للغدر بنا بعد وقوع الحب والولاء فقالا له لا سبيل بعد لخروجكما من هذا المكان فموتا كمدا ولا يعلم بوجودكما احد قال ستندمان فيما بعد حيث لا ينفع الندم لان فرسان العرب متى علمت بغدركما لا تتركـكما بل تزحف على المدينة وتاخذ لنا بالثار منـكما قال سوف ترى ما يحل بقومكما . ثم اعرضا عنهما وذهب في طريقهما وبقي الامير والبهلوان يتحرقان ويتأسفان على ما وقع منهما ويتندمان على تسليمهما للاعداء عن جهل واعظم شيء كان يتكدران لاجله هو ان لا خبز ولا ماء عندهما للاكل والشرب ليبقيا على الحياة ويصبرا الى حين يسمح الله بخلاصهما ولذلك كانا يترجح لهما الهلاك والموت جوعا وعطشا وهذه شر ميتة واكبر عذاب وكانا يتمنيان الخروج ولا يقدران ولا يجدان من مخلص لهما وقد طافا في كل الدهاليز والمخاريق ليريا نافذة يتمكنان من الخروج منها فلم يريا لان نوافذ القلعة كانت عالية جدا لا يمكن الوصول اليها ولا التسلق على الحيطان لنعومتها ومع كل هذا فان الامير كان ينظر الى نفسه نظر الصابر ويظهر له ان الله لا يتركه ولا بد من ان يسهل له طريق الخلاص وبقي مع معقل البهلوان على مثل ذلك الى ان اخذ نور النهار يتناقص وينسحب شيئا فشيئا من القلعة فتسود جدرانها ويظلم خلاؤها وكلما غلب النور عن اعين الامير زاد غيظا وكدرا من عمل سكاما وورقا وزاد على معقل البهلوان الهم والويل وقطع الرجا

قال واما سكاما وورقا فانهما بعدا عن القلعة وهما بفرح عظيم من جرى نجاحهما وقد قال الاول للثاني قد انقضى امر الامير وفزنا بالنجاح التام من جهته ولم يعد له وسيلة للرجوع الى هذه الدنيا حيث يموت مع رفيقه جوعا في هذه القلعة وبعد مدة نرسل فنخرج جثتيهما ونرميهما الكلاب ويا حبذا لو تمت حيلتنا على العرب باجمعهم ولكن ان ضميري يقول لي ان الذي حذرهم هو ذاك الرجل الشيطان الرفيع الايدي والارجل الذي لم ارى مثله بين الناس فانه كان ينظر الينا نظر العدو وكانه مطلع على ما في سرائرنا قال ورقا الان قد انتهينا من امر الامير ولم يبق من وسيلة لعمل حيلة على فرسان العرب وصار من اللازم مبادرتهم بالحرب والقتال . قال اننا بانتظار الامير غيتشم الفارس الضيغم حاكم دمياط وقد بعثت اليه بالرسالة اطلب منه السرعة بالحضور فهو فيه الكفاءة لفناء كل فرسان العرب والان ايضا سابعث اليه برسول اخر اعجل حضوره باقرب ان ولما وصل الى الديوان بعث برسول الى دمياط يطلب حضور الامير غيتشم وهو يظن ان بواسطته يقدر ان يهلك العرب ويبيدهم عن اخرهم ثم بعد ذلك دعا بجماعة من عساكر مصر وقال لهم اريد منكم ان تقفوا عند ابواب المدينة فاذا رأيتم احدا دخل من عساكرهم او فرسانهم فاقبضوا عليه واحضروه حالا فاذبحه ولا سيما ذاك العبد الاسود او بالحري العفريت الشيطان النحس فاجابو قوله واقاموا على الابواب وهم بالاسلحة والعدد وناما سكاما وورقا تلك الليلة براحة بال وفي ظنهما قضيت الاشغال وارتاحا من الامير ونفذت غاية كسرى ولا بد من ان يكافينا على ذلك

وفي الصباح نهضت جماعة العرب من مراقدها واجتمعت الى صيوان الملك النعمان وحضر بينهم عمر العيار وقال لهم اني اذهب الان الى المدينة لارى ماذا جرى على اخي ومعقل فاذا كانا بخير عدت واياهما او الافاجس الاخبار واعود في الحال ثم انه اخذ معه بعض العيارين لسوق الجوادين الى ان وصل الى باب البلد فقال للعيار ابق هنا بالجوادين الى ان اعود اليك ثم دخل من الباب ومشى قايلا في السوق فرآه العساكر القائمة على الباب وصاحوا به وانحدروا عليه وطلبوا امسكه من كل جهة وداروا من حواليه وكان يبلغ عددهم نحو الالاف فارس. وعندما تأكد عمرو وقوعه في المدينة ثبت عنده ان المصريين غدروا بالامير حمزة وانهم يقصدون مسكه وفي الحال استل سيفه ذا الشلطين وانحذف على المصريين وجعل يضرب بهم ضرب ابطال الرجال وهو ينادي بهم ويلكم ايها الاوباش اتقصدون الوقوع مع عزرائيل قابض الارواح فلا بد من هلاككم وابعاثكم الى الاخرة وهو يمددهم على بساط البسيطة وكلما قربوا منه قفز من بينهم كالغزال ولحقهم الى جهة ثانية وسيفه يعمل فيهم وارتفع الصياح في المدينة وانتشر الخبر من مكان الى مكان حتى بلغ الى سكاما وورقا فارسلوا العساكر لتقبض عليه ولذلك صارت الرجال تتكاثر على عمرو وهو يتخلص منها بحكمة عجيبة

الى ان ازدادوا عليه فوق الحد فقصد الاسوار وهم يصيحون اين تنجو يا لئيم فلابد من القبض عليك وشدك بالوثاق وضمك الى فارسكم حمزه وكانوا يظنون ان لاخلاص له من المدينة لان ابوابها حديديه مقفلة واسوارها عاليه غير ان عمر لما سمع ان اخاه قبض واسر قفز عن الارض الى اعلى الباب ومن هناك الى سطح قلعة داخلته وارتفع عن العساكر وبعد عنهم وقفز من هناك الى أعلى السور . ثم قلب من ذاك المكان المرتفع الى الخارج حتى اخذ بالمعقول وابهر النواظر وتعجب منه كل من فى المدينه واما هو فانه لما صار فى الخارج اسرع الى ان وقف فى صيوان الملك النعمان فاخبره بكل ما جرى عليه وما سمعه من عساكر مصر عن اخته حمزة فتكدر النعمان وباقى الفرسان كدراً عظيما وقالوا الحمد لله الذى لم نوافقه وننزل معه فاننا لو وافقناه لكنا الان بالاسر ومن بعدنا تشتت رجال العرب اما الان فاننا نقدر على حماية انفسنا الى حين خلاصه وفينا الكفاية للقيام مكانه وعند وقوع القتال نأسر سكاما وورقاء فنفديهما بالامير حمزة ومعقل البهلوان ومن ثم اخذت العرب تستعد للقتال والحرب والنزال وهى حزينة على ما حل بفارسها واميرها ومتكدرة من عمل الملوك كيف انها تعمل على الغدر والخيانة واما سكاما وورقا فلما بلغهما ان عمر انجا بنفسه وتخلص من المدينة زاد غيظهما منه وكدرهما وقالا هو بالحقيقة كما قلنا ليس من الانس بل من الجان والا كيف كان يقدر على ان يقفز السور الذى ارتفاعه أكثر من خمسين ذراعا فما هذا الامن عجائب الزمان ووقوعه فى يدنا من المستحيل الا اذا كان بالحيلة او بطريق اخر

قال وكان لسكاما بنت بديعة الحسن مجملة بالجمال مشهورة بالمدينة بين نسائها كانت تذهب فى اكثر اوقاتها للنزهة فى ضواحى النيل وفى غير منتزهات وهى مطلقة الحرية من أبيها بالذهاب والاياب . وكانت عندما تذهب الى النيل تركب مركبا وتسير فيه ساعات ثم تعود وكان على النيل وكيل من قبل سكاما وورقا اسمه اسفندار فلكثرة ترددها عليه ومرورها من تلك الجهة وقع بحبها وعشقها عشقا عظيما غير انه كان لا يقدر ان يفاتحها بشىء من حبه خوفا منها ومن ابيها كونه كان فى الاصل نوتيا ثم اقيم وكيلا على مراكب النيل وعرف نفسه انه اذا باح بذلك قتل لا محالة فبقى صابرا على هواه وهو يشتد يوما فيوما حتى اصبح من العشاق الكبار وكادت تعتريه الامراض والاسقام ويقع بالويل والعذاب وهى تلحظ منه ذلك وتعرف محبته لها الا انها كانت تعرض عنه لعلمها انه خادم لها ولا يليق بها ان تتخذه حبيبا لاسيما وان قلبها لم يمل اليه كما مال قلبه اليها واتخذت ذلك على سبيل العادة ان قلب كل رجل يميل الى اى فتاة كانت بشرط ان تكون جميلة ولو رآها اقل خدمها أو خدمة ابيها الا حبها ومال اليها غير انه لا يمكن ان يكون حبيبا لها

وفى تلك الايام لما عرفت بقدوم العرب مالت نفسها للنظر الى فرسانهم لتعرف هل فيهم من الرجال من هو بحسب مشتهاها وطلبها حيث كل رجال مصر كانت غير راضية منهم وما فيهم من الرجال من هو بحسب مشتهاه وطلبها حيث كل رجال مصر وعندما جاء الامير حمزة ومعقل البهلوان أقامت فى مكان يمران فيه ونظرت اليهما فاعجبت من حسنهما وجمالهما وعظم هيبتهما ورفع من قلبها معقل البهلوان ومالت اليه كل الميل وقالت انى اكون سعيدة اذا حصلت على مثل هذا الامير وصار لى زوجا وصرت له امرأة ولكن من اين يتم لى ذلك وهو لا يعرفنى ولا يعلم بى ولا أطلع على حبى وميلى ولا ريب انه اذا عرف ذلك ورأى ما انا عليه من الحسن مال الى ووافقنى على غاية ولذلك صار من الواجب على ان أسعى فى امر خلاصى من هذا الحب بوقت قريب اى أنى اجهد النفس فى ايجاد وسيلة توصلنى اليه فاجتمع به واعرض عليه حالى واسأله ان يطلبنى من ابى زوجة له وبقيت مصرة على ذلك تنتظر الفرصة المناسبة الى اليوم الثانى وهى تترقب الاخبار وتلاحظ وجودهم وتطلب الى ان ينتهى ابوها من ضيافتهم حتى تسير اليه فعرفت بسيرهم فى النيل الى الجهة الثانية فصارت هى كعادتها واخذت فركبا وصارت عليه للنزهة مع بعض قهرماناتها وصرفت وقتا هناك الى أن رأت اباها وقد عاد لوحده فتكدرت كدرا عظيما وكان فى نيتها ان ترى معقل البهلوان عائدا مع ابيها متحتالا الى ان تراه ويراها الوحظة وتقدمت من ابيها وسلمت عليه وقبلت يديه وجعلت نفسها كانت تجهل مكان مسيره فقالت له اين كنت يا ابى من هذه الجهة وكان بعلمى انك فى القصر وقد اضفت العرب وأكرمتهم واراك الآن وحدك ومن كان مثلنا لا يكرم من مثل هؤلاء لاجلاف

قال انى ما أضفتهم وا كرمتهم وظهرت محبتى لهم الا وفى نيتى عملا وقد عملته وانتهيت منه وحصلت على غايتى من أقرب الطريق فاظهرت على نفسها الفرح وقالت ماذا عملت اهل ابعدت العرب عنا اجاب كلا بل احتلت على الامير حمزه ورفقته فادخلتهم قلعة النيل وأقفلت عليهم ولابد ان يموتا جوعا فيها ويدفنان تحت اسوارها الى يوم القيامة وهكذا قطعنا رأس الحية ولم يبق علينا الا ذنبها وسوف تاتى الينا الفرسان من كل مكان فنبيد العرب الباقين ونرتاح منهم فشكرته على عمله وسارت فى طريقها مع خدمها وقهرماناتها وسار هو مع أخته ورقا فى غير طريق ولا زالت سائرة حتى دخلت قصرها وهى غائبة عن الصواب فاقدة الحواس متكدرة من غدر أبيها وخيانته خائفة على موت الامير فى تلك القلعة ثم انفردت فى احدى الغرف وجعلت تبكى بكاء مرا نحو ساعة واخيرا نهضت واقفة وقالت ماذا يا ترى يفيد فى البكاء اذا لم اكن صبورة واغتنم هذه الفرصة واسلك مسلك الابطال واتوصل الى خلاصهما وانا قادرة عليه اذا أستعملت

الهمة والفكرة وأرى من الواجب قبل كل شيء أن أسعى في اخذ الطعام والماء اليهما ليقدروا على الصبر الى حين خلاصهما ولا سيما أني محتاجة الى ان أعرفهما بنفسي قبل خلاصهما واني أعمل معهما جميلا فاعدهما بالخلاص وبعد أقداح الفكرة عرفت ان لا أحد يقدر ان يعينها على ذلك الا اسمندار وكيل النيل فانجلى له وجه الامل فادعت أحدى قهرماناتها وكانت مخلصة لها كاتمة لاسرارها فقالت أريد منك ان تحضري طعاما فاخرا وتضيعه في أوعيه من النحاس وتقفلي عنيه وتاتيني بها مع وعاء من الماء وعدة أرغفة قالت ولمن ذلك أجابت تسيرين معي وتعلمين فقط اريد ان تكتمي ذلك وفي الليل نسير معا فاجابت القهرمانة طلبها واعدت ما امرتها به الى ان كان الليل فجاءتها بالطعام وما طلبت فنهضت ولبست اخف ثيابها وامرت القهرمانة ان تسير امامها وتحمل الاوعيه وسارت هي من خلفها لا يعلم احد أين تسيران الى ان وصلتا شاطىء النهر بالقرب من مكان اسمندار فقالت للخادمه ابقي انت هنا بالطعام الى ان اعود اليك ثم دخلت المكان ودعت بالوكيل اليها فطار عقله وغاب وعيه وهو لا يصدق بذلك وترحب بها مزيد الترحيب وقال لها ما السبب الموجب لحضورك ياسيدتي عندي في مثل تلك الساعه ولو لم يكن من غرض مهم لما خاطرت وخرجت تحت الظلام فامريني بكل ما تريدين فاسعى في خدمتك ولو كان بذلك هلاك روحي وضياع حياتي قالت نعم اني اقصد لك امرا فيه الخير والنجاح وهو اني منذ زمان وانا واقعه بحبك واكتم ذلك خوفا من ابي لانه اذا علم به يميتك لا محالة ويقصد هلاكك فالملتزم انا ان اموت وبقيت صابرة على تلك الايام حتى لاح لي وجه الخلاص ورايت من الواجب ان احضر اليك واطلب منك المساعدة على قضاء مصلحتنا وقد قلت في نفسي انك اذا وافقتني على ذلك الحب اي ان تكون لي زوجا واكون لك امراة سعيت في اتمام ذلك والا فاذا امتنعت ولم تجب طلبي رميت بنفسي في النيل وذهبت طعاما للسمك. فلما سمع منها ذلك الكلام طار قلبه شعاعا وقال هل عن صحيح تتكلمين ياسيدتي ان تحبينني وتقبلين ان اكون لك خادما قالت وما السبب لاتيانى اليك في مثل هذه الساعه اليس عن حب قاتل. فاضجع فرمى نفسه على اقدامها يقبلها فرفعته وقالت ليس الان وقت شكوى بل وقت تدبير ونظر في الامور قال اني مائت على الحصول عليك ونفسي تطلب الموت على الدوام والخلاص من ذلك الحياة كدمؤكدا اني لا احصل عليك ولا اقدر ان افوه بكلمه من حبك واعرفه اني اذا ذكرت ذلك اموت قتيلا من ابيك حتى سمح لي الزمان ان راى ارك عندي وبك مثلما بي فانظرني بي ماذا تريدين فاني اقدر ان اخاطر بنفسي في سماع قولك والطاعه لامرك. قالت اعلم انى صرفت الوقت في التفكير والتدبير طول الايام الى ان بعث الله من ينتشلني مما انا به ولاح لي وجه امل قوي فاردت ان لا اضيع الفرصه فجئت اليك فيد لتساعدني فيها وانا كافلة لك اتمام العمل جاب اذا شئت سرت الى غير تلك البلاد واختبئنا من وجه ابيك قالت ماذا يفيد ذلك

فانه قادر على القبض علينا فى كل ساعه ودقيقه وفى مخاطرة وطريق النجاة ضعيف جدا ولكنى حيث ان العرب قد جاؤا بلادنا ولا بد لهم من الاستيلاء عليها والتملك على كل انحائها وفيهم فرسان لم يخلق الزمان مثلهم ولاسيما اميرهم حمزة الذى خافه كسرى انوشروان وسائر الملوك العظام وقد عمل عليه ابى حيلة واقفل عليه فى قلعه النيل ولهذا اردت الان ان اوصل اليه الطعام على امل ان اسعى فى خلاصه ومتى اطلق وعرف جميلى معه كافانى بكل خير وعندى انه بعد الاستيلاء على البلاد يسلمها الينا فنكون قد اجتمعنا ببعضنا وبقى الملك بيدنا . اجابه لقد اصبت فى ذلك وما من وسيله اسهل من ذلك والان مرينى ماذا تريدين فافعل وان سألتنى الموت لمت فى هذه الدقيقه قالت سر بنا الى امام القلعه واحضر لى سلما وعليا يصل الى شباك فيها اقدر ان ادلى الطعام منه اجاب كل ما تامريننى به فهو حاضر ولا خالفك قولا ثم احضر القارب فقطع النهر واياها وابقت القهرمانه هناك واخذت السلم والطعام وسارت وبين يديها اصفندار الوكيل يحملهما حتى جاءت القلعه فوضعت السلم وصعدت عليه حتى صار على اعلاه وطلت من الشباك وصاحت الى الامير حمزة تقدم الى هذه الجهه ايها الامير

فارتاع الامير عند سماعه كلام فتاة وقال من انت وماذا تريدين وفى اى جهة قالت انى واقفه فى الشباك الذى فوق الباب وقد اتيت بالطعام لكما والماء فاقرب من الباب واخذه فادليه من هنا واما انا فاسمى درة الصدف بنت الملك سكاما ولا بد لى من السعى فى خلاصك وخلاص رفيقك باقرب وقت فتكونا براحه قال جزاك الله عنا خيرا ولا بد لنا ان نكافئك بكل ما تطلبين وتريدين اجابت اريد الان امرا واحدا وهو ان اعرف اسم رفيقك ومن هو فقد رايته فى النهار ولم اعرفه وتكدرت جدا من عمل ابى . قال هو معقل البهلوان احد سادات العرب واخى ورفيقى ولا بد ان تسرى منه ولا يضيع لك تعب وعرف الامير حمزة ان درة الصدف قد وقعت بمحبة معقل فاراد ان يطمنها به ثم تقدم الى جهة الباب فوجدانها دلت الطعام والماء فتناوله وهو لا يصدق بانه يحصل عليه وقال لها تريد منك ايتها السيده الكريمه ان تأتينا فى الغد بالنور مع الطعام فبينما يسهل لك الله سبحانه وتعالى خلاصنا ونخرج من هذا الحبس المظلم ولو عرفنا ان يغدر بنا ما قدر ان يتوصل الينا ولو جمع رجال الارض باجمعها وطوائف الجان برمتها . قالت انى اعرف ذلك وسافادى بنفسى من اجلكما وحيث ان مفتاح ذلك القلعه مع ابى سأترقب الفرص للحصول عليه وفى الغدا تبكما بالنور مع الطعام

ثم ودعتهما ونزلت من اعالى السلم فوجدت اصفندار لها بالانتظار فقالت له لقد فزنا ببعض المطلوب ولا بد بمساعدتك ان نفوز بالمطلوب كله فنخلص الامير حمزه ونتكل عليه حتى اذا ملك البلاد كافأنا على جميلنا بما نريده فهو رجل رفيق حليم كامل لا يترك هذا المعروف ولو

كافه خراب البلد وهلاك العباد أجاب عفاك الله لقد نظرت موضع النظر وستجدينى على الدوام بخدمتك وتحت أمرك وسارت وإياه حتى جاء النهر وقطعاه على القارب ووصلا الى بيته فاخذت القهرمانة وسارت من هناك بعد ان وعدته أنها فى اليوم التالى تأتى اليه فاطمان باله وهدأروعه وقال لها لقد علقت بك بحب عظيم وكنت خائب الامل حتى ثبت عندك انك ستكونين لى فارجوك ان لا تنقطعى عنى فاموت قالت معاذ الله فانى ما بى من هواك هو لا اظنه بك لانى حملت اثقال التعب ومشاق المسير تحت ظلام الليل وعرضت بنفسى للخطر ومخالفة ابى املا بنوال مأربى واما انت فلم تسلك هذا السبيل ولا سعيت وراءه اجابها انى كنت قبلا لا اجسر لعلى اطمع بالاينال وما الان فحيث عرفت حبك فاركض اكثر من جهدى الى كل مكان يفيدنا وسارت عنه وتركته معلق القلب والامل وهى مسرورة بنجاحها وتوفيقها فى مهمتها وتتامل ان تتوصل الى اخراج حبيبها والامير من القلعة فتفوز بالغايه والمراد وبقيت سائرة الى ان وصلت الى قصرها فدخلته والقت نفسها على سريرها هى مؤمله بانها فى ليل الغد ستعود الى حبيبها بالطعام واخذت تفكر فيه وترى من نفسها لذة لم تكن تعرفها قبل ذلك لانها قدرت ان تخدم من احبت وعرف انها سلكت طرق المخاطر تحت ظلام الليل من اجله فسيرى عملها هذا حميدا ويحله من قلبه محل الاعتبار ومن المؤكد ان المحب يشتاق على الدوام ان يقدم ما فى وسعه لمن احبه ويلذه جدا ان يكون قادرا على انفاذ ماربه بتقديم الشىء الذى يحبه ولا سيما اذا كان مقبولا يرضيه ويسر منه فيحسب ذلك فضيلة له ويعتبره وينظر اليه بعين الحب وبالعكس اذا كان المحب مغرما ويسأله شيا او يحتاج الى شىء وهو غير قادر على تقديم ذلك الشىء اليه فيتكدر وتنفطر مرارته ويرى الموت اسهل جدا من عدم اقتداره على اكرامه ومساعدته أو تقديم ما يحتاجه ويضطر اليه فقدر الله كل محبوب على مرضاة من احب كما قدرت درة الصدف على احياء حبيبها وتقديم الطعام اليه وهو بحالة ياس وقطع رجاء ينتظر الموت دقيقة فدقيقة ولم يكن يخطر له ولا للامير حمزة من أن يأتى احد لمساعدتهما من داخل المدينة واما هذه الفتاة التى بنت العدو الاكبر لهما الذى سعى فى هلاكهما ومحو اثارهما تكون المساعده لهما والمحبة لاحدهما فتخاطر بنفسها وتاتى بالطعام الفاخر والماء الحى

قال وكانت حالة الاميره سلوى حالة هم وغم وكدر وهى لا تقدر ان تنفع الامير بامر من الامور وقلبها عنده كل دقيقة وكان خوفها من ان يقضى عليه او يصاب بكدر ولذلك كان حظها غير حظ درة الصدف مع انها اشد منه باسا واقدر على النفع اذا ساعدتها الصدف وسمحت لها الايام وخدمتها الاوقات لكنها خالفتها لما بعدت عنها طريق الوصول الى معرفة مكان الامير حبيبها وحالت دونها ودونه اسوار وحصون وجيوش الاعداء ونحو ذلك مما لا يمكنها من نفعه ولم يكن من شىء يلذها ويخفف ما بها الا قولها تلوم نفسها على عجزها

قد نمت عن أشواقه وأطلت شدة وثاقه ونسيت عهد متيم
باق على ميثاقه هجر الرفاق وكان قبل أخا وداد رفاقه
طبع العزول اطالة لومه وشقاقه أجرعى كاس المنون
والموت دون مزانه لا تثر عنه فانني أقضى بدون دهاقه
ياويح قلب لج حر البين فى احراقه ومهفهف يحكيه بدر
التم فى اشراقه السقم دون دنوه والموت دون عناقه
عف اللحاظ عن القلوب يطيل فى احراقه لما تبسم من بكاى
ألح فى ابراقه فاحتاج اذ عاد الرقيب ولج فى اغراقه
عجبا لبردك يانسيم وأنت من عشاقه ومن العجائب انى
قدعشقت بعد فراقه

ولنترك الاميرة سلوى بشوق زائد الى الامير حمزه ونذهب لى باقى الفرسان والابطال من العرب فانهم كانوا على ما تقدم معنا من القلق والارتباك وهم يتمنون خلاص الامير ولا يعرفون طريقة لمحاربة سكان المدينة وأهلها وجيوشها والتسلط عليها وأن يأسروا ساداتها فيخلصوا بهم الامير ومعقل البهلوان . ولما كان بعد أيام قليلة أصبحوا حسب عاداتهم واذا بهم يرون البرامتلا بالعساكر ونصبت الخيام حول مصر من كل جهة وناح . فاجتمعوا الى صيوان الملك النعمان وأخذوا فى أن يستعدون للحرب ويرتبوا حالهم ومن يكون الامير والسيد عليهم وفيما هم على ذلك واذا بالامير عمر دخل وقال لهم لاخفاكم ان هذا الجيش هو جيش غيتشم صاحب دمياط وملكها وقد وصل فى هذا الليل فاطلعت عليه وتجسست حاله وعرفته أول واخرا وخرجت بعد جيوش المدينة وحيث عرفت مؤكدا ان هذا الملك هو عظيم البطش فارس صنديد وبطل مجيد نادر المثال بين الرجال وأريد منكم أن تثبتوا أمامه فاقيم عليكم عوض أخي الامير حمزه وأنده وق بن سعدون لانه ملك عظيم وفارس جسيم وقد اعتاد تدبير العساكر والجنود ولكن كل واحد منكم فى جهة الى حين يفتح الله لنا أبواب الفرج ونخلص أميرنا وسيدنا فقالوا له جميعا لقد أصبت خيرا يا عمر ونحن على مثل هذه النية . ثم قال لهم وأكدوا انى لا أفارقكم وسأخدمكم الى أن تفوزوا بالنصر ولا أدع شرا يصل الى أحد منكم وأتحمل الاثقال العظيمة والا تشتتنا وكانت مصر مدافن للعرب ومنتهى حياتهم فيها فالموت لا يصعب علينا اذا كان مشفوعا بالمجد والشرف واعتمدوا على ذلك ورتبوا انفسهم أعظم ترتيب ودبروا أحوالهم أحسن تدبير فى غياب الامير الى ان جاء كتاب غيتشم

هذا وقد سبق معنا الكلام ان سكاما وورقا كانا بانتظار غيتشم صاحب دمياط حيث كان

كل اتكالهم ورجائهم عليه لعلمهم انه وحده يقدر على لقاء العرب وابادتهم وداموا على الانتظار الى ان جاءهم الخبر بوصوله ومعه مائة الف من عساكر دمياط ففرحوا الفرح الزائد وقالوا لا بد لنا من الفوز على هؤلاء العرب وابادتهم ونكون بذلك قد فعلنا ارادة كسرى وانهينا امر الاعداء ولما وصل غيتشم ونصب خيامه فى ضواحى القاهرة تحت ظلام الليل خرجا اليه بجماعته من جيوش مصر وسلما عليه وترحابه غاية الترحاب وشكيا اليه ما كان من امر العرب وتحكمهم على البلاد حتى التزموا الى الالتجاء الى الحيلة والخداع فاسروا الامير حمزه ومعقل البهلوان واما باقى الفرسان فتحذروا الانفسهم ولم ياتوا الوليمة فشكرهم على عملهم وقال لهم اتيت لخدمتكم ولا بد من ان تروا حال هؤلاء العرب وفى الغد اوصل لهم كتابا واطلب منهم التسليم فاذا اجابوا اخلصوا من الحرب والا اوقعت بهم الذل والشنار وانزلت على رؤوسهم الويل والدمار ونثرتهم فى ضواحى مصر نثر الغبار . ولما كان اليوم الثانى كتب الى الملك النعمان يقول

من الملك غيتشم صاحب دمياط وحاميها الى ملك العرب النعمان بن المنذر بن ماء السماء

انت تعلم وغيرك من سكان الدنيا من الملوك العظماء والفرسان وغيرهم ان مصر منيعة حصينة يصعب على ملوك هذا العصر ان يطلع فيها ويفتكر بالاستيلاء عليها ولا سيما ان فيها فرسان وابطال يندر وجود مثلهم فى كل الاجيال وانى اعجب كيف انت ورجالك العرب ومن جاء معكم تحدثكم انفسكم بالعناد وتعملون على الحرب ويخال لكم انكم تفوزون بنجاح عندنا والحاصل انكم لما اتيتم هذه البلاد ولم يكن بعد سكانها وورقاها كى مصر قد ارسلا الى ملوكها الخبر التزما ان يحتالا على فارسكم ومن تعتمدون عليه فاسرته وهو الان يقاسى الويل والعذاب ولا يلبث ان يموت من الجوع والعطش بعد يوم او يومين فاقطعوا منه الرجا واعتمدوا على ما نصحكم به وهو ان تختاروا السلام على القتال فتسلموا الينا جميع الاموال التى جمعتوها من حد بلاد كسرى الى هذه الجهات من ذهب وفضة ونوق وجمال واغنام وترجعوا من حيث اتيتم لان لا غاية لنا بكم وجل غايتنا وغاية كسرى الملك الاكبر هو القبض على الامير حمزه ومحو اثاره وهذا قد انتهى وصار ومامن مرجع فيه ولا من مطمع لكم بعد الان بمشاهدة اميركم فارضوا باخف الويل واحسبوا ان حمزة العرب ما كان والا فانى افنيكم عن اخركم واجعلكم عبرة لغيركم من الامم ولا يعود ينفعكم فيما بعد الندم

وبعد ان انتهى من كتابة الكتاب ارسله مع رسول من قومه الى العرب فسار به الى الملك النعمان وهو فى الصيوان وعنده الابطال والفرسان فقراه علنا وعند ذلك اضطربت فرسان العرب منه وما منهم الا من حركته الحمية العربية وتاقت نفسه الى الحرب والقتال ومبارزة غيتشم وقتله ولا سيما المعتدى حامى السواحل فانه ارغى وازبد وقام وقعد وقال لو لم يكن قتلى

الرسول حرام عند عباد الله اقتلت هذا الرسول قهرا السيده لكن لا جواب عندنا الا السيف القرضاب المعد لقطع الرقاب وان كان يظن ان اميرنا حمزه فقد فنحن نثق ان الله يرده فلو مات ودفن سنخرجه من مدفنه حيا على ان ملوك مصر سيلاقون منا فى كل رجل حمزه فاذا اصاب سيدنا مصاب ففينا الكفاية للمقام بمقامه والقتال عند غيابه وغير ذلك لا كلام ولا مقال ومثل ذلك تكلم اندهوق وقاهر الخيل وبشير ومباشر واصفران الدربندى والاميره سلوى والامير عقيل وباقى الفرسان والابطال الذين عليهم المعول فرجع الرسول ميؤساً خائفاً مما شاهد الى ان وصل الى مولاه واخبره بما سمع وان العرب معتمدة على القتال والنزال وان لا جواب ولا كلام عندهم الا السيف اليمانى والحسام الهندوان وسوف ترى منهم الذل والهوان فاضطرب غيتشم واسودت الدنيا فى عينيه وقال سوف يرون منى ما يظهر لهم الحقيقة ويرفع الطمع من رؤسهم وانى اقسم بالعجل الكبير وبالصنم الهبيل انى لا ارفع عن العرب حتى ابيدهم ولا اترك منهم أثرا يذكر بعد الان . وصرف النهار مع سكاما وورقا وفى نيتهم ان فى صباح اليوم الذى بعد يباكرون الى الحرب كما كانت أفكار العرب أيضا اذا ما من وسيلة لرجوع الامير والسلام وكان أشد العرب كدرا عمر العيار على غياب أخيه وكان يخطر فى ذهنه أن ينزل المدينة ويخلص اخاه غير انه كان يخاف أن يقع على العرب فى غيابه أمر من الامور فاعتمد على أن يسعى قليلا وينظر ما يكون من غيتشم فيتسبب بالقبض عليه وعلى سكاما وورقا وحينئذ يهون عليه جدا اما افتداؤه واما خلاصه وبات يدبر فى طرق النجاح

ثم بات الفريقان يتحارسان الى ان كان صباح اليوم التالى فدقت طبول العرب تعلن الحرب والقتال وتسأل رجالها ان تنهض فى الحال وفعلت كذلك طبول المصريين وكان غيتشم وسكاما وورقا يظنون ان العرب لا يثبتون أكثر من ذاك النهار أمامهم فيتفرقون وينقرضون أمام جيوشهم ولاسيما ان مثل غيتشم لا يثبت فى وجهه احد من الابطال ثم تقدمت الابطال الى ساحة القتال واصطف الصفان وترتب الفريقان فوقف الاندهوق فى الوسط وفى الرأس الايمن المعتدى حامى السواحل واخته الاميره سلوى فى الرأس الايسر وقاهر الخيل ومباشر وبشير واصفران الدربندى وما انتهى انتظام الجيوش حتى صاح اندهوق صياح الابطال وانحدف على جيوش المصريين كانه قضاء الله المتعال فاجابه المعتدى حامى السواحل بصوت يقطع السلاسل ويلقى الخوف فى قلوب الابطال الفطاحل وارتمى على المصريين ارتماء الصواعق عند اشتداد الارياح وأخذ معهم فى المحاربة والكفاح . ومثل ذلك فعل قاهر الخيل الفارس النطاح . وليث البطاح وبدلائل قليلة اختلط القومان . وقام سوق الحرب والطعان . وكثر الجور وقل الامان ووقع الخوف وارتفع الاطمئنان وزاد على المتقاتلين البلاء والهوان . فسالت الادمية كالغدران . واندفقت تجرى فى اقنية الصحصحان . كمجارى النهور عند الطوفان . ولم

يكن يرى تحت ذلك الغبار الكثيف الا سيوف كثيرة اللمعان واسنة تضي وتختفي في ديجور ظلمات الغبار المرتفع الى العنان ولا يسمع الى انين ملسوع بانياب الثعبان . وصياح المأخوذ بنشوة النصر والثلمان وصريخ المجروح المفارق الاهل والخلان . القاطع الرجاء من الحياة ومن الرجوع الى هذا الكون الفان . وكان كلما اشتدت تلك النيران واضطربت بلهيب زائد الشعلان . وتكاثف فوق وقودها ضراما لدخان كلما اقتحمتها اولئك الشجعان . من المصريين والعربان الذين لم يكن بينهم قط جبان . فلله در الاندهوق بن سعدون عروس الميدان وتاج رؤس الاعيان فانه كر على الابطال والفرسان . كما يكر باثر بعضهما الجديدان . وبيض بافعاله الحسان اثناء عساكر النعمان . كما بيض وجه الارض بنورها النيران . وفعل اكثر من ذلك المعتدي رفيع القدر والشان . صاحب البسالة فارس فرسان ذلك الزمان . فانه اخترق صفوف المصريين بمدة دقائق وثوان وشردهم عن قومه بن الروابي والكسبان واذاقهم من من حرارة حربه ولسع ضربه ما القاهم بالخذلان . وتمنوا الاختفاء عن العيان . ليتخلصوا من حربه الزائد الرجحان . الذي لا عيار له ولا قبان . ولا يقدر ان يزنه عقل عاقل بميزان حيث كان يهيج هياج الفصلان . ويزئر كما تزئر اسود خفان . اليوم يوم من ايام حمزة البهلوان وسوف تذوقون من سيوف رجال حمزة الاحزان . وتقعون في شر اعمالكم بجهنم النيران لتعلموا ان ما كل من نقل عود الزان . يفتخر في ساحة الجولان وتنقاد اليه الملوك والاعيان وتفديه الاصحاب والخلان ودام على ذلك الهيجان تقلب الظهور على البطون والخواصر على الاعكان ويبعث بالرجال الى مندرج الاكفان لتبقى هناك الى ان ياتي الاوان ويدعوها للحساب العابد الديان صاحب الملك والسلطان وقد بخس من اعماله دم الانسان بعد ان كان ما كان عليه من غالي الاثمان واصبح يتمنى كل رجل ان يكون من اصغر الديدان او من فصيلة بني وردان واما الامير غيتشم عابد الاوثان ومكرم العجلان فانه انحط على العرب بقلب اشد من الصوان وفعل افعال عنترة الفرسان حتى شهد بفعله كل قاص ودان فقد قطع بضربه الرؤس واليدان وصمت بصرخاته الاذان وعميت لحملاته الاعيان

قال ودام الحال على مثل هذا المنوال الى ان اقبل الظلام فدقت طبول الانفصال ورجع القومان في الحال بعد ان امتلات السهول من القتلى وتغطى وجه الارض من الادمية وامتزاج التراب بالاجساد وجبل دقيقه بالدماء وعاد غيتشم وهو يهدر كما يهدر فحول الجمال واجتمع الى سكاما وورقا وقال لهما اريدان اعرف كم فارس فقدمنا اليوم لاني فعلت بالاعداء افعالا لا ينسوها الى يوم الحشر فقالوا اننا نحمدك على فعلك فقد شاهدناك وانت تطعن في الصدور وتخترق الاعداء فتنفر من بين يديك كانك الاسد الكاسر غير ان في الاعداء ابطال كثيرة فقد فعلت في رجالك كفعلك وفيام على مثل ذلك واذا جاءهم احد القواد واخبرهم ان عدد المقتولين

خمسة وار بعين الفا فتكدر غيتشم الكدر الزائد وقال لم يكن يظن ان بالعرب من يقدر على قتل فارس من فرساننا ولا سيما انى أحميهم وحيث الحال كذلك فسوف فى الغد اهجم على الابطال المشهورين فاميتهم شر ميتة واذلهم وبعد ذلك اهلك الباقين . واما العرب فانهم اجتمعوا فى صيوان الملك النعمان وهم عالمون بانهم انتصروا بعض النصر غير انهم تكدروا عند ماراوا انه قتل من عسكرهم مايقرب العشرة الاف فارس وقالوا ان الامير حمزة اذا قدر الله له العود الينا سالما لا بد من ان يلومنا على ذلك وما فعل هذا الفعل وقتل اكثر المقتولين الا غيتشم فقال اندهوق انى فى الغدا لاقيه واوصى كل واحد من الابطال ان يترقبه فمن وقع به يقتله وساجعل القتال فى اليوم التالى بخلاف نسق اليوم فيجب ان يقوم على كل فرقة من العساكر فارس من الفرسان ليدافع عنها ويحميها فاتفقوا على مثل هذا وتفرقوا الى خيامهم ليناموا براحة الى اليوم التالى واما الامير عمر فانه كان فى ذاك النهار حاول كل المحاوله ان يلتقى بغيتشم فلم يتسهل له وكان جل غايته ان يرى سكاما وورقا فى الميدان فيأسرهما او يأسر احدهما فلم يسهل له ذلك لانهما لم يباشرا حربا فصبر لاجراء ما فى نفسه

وبات الفريقان يتحارسان الى صباح اليوم الثانى فاصطف الصفان وترتب الفريقان ولما وقعت العين صاح كلا العسكرين ونادىا وتقدما وحملا وهجما وبربرا ودمدما واضطربا واصطدما وكان لهما يوم كثير الهول اشد من اليوم الاول هولا واكثره جرحا وقتلا وما جاء مساؤها حتى ذهقت نفوس الابطال وتمنت الرجوع والانفصال وتاخرت عساكر المصريين الى الوراء وقد لحق بها التعب والعناء ووقع بها النقص فزاد كدر سكاما وورقا وملك دمياط قال لاخيرا فى وحق ابيس العجل الكبير اذا تقاعدت عن مبارزة فرسان العرب ثلاثة ايام اخر هلك كل ما معنا من العسكر ومن الصواب ان اتنازل فى الغد الى المبارزة فاصطاد كل من يحدثه نفسه بالنزال الى وفى الاخير اهجم على ما بقى منهم فيبددهم وبذلك نكون قد احسنا التدبير وفعلنا فعل الرجل الخبير فقالا له اذا ما فعلت ذلك فبعد الغد ندخل المدينة ونقفل الابواب ونحاصر داخلها. فقال كونا براحة فسوف ترون من قتالى العجائب وماتاخرت عن البراز الا احتقارا بالعرب وانتم تعلمون ما اعطيت من البسالة والاقدام فاطمأن بال ورقا وسكاما عند سماعهما كلامه واملا بالغد ان ينالا الفوز والظفر ويأسر غيتشم فرسان العرب ولذلك باتا باطمانان الى ان كان صباح اليوم الثالث ضربت طبول الحرب والكفاح وتقدمت ابطال الطعان والنطاح فاصطفت الصفان ووقف من الجانبين الفريقان ينتظران الامر بالحملة على بعضهم البعض وقبل ان يتم ذلك انسقط غيتشم الى وسط الميدان وهو فوق جواد عال واسع الصدر عريض الكفل صبوح الوجه قوى القوائم ادهم اللون كانه النجمة فى الليلة المظلمة وعليه من الحديد درع متين لا تخرقه الرماح ولا السيوف ولا تبليه

الاجيال والوف الاجيال وزرديه ضيقة العيون محبوكه بترتيب وانتظام الى غير ذلك من السلاح الذي لا يحمله الا كل بطل صنديد وفارس مجيد وقرم عنيد وبعد ان صار في الوسط صال وجال ولعب في ساحة المجال حتى حير عقول الرجال ووقف في الوسط ونادى يطلب براز الابطال ونزال الفرسان من عشره وعشرين وما اتم كلامه حتى صار اصفران الدربندي امامه وتجاولا واياه اعظم مجولة وتطاولا اشد مطاولة وتضاربا أقوى مضاربة وهما بين اجتماع وافتراق واختلاف واتفاق تارة يتضاربان بالبيض الرقاق وطورا يتطاعنان بالسمر الرشاق الى ما بعد الظهر فتكدر غيتشتم من ثبات خصمه بين يديه فصاح به وانحط عليه وضايقه كل المضايقة واختطفه من بحر سرجه واخذه اسيرا وقاده الى قومه ذليلا حقيرا ثم عاد الى وسط الميدان واذا بالامير بشير قد فاجاه وصاح به وحمل عليه واقتتل واياه عدة ساعات ثم اخذه اسيرا وشده الى رفيقه وعاد الى مكانه يريد البراز فصدمه مباشر اخو الامير بشير ودار بينهما دولاب القتال الى الزوال فاخذه اسيرا ورجع الى قومه وهو بمزيد الفرح ورجع العرب بهم زائد مما لحق بفرسانهم في ذلك النهار وما منهم الا من يتمنى ان ياتي اليوم القادم ليبرز الى غيتشتم ويقصف عمره وينهي أمره ولا سيما اندهوق بن سعدون والمتمدي حامي السواحل وقد ظن كل واحد منهما انه في الغد يبرز اليه وياخذ منه بالثار ويمحوا العار

قال ولما كان صباح اليوم التالي نهض العرب والمصريون وتقدموا الى ساحة القتال واصطفوا حسب العادة فبرز غيتشتم صاحب دمياط وصال في الوسط وقبل ان يتم كلامه برز اليه الامير عقيل فارس العرب وتقاتل واياه مدة من النهار وقبل ان صار الظهر اخذه اسيرا وقاده حقيرا وفي الحال صارت تبرز اليه الرجال من سادات العرب اصحاب حمزة الاخصاء اي الثماعائة الذين تربوا معه وكان كل واحد منهم يعد بالف فارس غير ان غيتشتم طال عليهم واستطال وما جاء الزوال حتى اسر نحو عشرة رجال ورجع كانه الاسد الرئبال وقد ظن ان لا احد يقدر من عساكر العرب عاد يقدر اليه ويثبت امامه واجتمع بسكاما وورقا وقال لهما لقد هان علينا الامر واسرنا كثيرا من فرسان العرب ولم يبق علينا الا القليل وسوف نفوز ونهلك الاعداء بوقت قريب فقالوا له ان الذين اسرتهم هم من فرسان الزمان ومشاهيرهم الا انه باق من هو اشد منهم باسا واقوى مراسا باق الاندهوق صاحب سرنديب الهند وهو مشهور بين ابطال الزمان والمتمدي حامي السواحل الذي ارجف لذكره الابطال في المهود وقاهر الخيل صاحب مكا وهذا تعرف انت بسالته وشجاعته فاذا اسرت هؤلاء الثلاثة نلت كل مشتهاك ويرجع النصر والفوز لنا وظفرنا بالعرب والا فلا امل بالنجاح قال اني في الغد ساطلب قاهر الخيل ورفيقه ولا اجعل مساء الغد ياتي الا وكونت المراد وجعلتم بامان واطمئنان وكان يظني ان أقتل الاسارى في هذه الليلة الا اني سابقيهم الى ان أشدد فاقهم اليوم

قال سكاما انى اخاف ان يأتى بلوة الانس والجان عمر العيار فياخذ الاسارى على حين غفلة منا قال يجب ان تسلموهم الى عيار من عيار كم وتحذروه منه وان يسهر عليهم الليل والنهار وان يكون معه من يساعده من العيارين فدعنا بكبير عيارين مصر واسمه السارى واوصياه بالمحافظة على الاسارى ووكلوا معه بعضا من جماعته وارتاح بالهم من جهتهم وترجح لهم نيل المراد من أسر الباقين . واما العرب فانهم رجعوا فى المساء الى الخيام واجتمع الامراء الى صيوان الملك النعمان واخذا يتشاورون فيما يفعلون فقال النعمان من الصواب ان نمنع الفرسان عن البراز وناخذ نحن العهدة على قتال غيتشم واسره والاصطاد واحدا بعد واحد وربما قتلهم واماتهم فقال قاهر الخيل انى سابرز اليه فى الغد وعندى انى سافوز عليه فاذا اسرنى او قتلنى فليبرز اليه اما اندهوق وأما المتعدى ويمتنع غيرنا عن قتاله فاتفقوا على مثل ذلك وباتوا الى الصباح وعندها برز غيتشم فصال وجال ولعب على اربعة اركان المجال . ثم وقف فى الوسط وقال من عرفنى فقد كفى ومن لم يعرفنى فانى خفى اذ غيتشم منزل بالاعداء الويل والعدم فليبرز الى منكم الفرسان والابطال عشرة وعشرين واذا شئتم فاحملوا باجمعكم فانى لا احسب لكم حسابا وقد اطلب براز قاهر الخيل ملك عكاء الذى فات بلاده ومملكته وتبع العرب وفضل قتال المصريين جيرانه حبا بالامير حمزه

وما اتم غيتشم كلامه حتى صار قاهر الخيل امامه وصدمه صدمة الجبابرة العظام واخذ معه فى العراك والصدام والافتراق والالتحام والضرب بالصارم الصمصام والطعن بالرمح الهندام حتى ارتفع فوقهما الغبار كالغمام . وصاح فوق رؤسهما طير الحمام . ونشر عليهما الموت الزؤام . وقد احدقت اليهم الفرسان من كل ناحية ومكان تنتظر ما يكون بينهما من القتال وما تنتهى اليه الحال وهما بضرب احر من لهيب النار وطعن يسبق الاقدار . كل ذلك النهار الى ان مالت الشمس الى الاصفرار . وطلبت الاختفاء عن العيون والاستتار . وهما لا ينفكان ولا يطلبان الرجوع الا بعد الفوز والانتصار واخيرا وقع من الاثنان ضربتان فاصلتان فوقعت ضربة قاهر الخيل على طارقة غيتشم فضيعها بمعرفته وابطلها بخبرته ووقعت ضربة غيتشم على طارقة قاهر الخيل وسقطت على رقبة الجواد فمال وسقط وقبل وصوله الى الارض هجم عليه غيتشم وتناوله وسار به الى ناحية المصريين وهو يهدر كما تهدر فحول الجمال مسرورا بما ناله من الظفر على عدوه وفى الحال شده وثاقه وسلمه الى العيار سارى وأوصاه ان يقربه الى جماعته واوصاه بالاحتراس عليهم وقال فى الغد لابد من الاتيان بالباقين فقددنا اجل العرب وفرغت ايامهم ولم تعود تقوم لهم قائمة . فاثنى عليه سكاما وورقا وشكروه كل الشكر وهم فرحون وتأملوا كل خير واما اندهوق وباقى الفرسان فانهم رجعوا الى صيوان النعمان متكدرون مما جرى على قاهر الخيل والمتعدى ويعض شفتيه تحرقا كيف انه لم يتمكن من

براز غيتشم وكيف ان النهار لم يساعده ليخلص قاهر الخيل وياسر اسره ولما اجتمعوا فى الديوان قال الملك النعمان لقد ظهر ان غيتشم فارس صنديد وكان من الواجب ان يبرز اليه احد كامنذ الاول لكان عاد به اسيرا أو قتيلا وهكذا كان يفعل الامير حمزة فى اكثر الاحيان فانه يمنع غيره من المبارزة ويبرز هو املا بحسم المسألة وتقصير الوقت واختشاء من تضييع بعض الفرسان قال ان الذى مضى مضى ولا بدلى فى الغد من قتاله واخذه اسيرا وخلاص رجالنا واذذاك تقدم عمرو وقال انى اشرط عليكم شرطا فاذا وافقتمونى عليه خلصت الاسارى فى هذه الليلة. قالوا ماذا تريد قال انى اريد ان ابارز غيتشم واريه فعله وانى اعدكم باسره بدون شك وفوق كل ذلك فانى اعود اليكم هذه الليلة بكل الفرسان الذين فى قبضه سكاما وورقا فقال له اندهوق اذا خلصت الاسارى تركنا لك قتاله ولا نخاف عليك منه لانك تقاتل وانت على الارض فاذا وجدت نفسك مغلوبا حاولته بالجرى فلا يقدر ان يأثرك لسرعة جريك

قال وبعد ان اتفقوا على ذلك ذهب عمر الى صيوان اخيه حمزة وانفرد بنفسه واخذ المكحلة التى اخذها من رجال الصومعة وتكحل بها بقصد ان يصير مصريا فصار فى الحال وجعل نفسه كانه اعمى واخذ جرابه تحت ابطه وسار من عساكر العرب وجاء عساكر المصريين وجعل يسال الاحسان ويسأل عن صيوان ملك دمياط وما برح على مثل هذه الحالة ينتقل من مكان الى اخر ومن جهة الى ثانية حتى وصل الى صيوان الملك المذكور فاستأذن بالدخول عليه فمنعه الحراس فقال لهم بصوت عالى ولهجة مصرية دعونى أصل الى ابى الفقراء وصاحب الاحسان فاننا نحن الشحاذون فى مصر بانتظاره ولا يسمح لنا الزمان ان يزورنا فى كل يوم فاليوم عندنا يوم الغنائم فلا تمنعون من نوالها فسمع الملك المذكور كلامه فطلب إن يدخل عليه ولا يعارضه احد ولما صار بين يديه قدم واجب الخدمة والاكرام وقال له انى خرجت من المدينة ياسيدى وفى كل نيتى انى سأقبل الارض بين يديك واقبض على أنعامك وانال غايتى واحظى بالسعادة الكبرى وأنى أشكر العرب حيث كانوا وسيلة لاتيانك الينا لتتبرك الارض بجلوسك وقد سر جماعتى كلهم طمعا برغدك وكرمك ثم انشد

الا يافتى العليا الهمام المفضل ... وياشائد الحسنى الاغر المكمل
ويا ايها المولى الذى اكتمل العلى ... به وسواه بالعلى يتكمل
ويا ملجا للقاصدين ومنهلا ... عليه الورى من كل قطر تعول
اذا ماجنى المرجى منك بناصر ... فبشرى المرجى انه ليس يخذل
مديحك عندى يا اخا الجود واجب ... ومدح بنى العليا سواك تنقل
حويت فخار لم ينله مشمر ... بسحب هباة غيثها يتسلسل

وما انت الا الشمس لكنني ارى   من الحزم انى عنك لا اتحول

فلما سمع غيتشم كلامه سر سرورا عظيما واعجبه جدا وقال لا ريب انك نابغة فى مصر وبين العميان ولا بد من اكرامك والالتفات اليك فابق عندنا مدة ايام وسوف اجعلك اغنى الناس اى انى ساعطيك من مالى وازيدك شيئا كثيرا من مال العرب ومما قليل تحصل عليه كله وهو جمع من نصف الدنيا تقريبا. فلما سمع عمر كلامه شكره واثنى عليه جدا وقال له باركت بك الاصنام وجعلتك باعلى مقام فانك تحسن الى الفقير وترحم الايتام ثم امر ان يبقى فى احدى الصواوين بين الحجاب والقواد وان يقدم اليه كل ما يريد ويطلب فشكره وخرج ولم يعترضه احد وقد عرف الجميع ان غيتشم احبه ووعده بالخير والاحسان. واما هو فانه سار الى جهة الخيمة التى فيها الاسارى وقد اشعل غليونه فى اليد الواحدة واخذ عصاه فى الثانية ولما وصل اليها قال دلونى على العيار سارى فان الملك غيتشم وعدنى الوعد الصادق انه يعطينى قسم من مال العرب وانا اريد اساله عنهم فدلوه عليه وقال له عندك كثير من اسارى العرب قال عندنا اثنى عشر اميرا قال انى اسال ايبس ان يساعد ملوكنا على مسك الباقين لننال الاموال الغزيرة والثروة العظيمة وعندنا انه يقسم الغنائم بين الجميع بالسواء وينالنى نصيب من ذلك فقال له سارى ان الامر ينقضى بعد ايام قليلة ولكن اريد منك ان تعطينى قليلا من هذا الدخان الذى تدخن به لان رائحته زكيه ولم ار ولا سمعت بمثله قال لا ابخل عليك بذلك ثم اعطاه قليلا فملا به الغليون واشعله بقليل من البنج وسد انفه واشعل الدخان فتصاعد وفاحت منه رائحة زكية جدا فتنشق منها سارى وباقى العيارين الذين معه وما لبثوا ان لعب البنج برؤوسهم فالوا الى الارض نياما وفى الحال نهض واسرع الى الداخل واخرج من جيبه المبرد وجعل يقطع القيود فتعجبوا منه وقالوا اجزاك الله عنا خيرا فقال لهم لا تخافوا فقد جئت لخلاصكم فعرفوه لما سمعوا اصوته ولهجته العربية وفرحوا بالخلاص ولم يكن الا القليل حتى انطلق الجميع فاخذ لهم ثياب العيارين جماعة سارى والبسهم وقال لهم اجعلوا انفسكم كانكم مصريون وسار امامهم وهى من خلفه حتى قطعوا معسكر المصريين ودخلوا بين قومهم فانجلت الهموم عنه وتاكدوا خلاصهم وما منهم الا من شكر من عمرو من عمله ومدحوه المدح الزائد وتقدم عمرا امامهم الى صيوان الملك النعمان حيث كانت الامراء عنده وهم بانتظار عودته فدخل والفرسان من خلفه بصفة مصريين وكلم النعمان بلغة مصر وقال له ان سيدنا بعثنا بهذه الساعة اليكم وهو لم يرض ان يصبر الى الغد عنكم ليعرف علكم تكونوا قد نظرتم فى الحق وعرفتم ماحل بقومكم فتسلموا اليه الاموال وترجعوا الان الاسارى قد ذبحهم والخير لكم فى التسليم والا فى الغد يباكركم وياخذ الباقين منكم فما اتم عمر كلامه هذا حتى لعب الغضب براس اندهوق بن سعدون وهاج كما تهيج فحول الجمال وصاح على غيروعى وانتشق الحسام وفى

نيته ان يبطش بالذين امامه. فاجاب عمر بصوته المعتاد هدي روعك وسكن غضبك فعرفه وضحك الملك النعمان والمعتدي من عمله وقال له ماهذا العمل. قال لا اعرف هل تعرفوني وانتم قومي وها كم قاهر الخيل وباقي الاسارى قد خلصتهم وجئتكم بوقت قريب ففرحوا فرحا لا يوصف وتقدموا من بعضهم البعض وسلموا عليهم وهنأوهم بالخلاص وقد تامل العرب بالفرج وتفرق كل واحد الى صيوانه ليرتاحوا باقي تلك الليله لعلمهم ان في الصباح لا بد لغيتشم من البراز ليرجع الاسارى

وفي صباح اليوم الذي بعده نهض فيه غيتشم وفي كل نيته ان ياتي بالاسارى الى ساحه الميدان ويرمي رقابهم على مرأى من جماعتهم ولذلك بعث بعض خدمه لياتي بهم وكان قد حضر عنده سكاماوورقا فعاد اليه الخادم وقال له لا اسارى ياسيدي بالصيوان بل وجدت القيود مكسرة والعيارين نياما بالبنج وما ذلك الا من جرى حيلة قد وقعت عليهم فامر اذ ينبهوا ويؤتى بهم في الحال فجاؤا بين يديه وحكوا له ما كان من أمر الاعمى الذي كان عنده وقالوا اما ظننا يكون عدوا ورأيناك وسمعنا انك أكرمته ووعدته بكل جميل فقال سكاما ان صدقني حذري يكون هذا عمر العيار لانه شيطان مريد وخبيث محتال ينزع الكحل من العين ويسلب النوم من المقل. فقال غيتشم لا بد اذا وقع بيدي هذا المحتال أن أعدمه الحياة وأميته شر ميتة لاريه كيف يتجاسر على دوس بساط الملوك والاحتيال عليهم والاحتقار بهم وأما الاسارى فلابد من عودهم الى الوثاق والهلاك ولا يفوتني أحدهم. ثم انه أمر أن يقدم اليه جواده فركبه وتقدم الى ساحة الميدان وركبت كل تلك العساكر من عربي ومصري وغيرهم وفي الحال تقدم غيتشم الى الامام وهو يعض الارام ويتحرق من أعمال عمر العيار ويتمنى أن يصل اليه ليفرق بين لحمه وعظمه ولما صار في الوسط وطلب مبارزة الابطال فاراد أندهوق أن يبرز اليه فاعترضه عمر العيار وقال له ان هذا اليوم هو لي فقال له افعل ما بدا لك فاني أقيم بوعدي. ثم ان عمر لبس عليه ثوبا من الجلد المصقول اللامع وعلق به كثيرا من الاجراس الصغيرة ووضع فوق رأسه قبعة طويلة وعلق به الاجراس وأخذ بيده دبوسا من الحديد وتقدم بتأن الى جهة غيتشم ولما صار أمامه قال له اني لا أنكر اني بالامس كنت ضيفك وقد أكرمتني وعملت على الاعتناء بي ووعدتني بانك لا تنساني فتقسم لي نصيبي من الاموال التي مع العرب ومن كان مثلك لا يعد ويخلف وجئت الان لاذكرك بهذا الوعد. فلما سمع كلامه اشتعل نار الغضب في قلبه وكاد ينشق من الغيظ وقال له لا بد لي من ان أميتك شر ميتة لاعرفك كيف تصل الى الملوك وتلعب بهم وهجم عليه وفي نيته انه يطعنه طعنة واحدة فيلقيه ممدودا على الارض فضبر عليه الى ان كاد يقرب منه وانتفض كله انتفاضا سريعا وهز برأسه هزا قويا وذلك بغتة فدقت الاجراس بصوت عظيم جدا ووقعوا بقوة في اذان الجواد فجفل وجن وقلب الى الارض فوقع غيتشم

وهو حائر الفؤاد متكدر من عمله ورمى بكل سلاحه عنه وأسرع ركضاً الى جهة معسكره فجعل عمر يضحك عليه والتهى عنه بالجواد فرفعه بأن وساسه ودعا أحد عياريه ان يسرع فيأخذه وأخذ هو الرمح والسيف

وفى تلك الساعه صاحت فرسان العرب وهجمت وهى تضحك من أعمال عمرو من خدمته وابغات غيثشم باجفال جواده حتى وقع الى الارض فالتقتهم معسكر مصر وقام سوق الحرب على ساق وقدم واختلط الامم بالامم وبيعت النفوس بيع البخس الى سلطان العدم فهجم الشجاع وتقدم وولى الجبان وانهزم وقد جاد فرسان العرب جواد الكرماء وطافوا على الاعداء كما تطوف بمياهها السماء. واتسع سوق المجال على الفرسان والابطال فابدوا العجائب والاهوال وماعول النهار على الارتحال الا بعد أن أشفوا كبودهم من المصريين وأنزلوا عليهم قضاء الله المبين واذا ذاك ضربت طبول الانفصال فترك الحرب والقتال وعادت كل فرقه الى خيامها وغيثشم بكدر عظيم وغيظ لا يحد وقد قال لسكاما وورقا انى كنت لاأظن ان هذا الشيطان المريد يقصد اجفال جوادى بغتة بضرب الوف من الاجراس دفعة واحدة فقبح من خبيث محتال وانى لاأريد شيئاً من عساكر العرب الا أن أقتله وأعدمه الحياة واشفى غليل قلبى منه. فقالا له انما احذر ناك منه قبلا لانه ليس من الانس بل هو من طوائف الجان واعماله هذه لا يمكن لابن ادم ان يفعلها وان الذى يراه لا يظن الا انه من فصيلة القرود لان وجهه كوجه القرده. اجاب انى أسأل المعبودات ان لا تحرمنى من هلاكه وان تخولنى تقطيعه أرباً أربا

وأما العرب فانهم عادوا الى مضاربهم وهم فرحون بالنصر الذى وصلوا اليه. وتأكدوا ان القتال لا يكون بينهم ولا يطول اكثر من يوم الغد. فقال اندهوق انه لولا غيثشم لتفرقت جيوش الاعداء فى هذا اليوم ولا عادت الى حربنا مرة ثانية ولكن لا بد لى من البراز فى الغد اليه لاقتله وأعدمه الحياة ونرتاح من امره وكل فكرنا عند الامير حمزه وصار من اللازم الاستيلاء على المدينة لننظر فى مكانه واين هو. اجاب عمر انى متى قتلتم غيثشم وترجح استيلاؤنا على المدينة سرت انا الى خلاص اخى لانى عرفت ونظرت فى المراة فاذا هو فى القلعة مسجونا عند النيل فى داخل المدينة عند طرفها الاخير. وهو مع معقل البهلوان بخير وراحة غير انه لا بد من ان يكون مضطرب الافكار من اجلنا ومفتاح هذه القلعة هو مع ورقا اليوم وهو محافظ عليه فى جيبه وقد اخذه من اخيه سكاما وفى ظن المصريين ان الامير حمزة هلك ومات جوعا مع معقل البهلوان ولكن لا بد من خلاصهما بعد قليل. فدحوه على كلامه. ثم انه قال لهم انتم تعلمون انى اخذت جواد غيثشم وسلاحه وهى لا تنفعنى شيئا واريد ان ابيعها فمن منكم يشترى ذلك فقال اندهوق انى اشترى منك الجواد بمائتى ذهب عينا. قال لا يخلصنى ان ابيعه بهذا السعر فانه ثمين جدا اجاب وهل اشتريته بمال اجاب حصلت عليه بما

هو أغلى من المال وأثمن لانه لو قتلني غيتشم لما كان ينفعني أحدمنكم فقال له اذن خذ لك ثلثمائة ذهب ثمنه أجابه خذه فهو مبارك عليك وقبض المبلغ ثم باع الرمح لقاهر الخيل والسيف للمعتدي وأخذ منهما تتمة الالف ذهب وخرج الى جماعته العيارين وقال لابد أن تكونوا متكدرين حيث مضى زمان ولم انثر الذهب على رؤسكم فاتبعوني الان فقد جئت ببعض الذهب وذهب بهم الى الخلا وأخذ ينثر الذهب وهم يلتقطونها حتى فرغ فعاد بهم حزبنا وفرقهم على الحراسة الى صباح اليوم الثاني

ولما كان الصباح ضربت طبول الحرب والكفاح وتقدمت الابطال والفرسان من كل ناحية ومكان وفي نية جماعة العربان ان ذاك اليوم يكون اليوم الاخير بين المتقاتلين وما انتهى الفريقان من الترتيب والانتظام حتى كان غيتشم قد صار في وسط ساحة الصدام حسب عادته وهو متكل على كل قوته وما صال الا القليل حتى صار الاندهوق أمامه وصدمه صدمة جبابرة الزمان وقد تقدم معنا في غير هذا الكتاب ان أندهوق كان من أبطال ذاك الزمان لا نظير له في كل بلاد الهند وغيرها وما أسره حمزة الا بعد محاربة ثلاثين يوما ومن ثم أخذ في العراك والصدام والافتراق والالتحام ومعاناة الشدائد والاهوال والدخول في أصعب أبواب الحرب والقتال وقد تزعزع من قوة صراخهما أمتن الجبال واهتزمن صول وجول جواديهما تلك المدائن والاطلال وارتفع بينهما الغبار حتى حجب الشمس ذات الانوار وأحدقت بهما عيون أولئك النظار تنتظر النهايه عن حالهما والاستفسار وكان اندهوق متكدر الخاطر من عمل غيتشم ومما سبق من أفعاله ولذلك لم يقصد التطويل ولا التحويل والتهويل بل كان جل قصده السرعة في القتال فصاح في خصمه من قلب محروق وفاجأه كل المفاجأة وضيق عليه كل المضايقة وأراه ضربا ما اه عمره بطوله حتى القى الرعب في قلبه وأظهر له عجزه أمام عينيه ثم ضربه بسيفه البتار فوقع على محكم رقبته القاه الى الارض قتيلا وفي دماه جديلا ومن ثم هجم على معسكر المصريين واشار الى العرب بالهجوم فهجموا هجمة واحدة وقوموا الاسنة واطلقوا الاعنة وقام سوق الحرب والقتال من كل ناح وازدحمت الفرسان بالفرسان والابطال بالابطال وتدفقت الادمية من انابيب المحاجر كالعارض الهطال وكان يوما عظيم الاهوال وقع فيه على المصريين التأخير وسوء الحال ودارت عليهم الدوائر من كل ميل واكتالتهم مكاييل المنايا اى كيل فتفرقوا ذات اليمين وذات الشمال وانتشروا انتشار الغيوم وتفرقوا بامر الحي القيوم والعرب تضرب باقفيتهم وتشفي غلائلها من قتلهم وذبحهم وما جاء اخر النهار الا وكان سكاما وورقا قد دخلا المدينة بجماعتهما الباقين واقفلا من خلفهم الباب وفي نيتهم ان يعملا على الحصار وينتظرا ما يكون من امرهما ولم يخطر لهما قط الاذعان والتسليم لعلمهما ان العرب لا تبقي عليهما بعد ان اهلكا الامير وفي كل ظنهما انه مات جوعا في القلعة مع معقل البهلوان ولم يخطر لهما قط ان الله سبحانه وتعالى حرك درة الصدف على بغض ابيها وقومها ليحفظ حياتهما

و بعدان رجعت العرب الى الخيام اجتمعت فى صيوان الملك النعمان على اتم ما يكون من الفرح الزائد وقد قال انه هو قد انتصرنا انتصارا كاملا ونلنا من الاعداء الغنائم التى لا تحصى ولم يبق علينا الا شيء واحد وهو خلاص الامير حمزة وامتلاك المدينة وعندى ان الله الذى ساعدنا على هلاك غيتشم وتبديد شمله لا يبعدعنا الوصول الى غاية نريدها ونحن عبيده الامناء فقال له عمر العيار انى سأسير هذه الليلة الى خلاص اخى وانا اثق بنفسى الوصول اليه وانشاله من المكان الذى فيه ولم يعد من خوف عليكم قط وقد تفرقت الجيوش وهلك اكثرها فقالوا اسرع فى ذلك فاننا لا نقوى على الصبر اكثر مما صبرنا وصار من الامور اللازمة السعى فى خلاصه والا فبدونه لا نوم ولا عيشة هنية فودعهم بعد ان وعدهم وسار لاجراء مهمته وقضاء مصلحته

ولنرجع الى داخل القلعة حيث كنا تركنا صاحب هذه القصة وبطلها العظيم حمزة العرب مع رفيقه معقل البهلوان يقاسيان الوحدة والام السجن ولا يعرفان فى اى يوم يكون خلاصهما من اى باب يتسهل لهم الخروج وهل يحصل لهما ذلك او يتركان ويهملان فيما بعد وكان املهما متجها الى درة الصدف حيث وعدتهما بالخلاص ولكن لم تنجز وعدها فى الحال فذات يوم قال الامير لرفيقه انى ارى مقصورة فى احدزوايا القلعة مرتفعة على علو اربعة اذرع ويليها من الداخل ضيقا الا انه يمكن مرور الرجل فيه وعليه فانى اريد ان يصعد احدنا اليه وننظر فيهما على ان يكون فيها منفذ نعبر منه الى الخارج اجابه اليك ماطلبت غير انى ارى اننا لا نقدر الوصول لتلك الحجرة الصغيرة قال بحيث يمكن ان ارفعك على اكتافى واوصلك اليها اجاب هذا لا يمكن بل انى ارفعك انت فتنظر ماذا عسى ان يكون هناك واذا وجدت منفذا تعلقت بك وارتفعت الى فوق . ثم ان معقلا تقدم الى جهة الزاوية المذكورة ونهض على اكتافه الامير حمزه حتى وصل الى باب الحجرة الصغيرة المذكورة دخل فيها وجدها مظلمة قايلا غير انه وجد وهجا فى سقفها يضيء ما شبه بالنجمة فى الليلة المظلمة فتقدم من ذاك النور ومد يده فوجد سيفا معلقا فتناوله بفرح وبالم ير وسيلة لوجود مخرج عاد فنزل الى الاسفل على اكتاف معقل كما صعد وعند ما سار فى اسفل القلعة نظر الى السيف فوجد قبضته مرصعة بالجواهر الكريمة مما لا يوجد فى خزائن ملوك هذا الزمان كل واحدة بقدر البيضة وغمده من الذهب الوهاج على احكم صنعة واتقن نقش ومكتوب بالحروف النائتة على صفحات ذاك الذهب هنئت يا من اعطيت هذا السيف فهو سيف الضحاك الناجى لا يوجد نظيره لا عند الانس ولا عند الجان فلما قرأ ذلك معقل البهلوان والامير حمزة فرحا غاية الفرح واخرجه الامير من غمده فرآه كجوهرة مع مرور الزمان عليه كانه اخرج من يد شاغله فى ذاك اليوم ورأى عرضه ورقة وزنه فاكد انه لو وقع على صخرة صماء لقطعها فى الحال كما يقطع فى اللين ولذلك قال لمعقل البهلوان ان كان الله يسهل لنا الخلاص اكون

قد غنمت غنيمة لا يصل احد الى مثلها فى هذا الزمان و يكون الله قد تخلى عنا فى هذا المكان. أتصل أيدينا الى هذا السيف الذى ينفع لدى الشدات والضيقات قال لا بد لنا فى هذه الليلة من أن نطلب الاسراع الى خلاصنا لانها فى الامس أخبرتنا بنجاح قومنا وصار من المقتضى أن نخرج فاذا لم يكن عن يدها و لم تقدر أن تأتى بمفتاح القلعة فيمكنها ان تخبر عمر العيار المذكور يسرع الينا و ينتشلنا منها و لا سيما اذا ملك قومنا المدينة فما من حاجة لمساعدة درة الصدف فيسرعون الينا فهى متطلعة على أمرنا فتخبرهم بنا و لذلك عاقا أملا كبيرا بالخلاص قريبا فانتظر مجىء درة الصدف فى ذلك الليل ليفهما منها ماذا صار من قومهما و ماذا حصل ذلك النهار وما برحا على الانتظار الى أن كان المساء وجاء الوقت المعين لاتيان درة الصدف ومضى الوقت و لم تأتى فشغل بالهما و تكدرا و صبرا أملا أن يكون حدث لها ما يعيقها عن العودة فى تلك الليلة و كان الطعام والماء قد فرغ من عندهما حيث كانت تأتيهما كفاءة ليومهما و كلما تقدم الوقت دقيقة كانت عليهما أصعب من شهر و يلات و مصائب و أطول من سنة انتظار و فروغ صبر حتى مضى نصفه الليل و لم تحضر فقطعا الرجاء و قال الامير لمعقل لا ريب ان درة الصدف قد منعت عن المجىء لامر فوق طاقتها و لا بد أن يكون اطلع أحد على عملها فأخبر أباها به فقبض عليها و منعت عنا و أن تكون وقعت فى النيل أو أصيبت بمصيبة غير هذه و الا فانها كانت لا تتقاعد عن الاتيان بالطعام الينا حيث تعرف اننا باحتياج اليه و الى الماء و الا متنا من الجوع و العطش و كان معقل البهلوان يميل طبعا الى درة الصدف و يهواها مع انه لم يكن قدراها عن قرب و لا شاهد شيئا من جمالها الفتان غير انه كان يراها فى أعلى الشباك كظل يرسم ينقضى و لكن الذى دعاه الى ذلك هو مخاطرتها بنفسها من أجله و أتيانها تحت ظلام الاعتكار أملا باخراجه من بين الاموات الى عالم الاحياء و تخصيصها نفسها له و لذلك أصبحت بعين الواقع صاحبة الفضل و المعروف عليهما و الجميل و قد اشترت حياتهما بحكمتها و درايتها و حسن مساعيها فلما سمع بانها ربما تكون غرقت فى النيل أو أصيبت بمصيبة فمنعتها عن الاتيان ضاق صدره و شعر بانقباض فى داخله و هان عليه الموت و فقد الحياة اذا كانت اصيبت بمثل ما تقدم و لم يبدأ قل كلمة بل كان مطرقا حزينا و الامير قاطعا الرجاء واقعا باليأس كئيبا يجهل أمر غياب درة الصدف و يحاكى نفسه بنفسه و فيما هما على مثل ذلك واذا بهما سمعا صوت صرير المفتاح و هو يدخل بالقفل و تاقت نفساهما الى معرفة القادم عليهما و طارت قلوبهما فرحا حيث تأملا فتح الباب فان كان صديقا فيتخلصان و ان كان عدوا فيمكنهما قتله و الخروج بالرغم عنه قبل ان يتمكن من قفل ذلك الباب الحديدى و الضخم و تقدما من الباب و حالما سمعا بارتفاع الاقفال سحبا الاقفال الى الداخل و بان من وراءه درة الصدف هى تحمل اليهما الطعام و أسرعت الى الداخل و قالت كلا الان و سدا و مقكما ز من ثم اسرعا بنا الى الرجوع من حيث أتينا فانى أخبركم اليوم ان قومكم قد قتلوا غيتشم و فرقوا

الجيوش شرقا وغربا فدخلوا قومنا الى المدينة فحاصروا بها . فقال لها الامير وما كان سبب فاقتك عنا . فعادت عليهما قصتها باسرع ان بينما كان مع الامير معقل يا كلان من الطعام لذى جاءت به

وكان السبب في تأخيرها ومجيئها في ذالك الوقت هو انها حتمت على نفسها أن تسعى بخلاص الامير فى تلك الليله لما رأت انتصار العرب وشاهدت دخول أبيها وعمها المدينة وافتكرت في نفسها اذا ملكت العرب المدينة سعيت الى خلاص الأمير حمزة وحبيبي فاى فضل يكون لى أذ ذاك بل أكون قد خسرت ما أنا عزمت عليه وأضعت تعبي بالباطل وكانت تعرف جيدا ان مفتاح القلعه في تلك الايام هو مع عمها ورقاو لذلك هان عليها الحصول عليه لعلمها ان عمها يحبها جدا وكان يريد الحصول عليها فامتنعت عليه لكبر سنها مع ان أباها كان يريد ذلك اذ ما من شريعة تمنعه لتقديم بنته لاخيه وقد أثبت التاريخ عن كثير من الملوك ممن يزوج باخته ولا سيما ملوك مصر الفراعنه قبل تلك الايام . واسنادا على ذلك نهضت عند المساء وذهبت الى سراية عمها وبعد ان تزينت بافخر زينة وعند وصولها الى الباب طلبت من الخادم أن يوصل خبرها الى عمها فسار اليه وبلغه ذلك فكاد يطير عقله مع ما هو عليه من الحزن والكآبة على خسارة الجيوش ومحاصرة المدينه وأمره بان يسرع بادخالها عليه وتقدم لملاقاتها ورحب بها عند مشاهدتها وهو يتعجب من مجيئها اليه في مثل تلك الساعة ثم دخل وإياها الى غرفة منفرده وقال لها أني أعجب من مجيئك الى في مثل هذه الساعة فالف أهلا ومرحبا اجابت لا تعجب من ذلك الست أنت عمى ومن الامر الطبيعي البديهي ان الذى يكدرك يكدرني والذى يغيظك يغيظني وعرفت من ذاتي انك لا بد ان تكون في كدر من جري الاحوال الحاضرة عليه فقد دعاني حبي أن أجيء اليك في هذه الساعة على أن أقدر ان ازيح عنك الهم وأجلي الكدر فطار عقله من كلامها فاجابها لقد أحسنت فاني كنت بهم وكدر فوجودك عندي مما يزيل كل شائبة ويزيح كل هم وغم فاهلا بك ومرحبا ومن بعد قيامك عندى هذه الليلة لا أعود أسأل عن مصر ولا من فيها قالت هل تريد أن تشرب قليلا من الخمر أجاب اليك ما طلبت ثم أمر ان تحضر اليه بواطي المدام والنقل والرياحين فاحضر بين يديه كل شيء . ثم ان درة الصدف قربت منه وزادت في بطشه وسكبت له الخمر وسقته وقبلته في لحيته حتى سكر من غير مدام وعاد لا يرى ما بين يديه وهي تسكب في كل دقيقة كاسا مملوءا الى أعلاه وتسقيه وهو تائه غائص في بحار من الهيام وما برحت تسقيه الخمر حتى غاب عن الهدى فؤادته وهو لا يسع مخالفتها فوقع الى الارض كالمائت من شدة الثمول فاغتنمت هذه الفرصة وفتشت في جيبه فلم تر الا مفتاح فاخذته وفتحت الصندوق وفتشت فيه فعثرت على المفاتيح فتناولتها وهي مسرورة فرحة فاسرعت عائدة الى قصرها ودعت بقهرمانتها ان تاتيرها بالطعام

على حسب العادة فسارت في أثرها ومشتا حتى النهر وكان اسمندار على مقالى النار لا يعرف السبب الموجب الى تأخيرها عن الوقت وقد ضاع عقله وشغل باله وخاف من ان تكون أصيبت بمصيبة وهو مسرور من مجيئها فى كل ليلة اليه فتصرف واياه وقت الذهاب والاياب وهو يعد نفسه بقرب وصولها اليه حيث كان ترجع له ان المدينة ستأخذها العرب باقرب وقت ويتخلص الامير حمزة فيزفه عليها وما برحت هذه الحالة حالته وكلما سمع حركة من جرى خرير الماء أوهبوب الريح ظن وصولها اليه الى ان أقبلت فعلا فتأكدها وأسرع اليها حالما وسألها عن سبب غيابها فقالت له ليس الآن وقت شرح الحال فسر أمامي الى القلعة فلابد أن يكون الامير ورفيقه في حاجة الى الطعام وقد وقع باليأس من جرى طول غيابى فسار بين يديها وأبقت القهرمانة فى مكانها ولا زالت سائرة حتى وصلت الى القلعة المذكورة فدخلت بين الاشجار المظللة للباب ودنت منه ووضعت المفتاح في القفل وفتحته كما تقدم ودنت من الامير وسلمت عليه ودفعت له الطعام وفيما هى تخبره عن سبب غيابها وتعتذر اليه واذا بباب القلعة قد أغلق بسرعة قوية وتساقطت أقفاله بالمفاتيح التى كانت باقية في الباب ومن جرى هذا العمل صاحت درة الصدف من الخوف ووقعت الي الارض حزينة لا تعرف من عمل هذا وقد ظنت اما ان يكون احد من قومها يراقب عملها فاجرى ذلك وأما ان يكون اسمندار الذى تركته في الخارج قصد غشها فيغتنم الحصول عليها بواسطة أبيها من هذا العمل ومثل ذلك وقع علي معقل البهلوان من الهم والغم والخوف على الحياة وأما الامير حمزة فقد لاح له من خلال ذاك الظلام ان هذا العمل هو عمل عمر العيار ولذلك صاح به افتح ياوجه القرد ولا تلق الرعب فى قلوبنا فقد عرفناك وآكد عقلى قبل ان يراك بصري : فقال له لا أفتح الا بعد أن تعترف درة الصدف ان الفضل لى بخلاصكم اكثر منها وان الفضل لها بحياتكم فقط واتيانكم بالطعام. فقال له اننا نعرف ذلك ونعترف انك على الدوام صاحب الجميل والمعروف فلا تقصر في نفع قومك قال أريد أن تقول لى ذلك درة الصدف . ولما رأت درة الصدف ان هذا هو عمر العيار هدأ بالها وسكن جأشها وسمعت كلامه فقالت ليس فقط لك الفضل بخلاص الامير وخلاصنا بل باحيائى لاني كنت لو لم اتأكدك مت لا محالة من الخوف والوهم . فافتح ولك كل ما تريد وحينئذ تقدم من الباب ففتحه وقال لهم اخرجوا الي الخارج فخرجوا جميعا ونظروا الى السماء وهي مدبجة بالنجوم مطرزة بطراز انوارها فشكروا الله شكرا جزيلا وحمدوه حمدا طويلا

وكان السبب في وصول عمر تلك الساعة هو كما تقدم معنا انه وعد اندهوق بخلاص أخيه ومعقل البهلوان في تلك الليلة حيث كان يعلم بمكانهما فسار الى أن وصل الى الاسوار فتسلقها وقلب الى الداخل دون أن يراه أحد ولم يكن معه مفتاح للباب لكنه عزم في الاول أن يسير الى تلك القلعة

ويشاهد منافذها وبابها لعله يتوصل الى الداخل فيخلصهما والا اذا تعذر عليه ذلك عاد الى التفتيش وسرقة مفتاحها ولا زال حتى وصل الى باب القلعة فرأى في خارجها اسمندار واقفا فشغل باله وانسل الى جهة الباب فسمع كلام أخيه ودرة الصدف أمامه فتاكد انها جاءت الى خلاصه ولذلك شكرها لكنه تكدر من قصورها ودخولها الى الداخل وبقائهم جميعا يتكلمون والمفتاح في الباب وفي الخارج رجل آخر وكان من الواجب ان يخرجوا في الحال ويقص القصص هناك فاراد تجربتهم ففعل ما فعل ولما صاروا في الخارج قال لهم كان من الواجب ان تسرعوا خوفا من أن يكون أحد يترقبكم ويلاحظكم وقد رأيت شبحا واقفا في هذه الجهة ولم أدع يراني ولا أعرف من هو فقالت درة الصدف هذا وكيل النيل وكان يساعدني في كل ليلة على المجيء اليكم فيمر بي النهر ولولاه لتصعب الوصول اليكم وقد طلب ان يتزوج بي فوعدته لاتمام غايتي وأما الآن فاريد منكم مكافأته على ذلك بغير شيء حيث ما من وسيلة لاتمام وعدي له اذا ني صرت لغيره . فقال لها الامير اني سأقيمه ملكا على هذه المدينة واجعلها كاملها وهذا أعظم مكافاة . ثم أنه دعاه فحضر اليه فشكره على جميله ومعروفه واطمأن باله من أجل غايته

قال ثم ان حمزة قال لعمر سر انت من هنا وارجع الى العرب واخبرهم بخلاصي وقل لاندهوق ان يأتي مع باقي الفرسان عند انبثاق نور الصباح فيجد باب المدينة مفتوحا فاني حالما أشعر به اهجم على الحراس فاقتلهم وافتح الباب فيدخلون وتستلم المدينة باقرب آن وأما أنا فاني ساذهب وأصرف باقي هذه الليلة في بيت درة الصدف فاستحسن كلامه وودعه وسار الى الاسوار فتسلقها وقلب الى الخارج وسار الى ان وصل الى العرب وكانوا اذ ذاك نياما فايقظهم وأمرهم ان يجتمعوا الى صيوان الملك النعمان فجاؤا جميعا وقالوا اخبرنا يا عمر فما وراءك من أخبار أميرنا وسيدنا . فقال ان الامير قد تخلص من القلعة وملك حريته تماما وهو ينتظركم في الصباح عند باب المدينة فيقتل الحراس ويفتحه لكم فتدخلون وتملكون المدينة . ثم انه أعاد عليهم كل ما سمع وفعل في غيابه ففرحت العرب جميعا بذلك ولا سيما اندهوق فانه نهض من تلك الساعة وقال لا يجب ان نضيع الوقت بالباطل فان الصباح قريبا وليذهب كل واحد منكم الى جيشه فيعده ويأتي به الى عند الاسوار ونقف نحن في المقدمة لنكون أول الداخلين فاننا بشوق زائد الى مرأى الامير فاجابوا قوله وأطاعوا أمره وقامت العساكر من مراقدها وهي لا تبدي حركة ولا تظهر أصواتا خوفا من انتباه سكان المدينة اليهم وتقدموا الى جهة الباب ووقف عند الباب اندهوق والمعتدي وقاهر الخيل وبشير ومباشر وسلوى واصفران البير بندي والامير عقيل وفي الاول عمر العيار وانتظروا افتتاح الباب

وكان الامير حمزة بعد ان سار عمر عنه جاء مع درة الصدف ان ضفة النيل وهناك تقدم اسمندار

بنفسه واحضر الزورق فقطعوا النهر عليه وصاروا في الجهة الثانية واذذاك قال الامير لاسمندار اترك هذا المكان واتبعنا فانت في الغد تكون ملكا على هذه المدينة وحاكما عليها ففرح لكلامه وسار معهم حتى جاؤا الى قصر درة الصدف فدخلوه ومعهم القهرمانة فاسرعت الى خدمتهم واحضرت لهم الشراب وكل ماهو لائق باكرام الامير وصرفوا باقي تلك الليلة الى ان تبينوا الجهة الصباح فنهض الامير ومعقل البهلوان وسار امامها اسمندار واتوا الى جهة باب المدينة وهم بالاسلحة الكاملة وكل واحد منهم يتمنى ان يجرد سيفه لهلاك أعدائه الذين فملوا على هلاكهما وعندما وصلوا من الباب هجم حمزه على الحراس وصاح فيهم ياويلكم ياأوغاد غير أمجاد قد حل بكم الويل والبلاء وجاءكم الامير حمزه فلما سمعوا ذلك ركنوا الى الفرار فلم يمكنهم بل أسرع اليهم مع معقل البهلوان واعدماهم الحياة واخذا مفاتيح الباب ففتحاه ورأي الامير في الاول اندهوق فرمى بنفسه عليه وسلم على باقي الفرسان وأمرهم بالهجوم على المدينة فانطبقوا عليها واندفقوا كالبحور الذواخر وبايديهم السيوف البواتر وغاصوا في جنبات المدينة شرقا وغربا واشبعوا اهلها طعنا وضربا وعلا صياحهم وصراخهم فاهتزت اركان البلد ومالت اسوارها وبسبب ذلك استيقظ ورقا وكان قد صحى من سكرته فارتعب وارتجف وفتش على درة الصدف فلم يرها فارتاع باله وسأل عن سبب ذاك الصراخ فقيل له ان الاعداء قد دخلوا المدينة وأخذوا في ان يذبحوا اهلها بلا شفقة ولا رحمة وفي مقدمتهم الامير حمزة العرب واذذاك افتقد مفتاح صندوقه فلم يره في جيبه فاسرع الى الصندوق فوجده مفتوحا ومفاتيح القلعة مأخوذه منه فوعى الى حيلة دره الصدف وكاد ينشق من عماها وقياها وعلى مثل ذلك واذا باخيه سكاما قد دخل عليه وقال له قد ثبت عندنا ان سكان المدينة اصبحوا في يد الاعداء واذا بقينا نحن هنا ساعة اخرى وصلوا اليه وانتقموا منا ولذلك اريد منك أن تسرع فتتبعني لنخرج من باب آخر ونهرب من المدينة ونقصد بلاد العجم اى بلاد كسرى أنوشروان فاجابه الى طلبه واسرع الى مايحتاج اليه من الدرهم والدينار فاخذه وسار مع أخيه هاربين الى باب موصل الى خارج البلد فخرجا منه وامنا علي نفسهم وسارا من هناك يقصدان المداين ليطلعا كسرى أنوشروان علي مافعلت العرب من الافعال ومن قتلت ومن أسرت

وأما أمراء العرب فانهم ما برحوا يقتلون ويأسرون وعساكرهم متفرقة في كل ناح حتى وصل حمزة الى قصر سكاما فدخله وفتش عليه فلم يره فسار الى قصر ورقا وفتش فيه فعلم انهما هربا ولذلك عاد الى المدينة وطاف في الاسواق وهو يسمع صراخ المصريين وعويلهم ومابرح ان سمعهم يطلبون الامان ويبدون الطاعة وعليه فقد أمر أخاه عمرآ ان ينطلق في الاسواق وينادى بامره

بالكف عن أهل المدينة والرجوع عن القتل والنهب ومن ثم أخذ العرب فى ان يرجعوا وهم منصورين ظافرين يصفقون ويغنون واما الامير فانه سار الى قصر الاحكام فدخله وجلس على عرش سكاماوورقا ومعه معقل البهلوان حيث كان لا يفارقه قط وبعد ذلك أخذت أمراء العربان تتوارد الى ذلك المكان وجاء الملك النعمان وجلس فى مكانه المرتفع الممتاز ولما راق الحال وهدأ البال تقدم كل واحد من الجماعة الى أميرهم وسلم عليه وهناه بالخلاص وجاءت كبراء المدينة وسلموا عليه وهم يظهرون الطاعة والرضوخ لاوامره وقالوا له لا ذنب علينا وان الذنب كله على سكاما وورقا وأما الرعية فهى على الدوام تتبع ملكها حيث قد غاب عنا ملكانا وخلص زمن تملكهما فصار من الواجب ان تكون أنت المتولى علينا والمعهد اليك بتدبير مهام بلادنا فشكرهم وطمنهم على أموالهم ونفوسهم وقال لا تخشوا بأسا فاننا ماجئنا هذه البلاد الا بقصد قبض الاموال المضروبة عليها عن سبع سنوات كغيرها من العواصم التي مررنا بها وجئنا اليها فامتنع حكامكم فصادفوا شر هذا الامتناع واما انا فاني فساقيم عليكم حاكما منكم قد اخترته وهو الذي اخلص ودلني وسيكون تحت أمرى وطاعة العرب وهو اسمندار وكيل النيل فقالوا له اليك ماشئت فافعل فانت المالك ونحن العبيد وفي الحال دعا اليه باسمندار ولما وقف بين يديه

قال له أنت تعرف الآن اننا قد ملكنا البلاد وصارت في ايدينا وقد واعدناك ان نكافئك على جميلك معنا ومعروفك ولكن هذه المكافاة غير ما تطلب لان نفسك تميل الى درة الصدف وهي قد غشيتك وما كان بقصدها ان تتزوج بك بل فعلت ما فعلت اكراما وميلا الى معقل البهلون ولذلك اريد منك ان لا تطمع نفسك بها وتتركها لصاحبها وانا أعهد اليك بحكومة مصر والتملك عليها فتختار لنفسك فتاة منها وهذا أفضل لك من كل شيء . فلما سمع اسمندار ذلك وتاكد انه أصبح الحاكم على مصر غاب صوابه واندهش وقال للامير من أنا حتى أخالف أمرك وقد أوليتني من الجميل ما لا يقدر ورفعتني من حضيض الانحطاط الى أوج المجد والسعادة وقدمتني في عالم الحياة الى التملك على بلاد كمصر بعد ان كنت تو تياً ن عالم الخدمة والعبيد . فمدحه حمزة على قوله ومن ذلك الوقت قرب منه رجال مصر ورفعه ملكا عليهم وأمر أن ينادى في كل المدينة بان الملك عليهم اسمندار وكتب الى سائر النواحي والاقضية ان ياتوا لخدمته ويعرفوه منذ ذلك الحين الحاكم عليهم فتقاطرت اليه القضاة والعمال وراق الحال في بلاد مصر كان لم يكن وقع بها شيء . ثم أمر حمزة اسمندار ان يسعى في جمع الاموال والاخرجة المطاوبة منها عن سبع سنوات فاجاب طلبه وكتب الى كامل الجهات بحسب طلب الامير

قال وأقام العرب في بلاد مصر الى ان كان ذات يوم وهم جالسون في صيوان الملك النعمان خارج المدينة واذا برسول دخل على الامير حمزه وقبل الارض بين يديه وقال له اعلم ياسيدي اني من مدينة حلب من خدام نصير صاحبها وقد جئت منه اليك لاخبرك بان كسري منذ وصول خبر أعمالكم في عواصمه واخراج بعض البلاد عليه سعى بجمع الجيوش ليبادركم بالقتال حين رجوعكم حتى امتلأت المدائن وكل سهولها ووعورها فلا يعرف عدد تلك العساكر ولذلك أراد ان يوصل هذا الخبر اليك لتكون على بصيرة ولا تؤخذ بغتة وتعرف ان كسري عدوك وانه لم يعد في نيته ولا ذرة من السلام والامان فلما سمع الأمير حمزه هذا الكلام صار الضياء في عينيه ظلام وقال هذا الذي أريده وأطلبه وسوف يعلم من منا يكون الرابح ومن الخاسر واني أوثق بالله ان يساعدني عليه وعلى وزيره بختك ولو جمع ألوفا وألوف ألوف وميئات ألوف من الابطال . ثم التفت الى الملك النعمان وقال له أسألك ياسيدي ان تامر العرب بالرحيل على أعقابها من حيث اتت فقد كفى ما جمعنا من الاموال اترى ما يكون من أمر الاعجام ولا بد لى من أن اثل هذا العرش وهدم ذاك الايوان واجعل بلاد الفرس قاعا صفصفا . فاجابه الي طلبه وأوصى بين طوائف العرب ان مرادهم الرجوع الى المدائن فليستعد كل واحد للرحيل بعد أيام قليلة ثم ان اسفنديار قدم الي حمزة ما طلبه منه وكان ما يسد به السهول والوعور فقبض الكل وضمنه الى ما معه من الامير وأعلن غايته بالركوب في صباح اليوم التالى فتهيأت الابطال والرجال ورفعت الاحمال على ظهور البغال ومامضى الا القليل من الوقت حتى اقفرت تلك الارض من العرب ومن خالطهم وساروا عائدين على طريق قويم يقصدون المدائن وهكذا انتهت سياحة الأمير حمزه وجباية الاخرجة وقد جمع اليه من الذهب والفضة والنوق والجمال والاحمال اثقال مالا يضبطه قلم كاتب ولا يحصاه فكر حاسب

ومابرح في طريقه مدة شهور وأيام حتى وصل الى مدينة حلب وعرف بقدومه الملك نصير الحلبي فخرج الي ملتقاه وعندما اجتمع به سلم عليه وترحب به مزيد الترحاب ونزل العرب في ضواحي المدينة وضربت خيامهم وسرحت انعامهم وفي نيتهم ان يقيموا عدة أيام في تلك الجهة ليستريحوا ويكتشفون أخبار كسرى انوشروان ولما استقر بهم المقام سالوا الملك نصير عما بلغه من أحوال كسرى واستعداده وامنه الخبر فقال لهم جل ما أعرفه ان كسرى بعث بالكتب الى كل النواحي يطلب ارسال العساكر والمدد فبعض العمال أجاب وبعضهم امتنع وكل الذين مررت بهم خالفوا ومن جملتهم انا فاني رددت رسوله بالخيبة واخبرته اني صرت من اتباع الأمير حمزه فتهددني ولذلك بعثت اليك أطلعك على هذا الخبر خيفة منه . قال لا بد لى من أن أريه أعمال

العرب وقوه بطشهم وقد ظن فى نفسه اني أموت وأهلك فارسلني في عده مهالك فكانت خيرا ونجاحا لى

ثم ان الأمير حمزه دعا عمر وقال له اريد منك ان تذهب الى المدائن وتجس لى أحوال العجم وتسبر أعماق أعمالهم وتاتيني عنهم بالخبر اليقين وتعرف مقدار العساكر التى تجمعت هناك وما في نية كسري أن يفعل أهل يصر على الحرب او يمتنع وانظر من تجمع عنده من الفرسان الذين عليهم الاعتماد فاجاب عمر طلبه وتزيا بزى حجاب العجم واخذ ما يحتاج اليه وانطلق من حلب بخفة الرياح عدة أيام وليال حتي جاء الى مدينة كسرى فوجد الجيوش قد غطت السهول والوعر وملأت الارض بالطول والعرض فدخل فيما بينهم وهو يتعجب من كثرتهم وانتشارهم وجاء ابواب المدينة فدخلها وقرب من ديوان كسرى ووقف بين يدى الملك دون ان يعرفه احد منهم واختبي كل من هناك ولا زال صابرا حتى انفك الديوان ومضى كل واحد الى حاله فتأثر الوزير بزرجمهر حتي دخل قصره فدخل خلفه وقبل يديه وسلم عليه وعرفه بنفسه وقال له اني جئت اليك من قبل اخى الامير حمزة لاستفسر منك عن افكار كسري وماذا جرى من بعد سفره قال واين هو اخوك . اجاب في مدينة حلب وقد عاد منصورا غانما كاسبا ومعه أموال غزيرة جدا ولا زال بانتظار عودتي لاطلاعه على أحوال حقيقة كسرى وعساكره . أجاب اعلم ان بعض أخبار اخيك وصلت الى الملك كسرى واغاظت بختك الوزير العدو الاكبر للعرب فادخل فى عقله ان العرب بعد عودتهم لا بد ان ينزعوه ويطردوه من البلاد والدليل انهم اخرجوا عليه عماله وكل بلاد دخلوها ادخلوها فى طاعتهم واتفقا على جمع الجيوش وتجمع الجموع حتى صار نحو ١٧ كرة من العساكر حول المدينة وهذا العدد غزير جدا . قال انى أريد ان أسألك عن رجل رأيته جالسا في المكان الذي كان يجلس به الامير حمزة ووجدت ان له من الاعتبار والاكرام ما كان لاخى عنده صفاء باطن كسري ومحبته . أجاب اعلم ان هذا يقال له زوبين الغدار صاحب بلاد زوالوكوال وهو من فرسان هذا الزمان الصناديد فكتب اليه كسرى واقامه بهلوان تخت بلاده ووعده بزواج بنته مهردكار بشرط ان يقتل الأمير حمزة ويخلص الفرس من شره وهو على الدوام يناديه بصهره وعرف الاعجام باجمعهم انه سيتزوج بمهردكار . قال لا بد من أن يري طالما مشوما فيلحقه اخي حمزة بالذين عاندوه وذاقوا حتفهم . قال اني أنصحكم ان لا تباشروا حروبا في هذه الايام بل اخبر حمزة ان يبق في حلب الى ان تمضى أيام النحوس حيث قد تبين لى انها ستكون عليه وبالا فقبل عمر يديه وخرج من عنده يقصد حلب الشهباء حتي وصل اليها ووقف أمام أخيه وهو فى الصيوان وأعاد عليه كل ما سمعه من بزرجمهر الوزير وما شاهده من كثرة الجموع التى رآها . فاضطرب

عند سماعه هذا الكلام وكاد يطير صوابه من الغيظ وقال سوف يعلم زوبين الغدار هذا شر عمله الى أين يوصله ويتأ كد ان كل من تعرض لمهردكار كان دوائه السيف الصقيل البتار . ولم يعتن بكلام الوزير بزرجمهر ونصحه لهم ان لا يباشروا حروبا في تلك الايام بل أمر في الحال ان تستعد العساكر للمسير الى المدائن وهو يتمني ان يكون له جناح لاطير ان ليصل باقرب آن الى تلك الجهة ويبطش بجيوش اعدائه اللئام : ومن ثم أخذ العربان بالاستعداد والتهيء يقصدون الرحيل عن تلك الارض والسير الي ساحة القتال . وفي صباح اليوم التالي انتقلوا من هناك وساروا في طريق المدائن حتى اقتربوا من البلاد المذكوره وبانت لهم جيوش الاعجام منتشره انتشار الغيوم في ضواحي المدينة واذ ذاك امر الأمير حمزه ان تضرب الخيام على مقربة من لأعداء وتسرح الانعام والاغنام خلف منها فنزلت العرب في تلك الارض ونصبوا خيامهم وترتبوا على حسب ما أمرهم الامير وبعد ذلك كتب حمزه كتابا الى كسري انوشروان وأعطاه الى أخيه لكي يوصله اليه وطلب منه ان ياتيه بالجواب منه حالا فسار الى ان دخل الديوان وشاهد من فيه فلم يبد كلاما ولا خطابا بل دفع الكتاب الى كسرى وساله الجواب فناوله الى الوزير بزرجمهر وساله ان يتلوه علنا فشقه واذا به

من الأمير حمزه البهلوان فارس فرسان هذا الزمان ومذل الجبابرة والشجعان الى الملك كسرى أنو شروان صاحب التخت والايوان

أعلم أيها الملك الكبير انى كنت في الاصل قد أخلصت لك الود وخدمتك خدمة صادقة أمينة رجاء ان تسمح لى بينتك مهردكار وانت تقابل حسناتي بالقبيح وتنقاد الى وزيرك بختك الخبيث الذى يعمل على خراب مملكتك حتى انك أخيرا بعثتني الى جمع الاخرجة وزعمت ان لك في ذمة العمال مدة سبع سنوات وكان من أمرك أنك بعثت الى تلك البلاد برسلك ورسائلك تطلب منهم الانتقام من العرب وانقراضهم وقتل امرائهم غير ان الأمر جاء بخلاف مقصدك لان الله الذى نعبده هو يحرسنا ويسهل لنا طرق النجاح اين ذهبنا وفي أى طريق سرنا فجمعنا المطلوب عن سبع سنين سلفا بعد ان قهرنا كل فارس وبطل وطاعت لنا البلاد وخدمتنا العباد ونحن من حمدة الله تعالي على غاية السعادة والتوفيق وقد جئنا الى هذه النواحي ومعنا من الفرسان كل جبار عنيد مثل مباشر وبشير والمعتمد حامي السواحل وقاهر الخيل وغيرهم من الذين فضلوا السعي بين يدى من البقاء في بلادهم . ولا خفاك ان الذهب الذى جمعته يبلغ مقدار أربعمائة جمل وأضعاف أضعاف ذلك من الفضة وأما عدد الاغنام والنوق والفصلان فلا يقدر ان يضبط عددها الا الله . وأنا أسمح عن كل ما أوصلته الي وأسلم اليك بكل هذه الاموال اذا أجبت سؤالى وأرسلت الى مهردكار -

لاخذها وأسير بها الى مكة المطهرة ويكون الامر بيننا باق على حاله والا اذا امتنعت فاني لا أسلم الاموال واعمل على الحرب والقتال وأنت تعرف اعمالي واعمال أبطالي فلا تغتر باقوال بختك واعماله وتظن من نفسك ان هذه العساكر التي تجمعت تقدر ان تحمى المدائن من غضبي وتصونها من بطشي وقوة فرساني وهاك آخر ما أريده والسلام

وما انتهي الوزير بزرجمهر من قراءة هذا الكتاب حتى نهض بختك وهو يضطرب ويرجف وقال اني من مثل هذه الوقاحة كنت أخاف لان العرب قوم اجلاف لا يكرمون واذا اكرموا شمخوا وهاك ايها الملك العظيم البرهان الاكبر على صدق قولي فقد جمع الاموال وطمع بها وأراد ان يتهددك انه لا يسلمها الا اذا اسلمناه مهردكار كان مهردكار آلة تنقل وثوب ليأخذها ويسير ولا زال بختك على مثل هذا الكلام حتى أوغر صدر كسرى حنقا وقال لعمر اذهب الى اخيك وقل له ان لا بنات عندنا له فاذا شاء سلمنا الاموال ورحل عنا الى بلاده عفوت عنه وتركت تاديبه والا فاني ربطته بالحبال وجازيته اقبح مجازات وجعلته عبرة لغيره من امثاله . فسار عمر الى ان دخل على الامير حمزة وهو في صيوان الملك النعمان وعنده سائر الابطال والفرسان فبلغه كلام كسرى وانه مصر على العناد ومنقاد الى أقوال بختك ابن الاوغاد . فقال سوف يعرف الى اين يوصله عناده ولا بد من خراب هذه الدولة وانقراضها ومن ثم امر قومه ان يستعد كل واحد منهم الى مباكرة الحرب ومفاجئة الاعداء باقرب آن .

وبلغ مهردكار وصول الأمير حمزة بقومه سالما ففرحت الفرح الذي لا يوصف وسقط هم كبير عن قلبها غير انها كانت حزينة من عمل أبيها وعناده واصراره على حرب حبيبها وكانت تتمني من قلبها ان يتسهل لها طريق الخلاص من المدينة من الوصول الى يدي الأمير باي طريقة كانت لتأمن على نفسها وتؤكد انها صارت خصيصة به فان عاش عاشت وان مات ماتت معه وقاسمه الشقاء والهناء ولا سيما وقد عرفت ان أباها قد وعد زوبين الغدار صاحب بلاد زوال وكوال بها وانه وعده بقتل حمزة حبيبها . وقد رأت الى زوبين الغدار من شباك قصرها فوجدته شنيع الخلقة كبير الرأس قصير القامة ضخم الساقين كبير الانف أحول العينين فضحكت من خلقته وشناعة منظره وقالت في نفسها الموت خير من ترك الأمير حمزة . واقامت مرة في حزن ومرة في أوهام وأخرى في آمال ورجاء تنتظر ما يكون في النهاية من أمر أبيها وحبيبها الى ان كان ثاني يوم من مجيء العرب نهض الامير حمزة من رقاده وامر ان يقدم اليه جواده الاصفران فركبه واعتلى على ظهره كانه قلة من القلال او قطعة فصلت من جبل وركب من حواليه جماعته وركب اندهوق بن سعدون وقاهر الخيل وبشير ومباشر واصفران الدربندي والامير عقيل وكل فارس وبطل وضربت طبول

الحرب من ناحية العرب حتي ارتجفت منها السهول والوديان وركب الملك النعمان ونشرت فوق رأسه راية النسر والعقاب وقد تألف من العرب جيش عظيم عرمرم يبلغ مقداره ثلثمائة الف مقاتل كلها أسود كواسر ينتظرون اشارات الأمير للهجوم وخوض تلك المعامع ولما سمع العجم أصوات طبول العرب ضربت طبولهم بامر الملك كسرى فهاجوا وماجوا واضطربوا وتراكضوا الى الخيول وركب زوبين فى المقدمة وفي كل نيته انه ينال المقصود في ذاك اليوم لانه شاهد قلة العرب وكثره عساكره ومثل ذلك كان ظن كسرى انوشروان لان بختك كان يقول له ان كثره عدد عساكرنا تخولنا النصر والظفر على الاعداء لان الكثره تغلب الشجاعة لاسيما وعندنا صهرك زوبين الذى وحده يقدر على تفريق هذه الجيوش وهلاك فرسانها وابطالها وموت حمزة العرب وسوف ترى ذلك باقرب آن

قال ولما اصطفت الصفان وترتب الفريقان . وآن أوان الحرب والطعان . صاح الامير حمزه صياح الابطال . وهجم هجوم اسود الدحال وفعل كفعله اندهوق وهو فوق فيله كالاسد الريبال وكذلك المعتدى حامى السواحل وباقى الرجال . فامنهم الامن طال واستطال . وغاص فى عباب ذلك القتال . وهو يود هلاك الاخصام واحراقهم بنيران الانتقام . وحملت العرب على العجم والعجم على العرب . وهاج بحر المنايا واضطرب . وتحدد مخلابه وانتشب . ورفعت على عواتقه احمال التعب والنصب وكان يوما كثير المصائب . عظيم المصاعب . شديد الاهوال قوى الاخطار على الابطال وفرسان ذلك المجال . تلونت الارض بالدماء وتدفقت ميازيب المصائب كانابيب السماء . ودارت على الابطال كؤس الفناء . وذاقوا امرارة العناء . وماانقضى ذاك النهار الا وقد اشفي الأمير حمزة غليله وترك القتلي تلالا واكواما واوقع بجيش الاعجام واذاقهم كاسات الحمام وعاد عند المساء يزاركالاسد الكاسر ورجعت الجيوش المقاتلة كل جيش الى مقامه وهو لا يصدق الخلاص من هول ذاك النهار وبات الفريقان يتحارسان طول ذاك الليل الي أن جاء اليوم الثاني فاسرعت فرسان العرب الي القتال وتقدم الأعجام الى ملاقاتهم وهم يبربرون بلغاتهم ويطلبون الانتقام من العرب واميرهم على مافعلوه معهم في اليوم الماضى وماوقعت العين على العين وانتظم ترتيب الفريقين حتى رن صوت الامير حمزة بكل أذن وهو يتهدد العجم ويتوعدهم وانحدف عليهم كقضاء الله المنزل فاندفعت من خلفه بحور العربان فالتقاه رجال كسرى انوشروان والتطم البحران فاضطربا وهاجا . واختبطا وماجا وراج سوق ذلك اليوم اكثر من اليوم الاول واشتعلت ناره تلتهم طول الاجل . فتقصف الاعمار وتذهب بها الى عالم البوار . وقد اسودت الشمس أى اسودادوا كمد الافق أى اركداد وانتشر كالعلم الغبار فوق

رؤس تلك الأمم حتى زهقت نفوسها وكرهت فى الحياة وتمنت سرعة الخلاص من هذه الدنيا اذ كان لا نجاه . وكل أمير من أمراء العرب اخذ على نفسه ناحية ففرق رجالها وأهلك أبطالها والقى فى قلوبهم الخوف والرعب وكان كسرى يشاهدو وهو تحت العلم عن بعد افعال فرسان العرب وهي تقاتل و تقتحم المنايا كالبزاه اذا طاردت أضعف العصافير فقال لوزيره بختك وهو الى جانبه . أى وزيرى انى لست راضيا من هذه الحالة فانت الذي كنت السبب في القاء العداوة بيني وبين العرب مع انهم كانوا طائعين لنا وتحت امرنا فخرمت روح أبوك من الاحراق بالنار ورميت بالثلج والزمهرير اذا تشتت فرساني وهلك رجالى فقال له مهلا ياسيدى فان الحرب لا تزال تحت الرجحان ومن المؤكد ان الفوز لنا فانظر الى صهرك زوبين كيف يقتحم الاهوال كانه الأسد الرئبال والفرسان تفر بين يديه كما تفر من كبار البواشق صغار الحجال قال ان ما يفعله زوبين وهو واحد من جيوشنا يفعل اضعافه جيوش العرب وفرسانهم ويظهر لى ان كلهم زوبينات وحمزات . قال اصبر الى الاخير فترى النصر لمن يكون وبرحت الحرب قائمة على ساق وقدم ونفوس الرجال تتقدم ضحية الى سلطان العدم . حتى ولى النهار وانهزم . وتقدم الليل بسواده وهجم . وحينئذ ضربت طبول الانفصال . ورجعت الفرسان والابطال وعاد الامير حمزة وهو كشقائق الارجوان مغموس بادمية الفرسان ومثله المعتدى حامى السواحل واندهوق بن سعدون وباقى رجال العربان وقد فازوا ببعض الفوز فى ذلك اليوم واما الاعجام فقد عادوا مقهورين متاخرين ولما وصل زوبين الغدار امام كسرى انوشروان وهو بلون احمر من الدماء قال بختك لكسرى انظر صهرك ياسيدى فقد تغيرت الوانه وصبغ بدماء الاعداء ولا بد له أن يبيد هذه الطائفة العربية ويادبها اى تأديب . فقال زوبين سوف يظهر لك المستقبل ما يكون من أمرى وأمر العرب حتى انى بايام قليلة أفنيهم عن اخرهم وانى أعدك على مسمع من الحضور فى هذه الايام ان لا بد من قتل الامير حمزة وهلاكه ومتى قتل ضعفت شوكة الباقين وسلموا نا انفسهم تفعل بهم ما نريد ونختار .

قال وفى اليوم الثالث عاد المتقاتلان الى الحرب والطعان كاليومين الماضيين الى حين الزوال وفى المساء عادوا الى الخيام وهكذا اتصل القتال بين العربان والاعجام الى مدة خمسة عشر يوما حتى تبين النقص فى رجال كسرى وظهر ضعفهم للعيان واصبحوا بخوف وقلة امان وثبت عند كسرى ان الحرب اذا بقيت على هذا المنوال عدة ايام اخرجات به العبر ولذلك دعا ببختك وقال لا برحت روح ابيك فى مغائر الثلج وغضبت عليها النار لانك غششتني وحملتني على عداوة العرب ولم أعد قادرا على مصالحتهم فانظر فى امر يخلصنا منهم ويحفظ لنا شرفنا وناموسنا ويخول لنا النصر عليهم او يعيدهم الى طاعتنا دون ان يخرقوا احرمتنا . فقال له امنا

الصلح بيننا وبين العرب فهو مستحيل وقد اصروا على قلب كرسيك والانتقام منك وافتضاح عرضك وسبي بنتك واما الفوز على العرب فله عندي تدبير عظيم وسوف ترى فى الغد الامير حمزة مائتا ومقتولا من سيف زوبين واذا لم يتم ذلك بردت الثلوج ارواح آبائى وأجدادى وحرمت من القيام فى النار ذات الشرار فشكره كسرى وقال له سوف ترى فى الغد ما تزعم الان. ثم ان بختك ذهب من عند كسرى الى زوبين ودعاه اليه وقال له اتبعنى فتبعه ونزل المدينة وذهب الى قصره فدخله وجاء الى غرفة قديمة العهد ففتحها وتقدم من صندوق حديدى فيها ففتحه واخرج منه سيفا لامعا ساطعا فاخرجه من قرابه واراه لزوبين وقال له اعلم ان هذا نادر المثال لا نظير له فى الدنيا فهو مسقى بسم الافاعى ومصطفى ببول الحمير اذا لحق جسم الانسان لا يمكن شفاؤه قط واذا ضرب الحديد به براه كما يبرى الكاتب القلم واريد أن ادفعه اليك فاذا كنت تقدر ان تصل الى الامير حمزة وتمكنت من ضربه ولو باى جهة من جسمه سرى السم الى كل بدنه وبعدة ساعات قليلة مات وفارق الحياة قال انى فكرت بامر واري فيه النجاح قال وما هو قال انى نويت ان البس ملابس العرب واسير عن قومى من هذه الساعة وانت لا تخبر احدا بى وعند الصباح لا بد من انتشاب القتال فاختلط بين العرب وأقاتل معهم وراقب الامير حمزة حتى اتمكن منه بضربة فاعدمه هذه الدنيا فقال له خيرا تفعل وهذا رأى لم يسبقك اليه احد قبلك من رجال الحرب. ثم انه دفع اليه السيف فاخذه وهو فرحان به مزيد الفرح ولبس ملابس العرب وتريا بزيهم حتى ان الذى يراه كان لا يقدر يفرق بينه وبين رجال العرب وفرسانهم

وكان الامير حمزة وباقى العرب قد فرحوا تلك الليلة الفرح الذى لا يوصف بما نالوه من الظفر والفوز العظيم وفى نيتهم ان فى اليوم الاتى او الذى بعده ينهون امر الاعجام ويفرقون ما تبقى من تلك الجموع وناموا على مثل هذه المسرة ولا سيما الامير فانه كان يراقب ان يرى مهردكار ويشاهد حالها وما هى عليه بعد ذلك البعد الطويل والفراق العظيم وقد خطر له ان بعد كسرة ابيها وتفريق جيوشه يقدر باقرب آن ان يقرب منها ويتوسل اليها اما ان اباها يعود الى مسالمته فيزفها عليه واما بالامتلاك على المدينة والنصر على عساكره فيخلو له ولها الجو فيزف نفسه عليها بالرغم عن ابيها وعن كل الموانع التى تحول دونه ودونها. وبعد ان غرق ببحر الكرى ونام جانبا من الليل رأى نفسه كانه على مركب يسير فى البحر والامواج تقيمه وتقعده باضطراب وهيجان عظيم. فخاف جدا من الغرق وصار يطلب الدنو من الشاطىء فلم يقدر الى ان تكسر المركب وقذفته الامواج الى البر فرأى هناك مهردكار وقد اخذته اليها وسكنت روعه وهدأت أضطرابه فاراد ان يشكرها على معروفها ويدنو منها فاستيقظ واذ ذاك وحد الله سبحانه وتعالى وارتاع من هول ذاك الحلم ولم يعد يأخذه نوم ما بقى من تلك

وعند الصباح لم يكن فى فكره ان يركب الى مباشرة حرب وكفاح غير انه لما سمع طبول الاعجام تضرب وقد نهض كل ذى سيف يطلب القتال اضطر الى الركوب ووجدان من الصواب قيامه فى جيشه ليتقوى به ولا يتخل انتظامه فركب جواده الاصفران وتقدم فى مقدمة الفرسان وهو مضطرب الفكر كما تقدم وكلما اراد ان يبعد عنه الاوهام فاجابته با كثر من الاول ولم يكن الا القليل حتى اختلطت تلك الامم وامتزجت وعلا صياحها وضجيجها وارتفع صراخها وعجيجها واشتبكت الاخصام بالاخصام وحمى الوطيس وكثر الزحام. وكسد الامان والسلام. وبذل كل جهده واجرى ما عنده حتى اسودت الافاق. وغابت الشمس بعد الاشراق. وضاقت من الفرسان الاخلاق. وظنت فرسان العرب ان ذاك اليوم هو اليوم الاخير به تنال الظفر والانتصار. ويحل بالاعجام الويل والبوار. ولذلك صرفت جهدها بالقتال وتقلبت على بسط البساله تقلب اسود الدحال

وكان من عادات الامير حمزه وهو فى وسط المعمعة ينتقل من مكان الى مكان يطعن فى صدور الاعداء والفرسان ويراقب حال ابطاله ورجاله ليدفع عنهم الويلات اذا كان احدهم وقع فى امر او شدة او وقع فى ربقة الاعداء وليس له خلاص فيفرقهم عنه وينتشله من بينهم ففى ذاك اليوم لم يرى اندهوق بن سعدون ولا سمع له صوتا فجال فى كل المعسكر يخترق الصفوف حتى ضاق صدره وغاب وعيه وهو لم يقف له على خبر الى ما بعد الظهر واذ ذاك وقف مضطربا وحسب للحلم الذى رآه الف حساب وصاح باخيه ويلك يا وجه القرد انطلق وانظر لى فى اى مكان اندهوق بن سعدون فقد شغل بالى عليه ولم ار له اثرا ولا تعد الى الا بالخبر اليقين واخاف ان يكون قتل وحل به الوبال فرأى عمر اضطراب الامير فقال له لا تبرح من هنا حتى اعود اليك بالخبر اليقين ثم اطلق ساقيه واندفع بين تلك الجموع يخترق ويمر من تحت الخيول كانه السهم فى السرعة

وبقى الامير حمزة واقفا مبهوتا مشغل البال يتامل فى حال القتال وقد رأى العرب وهم بنجاح وانتصار وفكره يضرب عند اندهوق خائفا من ان يكون قد اصيب بمصيبة أو لحق به سوء وفيما هو واقف على مثل ذلك ينظر الى الرجال وهى تروح وتاتى واذا بزوبين الغدار قد قرب منه وهو بملابس العرب لانه كما تقدم كان وعد بقتله فى ذاك النهار واختلط بين العرب كواحد منهم وقد صادف الامير مرارا فلم يقدر ان يتمكن منه لكثرة جولانه ولانتباه عمر العيار عليه لانه كان كالبرق يطوف من حوله ولا يدع لا عجميا ولا عربيا يقرب منه فلما غاب عمر ووقف الامير مبهوتا اغتنم هذه الفرصة وصاح وبيده الحسام الذى اخذه من الوزير بختك وضربه ضربة الخائف قائلا له خذها من يد زوبين الغدار وبعد ان ضرب تلك الضربة طلب الهرب والفرار فجاء السيف على جبهة الامير وللحال شعر كانه اتون نارا اشتعل من راسه

الى قدمه ولم يقدر على احتمال الوجع فصاح من شدة الالم وعانق الجواد فعاد به ركضا الى جهة الخيام فاسرعت اليه الرجال من كل ناح وانتشر الخبر في كل المعسكر وعرف به الامير عمر فاسرع يركض الى صيوانه وهو متكدر من ذلك ووضع اخاه على سريره وربط له جرحه وهو على ازدياد ألم يصيح وينادي متوجعا وقد اشتمل كل جسمه وايقن انه مائت لا محالة ودامت العرب بقتال شديد مع الاعجام الى الزوال وقد فعل قاهر الخيل والمعتدى حامى السواحل ما يحكى ويذكر طلبا بثار الامير وعند المساء عادا الى صيوان الامير مع بقية الفرسان فوجدوه على تلك الحال واخذ اسطون الحكيم ملك القسطنطينية الذي جاء معهم يوضع له المراهم ويسكن له الجراح والامير يزبد ويرغى ويصيح

وفي نفس ذلك المساء بينما كان القوم باضطراب وكدر على ما أصاب الامير حمزة واذا باندهوق قد اقبل وهو راكب على فيله العظيم الهيكل قد ركب من خلفه مهردكار واحضرها الى ذلك المكان فشاهد تلك الحالة فلطم على وجهه وسأل عن الخبر فحكاه له عمر وشرح له ما أصاب الامير من الارتباك عند غياب غدر به زوبين وهرب فاغتاظ الغيظ العظيم ودخل على الامير فوجده ضائعا غائبا عن هداه لا يعي الى احد وهو يتوجع ويئن فجلس الى جانبه واجلس مهردكار بالقرب منه وكان سبب مجيئهما وانه كان في تلك الليلة يفكر بامر يرضى به الامير ويقرب نهاية هذه الحرب فوجد ان من الصواب ان يأتي بمهردكار الى معسكرهم فتى كانت فيه يمكنهم ان يتركوا تلك النواحي بعد تشتيت كسرى ويرجعوا الى مكة المطهرة والا ربما ذهب ابوها الى بلاد اخرى وجمع الجموع فتطول الحرب ويطول عذابهم وهم يسيرون من مكان الى مكان ولما ثبت عنده ذلك انسحب في الصباح من ساحة القتال وجاء من وراء معسكر الاعجام وهم مشغلون بالحرب والصدام كما تقدم الكلام وهجم على ابواب المدينة وقتل كل من هناك واركض فيله الى ان أوقفه امام قصر مهردكار وقد راها وهي واقفة في الشباك وعيونها تضرب الى نحو ساحة القتال. وكانت تلك المدة المنتشبة بها الحرب بين ابيها وحبيبها لا تنام ولا يهدأ لها قرار وهي خائفة جدا من تفريق العرب وتشتيتهم وان لا تصل الى حبيبها ولذلك كانت تتمنى على الدوام ان تترك ذلك المكان وتقيم عند حمزة حتى اذا رحلوا عن تلك الديار ترحل معهم واذا كانت رفقتهم لا يعودون ثانية بل تنقضي الحرب ولما رأى اندهوق قد وصل تحت شباكها وصاح اى مهردكار قد نلنا النصر والفخار فاحفظي بلاد ابيك عن الخراب وانزلي الى بين العرب لنذهب عن هذه الديار فما صدقت ان سمعت هذا الكلام حتى أسرعت الى جواهرها فحملتها وحملت ما هو لازم لها من ثيابها ورمت بنفسها على اندهوق فاركبها خلفه وسار بها الى معسكر العرب ولما رأت ما حل على الامير وما هو به بكت وحزنت وخافت مزيد الخوف الا انه لم يضع عنها عقلها بل استعملت حكمتها وقالت لاريب ان ذلك

الجرح هو من سيف مسقى بالسم وانى اعرف ان لا احد يعرف دواء لهذا الجرح الا بزرجمهر الوزير فقال لها لقد أصبت وانى ساحصل على هذا الدواء ولم يعد يصبر بل اسرع الى جهة معسكر الاعجام بعد ان غير نفسه وتزيا بزى خدمهم

قال وكان عند المساء رجع الاعجام عن الحرب والصدام بعد ان هلك منهم قسم كبير فى ذلك النهار فاغاظ ذلك كسرى وقال لوزيره بختك قد هلك اكثر من نصف العساكر واخاف ان تدور علينا الدوائر ولا تنال من الاعداء الغاية فقال اصبر ففى ذلك الساعة تبلغك اخبار حمزة لانه جرح وعندى انه لا يقيم اكثر من ساعات قليلة فى هذه الدنيا وفيما هما على مثل ذلك واذا بزوبين قد دخل على كرسى والسيف الذى اخذه من بختك مشهر بيده ينقط دما وقال ابشر يا سيدى فقد قتلت لك الامير حمزة حيث قد ضربته ضربة وقعت بين عينيه وركض الى جهة الخيام ومثله تكون بقية اعدائك وحينئذ نهض بختك وقبل زوبين بين عينيه وقال له مثلك تكون الفرسان والافلافانت وحدك الذى استحققت مهردكار ويليق ان تكون لها زوجا لانك نادر المثال بين الرجال. وكان بزرجمهر يسمع كل هذا الكلام وقلبه يتقطع ويتوجع على ما حل على الامير حمزة وما وصل اليه من غدر الغادرين وما صدق ان جاء المساء حتى ذهب الى بيته حزينا كئيبا وبعد ان دخل واستقر به الجلوس حضر بين يديه عمر العيار وشكى اليه حال الامير حمزة وان الجميع باضطراب وخوف على حياته لانه بحالة النزاع فقال انى من مثل ذلك الامر كنت اخاف عليه فقد اخبرتك ان تخبر العرب ان يبقوا فى حاب الى ان تمضى هذه الايام لانها ايام نحوس يلاقون بها ويلا وعدم نجاح قال ان هذا حكيته للامير حمزة فلم يصغ اليه بل حركه حب الانتقام الى السرعة فى العمل والان قد وقع ما وقع وما من وسيلة لارجاع ما مضى ونريد منك دواء الجرح اخى. قال سر انت الان الى اول الوادى الذى هو بجانب الطريق وانتظر هناك الى ان يوافيك خادمى ومعه قارورة الدواء فخذها منه واذهب الى علاج الامير لكن اريد منك ان تخبر العرب ان يرحلوا فى هذه الليلة عن هذه البلاد ويقصدوا مكة المشرفة لان الخير ياتيهم من هناك والتوفيق بنبوعه من تلك البلاد المشرفة الى ان يسمح الله بانقلال النحوس واياكم من البقاء فى هذه البلاد والنواحى فتدور عليكم الدوائر فاخبره بما فعله اندهوق من الاتيان بمهردكار وقال له صار فى وسعنا الان البعد عن هذه البلاد وتركها لان غايتنا التى نقاتل لاجلها قد حصلنا عليها واموال كسرى بيدنا فسر بزرجمهر من ذلك واوصى عمر تكرارا ان يرحلوا فى تلك الليلة الى ارض مكة فوعده وذهب الى اول الوادى المذكور وما اقام الا القليل حتى جاء خادم بزرجمهر بقارورة العلاج فتناولها منه وانطلق يسعى الى ان وقف فى صيوان الامير حمزة فوجد الصياح قائما من كل ناح فقال له سكنوا روعكم فما من خوف على اخى وقد اخبرنى الوزير انه سيشفى من هذا الجراح ويكون

له شان عظيم بعد قيامه غير انه رغب الينا بالحاح ان نسافر فى هذه الليلة ونبارح هذه البلاد حتى اذا اصبح الصباح نكون بعيدين من هنا ولا بد لكسرى ان يتبعنا الى بلادنا فيصادف شر عمله . وتقدم من الامير وسكب له على جرحه من ذلك الدواء واخذ خرقة مبلولة ووضعها عليه ثم وضع له من القارورة فى فمه واطبقه حتى استقر الدواء الى بطنه وفى الحال هدأ روع حمزة وطفا اللهيب الذى كان يستعر به فى كل جسده وقل صراخه فوكل به مهردكار واوصاها بالاعتناء به وان تواصل وضع المرهم على الجرح وانسحب الى مابين العرب وامرهم بالرحيل فى الحال فهدوا الخيام وشدوا الاحمال وركبوا على خيولهم وساروا فى الاول بكل سرعة وعاد الى اخيه حمزة فرفعه على هودج وهو ملقى على سريره واحكم له صنعته ليكون مرتاحا ولا يتعب من السفر

(قال الراوى) ولتبقى مهردكار عنده على الدوام تضع له المرهم وتسقيه الدواء مع اسطون الحكيم ومن بعده ركب الجميع وسار واوسار فى الاخير عمرو وبين يديه الاموال والانعام وطلب من اندهوق بن سعدون والمعتدى حامى السواحل وقاهر الخيل وبشير ومباشر ومعقل البهلوان واصفران الدربندى والامير عقيل ان يسير خلف الاموال ليكونوا فى حماية الجميع

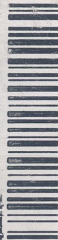
وما اصبح صباح اليوم الثانى حتى كانوا بعدوا عن تلك الديار وغابوا عنها تماما ولم يبق قط من اثر فيها ورأت الاعجام خلو تلك الارض منهم فدخلوا على كسرى واخبروه بذلك وكان قد اجتمع اليه بختك وزوبين وفى نيتهم امر الجيش بالقتال فلما عرف بذلك سر مزيد السرور وقال لبختك الوزير نعمت ايها الوزير واحرقت النار روح ابائك واجدادك لانك دبرت موضع التدبير فلو لم يكن الامير حمزة قد قتل ومات لما رحلت العرب لكن لا بد من تاثرهم فيما بعد لننزع منهم الاموال قال له سيكون ذلك بعد ان نفرح بزفاف مهردكار على زوبين الغدار الذى خلصنا من شر هؤلاء الكفار الذين يعبدون الله ويتركون عبادة النار ذات الشرار . قال هذا لا بد منه وفيما هم على مثل ذلك واذا بالخدم قد دخلوا عليه يلطمون على خدودهم واخبروه ان ستهم مهردكار قد اخذت الى العرب وان الذى اخذها اندهوق بن سعدون وقدرمت نفسها عليه ووافقه على مبارحة القصر فاركبها وراءه ورجع بعد ان قتل كل من وقف فى طريقه فلما سمع كسرى هذا الكلام ارغى وازبد وقام وقعد واضطرب ووقع الغضب فى وجهه واسودت الدنيا فى عينيه وقال ما كفى العرب ان اخذوا الاموال واخلفوا على امالى وضيعوا اكثر البلاد من يدى حتى حركتهم وقاحتهم الى اخذ بنتى مع انه اميرهم مات وعدم الحياة لكنهم قصدوا بذلك ذلى وقهرى والقاء العار على فانى ساتبعهم اين ساروا وفى اى طريق رحلوا وجرى على مثل ذلك بختك الوزير لانه تمنى ان يقع زفاف مهردكار على زوبين الغدار فى تلك الايام وينال الامر الذى يطلبه فصادف عكس ماظن والتى عدم

النجاح فانفطرت مرارته وكان اعظم الكل كدرازوبين فانه بعدان ظن ان اللقمة قد وصلت الى فمه خطفت منه وترك كالكلاب لا يعتني به وقد طلبت مهردكار البعد عنه وافقت العرب على البقاء معهم والمسير بينهم وكان مغرما بها متعشق لجمالها على الخبر والسماع وقد علق قلبه بحبها تعلقا عظيما حتى صار يعد من العشاق . ولذلك قال لكسرى اريد منك ياسيدي ان تأمر في الحال بالمسير في اثر العرب اذ قال هذا لابد منه لكن بعدان نزيد قوتنا ونعرف في أي طريق ساروا . ثم ان كسرى بعث بالديادبة والارصاد لتسير في اثر العرب وترى اى طريق يقصدون واى ناحية يحلون فسارت العيون من خلفهم الى ان ادركتهم على بعد شاسع وتأكدت انهم يقصدون مكة ولذلك عادوا الى كسرى واخبروه انهم يقصدوا مكة وان البكاء قائم من العرب على الامير حمزة فقال حيث ان الامر كذلك فلابد لى من المسير خلفهم واتباعهم الى مكة واهدم ذاك البيت وادعه معابد للنيران وافنى قبائل العرب عن اخرهم لاسيما وقد ثبت الاحمزه قدمات وشرب كاس الافات وبعده لاتقوم للعرب قائمة ولا تنتظم احوالهم واقام الاعجام في بلادهم مدة ايام وقد اخذ كسرى في ان يجمع الفرسان من كل ناحية ومكان ويهيىء لهم العدد وينظم احوال غزواته على بلاد العرب

قال وأما ما كان من العرب فانهم مازالوا في مسيرهم مدة أيام وليال حتى وصلوا الى مكة المطهرة وتنشقوا نسيم عطر أرضها فانتعشت به أرواحهم وأرسلوا بالاخبار الى الامير ابراهيم أبي الامير حمزه يعلمونه بقدومهم الى تلك الديار فلما وصلت اليه الاخبار كاد يطير من الفرح وخرج مع سادات مكة ولما التقوا ببعضهم البعض سأل ابراهيم عمر عن حمزه فاخبره أنه في الهودج مجروحا وانه على أمل الانتباه فتكدر من ذلك الا انه شكر الله ودعاه لشفاء ولده وسلم على الفرسان والامراء وعادوا جميعا الى مكة وهناك انزلوا الامير حمزه ومهردكار في بيت واحد وهي قائمة على علاجه تذرف الدموع الغزار على ما أصابه وما لحق به من الالم والوجع وتشكر الله الذي سهل لها أن تكون بجانبه لتحسن مداراته وتقاسمه التوجع كل هذا وهو غائب عن الوجود واسطون حاكم القسطنطينية يضع له المبردات ولا يفارقه ولما استقر حمزه على سريره في بلاد أبيه وارتاح من السفر جسمه شعر من ذاته براحة ففتح عينيه المرة الاولى ولفظ باسم مهردكار ثم نادى عمر وكان بالقرب منه وقال له اخبرني عن أندهوق هل رأيته وهل رجع اليكم قال ها هو الان بالقرب منك وقد أحضر لك مهردكار وهي أيضا بجانبك فانظر اليها . واذ ذاك قالت له مهردكار لا كان يوم رأيتك مجروحا أيها الامير واني أشكر الله الذي أنت بسلام وقد زال الخطر عنك فلما سمع الامير صوتها وقع على قلبه أحسن من علاج بزرجمهر ونظر الى وجهها كئيبة عليه فقال لها لاتخافي على فاني بخير ومامن الم اشعر به الان فاخبريني هل أنت مسرورة بقيامك عندي قالت هذه هي السعادة والاقبال الذين اطلبهما ثم دنا منه اندهوق

وهناه بالسلامة وحكى له عن سبب غيابه فشكره على معروفه وقال له هل لاتزال عساكر العجم مجتمعة قال كلا بل نحن الان في مكة المطهرة وقد ارسل الوزير بزرجمهر يخبرنا ان نأتي بك الى هذا المكان حيث ان العجم سيتبعوننا ويكون النصر لنا في هذا المقام وها ابوك وعرب مكة هنا ثم تقدم ابوه فقبله وقبل يديه وفي اليوم الثاني وجد نفسه براحة اكثر فاستدعا بعمر وقال اني اعرف ان العجم لا بد لهم ان يسيروا باسرنا في هذا المكان ولا يتركوا مهردكار والاموال في ايدينا وان الذي يحملهم على ذلك زوبين الغدار وبختك الوزير ولا ريب انهم يظنون اني مت قتيلا وعليه فاريد ان تحصن المدينة وتقيم على الحراس وتدبر في كل ما يحفظها من الاعداء ولا تدع تعرضه يمضي بلا فائدة فاجاب طلبه وسار مع عياريه الى تحصين المدينة بمعرفة اندهوق والمعتدي حامي السواحل وما مضت الا ايام قليلة حتى صار الامير حمزه لانه قادرا على الجلوس ثم الوقوف ثم المشي ثم ركوب الخيل وقد عاد الى صحته الاولى تماما وكان اعظم سرور عنده قيام مهردكار في يده وحصوله عليها وان كان لم يتزوجها اذ ذاك وعاد الى فرسان العرب فرحها ومجدها وامالت بالخير والنجاح واصبحت تنتظر قدوم الاعجام الى تلك البلاد لتنتقم منها وتحل بها النقم وتعدمها فرحها وسرورها وصار الامير حمزة في كل يوم يركب ويخرج الى خارج المدينة ويوسع بالبراري والقفار وقد صفا له الزمان مدة ايام مع مهردكار وهو مجتمع بها ويشكو اليها حاله وتشكو اليه حالها وكل منهما مسرور بما ناله من تلك السعادة المؤذنة براحة المعيشة ويتمنى قرب الزفاف وكان الامير حمزه يعرف من نفسه ان مهردكار لا تفاتحه بذلك حياء منه وخجلا فاراد ان يريح بالها من هذا القبيل فقال لها اعلمي يا اعز الناس عندي انك وحدك التي تسلطت نفسي وقدرت ان تجعلي افكاري منحصرة لك مع انك تعلمين ان الاميرة سلوى هي مثلك تنتظر الزواج بي وقد وعدتها الوعد الصادق اكراما لاخيها كونه من خواص رجالي وساداتهم وفرسان هذا الزمان الذي يندر وجودهم ولذلك اريد ان اعرض عليك امرا واخبرك ان بقاءك عندي سيكون مازلت حيا فيران زواجي بك لا يكون ما لم يرتح بالي من جهة ابيك ويصفو الي الزمان واذا ساعدتني العناية وراق لي الزمان كما اريد واشتهي جعلت يوم العرس من الايام التي تضرب بها الامثال فيما ياتي من الاجيال بحيث اجمع اليه كل غريب وقريب واجعلك تفتخري على سائر نساء ملوك الزمان وساداتها والاعيان ويكفاني اذا راك في هذه الايام بالقرب مني والى جانبي تسمعين مني مثل هذا الكلام وتصغين الي كحبيبة عرفت عن يقين انها كلها لحبيبها وانه كله لها وان اللذة الحادثة ولذة المشاهدة تسري في اقنية الجسم بما يجعله يشعر براحة اللذة من العافية واطيب من التلذذ بالمنام عند اشتداد النعاس

(انتهى المجلد الاول ويليه المجلد الثاني من سيرة الامير حمزه البهلوان)


Bibliotheca Alexandrina
0558523
